



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

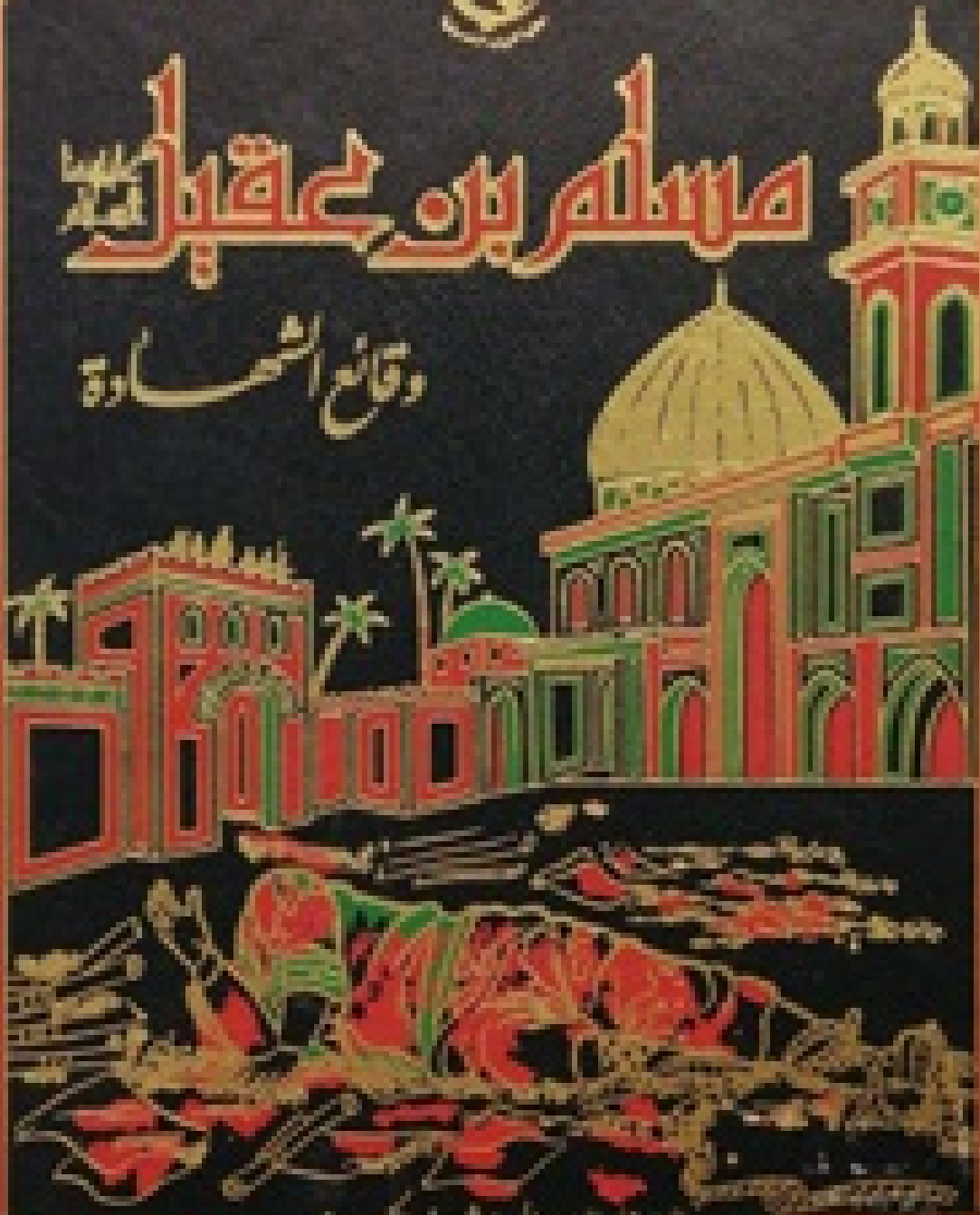
.org

.net

.ir

مسلمین کے عقیدے

وقائع اشعادت



ایضاً اشعادت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مسلم بن عقيل عليهما السلام وقائع الشهادة

كاتب:

سيد علي جمال أشرف

نشرت في الطباعة:

مؤلف

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
24	مسلم بن عقيل عليهما السلام وقائع الشهادة
24	اشارة
24	اشارة
27	الفهرس الاجمالي
28	تقديم
32	الديباجة
44	المقدمة
68	أقسام الأخبار
68	اشارة
69	القسم الأول: المختصرة
69	القسم الثاني: المفصلة
72	الأسر
72	الأسر بعد أن بذل غاية المجهود
74	متي انتهت الحرب؟
74	اشارة
75	الوقت الأول: في الليل
76	الوقت الثاني: في الصباح
77	هل أوثقوه كتافاً؟
77	اشارة
77	الطائفة الأولى: في مجلس ابن مرجانة
78	الطائفة الثانية: بعد أن وقع صريعاً
80	وقفه مواساة مع البطل الهاشمي الجريح

84 إشارة

84 المجموعة الأولى: من دار طوعة مباشرة دون حرب

85 المجموعة الثانية: من ميدان القتال

86 بين ميدان القتال وقصر الخيال

87 نُقِل علي بغلة ..

87 إشارة

88 الفائدة الأولى: الذهاب ركباً

88 الفائدة الثانية: ركوب المولي بنفسه

89 الفائدة الثالثة: اختيار البغلة

89 لماذا اختيار البغلة؟

89 إشارة

90 الداعي الأول: أذي المولي (عليه السلام)

90 الداعي الثاني: الأذي الجسدي

91 الداعي الثالث: الحذر من المولي (عليه السلام)

91 نُقِل فوراً

92 باب قصر الخيال

92 إشارة

94 إحداهما: دخول السبايا والرؤوس

95 الثانية: وقوف مسلم (عليه السلام)

95 إشارة

95 هل أوقف المولي مسلم (عليه السلام) علي باب القصر؟

95 إشارة

95 القسم الأول: لم تذكر الوقوف

96 القسم الثاني: المكث مقدار الاستسقاء

- 97 القسم الثالث: الوقوف حتّى خروج الإذن
- 98 جلوسه علي باب القصر
- 98 المتواجدون علي باب القصر
- 102 عطشه (عليه السلام)
- 102 تبيّهات:
- 102 التبيّه الأول: الاستسقاء
- 104 التبيّه الثاني: العطش وطبيعة الحرب
- 104 التبيّه الثالث: الإباء الطالبي
- 105 التبيّه الرابع: مواساة سيّد الشهداء (عليه السلام)
- 107 التبيّه الخامس: شكاه عطشه إلي الله أوّلاً
- 107 التبيّه السادس: امتناعه عن شرب الماء
- 108 التبيّه السابع: سقيه وهو مكتوف
- 109 التبيّه الثامن: سقوط ثيابه
- 110 التبيّه التاسع: خسة العدو ونذالته
- 110 متي استسقى المولي الغريب (عليه السلام) ؟
- 110 اشارة
- 111 الأوّل: أثناء الحرب
- 112 الثاني: بعد الأسر
- 112 الثالث: علي باب القصر
- 113 مَن الذي ردّ علي المولي الغريب (عليه السلام) ؟
- 114 مَن الذي أمر له بالماء ؟
- 114 اشارة
- 114 أحدهما: عمارة بن عقبة بن أبي معيط
- 114 الآخر: عمرو بن حريث الباهلي
- 115 مَن الذي باشر بسقيه ؟

116 من أين جاؤوا بالماء؟
116 المحصّلة
117 استمرار عطشه من الحرب إلى الشهادة
120 داخل القصر
120 دخول الأسد الهاشمي علي الجرو الأموي
120 إشارة
122 التفاتة: مواساة عيال سيّد الشهداء (عليه السلام)
122 رفض السلام علي ابن زياد
122 إشارة
122 القسم الأوّل: لم تذكر السلام
124 القسم الثاني: رفض السلام
125 القسم الثالث: لم يسلم بشرط الاستبقاء
125 إشارة
125 الطائفة الأولى:
126 الطائفة الثانية:
127 فرية تمّني الاستبقاء
127 إشارة
128 الملاحظة الأولى: وجود نصوص لم تذكر السلام
128 الملاحظة الثانية: علم الموليّ بشهادته
129 الملاحظة الثالثة: مجريات الأحداث تؤكّد إرادة قتله
129 الملاحظة الرابعة: طبيعة أخلاق الأحرار والأبّاء
130 الملاحظة الخامسة: إذا سلّم عليه بالإمرة، فما فرقه عن الخونة الذين خذلوه؟!؟
131 الملاحظة السادسة: تجنّي المؤرّخ علي المولي (عليه السلام) بتأكيد حبه للحياة والبقاء
132 تنكّر ابن زياد للأمان اللّذي أمر به
136 الوصيّة

- 136 الوصية الأصل
- 138 طلب الوصية وقبول ابن زياد
- 138 اشارة
- 138 طلب المولي (عليه السلام) وإجابة اللعين
- 140 مبادرة المولي بعد الطلب دون انتظار الإذن
- 141 قول ابن أعثم
- 142 مبادرة المولي إلي الوصية دون طلب ذلك من اللعين
- 143 لم يذكر الوصية:
- 143 موقف عمر بن سعد
- 143 اشارة
- 143 الصنف الأول: مبادرة ابن زياد
- 144 الصنف الثاني: مبادرة ابن سعد
- 146 الصنف الثالث: قبول ابن سعد دون انتظار الإذن
- 146 الصنف الرابع: امتناع ابن سعد إلا بعد الإذن
- 148 دواعي اختيار عمر بن سعد
- 148 اشارة
- 148 النكته الأولى: عمل أهل البيت (عليهم السلام) بظاهر الأنساب
- 151 النكته الثانية: تمسك أهل البيت (عليهم السلام) بالقرابة وإن بعدت
- 152 النكته الثالثة: ما هي القرابة بين المولي الغريب (عليه السلام) وابن سعد؟
- 153 النكته الرابعة: تشكيك البعض
- 153 الداعي المنصوص عليه
- 154 الدواعي غير المنصوص عليها
- 154 اشارة
- 155 القسم الأول: الدواعي العامة
- 155 الداعي الأول: العمل بالتكليف الشرعي

- 156 الداعي الثاني: الردّ علي شبهات الأعداء وتضليلهم
- 156 الداعي الثالث: وجود ضرورة في بعض موارد الوصية -
- 157 الداعي الرابع: ابلاغ سيد الشهداء (عليه السلام) لإتمام المهمة وانجازها علي أكمل وجه
- 157 الداعي الخامس: إقامة الحجّة علي ابن زياد وغيره من الأذئاب
- 159 الداعي السادس: كانت وصيته (عليه السلام) بمثابة تبليغ بحركة الإمام والدعوة إلي نصرته
- 161 الداعي السادس: كشف خبث ابن زياد وجرأته علي الجثّة والتمثيل بها
- 162 القسم الثاني: الدواعي الخاصّة
- 162 الداعي الأوّل: القرابة بين سيد الشهداء (عليه السلام) وابن سعد
- 163 الداعي الثاني: إقامة الحجّة علي ابن سعد
- 164 الداعي الثالث: موقع ابن سعد
- 165 الداعي الرابع: إخراج ابن سعد أمام الملأ
- 166 دواعي قبول الوصية من قبل ابن سعد
- 166 اشارة
- 166 الداعي الأوّل: الداعي المنصوص
- 167 الداعي الثاني: التفاخر والمباهات
- 168 الداعي الثالث: الإخراج أمام الملأ
- 169 الداعي الرابع: الطمع في تكذيب الصادقين
- 169 الداعي الخامس: أن تكون له يدٌ عند الهاشميين
- 170 هل كانت الوصية سرّاً؟
- 170 اشارة
- 172 أولاً: خبث ابن سعد
- 172 ثانياً: عزّة مسلم (عليه السلام)
- 173 ثالثاً: رعاية لمقام سيد الشهداء (عليه السلام)
- 173 موادّ الوصية
- 173 اشارة

- 176 الوصية في نقاط:
- 176 اشارة
- 177 النقطة الأولى: الوصية بتقوي الله
- 178 النقطة الثانية: إبلاغ سيد الشهداء (عليه السلام) بخيانة القوم وخديعتهم وغدرهم وتكذيبهم
- 180 النقطة الثالثة: إبلاغ سيد الشهداء (عليه السلام) بما أصاب المولي الغريب (عليه السلام)
- 180 النقطة الرابعة: قضاء دينه
- 180 اشارة
- 181 ليس في الدين منقصة
- 184 مقدار الدين!
- 185 قضاء الدين من أي مال؟
- 187 النقطة الخامسة: طلب الجثة من ابن زياد ومواراتها
- 187 النقطة السادسة: الشهادة الثالثة
- 189 النقطة السابعة: عدد من خرج مع الحسين (عليه السلام)
- 189 اشارة
- 189 المناقشة الأولى: ما هي الضرورة لذكر العدد؟
- 190 المناقشة الثانية: العدد أكبر من ذلك
- 191 المناقشة الثالثة: فإني تركته ومن معه!
- 191 المناقشة الرابعة: كيفية خروج الحسين!
- 194 نذالة ابن سعد وإفشائه السرّ
- 194 اشارة
- 195 الإفشاء بعد طلب من ابن زياد
- 196 مبادرة ابن سعد
- 196 اشارة
- 196 الصورة الأولى: باللقاء الخبر مباشرة
- 197 الصورة الثانية: الإلقاء بعد الاستئذان

199	موقف ابن زياد من الإفشاء
199	إشارة
200	الإشارة الأولى: تملق ابن سعد وتوثبه
202	الإشارة الثانية: تنكّر الطاغية للأخلاق
202	إشارة
202	السبب الأول: بناؤه الشخصي
203	السبب الثاني: ضرورة الموقف
203	السبب الثالث: ممارسته التجسس
204	الإشارة الثالثة: رياء الطواغيت
205	الإشارة الرابعة: تحقير ابن سعد
206	الإشارة الخامسة: معرفة ابن زياد بالمولي الغريب (عليه السلام)
206	الإشارة السادسة: لا يخونك الأمين
206	إشارة
207	الملاحظة الأولى: كلام النبي (صلي الله عليه وآله)
209	الملاحظة الثانية: تمثله بالكلمة
209	إشارة
209	السبب الأول: التعبير عن الموقف
209	السبب الثاني: الطعن بابن سعد
209	السبب الثالث:
210	الملاحظة الخامسة: زيادة الرواة
210	إفشاء السرّ بعد الشهادة
211	دواعي الإصرار علي الإفشاء
213	أثر إفشاء السرّ
215	الجواب علي الوصية
215	إشارة

- 216 القسم الأول: ردّ ابن زياد علي ابن سعد
- 216 اشارة
- 218 الأمر الأول: المبادرة بالجواب
- 218 الأمر الثاني: المال
- 218 الأمر الثالث: الوصيّة لسيد الشهداء (عليه السلام)
- 218 اشارة
- 219 أولاً: الطغيان وسوء الأدب
- 220 ثانياً: إن لم يردنا لم نرده!
- 220 ثالثاً: متي أراد سيّد الشهداء (عليه السلام) !؟
- 222 رابعاً: إذنه بإرسال الرسول
- 223 خامساً: فلا كرامة
- 224 الأمر الرابع: الجنّة
- 224 اشارة
- 225 المكذّب الأول:
- 225 المكذّب الثاني:
- 226 المكذّب الثالث:
- 226 المكذّب الرابع:
- 228 الأمر الخامس: كذبة ابن كثير
- 228 القسم الثاني: الردّ علي المولي ابن عقيل (عليه السلام)
- 228 اشارة
- 229 الفائدة الأولى: المال
- 229 الفائدة الثانية: الجنّة
- 230 الفائدة الثالثة: طغيان ابن زياد
- 231 القسم الثالث: جواب عمر بن سعد
- 231 اشارة

231	النقطة الأولى: مبادرة ابن سعد
232	النقطة الثانية: الشهادة
233	تنفيذ الوصية
236	المحاججة والمناظرة
236	اشارة
240	القسم الأول: المقتضبة
243	القسم الثاني: المفصلة
255	وجود اختصار في النصوص المفصلة:
256	فقرات المحاججة:
256	اشارة
257	المحور الأول: المهمة
257	اشارة
258	ردّ المولي مسلم (عليه السلام)
261	ملاحظات:
261	الملاحظة الأولى: الضمان في حديث مسلم (عليه السلام)
262	الملاحظة الثانية: كتبوا وزعموا
262	الملاحظة الثالثة: نشيت الجمع
263	الملاحظة الرابعة: مؤدّي الدعوة
265	الملاحظة الخامسة: لفظ أمير المؤمنين
267	الملاحظة السادسة: الردّ علي شقّ العصا ونفي الخلافة عن معاوية
270	الملاحظة السابعة: من ألقح الفتنة
274	الملاحظة الثامنة: الخلافة والمُلك
274	الملاحظة التاسعة: إدعاء ابن زياد أنّه يعمل بالكتاب والعدل
274	اشارة
275	الاحتمال الأول: الكذب المفترع

- 275 الاحتمال الثاني: تحريف الطبري
- 276 الملاحظة العاشرة: ختام هذا المقطع من المحاججة
- 277 المحور الثاني: شخص مسلم بن عقيل (عليهما السلام)
- 277 اشارة
- 281 تعبيره بأمنه
- 284 الافتراء بالفسق! الشقاق! العقوق! الافتراء بشرب الخمر! القيان!
- 284 اشارة
- 287 النقطة الأولى: الاستنكار والنفي
- 288 النقطة الثانية: مقارعة ابن زياد وردّها عليه
- 288 اشارة
- 289 الردّ الأوّل: ابن زياد شارب الخمر، وصحة نسبه لذلك
- 289 الردّ الثاني: الأولوية
- 289 اشارة
- 290 ملاحظة: تشويه التاريخ!
- 291 المحور الثالث: تمتي السلطة
- 291 اشارة
- 299 الأوّل: الردّ الأوّل
- 299 اشارة
- 300 النقطة الأولى: ابن زياد وابن مرجانة
- 300 النقطة الثانية: من أهله؟
- 301 النقطة الثالثة: الاحتكام إلى الله
- 302 الردّ الثاني: اليقين
- 302 اشارة
- 302 النقطة الأولى: الدفاع عن حقّ الإمام
- 304 النقطة الثانية: اليقين

- 305 الردّ الثالث: لمن الحقّ في الخلافة؟!
- 305 اشارة
- 306 الفقرة الأولى: كُنّا أهل ذلك
- 307 الفقرة الثانية: لمن الخلافة؟
- 309 المحور الرابع: التهديد بسوء القتل
- 309 اشارة
- 312 لو كان معي عشرة
- 314 المحور الخامس: الشتم والسبّ وانتهاك المقدّسات
- 314 اشارة
- 317 الطائفة الأولى: السكوت
- 318 الطائفة الثانية: الردّ
- 318 اشارة
- 318 المقطع الأول: طريقة ردّ الشتيمة
- 319 المقطع الثاني: إعلان كفر ابن زياد
- 319 المقطع الثالث: نحن أهل بيتٍ موكل بنا البلاء
- 320 المقطع الرابع: إقضّ ما أنت قاض، والبلاء
- 320 اشارة
- 322 السقي! التحريم بالشرف في غير الخزف؟
- 322 اشارة
- 323 الاحتمال الأول: أن تكون إشارة غائبة
- 323 الاحتمال الثاني: التحريم بالمعني الثاني
- 324 المحور السادس: تمنّي الشهادة علي يد شرّ البرية
- 324 اشارة
- 325 المطلب الأول: إعلان النهاية
- 326 المطلب الثاني: الاطمئنان بالعاقبة

- 327المطلب الثالث: الشهادة رزق
- 327المطلب الرابع: قاتله شرّ البرية
- 327 اشارة
- 327الجانب الأول: جانب المولي
- 328الجانب الثاني: جانب ابن زياد
- 329المحور السابع: الردّ علي الأمر بالقتل
- 331قوة المولي في محاججة ابن زياد
- 335الأمر بالقتل
- 341الشهادة
- 341 اشارة
- 341القسم الأول: المقتضبة جداً
- 344القسم الثاني: فيها شيء من التفصيل
- 344 اشارة
- 351من المباشر للقتل؟ هل هو بكر (بكير) بن حمران الأحمري؟
- 351 اشارة
- 352القسم الأول: ذكرت الضريتين فقط
- 352القسم الثاني: ذكرت الضريتين وأثرهما
- 354القسم الثالث: التي صرّحت بقتله
- 354 اشارة
- 355السبب الأول: ثقل المصادر التي صرّحت بقتله
- 356السبب الثاني: شدّة الإصابات
- 356السبب الثالث: عدم تصريح بعض المصادر بمباشرة
- 357السبب الرابع: احتمال أن يكون المباشر غيره
- 359الموضع الذي قُتل فيه
- 359 اشارة

- 361 الاحتمال الأول: التصحيف
- 361 الاحتمال الثاني: تقارب المواضع
- 362 الاحتمال الثالث: اختلاف المواضع بمرور الزمان
- 362 لماذا صعد به إلي السطح؟
- 362 إشارة
- 363 الغرض الأول: التخويف
- 364 الغرض الثاني: تحطيم المقدمات
- 365 الغرض الثالث: التكيل والتشفي والتشهير
- 365 الغرض الرابع: التفرد بالقتلة
- 365 ذكر الله ودعاؤه عند القتل
- 367 ملاحظات:
- 367 الملاحظة الأولى: السكينة والوفار
- 368 الملاحظة الثانية: الصلوات الكاملة
- 369 الملاحظة الثالثة: أدلونا!
- 369 الملاحظة الرابعة: التسيح والتكبير والاستغفار..
- 370 الملاحظة الخامسة: الدعاء
- 372 الملاحظة السادسة: الصلاة ركعتين
- 372 الملاحظة السابعة: مسلم أول من زار الحسين علي مرتفع، واستجاب ذلك كما في الروايات
- 376 الملاحظة الثامنة: أبيات شعر قبل الشهادة
- 377 تمتت
- 377 إشارة
- 378 التمة الأولى: قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام
- 378 التمة الثانية: حضور ابن زياد!
- 379 التمة الثالثة: لم يقتل بأول ضربة
- 379 التمة الرابعة: الرد إلي آخر لحظة

- 380 التّمّة الخامسة: الفخر عند الموت ..
- 382 التّمّة السادسة: السؤال عن قتله ..
- 383 التّمّة السابعة: ما رآه القاتل عند قتله وتعليل ابن زياد ..
- 385 التّمّة الثامنة: يبست يد القاتل ورأى النبيّ (صلي الله عليه وآله) ..
- 386 التّمّة التاسعة: كيف رُمي (عليه السلام) من فوق القصر ..
- 386 اشارة ..
- 386 النمط الأول: أتبع رأسه جسده ..
- 386 النمط الثاني: هوي الرأس أولاً ..
- 387 النمط الثالث: ألقى الرأس ..
- 387 النمط الرابع: سقطت الجثة أولاً ..
- 388 النمط الخامس: رُمي حياً ..
- 388 تشويهاً ..
- 394 الصّلب ..
- 394 اشارة ..
- 395 موضع الصّلب ..
- 399 الصّلب منكوساً ..
- 400 أوّل جثّة صُلبت لبني هاشم ..
- 401 مدّة الصّلب ..
- 402 جرّه في الأسواق ..
- 402 اشارة ..
- 405 اللّوعة الأولى: السحب بالحبال ..
- 406 اللّوعة الثانية: جرّ الصبيان ..
- 407 اللّوعة الثالثة: بلوغ الخبر لسيد الشهداء (عليه السلام) ..
- 409 اللّوعة الرابعة: مدّة السحب ..
- 410 تجهيز الأجساد الطاهرة ..

- 410 اشارة
- 410 الطائفة الأولى: تجهيز ابن سعد
- 411 الطائفة الثانية: تجهيز مذبح
- 412 الطائفة الثالثة: تجهيز زوجة ميثم
- 413 الطائفة الرابعة: الصلاة عليه!
- 414 ناصر الجثمان المقدس حنظلة بن مرة
- 414 اشارة
- 415 فوائد
- 418 بعث الرؤوس إلي الشام
- 418 اشارة
- 423 عدد الرؤوس المبعوثة
- 424 حاملو الرؤوس إلي الشام
- 426 أول رأس هاشمي يُحمَل
- 427 كتاب ابن زياد ليزيد
- 431 جواب يزيد علي كتاب ابن زياد
- 431 اشارة
- 435 مقاطع الكتاب:
- 435 اشارة
- 435 المقطع الأول: ذكر ابن زياد وشكره
- 435 اشارة
- 436 الوصف الأول: إنَّ ابن زياد كما يحبُّ يزيد
- 437 الوصف الثاني: وصفه بالحزم
- 437 الوصف الثالث: وصفه بالشجاع
- 439 الوصف الرابع: رابط الجأش
- 440 المقطع الثاني: ذكر الرسولين ومدحهما

440	اشارة
440	النقطة الأولى: دعوتهما من قبل يزيد
441	النقطة الثانية: شرح ما ذكره ابن زياد
441	النقطة الثالثة: تأكيد يزيد علي نذالتهما
441	النقطة الرابعة: الجائزة والوصية بهما
442	المقطع الثالث: إصدار الأوامر
445	المقطع الرابع: تهديد ابن زياد
449	صلب الرؤوس في الشام
450	لفتة
453	مواد البحث
453	اشارة
453	الطبقات الكبرى لابن سعد (ت 230):
454	ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) (من طبقات ابن سعد)، تاريخ الاسلام للذهبي:
457	المحبر لمحمد بن حبيب (ت 245):
457	الإمامة والسياسة لابن قتيبة (ت 276):
458	أنساب الأشراف للبلاذري (ت 279):
466	الأخبار الطوال للدينوري (ت 282):
469	تاريخ يعقوبي (ت 292):
469	تاريخ الطبري (ت 310):
479	الفتوح لابن أعمم الكوفي (ت 314):
487	العقد الفريد لابن عبد ربّه (ت 328)، جواهر المطالب للباعوني:
488	مروج الذهب للمسعودي (ت 346):
492	الثقات لابن حبان (ت 354):
492	مقاتل الطالبين للأصفهاني (ت 356):
497	الإرشاد للشيخ المفيد (ت 413):

- 504 تجارب الأمم لمسكويه (ت 421):
- 505 إعلام الوري للطبرسي (ت 548):
- 506 مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي (ت 568):
- 513 روضة الواعظين للفتال النيسابوري (ت 508):
- 515 لباب الأنساب لابن فندق (ت 565):
- 515 مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (ت 588):
- 516 المنتظم لابن الجوزي (ت 597):
- 516 الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت 630):
- 521 الحدائق الوردية للمحلي (ت 652):
- 521 مطالب السؤول لابن طلحة (ت 652)، كشف الغمة للأربلي (ت 693):
- 522 تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي (ت 654):
- 523 اللّهوف في قتلي الطفوف للسيد ابن طاووس (ت 664):
- 527 تاريخ أبي الفداء (ت 732):
- 527 نهاية الأرب للنويري (ت 733):
- 529 تهذيب الكمال للمزني (ت 742):
- 530 سير أعلام النبلاء للذهبي (ت 748):
- 532 البداية والنهاية لابن كثير (ت 774):
- 536 مثير الأحزان لابن نما (ت 841):
- 540 تهذيب التهذيب لابن حجر (ت 852):
- 540 الفصول المهمة لابن الصبّاغ (ت 855)، نور الأبصار للشبلنجي:
- 540 الجوهرة اللبري (ق 7):
- 541 المنتخب للشيخ الطريحي (ت 1085):
- 546 بحار الأنوار للعلامة المجلسي (ت 1111):
- 553 جلاء العيون:
- 553 ينابيع المودة للقندوزي (ت 1294):

- 555 مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف المشهور:
- 561 إِبصار العين للشيخ محمد السماوي (ت 1370): ..
- 568 معالي السبطين للمازندراني (ت 1384): ..
- 569 مقتل الحسين (عليه السلام) للمقرم (ت 1391): ..
- 569 الأُمالي للشجري:
- 572 محتويات الكتاب ..
- 593 تعريف مركز ..

مسلم بن عقيل عليهما السلام وقائع الشهادة

اشارة

مسلم بن عقيل (عليهما السلام) وقائع الشهادة

السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني

زبان: عربي

تعداد صفحات: 531 ص

خيرانديش دييجيتالي : ييادبود مرحوم حاج سيد مصطفى سيد حنايي

ص: 1

اشارة

مسلم بن عقيل (عليهما السلام) وقائع الشهادة

السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني

ص: 3

الفهرس الاجمالي

أقسام الأخبار. 45

الأسر. 49

حركته (عليه السلام) من الميدان إلي القصر. 61

باب قصر الخبال... 69

عطشه (عليه السلام). 79

داخل القصر. 97

الوصية. 113

المحاجة والمناظرة. 213

الأمر بالقتل... 311

الشهادة. 317

الصَّلب.... 369

جرّه في الأسواق... 377

تجهيز الأجساد الطاهرة. 385

ناصر الجثمان المقدس حنظلة بن مرّة. 389

بعث الرؤوس إلي الشام.. 393

ص: 4

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(وَلَنَبَلِّغُنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبَلَّوْا أَخْبَارَكُمْ)، صدق الله العليّ العظيم.

والحمد لله ربّ العالمين، وبه تعالي نستعين، والصلاة علي المبعوث رحمةً للعالمين، المصطفى محمّدٍ وعلي آله الطيّبين الطاهرين.

حقاً من دواعي السرور أن يدعوني أخي العزيز المفضل سماحة السيّد علي السيّد جمال أشرف الحسيني (دامت بركاته) للتقديم لكتابه الموسوم (مسلم بن عقيل.. وقائع الشهادة)، سيّما وأنا أتشرف بخدمة المرقد الطاهر للمولي الغريب منذ ثمان سنين بمنّ من الله (سبحانه وتعالى)، فمسلم (سلام الله عليه) هو فرعٌ من تلك الدوحة الهاشمية التي عمّ الوري نوالها، وانتفع الخلق ببركاتها، تربّي في بيت عليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)،

ص: 5

وكفاه ذلك فخراً، ثم قلده بعد ذلك إمامنا الحسين (عليه السلام) بقلادة الشرف الباذخ يوم كلفه السفارة بقوله لأهل الكوفة: «إني باعث لكم أخي وابن عمي، وثقتي من أهل بيتي».

وهكذا يتقلب مسلم في منازل الساجدين، ويرتقي في مدارج العارفين، حتى ينال الشهادة هبةً من رب العالمين علي يدي أحقر المخلوقين.

ثم يبدأ التاريخ ليكتب لنا حياة هذا الرجل العظيم، وليته لم يكتب! لأن الأقلام المأجورة ما انفكت من أسر المالكين والحاكمين تسطر لهم رغباتهم، وإن اقتضى الأمر قلب الحقائق، أو أن تذكر بعضاً منها وهي خجلةٌ من ممولّيها، وهذا ما حدث في تاريخ مسلم بن عقيل (عليه السلام).

ولا عجب، فلم يكن هو الوحيد الذي شملته هذه المؤامرة القذرة، بل إنها طالت كل ذراري الأئمة الأطهار وأتباعهم ومواليهم، وظلت الأمور علي ما هي عليه مع تقادم السنين، حتى أصبح البعض منها - وللأسف الشديد - من المسلّمات عندنا.

ولكن شاء الله أن يقيض لها رجالاً شمّروا عن سواعدهم، ليغوصوا في أعماق التاريخ، ويعيدوا دراسته بشكلٍ واعٍ وبموازين ثابتة، تستند إلي كتاب الله وسنة النبي الأكرم والأئمة الهداة الميامين (عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم).. ومن هؤلاء سماحة السيّد علي الحسيني (أعزه الله)، الذي درس حياة الشهيد مسلم بن عقيل دراسةً تحليليةً واعية، وقف بها عند كل الشبهات التي أحاطت بتاريخه (عليه السلام)، ومنها: قصة شراء والدته من قبل

معاوية، أو محاولة اغتيال ابن زياد في بيت هاني بن عروة، أو قصّة التطيّر من المهمّة الموكّلة إليه، وغيرها.. واستطاع أن يُخرِجها التخرّيج الصحيح القريب من المنطق السليم، وأن يُجيب علي كثيرٍ من التساؤلات التي قد تخطر علي ذهن المتتبّع لتاريخ مسلم بن عقيل (عليه السلام)، فهي دراسةٌ جديدة تبعث الأمل في النفوس، فكنا من قبل نسمع من المثقّفين أنّنا بحاجةٌ إلي إعادة كتابة التاريخ، واليوم لعلّ هذا الكتاب الذي نحن بصدد التقديم له والكتب التي سبقته في حياة مسلم بن عقيل (عليهما السلام) هي بداية موقّعة لنهضة جادّة، تعيد كتابة تاريخنا المشرق وتضعه بصورته الناصعة بين يدي الأبناء أو الأجيال القادمة، حتّي يُبصروا الحقائق كما هي، لا كما يرسمها أعداء آل البيت (عليهم السلام)، وهذا ما نلمسه في التفاصيل الدقيقة التي أشار إليها المؤلّف للمشهد الأخير لحياة مسلم بن عقيل (عليه السلام)، بدءاً من مصرعه إلي وصوله للقصر، ثمّ الوصيّة ورميه وصلبه وبعث الرأس الشريف إلي الشام وتجهيز الجثّة، كما نري في منهجيّة سماحة السيّد تتبّع مُعظم النصوص الواردة في أمّهات المصادر والمراجع، سيّما المختلف منها، فيذكرها أولاً ثمّ يبدأ محاكمتها للوصول إلي الحقيقة التي تتطابق مع معتقداتنا، وهذا نهجٌ جديد وجهد كبير يبيّن سعة اطلاع المؤلّف ودقّته في التحقيق، يؤجر عليه ويُشكر.

ولا بدّ من القول أنّنا اليوم أمامنا فسحة من الوقت وفرصة ثمينة، علينا أن نستثمرها جيّداً لنُثبت الحقائق التي ضيّعتها الأيام، فليسمح لي أخي المؤلّف (أعزه الله) أن أوجّه الدعوة من خلال هذا التقديم المتواضع

لكتابه الكبير إلي كلّ الباحثين والمحقّقين والمفكرين أن يحذوا حذوهفي إعادة كتابة التاريخ، وأن يستوقفوا كلّ المصادر التاريخيّة، ويخصّصوا نصوصها للمحاكمة العادلة، لا- تأخذهم في الله لومة لائم، لا- يخشوا أيّاً من الأسماء التي كتبت التاريخ، فليس هؤلاء بمعصومين، بل متّهمون حتّي تثبت براءتّهم، نحن أصحاب موازين حقّ لا تنطق عن الهوي، فبها نضع النصوص التاريخيّة، فما وافقها نأخذ به وما خالفها نرمي به جانباً ولا نبالي أبداً.

في الختام، أتقدّم بوافر الاحترام والتقدير للقارئ الكريم، كما أكرّر الشكر للأخ العزيز المؤلّف (حفظه الله ورعاه) الذي أتاح لي الفرصة في كتابة هذه السطور، وكلّي دعاءً له من جوار سفير الحسين مسلم بن عقيل (عليهما السلام) أن يتقبّل الله عمله ويقضي حوائجه، وأن يديم عليه نعمة البحث والتأليف بما هو جديد ونافع، والدعاء موصولاً لكلّ من ساهم في إخراج الكتاب، إنّه سميعٌ مجيب، مع اعتذاري عن التقصير.

السّيّد موسى السّيّد تقي الخلخالي

أمين مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به

9 جمادي الآخرة 1435 هجري قمري

ص: 8

الحمد لله الذي لا إله إلا هو الملك الحق المبين، المدبر بلا وزير، ولا خلق من عباده يستشير، الأول غير موصوف، والباقي بعد فناء الخلق، العظيم الربوبية، نور السماوات والأرضين وفاطرهما ومبتدعهما، بغير عمد خلقهما، فاستقرت الأرضون بأوتادها فوق الماء، ثم علا ربنا في السماوات العُلى، الرَّحْمَنُ عَلَيَّ الْعَرْشِ اسْتَوَى، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى، فأنا أشهد بأنك أنت الله، لا رافع لما وضعت، ولا واضع لما رفعت، ولا معز لمن أذلت، ولا مدلل لمن أعزّزت، ولا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت (1).

اللَّهُمَّ واجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ، عَلَيَّ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ،

ص: 9

وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ، وَالِدَامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ، فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرَضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَن قُدَمٍ، وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ، وَاعِيّاً لَوْحِيكَ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ، مَا ضِيّاً عَلَيَّ نَفَاذِ أَمْرِكَ، حَتَّى أَوْرِيَ قَبَسَ الْقَاسِ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقِ لِلْحَابِطِ، وَهُدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبَ بَعْدَ خَوْصَاتِ الْفِتَنِ وَالْآثَامِ، وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ وَبَيِّنَاتِ الْأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، وَرَسُولُكَ إِلَيَّ الْخَلْقِ (1).

اللَّهُمَّ وَضَاعِفِ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَبِرَكَاتِكَ عَلَيَّ عِتْرَةَ نَبِيِّكَ، الْعِتْرَةَ الضَّائِعَةَ الْخَائِفَةَ الْمُسْتَدَلَّةَ، بِقِيَّةِ الشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ الزَّاكِيَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَأَعْلِ - اللَّهُمَّ - كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْلِحْ حَجَّتَهُمْ، وَاكْشِفِ الْبَلَاءَ وَاللَّأْوَءَ، وَحَنَادِسَ الْأَبَاطِيلِ وَالْعَمِيَّ عَنْهُمْ، وَثَبِّتْ قُلُوبَ شِيَعَتِهِمْ وَحَزْبِكَ عَلَيَّ طَاعَتِهِمْ وَوَلَايَتِهِمْ وَنَصْرَتِهِمْ وَمَوَالَاتِهِمْ، وَأَعْنِهِمْ، وَامْنَحِهِمُ الصَّبْرَ عَلَيَّ الْأَذَى فِيكَ، وَاجْعَلْ لَهُمْ أَيَّاماً مَشْهُودَةً، وَأَوْقَاتاً مَحْمُودَةً مَسْعُودَةً، تَوْشِكُ فِيهَا فَرَجَهُمْ، وَتُوجِبُ فِيهَا تَمَكِينَهُمْ وَنَصْرَهُمْ، كَمَا ضَمِنْتَ لِأَوْلِيَائِكَ فِي كِتَابِكَ الْمَنْزَلِ، فَإِنَّكَ قُلْتَ -- وَقَوْلِكَ الْحَقُّ -- : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَ تَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسَّ تَخَلَّفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً) (2).

ص: 10

1- نهج البلاغة : 101 خ 72.

2- مصباح المتهجد: 785.

والعن اللهم أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد، وآخر تابع له علي ذلك، اللهم وأهدك من جعل يوم قتل ابن نبيك وخيرتك عيداً، واستهّل به فرحاً ومرحاً، وخُذ آخرهم كما أخذت أولهم، وأضعف اللهم العذاب والتنكيل علي ظالمي أهل بيت نبيك، وأهلك أشياعهم وقادتهم، وأبر حماتهم وجماعتهم (1).

وصل اللهم علي حبيبي ومالك رقي وسيدي وإمامي، الشهيد السعيد، والسبط الثاني، والإمام الثالث، والمبارك، والتابع لمرضاة الله، المتحقق بصفات الله، والدليل علي ذات الله، أفضل ثقات الله، المشغول ليلاً ونهاراً بطاعة الله، الناصر لأولياء الله، المنتقم من أعداء الله، الإمام المظلوم، الأسير المحروم، الشهيد المرحوم، القتل المرجوم، الإمام الشهيد، الولي الرشيد، الوصي السديد، الطريد الفريد، البطل الشديد، الطيب الوفي، الإمام الرضي، ذو النسب العلي، المنفق الملي، أبو عبد الله الحسين بن علي (عليهما السلام).

منيع الأئمة، شافع الأئمة، سيد شباب أهل الجنة، وعبرة كل مؤمن ومؤمنة، صاحب المحنة الكبرى، والواقعة العظمي، وعبرة المؤمنين في دار البلوي، ومن كان بالإمامة أحق وأولي، المقتول بكر بلاء، ثاني السيد الحصور يحيي ابن النبي الشهيد زكريا (عليه السلام)، الحسين بن علي المرتضي.

زين المجتهدين، وسراج المتوكلين، مفخر أئمة المهتدين، وبضعة كبد

ص: 11

سيّد المرسلين (صلي الله عليه وآله)، نور العترة الفاطميّة، وسراج الأنساب العلويّة، وشرف غرس الأحساب الرضويّة، المقتول بأيدي شرّ البريّة، سبط الأسباط، وطالب الثأر يوم الصراط، أكرم العتر، وأجلّ الأسر، وأثمر الشجر، وأزهر البدر، معظّم مكرّم موقر، منظّف مطهّر..

أكبر الخلائق في زمانه في النفس، وأعزّهم في الجنس، أذكاهم في العرف، وأوفاهم في العرف، أطيب العرق، وأجمل الخلق، وأحسن الخلق، قطعة النور، ولقلب النبيّ (صلي الله عليه وآله) سرور، المنزّه عن الإفك والزور، وعليّ تحمّل المحن والأذي صبور، مع القلب المشروح حسور، مجتبي الملك الغالب، الحسين بن عليّ بن أبي طالب (1).

الذي حمّله ميكائيل، وناغاه في المهدي جبرائيل، الإمام القليل، الذي اسمه مكتوبٌ عليّ سرادق عرش الجليل: «الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»، الشافع في يوم الجزاء، سيّدنا ومولانا سيّد الشهداء (عليه السلام) (2).

الذي ذكره الله في اللوح الأخضر، فقال: «... وجعلتُ حسيناً خازنَ وحيي، وأكرمتُهُ بالشهادة، وختمتُ له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد، وأرفعُ الشهداء درجة، جعلتُ كلمتي التامة معه، والحجّة البالغة عنده، وبعترته أثيبُ وأعاقب» (3).

ص: 12

1- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 10 / 113 - بتحقيق: السيّد عليّ أشرف الحسيني.

2- معالي السبطين: 61.

3- كمال الدين: 2 / 290 ح 1.

الَّذِي قَالَ فِيهِ جَدُّهُ الْمَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : «حَسِينٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حَسِينٍ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حَسِينًا» (1).

وقال رسول الله (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) -- وهو الصادق الأمين -- : «إِنَّ حُبَّ عَلِيِّ قُذِفَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا يَحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَبْغُضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ، وَإِنَّ حُبَّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ قُذِفَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ، فَلَا تَرَى لَهُمْ دَامًا» (2).

فَمِنْ أَيِّ الْمَخْلُوقَاتِ كَانَ أَوْلَئِكَ الْمَرْدَةُ الْعَتَاةُ، وَأَبْنَاءُ الْبَغَايَا الرَّخِيصَاتِ، الَّذِينَ قَاتَلُوهُ بَغْضًا لِأَيِّهِ، وَسَبَّوْا الْفَاطِمِيَّاتِ، وَلَمْ يَحْفَظُوا النَّبِيَّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي ذُرَارِيهِ؟!!

قال الإمام سيّد الساجدين (عليه السلام) : «.. أَيُّهَا النَّاسُ، أَصْبَحْنَا مَطْرُودِينَ مَشْرَدِينَ شَاسِعِينَ عَنِ الْأَمْصَارِ، كَأَنَّا أَوْلَادُ تَرْكٍ وَكَابِلٍ، مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ اجْتَرَمْنَاهُ، وَلَا مَكْرُوهٍ ارْتَكَبْنَاهُ، وَلَا ثَلْمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ ثَلَمْنَاهَا، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ، (إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ). فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ النَّبِيَّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) تَقَدَّمَ فِي قِتَالِنَا كَمَا تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فِي الْوَصَايَةِ بِنَا لَمَا أَزْدَادُوا عَلَيَّ مَا فَعَلُوا بِنَا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، مِنْ مَصِيبَةٍ مَا أَعْظَمَهَا، وَأَوْجَعَهَا، وَأَفْجَعَهَا، وَأَكْظَمَهَا، وَأَقْطَعَهَا، وَأَمْرَهَا، وَأَفْدَحَهَا، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ فِيمَا أَصَابَنَا وَمَا بَلَغَ بِنَا، إِنَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ» (3).

ص: 13

1- بحار الأنوار: 314/ 45.

2- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 47 / 9، بحار الأنوار: 281/ 43 باب 12.

3- بحار الأنوار: 147 / 45.

ولكنّ الله لهم بالمرصاد، فإنّ دمه الزاكي الذي سكن في الحُلد، واقتسعت له أظلة العرش، وبكي له جميع الخلائق، وبكت له السماوات السبع، والأرضون السبع، وما فيهن، وما بينهنّ، ومن يتقلّب في الجنة والنار من خلق ربّنا، وما يُري وما لا يُري، سوف لا ولم ولن يسكن، لأنّه قتل الله وابن قتيله، وثار الله وابن ثاره، ووترّ الله الموتور في السماوات والأرض (1)، حتّى «يبعث الله قائماً، يفرّج عنها الهمّ والكربات».

قال الحسين (عليه السلام): «يا ولدي يا علي، والله لا يسكن دمي حتّى يبعث الله المهدي» (2).

فذلك قائم آل محمّد (عجل الله تعالي فرجه الشريف) يخرج، فيقتل بدم الحسين بن علي (عليهما السلام) .. «وإذا قام -- قائمنا -- انتقم لله ولرسوله ولنا أجمعين» (3).

وقد بشّر بذلك رسول ربّ العالمين (صلي الله عليه وآله)، فقال: «لما أُسري بي إلي السماء أوحى إليّ ربّي (جلّ جلاله) فقال: يا محمّد، إنّي اطّلت علي الأرض اطّلاعة فاخترتُك منها، فجعلتك نبياً، وشققتُ لك من اسمي اسماً، فأنا المحمود وأنت محمّد، ثمّ اطّلت الثانية فاخترتُ منها علياً، وجعلته وصيّك وخليفتك، وزوج ابنتك، وأبا ذريّتك، وشققتُ له اسماً من أسمائي، فأنا العليّ الأعلي وهو علي، وخلقت فاطمة والحسن والحسين من نوركما، ثمّ عرضت ولايتهم علي الملائكة، فمَن قبلها كان عندي من المقرّبين».

ص: 14

1- أنظر: بحار الأنوار: 98 / 151 باب 18.

2- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 10 / 134.

3- بحار الأنوار: 52 / 376.

يا محمد، لو أنّ عبداً عبدني حتّى ينقطع، ويصير كالشّنّ البالي، ثمّ أتاني جاحداً لولايتهم، فما أسكنته جنّتي، ولا أظلمته تحت عرشي.

يا محمد، تحبّ أن تراهم؟

قلت: نعم يا ربّ.

فقال (عزّ وجلّ): إرفّع رأسك. فرفعتُ رأسي، وإذا أنا بأنوار علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعليّ بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر ابن محمد، وموسى بن جعفر، وعليّ بن موسى، ومحمد بن علي، وعليّ بن محمد، والحسن بن علي، و(م ح م د) بن الحسن القائم في وسطهم كأنه كوكبٌ درّي.

قلت: يا ربّ، ومن هؤلاء؟

قال: هؤلاء الأئمة، وهذا القائم الذي يحلّل حلالتي، ويحرّم حرامتي، وبه أنتقم من أعدائي، وهو راحةٌ لأولياي، وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين، فيُخرج اللّات والعزّيّين فَيحرقهما، فلفتنةُ الناس -- يومئذٍ -- بهما أشدّ من فتنة العجل والسامري» (1).

وروي عبد الله بن سنان قال: دخلتُ علي سيّدي أبي عبد الله جعفر ابن محمد (عليهما السلام) في يوم عاشوراء، فألفيته كاسفَ اللّون، ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: يا ابن رسول الله، ممّ بكاؤك؟ لا أبكي الله عينيك.

ص: 15

فقال لي: «أو في غفلة أنت؟! أما علمت أن الحسين بن علي أصيب في مثل هذا اليوم؟!».

فقلت: يا سيدي، فما قولك في صومه؟

فقال لي: «صمه من غير تبييت، وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كمالاً، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة علي شربة من ماء، فإنه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلت الهيحاء عن آل رسول الله، وانكشفت الملحمة عنهم، وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً في مواليهم، يعز علي رسول الله صلي الله عليه وآله مصرعهم، ولو كان في الدنيا - يومئذ - حياً لكان صلي الله عليه وآله هو المعزي بهم».

قال: وبكي أبو عبد الله (عليه السلام) حتى اخضلت لحيته بدموعه.. ثم علمه آداب يوم عاشوراء، وآداب الزيارة في ذلك اليوم، إلي أن قال: ثم قل:

«اللهم عذب الفجرة الذين شاقوا رسولك، وحاربوا أولياءك، وعبدوا غيرك، واستحلوا محارمك، والعن القادة والأتباع، ومن كان منهم فخب وأوضع معهم أو رضي بفعلهم، لعناً كثيراً».

اللهم وعجل فرج آل محمد (صلي الله عليه وآله)، واجعل صلواتك عليه وعليهم، واستنقذهم من أيدي المنافقين المضلين، والكفرة الجاحدين، وافتح لهم فتحاً يسيراً، وأتح لهم روحاً وفرجاً قريباً، واجعل لهم من لدنك علي عدوك وعدوهم سلطاناً نصيراً..

ص: 16

اللَّهُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأُمَّةِ نَاصَبَتِ الْمُسْتَحْفَظِينَ مِنَ الْأُتَمَّةِ، وَكَفَرَتْ بِالْكَلِمَةِ، وَعَكَفَتْ عَلَيِ الْقَادَةِ الظَّالِمَةَ، وَهَجَرَتِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَعَدَلَتْ عَنِ الْحَبْلَيْنِ اللَّذَيْنِ أَمَرَتْ بِطَاعَتِهِمَا وَالتَّمَسُّكِ بِهِمَا، فَأَمَاتَتِ الْحَقَّ، وَجَارَتْ عَنِ الْقَصْدِ، وَمَالَتِ الْأَحْزَابَ، وَحَرَّفَتْ الْكِتَابَ، وَكَفَرَتْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهَا، وَتَمَسَّكَتِ بِالْبَاطِلِ لَمَّا اعْتَرَضَهَا، وَضَيَّعَتْ حَقَّكَ، وَأَضَلَّتْ خَلْقَكَ، وَقَتَلَتْ أَوْلَادَ نَبِيِّكَ، وَخَيْرَةَ عِبَادِكَ، وَحَمْدَةَ عِلْمِكَ، وَوَرِثَةَ حِكْمَتِكَ وَوَحْيِكَ.

اللَّهُمَّ فَزَلْزَلِ أَقْدَامَ أَعْدَائِكَ، وَأَعْدَاءَ رَسُولِكَ، وَأَهْلَ بَيْتِ رَسُولِكَ.

اللَّهُمَّ وَأَخْرِبْ دِيَارَهُمْ، وَأَفْلِلْ سِلَاحَهُمْ، وَخَالَفْ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ، وَفَتِّ فِي أَعْضَادِهِمْ، وَأَوْهِنْ كَيْدَهُمْ، وَاضْرِبْهُمْ بِسَيْفِكَ الْقَاطِعِ، وَارْمِهِمْ بِحَجْرِكَ الدَّامِغِ، وَطَمِّمْهُمُ بِالْبَلَاءِ طَمًّا، وَقَمِّمْهُمُ بِالْعَذَابِ قَمًّا، وَعَذِّبْهُمْ عَذَابًا نَكْرًا، وَخَذِّمْهُمُ بِالسِّنِينَ وَالمِثْلَاتِ الَّتِي أَهْلَكْتَ بِهَا أَعْدَاءَكَ، إِنَّكَ ذُو نِقْمَةٍ مِنَ الْمُجْرِمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّ سُنَّتَكَ ضَائِعَةٌ، وَأَحْكَامَكَ مَعْطَلَةٌ، وَعَتْرَةُ نَبِيِّكَ فِي الْأَرْضِ هَائِمَةٌ، اللَّهُمَّ فَأَعِنِ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ، وَأَقْمِعِ الْبَاطِلَ وَأَهْلَهُ، وَمُنِّ عَلَيْنَا بِالنَّجَاةِ، وَاهْدِنَا إِلَى الْإِيمَانِ، وَعَجِّلْ فَرَجَنَا، وَانظُمِهِ بِفَرَجِ أَوْلِيَانِكَ، وَاجْعَلْهُمْ لَنَا وَدًّا، وَاجْعَلْنَا لَهُمْ وَفَدًّا» (1).

وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيِ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) الَّذِينَ كَشَفَ لَهُمْ سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) «الْغَطَاءَ، حَتَّى رَأَوْا مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ

ص: 17

يقدم علي القتل ليبادر إلي حوراء يعانقها، وإلي مكانه من الجنة» (1)، ووعدهم ربُّ العزة أن يعيد لهم الكربة علي أعدائهم، فقال: (ثمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ)، يخاطب بذلك أصحاب الحسين (2).

وصلَّ يا ربَّ صلاةً خاصَّةً نامية زاكية طيبة دائماً علي مولاي الغريب مسلم بن عقيل (عليهما السلام): سلام الله العليّ العظيم، وسلام ملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين، وأئمته المنتجبين، وعباده الصالحين، وجميع الشهداء والصدّيقين، والزكيات الطيبات فيما تغتدي وتروح، عليك يا مسلم بن عقيل بن أبي طالب، ورحمة الله وبركاته.

أشهد أنّك قد أقمّت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وجاهدت في الله حقَّ جهاده، وقتلت علي منهاج المجاهدين في سبيله، حتّي لقيت الله (عزّ وجلّ) وهو عنك راضٍ.

وأشهد أنّك وفيت بعهد الله، وبذلت نفسك في نصره حجّته وابن حجّته، حتّي أتاك اليقين.

أشهد لك بالتسليم والوفاء والنصيحة، لخلف النبي المرسل، والسبط المنتجب، والدليل العالم، والوصي المبلّغ، والمظلوم المهتمّم، فجزاك الله عن رسوله وعن أمير المؤمنين وعن الحسن والحسين أفضل الجزاء بما صبرت

ص: 18

1- علل الشرائع: 1 / 229 باب 163 ح 1، بحار الأنوار: 44 / 297 باب 35 ح 1.

2- تأويل الآيات الظاهرة: 272.

واحتسبت وأعنت، فنعم عقبي الدار.

لعن الله مَنْ قتلِكَ، ولعن الله من أمر بقتلك، ولعن الله من ظلمك، ولعن الله من افتري عليك، ولعن الله من جهل حقك واستخفَّ بحرمتك، ولعن الله من بايعك وغشك، وخذلك وأسلمك، ومن ألَّب عليك ولم يُعِنك، الحمد لله الَّذي جعل النار مثواهم وبئس الورد المورود.

أشهد أنّك قد قتلت مظلوماً، وأنَّ الله منجزٌ لك ما وعدك ... قتل اللهاُمةً قتلتك بالأيدي والألسن.

صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ، الْمُطِيعُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَا مِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ (عليهم السلام)، صَلَّى اللهُ عَلَيَّ رُوحَكَ وَبَدَنَكَ.

أشهد أنّك مضيتَ علي ما مضى به البدريون والمجاهدون في سبيل الله، المبالِغون في جهاد أعدائه ونصرة أوليائه، فجزاك الله أفضل الجزاء، وأكثر الجزاء، وأوفر جزاء أحد ممَّن وفي ببيعته، واستجاب له دعوته، وأطاع وُلاة أمره.

أشهد أنّك قد بالغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود، حتَّى بعثك الله في الشهداء، وجعل روحك مع أرواح السعداء، وأعطاك من جنانه أفسحها منزلاً، وأفضلها غرفاً، ورفع ذكرك في العليين، وحشرك مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

أشهد أنّك لم تهن ولم تنكل، وأنّك قد مضيتَ علي بصيرةٍ من أمرك، مقتدياً بالصالحين، ومتّبِعاً للنبيين، فجمع الله بيننا وبينك وبين رسوله

وأوليائه في منازل المحبتين، فإنه أرحم الراحمين.

اللهم ارزقنا زيارة مولانا الغريب الحبيب ما أبقيتنا، واحشرنا معه، وعرف بيننا وبينه وبين رسولك وأوليائك في الجنان.

اللهم صلّ علي محمد وآل محمد، وتوفنا علي الإيمان بك والتصديق برسولك والولاية لعليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) والأئمة من وُلدهم البراءة من أعدائهم.. (1).

ص: 20

1- أنظر: المزار لابن المشهدي: 177، بحار الأنوار للمجلسي: 428 / 97، زيارة المولي مسلم بن عقيل (عليهما السلام).

يمكن استطلاع صورتين للمولي الغريب مسلم بن عقيل (عليهما السلام) ..

صورتان متنافرتان، متناقضتان، متعاكستان.. كأنّ بينهما بُعد المشرقين:

إحدهما: صورة تكاد تكون طبق الأصل، لا يفصلها عن واقع المولي الغريب (عليه السلام) سوي بُعد الأيام وامتناع المشاهدة الخارجيّة بالعيان، لأنّها مرسومة في القلوب، ومستوحاة من مؤدّيات الكلمات والبيان..

والصورة الأخرى: مرسومةً علي أحوال صفحات التاريخ الملوّث بقيح دواة المؤرّخ الذي يعيش في البلاط، ويجد مادّة دواته وحبّ قلمه جاهزاً، ويمشي ضمن الخارطة التي يريدها السلطان، وترقص يده علي سطور بياضه علي أنغام رنين الصفراء والبيضاء وإيقاعات اصطكاك الدرهم والدينار داخل البدرات.. فما أعسر الوقوف بين يدي المولي الغريب مسلم

ابن عقيل (عليهما السلام) ، إنّه موقفٌ صعبٌ عسير، إن كان في الدنيا أو في الآخرة..

الصورة الأولى التي كتبها الله للمولي الغريب (عليه السلام) ، ورسم معالمها في التكوين، وأبان تفاصيلها بما لا يترك للمستطلع شكاً
يمكن أن يخالج اليقين..

رسمها له من خلال نسبه، وما أودعه فيه من خصال وصفات ومحامد الأخلاق، وراثته وهبة وعطاءً غير مجذوذ من رب العالمين..

ومن خلال ما رسمه لنا أهل بيت العصمة الذين لا ينطقون عن الهوي، فهم أعرف الخلق بالخلق، وهم أعرف الناس بعثرة النبي وآله وذري
الأنبياء والأوصياء وسلالة الطيبين وفروع الشجرة الزاكية من آدم إلي النبي الخاتم (صلي الله عليه وآله) .. وهم الذين قرن الله رضاه
برضاهم وسخطه بسخطهم؛ فمن رضوا عنه رضي الله عنه، ومن سخطوا عليه سخط الله عليه، ومن مدحوه مدحه الله، ومن ذمّوه ذمّه الله،
ومن اصطفوه وارتضوه واختاروه وانتجبهوا اصطفاه الله واختاره وانتجبه، ومن قرّروا له منزلة قرّرها الله له.. وهذا من بديهيات معتقد الحقّ.

ثمّ من خلال الصورة التي رسمها المولي الغريب (عليه السلام) لنفسه بنفسه، فوظّف ما منحه الله من موادّ لتكوين الصورة وصدّق
الصدّيقين بفعاله، فجمع كلّ ذلك في سيرته الذاتية التي يمكن أن نتصيّد لها من آيات أنمّة الدين البيّنات، أو فلتات أفلام المؤرّخين، أو
تصريحات الرواة والمهتمين بشأنه..

فهذه الصورة صورة حقيقية، لا- يقال عنها أنها تحكي الواقع إذا اكتملت موادها وتوفرت لدينا بطرقها الثابتة، بل ستكون هي الواقع ذاته.. صورة طبق الأصل الذي عاش وتحرك علي الأرض ذات يوم، وسطر لنا أروع ملاحم التاريخ وأعظم مواقف الأبطال وأنصع صور الرواد للفضل والفضيلة والحق ومواجهة الباطل الضلال والرديلة..

صورة أرادها الله للبطل الهاشمي، ورسماها المولي الغريب (عليه السلام) بمواقفه وسلوكه ومشاهده كلها التي لا تُنسى.. وثبتها المعصوم الذي لا ينطق عن الهوي، إن هو إلا وحي يوحى!

صورة محبكة، متجانسة الألوان، مشدودة الجوانب والأركان، متناغمة المواقف، متلائمة في المشاهد، منسجمة في جميع الحالات، لا تمؤج فيها إلا ما كان من روعة الطلعة وشعاع النور الصاعد من جبينه الوضاء..

صورة ثابتة، متماسكة، متعاضدة، لا اختلال فيها ولا اهتزاز.. تنساب معها روعة الجمال منذ اللحظة الأولى التي يواجهها المتلقي إلي النهاية التي تدهش المتابع بالعظمة والجلال والجمال..

صورة واضحة المعالم، جلية التفاصيل، دقيقة في التعبير.. تجدها في المولي الغريب (عليه السلام) منذ الولادة، بل قبلها! تجده نوراً يتقلب في أصلاب الساجدين، ثم ثمرة ناضجة تتدلي من أغصان شجرة الموحدين التي بسقت في الحرم..

لا تجد في آباءه إلي آدم (عليه السلام) دنس الشرك، ولا قدر الحسب الرديء،

ولا ظلمات الجاهلية الجهلاء، ولم يُحصِرِ لهم الكرام الكاتبون سوي معالي الأخلاق وحصائد أعمالهم الحسنة، التي صارت مثلاً يُحتذى به للبشرية جمعاء..

آباءً جمعوا مكارم الأخلاق، فأتعبوا ملكَ اليمين بما أملوه عليه من أعمالٍ تربو علي الجبال ثقلاً وعظمة في الموازين، حتى لكانه يستحثُّ ملكَ الشمال ويستنجده ليعينه علي تسجيل المكرات..

لقد حازوا المعالي ونالوا «الثريا بأيديهم وهم قاعدون»، فكانت مآثرهم مفاخر، ومفاخرهم تستوعب لحظات أعمارهم، فلا تُعدّ بالسنين والشهور والأيام والساعات، وإنما تكتنصُّ بها الثواني وتزدحم بها اللحظات..

فهو من شجرة قال عنها مولي الموحدين وقائد الغر المحجلين وسيد الوصيين عمه وأبو زوجته أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام):

«فاسدٌ تودعهم في أفضلِ مسدٍ تودع، وأقرهم في خيرِ مسدٍ تفرّ، تناسدَ ختتهم كرائمُ الأصلابِ إلي مطهراتِ الأرحامِ، كلّمَا مَضِي مِنْهُمْ سَلْفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ خَلْفٌ، حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللَّهِ سُدَّ بِحَانِهِ وَتَعَالَى إِلَي مُحَمَّدٍ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنِيّاً، وَأَعَزَّ الْأَرْوَاحَ مَغْرَساً، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءُهُ، وَانْتَجَبَ مِنْهَا أَمْنَاءُهُ، عِثْرَتُهُ خَيْرُ الْعِثْرِ، وَأَسْرَتُهُ خَيْرُ الْأَسْرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتْ فِي حَرَمٍ وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طَوَالٌ

هو ذا المولي الغريب (عليه السلام) :

مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن شيبه الحمد عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان..

ولكل واحد من هؤلاء الآباء الكرام شرف ورياسة، ومجد ضخم، وكل واحد منهم في عصره سيد قومه، وزعيمهم المقدم عليهم، بما امتاز به من كرم الأصل ومكارم الأخلاق، لأن كل فرد منهم لا يشبهه من في عصره -- لا عربي ولا أعجمي -- في جميع المكارم وسائر السجايا والشيم، فهو الممتاز من حيث الصفة البدئية، كالصباحة، وحسن الملامح، والسيما التي يتفرد بها كل خير، وكما كساه الله الجمال والبهاء كساه المهابة والجلال وحسن الهيئة، وبجله في أعين الناظرين، وجعل له هيئة ورهبة في قلوب المناوئين..

أما من حيث الصفات النفسية النفيسة، فقد أربي عليهم وفاقهم كملاً كما راقهم جمالاً، فلا يدانيه رئيس ولا متوج في المحامد والمكارم، نحو الشجاعة والسخاء والفصاحة، وسائر المفاخر المنتخبة والمكارم المتخيرة عند عامة العقلاء، وكل واحد منهم قاد قومه في الحروب، وكان مع تفوقه

ص: 25

نسب ناصع، تزهر الدنيا برجاله، وتزهر به الآخرة بتلألؤ أنواره.. إنه شعاع من أنوار الأنبياء والمرسلين والأوصياء والصالحين.. سليل إبراهيم الخليل (عليه السلام)، وغصن شامخ من عبد المطلب، وفرع زاك من أبي طالب (عليه السلام) حجة الله الصديق العظيم، وثمره عقيل الموحد الشجاع الأمين، وصهر تاج الموحدين، مجد الأبطال ومجتبى الشجعان، أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليهما السلام)، وأخي الحسن والحسين (عليهما السلام) سيدي شباب أهل الجنة أجمعين..

فإن كانت الأخلاق الحميدة والمكارم العتيدة وراثته، فما أعظم محتد المولي الغريب (عليه السلام)، وما أعرق نجاره ونسبه! اكتنز الأخلاق من «آبائه الصيد الكماة» وراثته، وامتلاً بها امتلاءً، ففاضت منه عبقاً لف الدنيا بأريجه، وغمر التاريخ بشذي عطره الفواح.. فهل تجد مكرمةً وخلقاً يتمناه الكمل من بني البشر إلا في آبائه الكرام وسادات الأنام!؟

وقد ورثها المولي الغريب (عليه السلام) بوعاء واسع متين..

وإن كانت اكتساباً! فقد اتتهل المولي الغريب (عليه السلام) من أصفي معين خلقه الله سلسلاً عذباً فراتاً سائغاً للشاربين، وأحاطته عناية رب العالمين، فرفل متنعماً برعاية رعاة الكون ومالكي الجنة والجحيم والأئمة علي الخلق أجمعين.. هم رعاة الخلق:

ص: 26

«أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنِ الرَّحْمَةِ، وَخُزَّانِ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْجِلْمِ، وَأَصُولِ الْكَرَمِ، وَقَادَةَ الْأُمَمِ، وَأَوْلِيَاءِ النَّعْمِ، وَعَنَاصِرِ الْأَبْرَارِ، وَدَعَائِمِ الْأَخْيَارِ، وَسَاسَةِ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانِ الْبِلَادِ، وَأَبْوَابِ الْإِيمَانِ، وَأَمْنَاءِ الرَّحْمَنِ، وَسُلَالَةَ النَّبِيِّينَ، وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ، وَعَتْرَةَ خَيْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَرَحْمَةَ اللَّهِ.. أُمَّةَ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التَّقَى، وَذَوِي التُّهَيِّ، وَأَوْلِي الْحِجَى، وَكَهْفِ الْوَرَى، وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى، وَالِدَعْوَةِ الْحُسْنَى، وَحُجَجِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ وَالْأَوْلَى..».

والمولى الغريب (عليه السلام) ينعم بالرحمة الإلهية الواسعة، متنقلاً من يد معصومة إلى أخرى معصومة، لم يبعد عن الكساء وأصحابه، تُظَلِّله جلايب الإمامة، وتغطيه أودية وأكسية أصحاب الكساء..****

عاش مع أصحاب الكساء (عليهم السلام) .. مقرباً مبجلاً مجللاً، له حظوة وعناية خاصة، فامتلك ناصية الأدب، ونهل من ينابيع الحكمة، وأحيط بالهبة الربانية والاهتمام المميز..

جاوز القمة المرجوة في البشر غير المعصوم بالعصمة الخاصة، متفياً ظلال سرادق العز الإلهي في كنف (أصحاب الكساء) و(النسب الوضاء)، مرضياً عندهم، ورضاهم -- بالقطع واليقين -- رضا جبار السموات والأرضين..

فعلمه متّصلٌ بمادّة لا تنضب، ومعينٌ لا ينزف، وغيثٌ منهمرٌ مُنعشٌ لا ينقطع، لأنّه ينهل من عذب فِرات الفيض الإلهي المتدفّق بالعلوم الربّانية المترسّح من أئمة الهدى (عليهم السلام) علي الكائنات طُراً وعلي البشريّة، ويصدر عن بيوتِ أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.. محدود بنظرة المعصوم المباشرة، مظللٌ بسقف الشريعة الفاصلة، محاط بعناية الأئمة الخاصّة، داخل في دائرة الإشراف المباشر والتعليم المركز، يسمع كلام الله في كلّ آياته علي لسان أئمة الهدى الميامين، ويتلو الكتاب حقّ تلاوته، راعياً حدوده وأحكامه وألفاظه ومضامينه، فقيهاً يأخذ العلم من معدنه ويرتشف الزلال من منبعه، ملاً نور حديث الأئمة (عليهم السلام) كيانه، وسري الإيمان الحقّ الصّراح في مشاشه، وتجذّر الدين في كيانه.. تعلّم العلم من أصوله فصار له علامة، وسلك طريق الأدب فعزّق شرع الآل في ذاته، وأضاء نور الإيمان نفسيّته وأرجاء قلبه فشعّ بنور أمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام)، إنّه من العترة الطاهرة!

ويكفيه فخراً ونجاحاً وفوزاً وسمواً وجلالة وهيبة وعظمة وعلماً وحصانة وعصمة أنّه نال رضا أصحاب الكساء (عليهم السلام) ومَن تلاهم من الأئمة النجباء (عليهم السلام) ..

هذا هو الميزان الأعظم الّذي رجح به مسلم بن عقيل (عليه السلام)، فكلّ رتبةٍ دون هذه الرتبة زيفٌ باطل، وكيلٌ بخس، وظلٌّ زائل، لا يبقى إلاّ الحقّ وأهله، ولا يقدر قائلٌ بمن مجّده أهل المجد، ولا ينزل من رفعه أهل الرفعة،

ولا يزحزح مكانة من رسخه الراسخون في العلم..

وبعد هذه المكانة السامية والمنزلة الرفيعة والمقام المكين عند أئمة الحق والدين المنصوبين من رب العالمين، نسمع كلام سيّد شباب أهل الجنة وخامس أصحاب الكساء حبيب الله ورسوله وسيّد الشهداء (عليه السلام)، يقول فيه ثناءً لا زال يدوي في أسماع الزمن ويملاً الدنيا جلالاً وهيبة لهذا الغصن الفارع من سلالة إبراهيم الخليل (عليه السلام)، فتكتص مدارج الأيام بنياشين الفخر والعظمة ومحامد الأخلاق والخلال..

أبلغ الإنسان رتبةً تؤهله ليكون ثقة القرآن الناطق والمتكلم بالوحيوالحق، فيكون ثقة ثقة الله، في زمنٍ كلب شحّ فيه الأوفياء وندر فيه المتمسكون بالعروة الوثقى، زمنٍ تسربل أهله بالخيانة، واشتملوا بالغدْر، وأشربوا في قلوبهم المنخورة حبّ العجل والسامري، وخضعوا لأولاد البغايا، وخشعت أصواتهم للشيطان، فأصغوا إلي هتوفه منقادين، وأعرضوا عن صوت رسول الله (صلي الله عليه وآله) الصادح من فم الحسين (عليه السلام) دم النبيّ ولحمه ونفسه بالحقّ واليقين؟!

ثقة الإمام الأمين، سيّد الشهداء الحسين (عليه السلام)، ما أثقلها وأعسر فهمها وإدراك عمقها، وما أصعب سبر غورها، لو تأملها المؤمن العارف بالإمام لفرغ منها.. إنّها كلمةٌ تبهر الإنسان الذي تشرق أنوار معرفة الإمام والمعصوم في حنايا قلبه..

ثقة الحسين (عليه السلام) .. مسلم..

معتمد الحسين (عليه السلام) .. مسلم..

المبَرِّز بالفضل من أهل بيت الحسين (عليه السلام) .. مسلم..

أخو الحسين (عليه السلام) .. مسلم..

«أخي».. هكذا قال عنه خامس أصحاب الكساء (عليه السلام) ..

يعجز الواصف مهما أُوتي من قوّة أن يفسّر هذه الكلمات ويُدرِك معانيها ودلالاتها وأبعادها..

تقيّم من الإمام الحسين (عليه السلام) ، لا يقوم لبيان مغزاه الكامل غير الإمام نفسه!

إنّه إمامٌ معصوم من أصحاب الكساء، لا ينطق عن الهوي، يقول الحقّ وهو أعرف بالخلق بالخلق.. إنّه يتكلّم عن الله تعالى!

يكتب له أهل الكوفة آلافاً مؤلّفة، فيهم الشريف والذني، والعظيم والوضيع، والثابت والمتزلزل، والعارف والضال، والوفّي والخائن المحتال، والمؤمن والدجال، وكلّ صنوف الرجال.. يؤكّدون للإمام (عليه السلام) -- بالكتاب تلو الكتاب والرسول بعد الرسول -- أنّهم ينتظرونه، وأنّ فيهم جنّد مجنّدة.

والإمام يقول لهم بكلمةٍ واحدة: أبعث إليكم أخي وثقتي.. الموثوق به عند الحسين (عليه السلام) من كلّ الأُمة، إنّما هو أخوه وابن عمّه ومعتمده مسلم بن عقيل (عليهما السلام) ، ليري رأيه فيكم، ثم يكتب إليّ..

لقد خوّل الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) مسلم بن عقيل تخويلاً عظيماً، وكلفه بمهمّةٍ ثقيلةٍ تصدّع منها الجبال.. لقد أناط سيّد الشهداء (عليه السلام)

حركته التي بشر بها الأنبياء والأوصياء بما سيكتب له مسلم بن عقيل (عليهما السلام) .. أن يقدم إن قال: أقدم!!

جعل الإمام سيّد الشهداء مسلم بن عقيل (عليهم السلام) رائد قيامه! و«الرائد لا يكذب أهله» كما قال المولي الغريب (عليه السلام) نفسه..

ثقة معتمد مبرز بالفضل بين أهل بيت الفضل، انتدبه معدن الفضل لمهمة معقدة ستبقي فاعلة مؤثرة إلى يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين..

أرسله إلى أمة ييكم فيها المتكلم المنطوق، وينبهر فيها كل زفير وشهيق، ويحار فيها اللبيب، ويتلکأ فيها المقتحم، ويحجم فيها المقدم.. خليط متراكم، ومزيج غير متلائم، وقلوب مظلمة متهاوية، وأراواح كأنها أعجاز نخل خاوية.. فيهم القليل ممن عرف الحق وتبع الصدق وانتظر الفرج، ليرحل إلى ركب الشهادة..

عرفهم الإمام (عليه السلام) بإمامته وبمعاشرته، وعرفهم مسلم (عليه السلام) بعلم إمامه وبمعاشرته..

خبرهم مسلم بن عقيل (عليهما السلام) وعالجهم.. قاتل معهم وقاتلهم، قادم بالأمس القريب في الجمل وصفين، ورأي عن كثب تلوثهم ونفاقهم وخديعتهم ومكرهم..

لم يكن مسلم (عليه السلام) غريباً عن الكوفة وأهلها؛ عاشها وتحسسها وتلمسها، وذاق كل طعومها، وعرف أفكارها وهواجسها ومثيراتها

لقد أرسل إليهم الحسين (عليه السلام) ثقته ومعتمده الخبير العارف، والفقير العالم، والفصيح البليغ، والخطيب المفوّه، والمجاهد المقاتل، الذي خبر ساحات القتال وميادين الوغي في أحلك الأيام وأشدّ الظروف وأعنف الفتن.. عاش المولي الغريب (عليه السلام) في المجتمع المفتون.. وهو من العترة الطاهرة، أطفالهم لا كالأطفال، وصغارهم لا كالصغار، وشبابهم خير الشباب، وكهولهم خير الكهول.

عاش نكبة السقيفة! وميّز فيها الحقّ، وتمسكّ بالعروة الوثقى واثقاً عن علمٍ ومعرفة! لم يُحصِر له التاريخ ولم يذكر له أئمةُ الصدق حيصةً ولا بيصةً..

ثم عاش محنة فرار الأمة إلي السقيفة، وعكوفها علي عبادة العجل والسامري.. فسكت حين سكت الإمام، ونطق حين نطق الإمام، وسلّم لمن كان سلمهم سلم رسول الله (صلي الله عليه وآله)، وحارب من حاربوا..

صبر حين صبروا، ولبد حين لبدوا، وصار حلس داره حينما أرادوا منه ذلك، وفدي نفسه حينما انتدبوه، وهو ندبٌ إذا دعاه الداعي..

سمع آهات عمّه وأبي زوجته وأبيه بحكم العمومة والأخوة مع سيّد الشهداء (عليه السلام) في السقيفة وبعدها وفي الكوفة.. سال قلبه من مآقيه وهو يري أمير المؤمنين ومولي الموحّدين (عليه السلام) يأنّ في الكوفة أنين الثكلي ويتمني

عاصر فتنة الجمل، وقاتل راكبة (عسكر) وعُبادها الوثنيين، وكان يومها من قوَاد معسكر التوحيد وعلي ميمنة عسكر أمير المؤمنين وقائد الغرّ المحجّلين.. ووقف جبلاً لا تزغزه العواصف ولا تحركه القواصف يوم صفّين..

رأى بأَمِّ عَيْنِهِ -- الدعجاوين اللّذّين يحكيان عيني رسول الله (صلي الله عليه وآله) -- تقلّب الأدياء في أحضان الدنيا القذرة، وتلوّنهم وانقلابهم علي الدين.. وكان حاضراً في قصّة التحكيم التي شوّهت وجه التاريخ وصارت السقيفة الثانية في تاريخ المسلمين..

عاش محنة الإمام المجتبي (عليه السلام) في الكوفة والنخيلة، وثبت رصيناً متيناً متماسكاً مهيباً عارفاً واثقاً عالماً راسخاً في صفّ الموحّدين.. صالح بصدّ ملح الإمام، وسلّم أمره لوليّ الأنام، وأراح سيفه في غمده يوم هجوم الحشرة المؤذية علي جنازة حبيب رسول الله الحسن المظلوم، إذ أمر سيّد الشهداء (عليه السلام) بالتزام وصيّة أخيه وأن لا يقاتل أحداً في تلك الفتن التي أثارها أمّ الفتن وقرن الشيطان..

ثم جاء يوم الحسين (عليه السلام)، وكان لمسلم (عليه السلام) ساعة من ذلك اليوم المشهود! فدخله -- وبغضّ النظر عن التسديد الإلهي والإشراف المعصوم -- وهو خزانة واسعة من التجارب التي مارسها عبر الأيام الخوالي، وثناء عميق في معرفة المجتمع المبعوث إليه..

يعرف الكوفة بكلّ تفاصيلها.. يعرف جغرافيتها بكلّ تضاريسها، ومدخلها ومخارجها ومواجهها ومساربيها، ومواضع مياهها وبساتينها، ومحلاتها ونواذيرها، وقطائعها ومضائفها، وشوارعها وسككها وأزقتها، وبيوتها ومسكنها، وأماكنها العامّة ومجالسها ومساجدها، وتقسيماتها البلدية وانتشار العشائر علي رقعتها وأماكن سكني كلّ عشيرة وقبيلة وفخذ، يعرف قصورها ودورها وأسوارها وحدودها، ويعرف زوايا قصر الإمارة -- مركز الحكم المتسلّط -- ويعرف خباياه، ويعرف أبواب المسجد الأعظم ومؤدّياتها، فقد عاش فيها زهاء أربع أو خمس سنين مع عمّه أمير المؤمنين (عليه السلام)، سوي ما يربو علي الشهرين أيام قيامه بمهمّة مولاه الحسين (عليه السلام)، عاش وهو يعلم -- وفق اعتقادنا بالعامل الغيبيّ في قيام سيّد الشهداء (عليه السلام) والإخبارات المتواليّة والمتواترة الواردة فيه -- أن له يوماً قريباً مع هذه البلدة ومعالمها وسكّانها.

يعرف الكوفة بأشخاصها وشخصيّاتها، ورجالها وكياناتها، وأحزابها ومجاميعها، وتشكيلاتها العشائريّة وتركيباتها الاجتماعيّة وتشعباتها العرقية وانقساماتها الطائفيّة وتكتلاتها السياسيّة وشرائحها البشريّة، وأديانها المختلفة وعناصرها المؤتلفة..

يعرف الرؤوس والجماجم، ويصنّف الناس ويميّز بين العرب والأعراب والأعاجم.. له امتدادٌ بين العرفاء، وسابق علم برؤساء الأرباع والأسباع، وله ممارسة وعلاقات مع ما يسمّونهم بالوجهاء وعلّيّة القوم والكبراء..

يعرف ابن زياد معرفة عميقة، ويعرف أباه وأصله ومنبته وخدمه وحشمه المقربين عنده، وسياسته وأخلاقه وسلوكياته وطريقة تعامله..

يعرف الذين واجهوه من صناديد الكوفة فرداً فرداً، وقد خبرهم واحداً واحداً، لا ينسى لكل منهم سجله وتاريخه ومواقفه، لمس بدقة وتحسس برهافة عالية ألوانهم وأهواءهم وتطلعاتهم وانغماسهم في الرذيلة وتشحطهم بأحوال الدنيا الذليلة ولحسهم قياء القروء الأموية المخمورة وأجراها..

يعرف عمرو بن الحجاج الزبيدي! يعرف شبث بن ربعي! يعرف حجار ابن أبجر! يعرف شمر بن ذي الجوشن الضبابي! يعرف الأشعث بن قيس! ويعرف محمد بن الأشعث! وقيس بن الأشعث!

كما يعرف حبيب بن مظاهر الأسدي، ومسلم بن عوسجة الأسدي، وعابس بن أبي شبيب الشاكري، وعباس بن جعدة الجدلي، وأبا ثمامة الصائدي، وكل الميامين الأخيار من شيعة علي الكرار (عليه السلام)..

يعرف هؤلاء، ويعرف كل من كان له ذكر أو لم يكن له ذكر أيام تشرف الكوفة بأقدامه في مهمة الريادة لقيام سيد الشهداء (عليه السلام)..

لم يكن بعيداً غريباً عمّا ذكرناه وما لم نذكره -- وهو كثير --، فهو مقدم علي إنجاز مهمة، ملّم بكل تفاصيلها، عارف بكل متطلباتها، محيط بأطرافها، مشتمل علي معضلاتها، مُطبق علي أرجائها، جامع لكل خيوطها، ممتد علي شبر شبر من مساحتها، خبير بها.. إنه مسلم بن عقيل (عليه السلام)، إنه خيرة خامس أصحاب الكساء الإمام الحسين (عليه السلام)، إنه خيرة رب العالمين!

لو تتبّعنا الموليّ الغريب (عليه السلام) وهو يتحرّك علي صفحات تاريخه وما سطره هو بنفسه المقدّسة علي لوحة أيامه المباركة، وتلمّسنا بعض أنحاء تلك الصورة المشرّقة الوضّاءة النيرة اللامعة، لَطال بنا المقام، بيد أنّه ضروريٌّ لنجعلها لنا مقياساً ثالثاً نميّز به الصورة القاتمة التي رسمها الأعداء..

إنّ الصورة الأولى (1) للموليّ الغريب مسلم بن عقيل (عليهما السلام) قد رأيناها صورةً ناصعة، كَوْن مكوّناتها مكوّن الأكوان والحكيم العلام باريّ الخلائق ومصوّر الصور، خلقه علي عينه، وجعله غصناً فارعاً خضراً نضراً من تلك الشجرة الزاكية التي نبتت في التاريخ وبسقت في الحرم..

ورأيناها تستقي علومها ومعارفها وسعة اطلاعها علي تفاصيل الشريعة الغراء وأخلاقياتها وسلوكياتها وتديّنها وثباتها وقوتها ونصوعها وشعاعها ونورها ووضوحها من الأئمة النجباء رعاة الكون ومعلّمي البشر والملائكة..

ورأيناها من خلال مواقفه ومشاهدته وكلماته وبياناته وقراراته الحكيمة وصولاته التي لا زالت أيام التاريخ تشهد عليها في الجمل وصفين والكوفة..

وهي صورة تنسجم مع النصوص والشواهد والامتدادات التكوينية والتاريخية، وتناغم المعارف الأولية التي تعدّ خزيناً ومادّة أساسية عند كلّ مؤمن، وتلتئم مع الشريعة، ولا يستوحش منها المؤمن ولا يمجّها الغيور

ص: 36

1- أتينا علي بعض تفاصيلها في كتاب (مسلم بن عقيل بين صورتين) - مخطوط.

ولا ينفر منها الطبع السليم..

وفيها ما يُقنع المؤمن وغيره إذا كان متبّعاً متأملاً منصفاً عاقلاً لبيباً يقرأ التاريخ بتمعن، إذ أن من يعرف بصيرة المولي الغريب (عليه السلام) وشجاعته وإبائه وسكينته ووقاره وتدييره، يعتريه القرف ويجمع به النفور ويصاب بالإحباط حينما يري الصورة التي يرسمها المؤرّخ من خلال سطره للمولي الغريب!

فإنّ الواقف بين يديه يتطلّع إليه من خلال النصّ التاريخي، فيراه في صورة متداخلة المشاهد، مكدّرة الألوان، باهتة الظلال، مرتعشة مموّهة في جميع أرجائها، تتقلّب من أفصي الثبات إلى أفصي التزلزل، ومن الفتوة وثورة العنفوان والقوة إلى أشدّ الضعف المُجانب للمروءة، ترتجّ أحياناً لكبوة وترتجف أُخري، فلا تقوي علي الإمساك علي مقبض الحسام، وتترنّح بين الإقدام والإحجام..

صورة تبعث في النفس الشاؤم والتردد والحيرة والتهيه في أزقة الكوفة، وتتمني الإفلات من المصير المحتوم ولو بملازمة مجالس البطالين وأبناء الأدياء وإكثار السلام علي الأوغاد وهجر الحقّ ومفارقة الأصفياء والأئمة النجباء (عليهم السلام) .. ولات حين مناص، فتتقدّم خطوة وترجع عشرات الخطوات، وتقدم علي مضمضٍ لتمحو عن نفسها عار «الجبن والفشل» ... علي تفصيلٍ أتينا علي ذكره في محلّه.

حاشا سيدي ومولاي وحببي ممّا جنّاه عليه هؤلاء الأوغاد الحاقدون،

الَّذِينَ أَبَوْا أَنْ يَكْتُبُوا إِلَّا فِي الْبَلَاطَاتِ عَلِي أَنْغَامِ رَنِينَ الصَّفْرَاءِ وَالْبَيْضَاءِ وَإِقْفَاعِ ارْتِجَاجِ بَطُونِ الْبَدْرَاتِ وَلَمَعَانِ وَمِضَاتِ الدَّنَانِيرِ وَبَرِيقِ الدَّرَاهِمِ، بِمَدَادٍ يَفِيضُ عَلَيْهِمْ قِيحًا مِنْ دَوَاةِ الْقُرُودِ الْأُمُويَةِ الْمَتَهَيِّكَةِ الْمَاجِنَةِ الْحَقُودَةِ..

وَمِمَّا يُؤَسِّفُ لَهُ، بَلْ يَحِقُّ أَنْ تَذُوبَ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَجْرِي لَهُ «هَاطَلَاتِ الْعَيُونِ»، وَتَحْتَرِقَ الْمَآفِي بِالْدمِوعِ وَتَتَقَرَّحَ لَهُ الْجَفُونَ، أَنَّ الْكُتَّابَ وَالْمُحَقِّقِينَ مِنْ ذَوِي الْفَضْلِ وَالْبَاعِ وَالْوَلَاءِ مَمَّنْ يُعْتَدُّ بِقَوْلِهِمْ وَيَحْسَبُ لِكَلَامِهِمْ وَيَنْتَظِرُ الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يَتَلَقَّفُوا كَلِمَةَ الْحَقِّ وَالْفَضْلِ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ أَوْ تَرشِحَ بِهِ أَقْلَامِهِمْ، اعْتِمَادًا مِنْهُمْ عَلَي هَؤُلَاءِ الطَّيِّبِينَ الْمُجْتَهِدِينَ الَّذِينَ أَذَابُوا شَحْمَاتِ عَيُونِهِمْ وَأَذْبَلُوا زَهْرَةَ أَعْمَارِهِمْ فِي التَّنْقِيبِ وَالتَّنْقِيرِ وَالبَحْثِ وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّفْسِيرِ وَمَلاحِقَةِ الشَّارِدَةِ وَالوَارِدَةِ فِي بَطُونِ الْكُتُبِ وَالْمَخْطُوطَاتِ..

تَجِدُ هَؤُلَاءِ الْكُتَّابَ الْمُؤْمِنِينَ تَتَمَرَّقُ دِفَاتِرَهُمْ إِذَا كَتَبُوا عَنِ الْمَوْلِيِّ الْغَرِيبِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَهَمَّ بَيْنَ قَنَاعَاتِهِمْ وَاعْتِقَادَاتِهِمْ وَوَضُوحِ الصُّورَةِ الْأُولَى عِنْدَهُمْ وَالبَدِيهِيَّاتِ وَالمَسْلَمَاتِ الَّتِي لَا يَبِغُونَ عَنْهَا حَوْلًا، وَيَبِينُ الصُّورَةَ المَغشُوشَةَ وَالزَّيْفَ المَبْثُوثَ فِي صَفْحَاتِ التَّارِيخِ.

فَإِذَا تَحَدَّثُوا وَفَقِ الصُّورَةُ الْأُولَى وَهَمَّ لَا يَشْكُونُ فِيهَا وَلَا يَتَرَدَّدُونَ، فَيَمْدَحُونَ وَيَثْنُونَ بِمَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ عِظَمَةِ الْمَوْلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَجَلَالِهِ وَجَمَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ آنَفًا، كُلُّ يَكْتُبُ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ مَعْرِفَةٍ وَقُوَّةٍ فِي التَّعْبِيرِ.. هَذَا كُلُّهُ مَا دَامُوا وَقُوفًا عَلَي سَاحِلِ بَحْرِ حَيَاةِ الْمَوْلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَإِذَا أَبْحَرُوا رَكَبُوا سَفْنَ الرِّوَاةِ وَالمُؤَرِّخِينَ وَدَخَلُوا فِي المَقْصُورَاتِ، فَلَا يَنْظُرُونَ إِلَّا

من خلال مناظير المؤرّخ وراوييه، فيعرضون ما يعرض عليهم، وغاية ما يفعلونه أنّهم يلقون شباكهم فيصطادون حسب اجتهادهم ومقدار خبراتهم ما يرونه الأفضل أو الأهون شراً، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

أمّا المحزن المشجى -- وكلامنا يخصّ سيرة المولى الغريب (عليه السلام) -- أنّهم يعرضون الصورتين مستقلّتين من دون مقايسةٍ إلي بعضها، فتجد في بداية الكتب وخواتيمها مدحاً وإطراءً بليغاً في حقّ المولى الغريب (عليه السلام)، وهو يستحقّه كلّ، ولا زلنا مقصّرين، ولكنّ البحث يتضمّن ما يخجل المؤمن أن ينسبه لنفسه أو لأبيه أو لأحد مقربيه!!

ومن العجيب أنّ أكثر الموارد التي نقصدها أعرض بعض العلماء والمؤرّخين الأعلام من علماء الشيعة عنها، وتجنّبوا ذكرها في كتبهم، وكان دأب العلماء حينها أنّهم يذكرون في كتبهم خيرتهم، ويسقطون ما لا يرضونه من دون مناقشة تفصيلية يطرحونها علي الورق..

ومن الغريب أنّ هذه النكبات تحمل نقضها في نفسها، وتتهافت وتذوي وتذوب وتنكشف بمجرد ملاحظة أقوال المؤرّخين ومقارنتها ومحاکمتها.

ومن الظريف أنّها لا تُعدّ حلقاتٍ أساسيةٍ يؤدّي كسرهما إلي انخرام سلسلة حركة المولى (عليه السلام)، بل علي العكس، تجدها ثغرةً لا يمكننا استمرار في بيان أيام حركته إلا بعد ردمها والتخلّص منها، فلو حُذفت تكتمل الصورة.

وإذا استؤصلت لا يلزم منها أي استنقاص، ولا استصغار، ولا تهوين، ولا تضييع، ولا طمس ظليلة، ولا إنكار حق، ولا منع دمعة، بل علي العكس تماماً!

سيّما إذا لاحظنا أنّ الحرب التي حمل رايتها الأمويون ومن سلّطهم علي رقاب المسلمين، لم تنته بعد منذ أن بادروا إلي مواجهة خاتم النبيين إلي يوم الناس هذا، وستبقي حتّي ظهور المنتقد الأعظم والطالب بدم الحسين (عليهما السلام) والآخذ بذحول الأنبياء والأوصياء والشهداء.

ولم تكن الحرب المفتوحة هذه تنحصر في صورة أو مشهد أو موقف معيّن، كما أنّها لم تنحصر في زمنٍ من الأزمان..

وقد امتاز الأمويون عبر التاريخ بالإعلام المضللّ القويّ والحرب النفسية، والتسلّل الماكر إلي قلوب الناس وأفكارهم، وتغذيتهم بالسموم الفتّاكة ذات المنظر الخدّاع، وقد اشتهر كلامهم علي الألسن (لله جنودٌ من العسل).

وكانت حربهم الإعلامية علي سيّد الشهداء (عليه السلام) قويّة مآكرة، تتسم بالخبث والشيطنة، بحيث صوّرت سبط النبي (صلي الله عليه و آله) وريحانة الرسول وسيّد شباب أهل الجنة للمغرّر بهم من الشّدج في صورة (الخارجي)، وأبدت سكّان سرادق العزّ من مخدّرات الرسالة وعقائل الوحي في مشهد (السبايا)..

وقد جهد الأمويون في تشويه صورة أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين

وأصحابهم الغرّ الميامين (عليهم صلوات ربّ العالمين)، وتقديمهم إلى التاريخ باعتبارهم لا يعرفون من السياسة والتعامل الاجتماعي شيئاً، فيما يرسم لنا قروء آل أمية وأذناهم في صورٍ مضلّلة كأنّهم دهاة السياسة وعفرات التاريخ!

فإذا كان هذا دأبهم مع المعصومين الأبرار الذين شهد لهم الكتاب والسنة بالطهارة والعصمة والقدس، فما ظنّك بأنصارهم والمدافعين عنهم والمحامين عن حريمهم؟!..

وربما اضطر العدو أحياناً إلى ما يخاله نيلاً من أصحاب الأئمة (عليهم السلام) عموماً وأنصار سيّد الشهداء (عليه السلام) خصوصاً، لأنّه لا يجد في الإمام مغمزاً ولا مهمزاً، فيحاول الاقتراب من حريمه من خلال التعرّض لأقرب الشخصيات منه، والسعي في تهديم الأركان التي بُنيت عليها أسس معسكرات الهدى..

كما جهد الأمويّون في تقديم مسوخهم وجرائمهم في صور حسناء مزيفة خداعة، كخضراء الدمن وقشّ عليّ قذر..

وقد استُهدف الموليّ الغريب مسلم بن عقيل (عليهما السلام) استهدافاً خاصاً من قبل الأمويّين لأسباب معروفة، فحاولوا عرضه في صورةٍ لا تقدح فيهوده، وإنّما تتعرّض إلى قيام سيّد الشهداء (عليه السلام)، وقد خابوا وضلّوا ضلالاً بعيداً.

فهم يحاولون -- جاهدين خاسئين خائبين -- خدش القيام الحسيني من

خلال راند القيام، وظنّوا أنّهم إن استطاعوا عرض صورة مشوّهة مغشوشة مهزوزة للرائد الذي اختاره سيّد الشهداء (عليه السلام) وجعله ثقته ومعتمده والمبرّز بالفضل عنده، فإنّهم يستطيعون القول أنّ القيام الحسيني -- والعباذ بالله -- قد أخفق في الخيار الأول ولم يصب في انتخاب الرائد، وتزلّق وارتبك منذ الخطوة الأولى، وبُنِي علي أساس لا يُعتمد عليه، وهو بالتالي يتحرّك علي خطّ يبتعد عن الصواب كلّما تقدّم في المسير، تماماً كالخطّ المنطلق من نقطة تنحرف قليلاً في زاوية ضيّقة جداً، بيد أنّ هذا الخطّ كلّما امتدّ وابتعد عن نقطة الانطلاق يزداد انحرافاً وتّسع مع تقدّمه فرجة التباعد عن الهدف.. هذا تصوّر ينبغي الالتفات إليه، ليتوقّي المؤمن المطالع للتاريخ كلّ موضع فيه خدش أو مساس بساحة قدس المولي الغريب (عليه السلام)، لأنّه سيؤول عاقبةً إلي الطعن المباشر والخدش الفظيع في مسيرة سيّد الشهداء (عليه السلام) وقيامه.

ويمكن أن نقارن بين الصورتين من خلال مجموعة الدراسات التي صدرت سابقاً، ونجد الفرق بينها ضمن هذه الدراسة التي تناولت حركة المولي الغريب (عليه السلام) من بعد أن صرعه الطعنة الغادرة حتّى لقاء الله والرحيل إلي الرفيق الأعلى، مروراً بقصر الخبال وما دار بينه وبين ابن زياد من محاججة، وشهادته وصلب الجثمان المقدّس في الكوفة، وإرسال رأسه المقدّس إلي القرد الأموي المخمور وصلبه في دمشق.

ص: 42

لقد تحرّينا الاحتياط، وتقدّمنا في البحث خطوة خطوة كمن يمشي في منطقة ملغومة مظلمة، وقصدنا خدمة أهل البيت (عليهم السلام)، وعزّمتنا الدفاع عن حريمهم وقداساتهم وكلّ ما يُنسب إليهم، فإنّ وفّقنا في ذلك فهو فضلهم ومنّهم وفيضهم وبركاتهم، وإلا فنستغفر الله ونسأله أن يعطينا أجر من أحسن عملاً، إنّه عفوٌ جواد كريم، وهو نعم المولي ونعم النصير.

نرجو من الله السميع العليم أن يتقبّل منّا هذا القليل، وينفعنا به ووالدينا يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون ولا خليل، ولا يحرمنا وأزواجنا وذريّاتنا خدمة زين السماوات والأرضين سيّد الشهداء الحسين (عليه السلام) في الدنيا والآخرة، ويحشرنا في ممالك مولانا الغريب وعبيده المرضيين، ويجعل عملنا وحبّنا واعتقادنا فيما يرضيه ويرضى النبيّ الأمين (صلي الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وذريّته الطاهرين المعصومين (عليهم السلام)، بحقّ مولانا مهيج أحزان يوم الطفوف وأخته الطيّبة فاطمة المعصومة (عليهما السلام).

اللّهم اغفر لنا ولوالدينا ولأزواجنا وذريّاتنا وإخواننا المؤمنين، وعجّل فرج وليّ أمرنا، الطالب بدم الغريب المظلوم حيّاً وشهيداً مسلم بنعقيل (عليهما السلام)، آمين ربّ العالمين.

السّيّد علي السّيّد جمال أشرف الحسيني

3 شعبان 1435 هـ -

ص: 43

إشارة

بغض النظر عن دوافع المؤرخ في اختصار الحدث واختزاله أو تفصيله والإسهاب في بيان جزئياته، حسب مقتضيات التأليف أو ضرورات البحث أو سياقات الحدث، وربما كان عامداً في ضغط الأحداث أو فكّها انطلاقاً من قناعاته ومعتقداته وتفاعلاته النفسية والوجدانية، أو خنوعاً لإملاءات السلطان، وغير ذلك من المسوّغات التي تتحكّم في سيلان دواته وجفافها..

فإننا ننظر للتعامل مع النصّ الموجود الواصل إلينا، فإن كان النصّ قابلاً للترميم وإلا يبقى ذو ملامح خاصّة تميّزه عن باقي النصوص. والأخبار التي تعرّضت لذكر شهادة المولي الغريب (عليه السلام) تنقسم من حيث الإجمال والتفصيل إلى قسمين:

ص: 45

القسم الأول: المختصرة

جاء ذكر مصيبة المولي الغريب (عليه السلام) وشهادته في المصادر القديمة مقتضباً مختصراً مضغوطاً في كلمةٍ أو كلمتين لا تتعدي التعبير بـ «فقتله» أو ف-- «أمر بقتله» أو «فقتلهما» يعني المولي الغريب وهاني بن عروة (عليهما السلام) ، وهكذا.

قال ابن سعد في (الطبقات): فأخذ عبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، فقتلهما جميعاً وصلبهما (1)..

وقال اليعقوبي: فأخذوه، فقتله عبيد الله، وجرّ برجله في السوق (2)..

القسم الثاني: المفصلة

جاء في بعض المصادر القديمة شيءٌ من التفصيل في عرض الوصيّة، من دون ذكر أيّ محاججة أو مناظرة بين المولي الغريب (عليه السلام) وابن مرجانة، واكتفي بعضهم بالتعبير عن هراء ابن الأمة الفاجرة في كلمةٍ أو كلمتين دون ذكر ردّ المولي الغريب (عليه السلام) وبدأ البلاذري بالتفصيل شيئاً ما، وتبعه الآخرون، وسواءً اختصر القوم أو أطنبوا، فإنّك لا تكاد تمرّ بواحدٍ منهم إلا أصابك الامتعاض وآلمك اللسع واللدغ والقرص والغمز في موطنٍ أو أكثر، فالسير مع هؤلاء القوم مزعج

ص: 46

1- الطبقات الكبرى لابن سعد: 4 / 42.

2- تاريخ اليعقوبي: 2 / 243.

مخيف، وربما يكون بعض الأحيان سخيّف، لأنك لا تملك إلا أن تتخذ غاية الحيلة والحذر، وتعيش حالة التوجس وترقب المباغطة والمفاجأة والخطر، لا تدري متى تثب عليك الدواة لترشك بسمها الناقع وذعافها المدمر، فالله المستعان وعليه التكلان، وبأهل بيت رسوله الاستجارة وفي رحالهم الأمان، ثبتنا الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأخذ بأيدينا إلى سبل السلام، وسددنا ووقفنا لاختيار ما فيه رضاه ورضا آل رسوله الكرام، صلّي الله عليهم أجمعين ولعن أعداءهم من الأولين والآخرين.

الأسر بعد أن بذل غاية المجهود

لقد ذكرنا في كتاب (مسلم بن عقيل (عليهما السلام) -- الحرب الأخيرة) تفاصيل قتال المولي الغريب (عليه السلام) ، وأنه قاتلهم قتال الأبطال، وصار مثلاً يتبجح به كلّ الفرسان مدّة عمر الدنيا وطول التاريخ وعبر العصور والأزمان، وأنه شتّهم بسيفه، وجعلهم أشلاء متناثرة، ولطش رذاذ لحومهم علي الجدران، ومشى علي جماجمهم، وزرع سككهم خوفاً ورعباً، وسلب أرواح صناديدهم بصارمه، فجعلهم يلوذون منه بالسواتر وسطوح المنازل، ويتوسّلمون به ليقبل الأمان، وهم يتمنون منه القبول ليأمنوا من سطوته، إذ كان يأخذ بعنق أحدهم فيرمي به فوق السطح، ولم ينجهم منه إلاّ مقادير الحكيم العليم المنان.

فقد قاتل المولي الغريب (عليه السلام) وأبلي بلاءاً حسناً وبذل غاية المجهود،

فكَّظَه الظمأ، وأخذَه النزف، وأثخنته الجراحات، فكانت ضربة الأحمري الجبان وطعنة الظهر والخاصرة التي أردته صريعاً إلى الأرض، ولولا ذلك لما كان لبطل هاشم وفارس عدنان قرين في الكوفة كلَّها بما فيها من جيوشٍ وعساكر ومقاتلين.

وهذا العارض متوقَّع في ميادين الحرب وساحات الوغي في الوقائع العادية، فكيف بمن قاتل وحده بلا ناصرٍ له ولا معين ولا مددٍ له ولا مغيث، فلو أنَّ مقاتلاً بطلاً أُصيب بما أُصيب به المولي الغريب (عليه السلام) لسارع أَعوانُه وأهل عسكره لنجدته وتوثَّب أصحابه لاستنقاذه من براثن الأعداء، ولو كان أبو الفضل العباس (عليه السلام) حاضراً عنده لحمي له ظهره وأبعد عنه الذئب، وحمله الأنصار وأهل البيت ولم يبق أسيراً بيد الأعداء.

بأبي المستضعف الغريب، قاتل وحده، فلَمَّا هوي إلى الأرض صريعاً لم يجد إلاَّ الأسنَّة والسيوف تحوطه، والأعداء قد احتوشوه من كلِّ جانب ومكان، تماماً كما أحاطوا بسَيِّد الشهداء (عليه السلام) كالحلقة واحتوشوه بعد أن ترجَّل عن فرسه.

ولَمَّا قضى للعُلي حَقَّها

وشَيَّدَ بالسيف بُنيانَها

ترجَّلَ للموت عن سابقٍ

له أخَلَّتِ الخيلُ ميدانها

كأنَّ المنيةَ كانت لديه

فتاةً تواصلُ خِلصانها

فبات بها تحت ليل الكفاح

طروبَ النقيبةِ جدلانها وأصبح مُشْتَجِراً للرماح

تُحَلِّي الدما منه مِرَّانها

عفيراً متي عاينته الكُماةُ

يختطفُ الرعبُ ألوانها

فما أجلت الحربُ عن مثله

صريعاً يجبُّ شجعانها (1)

فحكم القدر جارٍ، وإذا اختار الله عبده للقاءه جرت عليه المقادير، كما جرت علي أمير المؤمنين (عليه السلام) مجبِّين الشجعان ومجنّدين الأبطال، وأشجع الخليفة طراً هو وأخوه رسول الله (صلي الله عليه وآله)، فاغتاله أشقي الأولين والآخرين.

ولطالما سمعنا في التاريخ أخبار الأبطال الذين صالوا وجالوا وحطّموا وهشّموا وقاتلوا فقتلوا أو أسروا، وقد حدّثنا التاريخ عن حالات أسرٍ وقعت في كربلاء لأبطال من صناديد معسكر التوحيد.

فليس في الأسر -- بعد أن بذل الفارس جهده وأباد عسكر عدوّه -- بأس، ولكنّ العيب في الرضا بتعبير المؤرّخ «فأمكن من يده»، والعيب في أن يرضي المؤمن للمولي العظيم ما لا يرضاه لنفسه، ويستسيغ الأخبار التي تصوّره فريسةً قريبة المنال سهلة الوقوع في فخاخ الخدع والمكر والاحتيال.

متي انتهت الحرب؟

إشارة

قال ابن سعد: وجاء الليل، فهرب! مسلم حتّي دخل علي امرأةٍ من كندة يقال لها: طوعة، فاستجار بها، وعلم بذلك محمّد بن الأشعث بن قيس، فأخبر به عبيد الله بن زياد، فبعث إلي مسلم فجيء به، فأثّبه وبكّته، وأمر بقتله (2).

ص: 51

1- من قصيدةٍ للسّيّد حيدر الحلّي (رحمة الله).

2- الطبقات الكبرى: 461 / خ 5.

في هذا النصّ الشاذّ الغريب الذي تقرّد به ابن سعد -- حسب فحصنا --، وقد ناقشناه فيما مضى من دراسات بشكل مفصّل، وكشفنا عواره، لا ذكر للحرب ولا القتال، بيد أنّه يفيد أنّ انتقال المولي (عليه السلام) إلي القصر وقع في الليل.

وهذا أيضاً من مفارقات الخبر ومخالفاته للمشهور المتّفق عليه، فلا يُلْتَمَعُ إليه.

أمّا باقي النصوص المتوفّرة لدينا فإنّها لم تذكر ساعةً معيَّنة لبداية الحرب ولا نهايتها، ولم تحدّد بالضبط متي ترجّل المولي الغريب (عليه السلام) عن فرسه ووقع صريعاً بالطعنة الغادرة.

ويمكن أن يستفاد ذلك من بعض المصادر من خلال تحليل النصّ، إذ تشير إلي وقتين:

الوقت الأوّل: في الليل

قال ابن سعد في ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من (الطبقات)، والذهبيّ في (تاريخ الإسلام): وجاء الليل، فهرب مسلم حتّي دخل علي امرأةٍ من كندة يقال لها: طوعة، وعلم بذلك محمّد بن الأشعث بن قيس، فأخبر به عبيد الله بن زياد، فبعث إلي مسلم فجيء به، فأثّبه وبكّته، وأمر بقتله (1).

ص: 52

1- الطبقات الكبرى: 461 / خ 5. وقد ناقشنا الخبر في أكثر من مناسبة وكشفنا عواره، وإتّما ← → ذكرناه هنا للاستفادة من الوقت الذي نصّ عليه ليس إلّا.

يلاحظ من خلال سياق كلامه أنّ الأحداث وقعت متتالية، وأنّ أسره كان في الليل.

وكذا يمكن الاستفادة من عبارة البلاذري في (الأنساب)، قال: فأتي (ابن طوعة) عبد الرحمان بن محمّد بن الأشعث، فأخبره بذلك، وكان ابن زياد -- حين تفرّق عن ابن عقيل الناس -- فتح باب القصر، وخرج إلي المجلس فجلس فيه، وحضره أهل الكوفة، فجاء عبد الرحمان بن محمّد بن محمّد بن الأشعث إلي أبيه وهو عند ابن زياد، فأخبره خبر ابن عقيل، فأعلم محمّد بن الأشعث ابن زياد بذلك، فوجّه ابن زياد من الوجوه من يأتيه به، وفيهم محمّد بن الأشعث (1).

يفيد هذا النصّ أنّ التوجّه نحو المولي الغريب (عليه السلام) كان بعد تفرّق الناس عنه، وإتّما كان ذلك عند الغروب، باتفاق المصادر كما ذكرنا ذلك مفصلاً في (معركة القصر).

الوقت الثاني: في الصباح

ورد في جملة من المصادر تعبير: «وأصبح ابن تلك العجوز...»، أو: «فلما أصبح...» (2)، وفي التعبير إشارة إلي أنّ المولي الغريب (عليه السلام) قد

ص: 53

1- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 338 / 2، أنساب الأشراف: 81 / 2.

2- تاريخ الطبري: 5 / 373، مروج الذهب للمسعودي: 3 / 68، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 68، الإرشاد للمفيد: 2 / 56، روضة الواعظين للفتّال النيسابوري: 150، تجارب الأمم ← → لمسكويه: 2 / 51، إعلام الوري للطبرسي: 228، الكامل لابن الأثير: 3 / 272، نهاية الأرب للنويري: 20 / 399، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 155.

بات ليلته في بيت طوعة -- كما هو المشهور --، فلمّا أصبح الصباح جري ما جري عليه من إرسال العسكر.

وربّما كان في فقرة من رجز المولي الغريب (عليه السلام) «البارد سخناً مرّاً» -- علي احتمالٍ من تفسيره المذكور في محلّه من (الحرب الأخيرة) -- أن ذلك كان في الصباح الباكر.

ومتابعة النصوص والتأمل فيها يمكن أن يُفيد أنّ كلّ ما جري من هجومٍ إلي حين الأسر والانتقال إلي القصر والشهادة لم يكن في وقتٍ حان فيه وقت صلاة الفريضة، ولو كان لصلاًها المولي (عليه السلام)، ولكنها قاطعاً لسير الأحداث ممّا يثير الراوي ويضطرّه إلي نقل المشهد.

فربما كان كلّ ذلك قد جري ما بين الصبح إلي ما قبل صلاة الظهر، والله العالم!

هل أوثقوه كتاباً؟

إشارة

ثمّة طائفتان من الأخبار تحدّثت عن تكتيف المولي الغريب (عليه السلام):

الطائفة الأولى: في مجلس ابن مرجانة

قال البلاذري بعد أن روي قصة إرسال المجهولين في طلب المولي، وأنّه طلب العفو!! فقالوا أنّهم لا يملكون ذلك، فخرج معهم المولي (عليه السلام)

ص: 54

طواعية! فأدخل علي ابن الأمة الفاجرة:

فلما رآه أمر به فكُتِف، وقال: أجت يا ابن حلية لتتزع سلطانني؟ وأمر به فُضِرَت عنقه ... (1).

وقال الطبري -- في نفس السياق -- : فأمر به فكُتِف ... (2).

وقد ناقشنا هذين الخبرين مناقشةً مستفيضةً في كتاب (بين المسجد الأعظم ودار طوعة) وكتاب (الحرب الأخيرة)، فلا نعيد.

الطائفة الثانية: بعد أن وقع صريعاً

في (المنتخب) للطريحي: فأوثقوه، وأخذوه إلي ابن زياد (3).

وفي (ينابيع المودة) للقندوزي: فأوثقوه، وآتوه إلي ابن زياد (4).

أما باقي المصادر التي مررنا بها -- علي كثرتها --، لم نجد فيها أن أحداً أوثق كِتاف المولي (عليه السلام).

والتأمل في النصوص يورث الاطمئنان بأن القوم قد طارت أعينهم رعباً، وفرت قلوبهم من الصدور خوفاً وهيبة ورهبة من سطوة البطال لهاشمي وصولته وجلالته وعظمته، فجنبوا عن الاقتراب منه وهو صريع علي الأرض إثر الطعنة الغادرة، بل حتّي بعد أن تكاثروا عليه، وسلبوه إذ

ص: 55

1- أنساب الأشراف للبلاذري: 3 / 224.

2- تاريخ الطبري: 4 / 294.

3- المنتخب للطريحي: 417.

4- ينابيع المودة للقندوزي: 3 / 58 - بتحقيق: السيّد علي أشرف.

سلبوه وهم بين إقدام وإحجام وكرّ وفرّ، وأحاطوا به وهم في غاية الحذر.

هذا بالإضافة إلي أنّه كان مثخناً مجهداً بالنزف والظماً، ولو كان فيه طاقة لما وصلوا إليه، فهم مطمئنون أنّه لا يقاتلهم بعد أن صرعته الطعنة الأخيرة، فلماذا يُكتَف؟!

أجل، قد يقال: إنَّهم لما كانوا مستوحشين فرقين خائفين وجلين من صولته، فاضطّروا أن يجتمعوا عليه فيكتفوه، ليأمنوا ويطمئنوا.

فما أجلت الحربُ عن مثله

صريعاً يُجَبَّنُ شجعانها

كما أنّ عادة العدوّ الرعديد الجبان والغادر الخوّان إذا أمن بطشّ وتجبرّ وارتكب ما تأباه النفوس البشريّة، وليس فيما يفعله الأرجاس منقصة ولا صغار علي الأصفياء الأبرار، ما دام العذر قائماً والكرامة لم تخذش والشجاعة لم تطمس معالمها، فقد كتفوا مولّي الثقلين (عليه السلام) ، وهو وأخوه النبي (صلي الله عليه وآله) وأولاده الأئمة الميامين (عليهم السلام) أشجع من خلّق الله، فصبر بعد أن قيّده الوصيّة، ولولا الوصيّة لرؤي أبو الحسن والحسين سيفه من دمائهم، ولفاجأ فيلوق جهنم بهم وقذفهم في توابيتهم قبل الأوان، ولولا أنّهم كانوا يعلمون ذلك لما تجرّؤوا علي ما فعلوا قطّ. وكذلك المولي الغريب والبطل الهاشمي مسلم بن عقيل (عليه السلام) ، إذ قيّده بذل غاية المجهود، وأوثقه الظماً، وبصّعت أعضائه الجراح، ولولا ذلك لسقي آخرهم بكأس أولهم، وجعلهم أحاديث ومزقّهم كلّ ممزّق.

وربما كان أمر اللعين -- وفق الطائفة الأولي -- وإقدام الأندال -- وفق

الطائفة الثانية -- يتضمّن بعداً آخر يقصده الملاعين، وهو الإمعان في أذي المولي الغريب (عليه السلام)، ومقاصد أخرى لا نجرؤ علي كتابتها والإشارة إليها بأكثر من العبارة السابقة.

وقفه مواساة مع البطل الهاشمي الجريح

«لقد صرّحت كتب التاريخ بجراحات المولي الغريب (عليه السلام) إجمالاً، وهي جراحات عظيمة، فقال البلاذري والطبري: فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمري ضربتين، فضرب بكبير فم مسلم فقطع شفته العليا، وأسرع في شفته السفلي فنصلت ثناياه..»

وقال الدينوري: فرمي، فكسّر فوه..

وقال ابن أعثم والسيّد ابن طاووس: قطع من ورائه طعنة، فسقط إلي الأرض..

وقال الطبري: وقد أثن بالحجارة..

وقال الطريحي والقندوزي: وصار جلده كالقنفذ من كثرة النبل.

إنّ هذه العبارات تتحدّث عن الجراحات العميقة الحاسمة التي أدتالي سقوطه إلي الأرض، فهم يتكلّمون عن الحصيلة النهائية: (أثن بالحجارة)، و(صار جلده كالقنفذ من كثرة النبل).

أمّا عدد الحجارة التي أصابته فجرحته، وعدد النبال التي جعلته كالشجرة التي لا تحصي أغصانها، فهذا ما لم يحصه لنا الراوي، ولا يقدر

علي إحصائه.. (فهل سلّمت فيه من جراحة؟!)) (1).

فالجراحات لم تكن في ناحيةٍ واحدةٍ أو عضوٍ واحدٍ، بل كانت مستوعبةً لبدنه الشريف، وكان من بين جميع تلك الجراحات جرحان نازفان عميقان، يستشعر القارئ للتاريخ أنّهما أجهدا المولي (عليه السلام) وصرعاه، وهما ضربة الأحمري والطعنة الأخيرة، وقد رأينا حسنة القوم ونذالتهم ولؤمهم، حتّى امتنعوا أن يسقوه ماءً وهو يستسقي، وسلبوه سلاحه وفرسه وعمامته!!

فلا- نشكّ -- حسب معرفتنا بسلوكيات القوم -- أنّهم تركوا جرح المولي (عليه السلام) مفتوحاً نازفاً لم يطبّب ولم يضمّد، بل زادوا وضاعتهم وحقارتهم وجنابتهم لو كانوا قد أوثقوه كتافاً فمنعوه أن يضمّ جرحه بيده، أو يمسح الدموع والدماء الممتزجة عن وجهه حينما بكى سيّد الشهداء (عليه السلام) وأهله المقبلين!

فكم قاسي المولي الغريب (عليه السلام) من الدماء السائلات من فمه الشريف، وهو يلفظها لتلا تنزل إلي جوفه؟

وكم عاني من شفته العليا التي قطعها السيف؟ وهل كانت معلّقةً أو أنّها سقطت؟

وكم عاني من ثناياه وهي تتدلّي علي شفته؟

وكم كان الكلام صعباً والتلفّظ عسيراً بعد هذه الفاجعة؟

ص: 58

1- أنظر: مسلم بن عقيل الحرب الأخيرة للسيد علي أشرف.

وكم عاني المولي الوحيد (عليه السلام) من الطعنة التي مزّقت أحشاءه؟

من يستطيع أن يرسم للمولي الغريب (عليه السلام) صورةً في أعماق قلبه، فيري وجهه المضمّخ بالدماء، ونوره يشع من غرّته الوضاعة، وقد ألمّ به الجهد وأذبل عوده الظمأ.

عجب والله! بلد بضخامة الكوفة وسعتها وترامي أطرافها وكثافة سكّانها، تعجز أن تفرز في تلك الساعة من يدنو من هذا البطل الغريب (عليه السلام)، فيواسيه في نفسه، ويطبّب له جراحه ويشدّها؟! لا أن يقاتل دونه ويدفع عنه!

لك الله يا غريب كوفان! يا ليتنا كنّا معك.

ص: 59

حركته (عليه السلام) من الميدان إلي القصر

إشارة

تنقسم الأخبار التي تحكي حركة المولي الغريب (عليه السلام) نحو القصر في طلعتة الأخيرة إلي مجموعتين:

المجموعة الأولى: من دار طوعة مباشرة دون حرب

قال ابن سعد: ... وعلم بذلك محمد بن الأشعث بن قيس، فأخبر به عبيد الله بن زياد، فبعث إلي مسلم فجيء به، فأثبه وبكته، وأمر بقتله (1).

وقال البلاذري: فدخل (ابن الأشعث) عليه، وهو عند امرأة قد أوقدت ناراً فهي تغسل عنه الدم، فقالوا له: انطلق إلي الأمير.

فقال: عفواً!!!

ص: 61

قالوا: ما نملك ذلك.

فانطلق معهم، فلمّا رآه أمر به فكتف.. (1).

وقال الطبري -- في إحدى رواياته -- :

قال ابن زياد لرجلين: انطلقا فأتياني به. فدخلنا عليه، وهو عند امرأةٍ قد أوقدت له النار فهو يغسل عنه الدماء، فقالا له: انطلق، الأمير يدعوك.

فقال: اعقدا لي عقداً

فقالا: ما نملك ذلك. فانطلق معهما حتّى أتاه، فأمر به فكتف.. (2).

وقد ناقشنا هذه السخافات الهابطة التي تشبه الهذيان أكثر ممّا تشبه كلام الإنسان السويّ في كتاب (الحرب الأخيرة)، فلا نعيد.

المجموعة الثانية: من ميدان القتال

هذه المجموعة من الأخبار هي المجموعة التي اتفق عليها المؤرّخون عدا من ذكرناهم في الطائفة الأولى، بل روي أيضاً من مؤرّخي الطائفة الأولى المجموعة الثانية كأصل وروي المجموعة الأولى كقول.

كما أنّ ابن قتيبة واليعقوبي -- اللّذين لم يرويا أحداث دار طوعة ومعركة القصر -- اتّفقا علي أنّ المولي الغريب (عليه السلام) ذهب محاطاً بالأعداء الجبناء بعد أن قاتلهم.

ص: 62

1- أنساب الأشراف: 3 / 224.

2- تاريخ الطبري: 5 / 391.

روي ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) قائلاً: ... وأرسل جماعة إلي مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتى أُخرج وأسر.. (1).

وروي يعقوبي في (التاريخ) قائلاً: ووجه -- أي: ابن زياد -- بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج وأصحابه وهو لا يشك في وفاء القوم وصحة نياتهم! فقاتل عبيد الله، فأخذه، فقتله عبيد الله، وجرّ برجله في السوق، وقتل هانئ بن عروة لنزول مسلم منزله وإعانتة إياه.. (2).

أما باقي المصادر فسيأتي الكلام عنها مفصلاً إن شاء الله تعالى.

بين ميدان القتال وقصر الخبال

أغفلت جميع المصادر التي توفرت لدينا الفترة التي مشي فيها المولي الغريب (عليه السلام) من ميدان القتال إلي قصر الخبال، فلم تحدّثنا عمّا جري في الطريق، وكيف انتقل المولي الغريب (عليه السلام)؟

هل أحاط به عددٌ من كبراء القوم وقيادات عسكر السقيفة الذين كانوا في صراع مرير معه منذ الصباح؟

هل اجتمع الناس كبيرهم وصغيرهم ذكرهم وأنثاهم ليتفرّجوا علي البطل الذي قتل صناديدهم وأرعب رجالهم؟

ص: 63

1- الإمامة والسياسة لابن قتيبة (ت 276): 2 / 9.

2- تاريخ يعقوبي (ت 292): 2 / 243.

هل ارتفع التكبير والتهليل والضجيج والصراخ، ونُفخ في الأبواق وُقِرعت الطبول وتجاوت الأُكفّ بالتصفيق؟

هل اكتنفت المولي الغريب (عليه السلام) عيون المعجّبين أو رمته عيون الشامتين بنظراتها الوقحة؟

هل تراكضت الغوغاء بين يديه وخلفه؟

هل خيّم الصمت علي الموقف من الخوف والترقّب وانتظار المجهول بالنسبة له ولهم؟

هل تعجّل ابن الأشعث (لعنه الله) المسيرَ إلي القصر تحسّباً لأيّ طارئٍ أو هجوم؟

هل تعرّض أحد الخبثاء المنكوسين للمولي (عليه السلام) بسوء؟

هذه الأسئلة وأسئلةٌ أُخري كثيرة ترك المؤرّخ الإجابة عليها، لأيّ غرضٍ من أغراضه أو سببٍ من الأسباب التي يمكن أن يعتذر بها.

نُقل علي بغلة

إشارة

عرفنا فيما سبق (1) من دراساتٍ أنّ دار طوعة لم يكن قريباً جداً من المسجد الأعظم، وقد جرت الحرب الأخيرة في فناء دارها، وقد قطع المولي الغريب (عليه السلام) المسافة بين ميدان القتال وقصر الخبال بعد أن وضعت الحرب أوزارها وأحاطت الشعالب بالأسد الطالبي، وهو جريحٌ مثخّنٌ قد

ص: 64

1- أنظر: ناصرة سفير الحسين (عليه السلام) طوعة الكنديّة، ومسلم بن عقيل الحرب الأخيرة.

مزقت السهام والرماح أحشاءه، فكيف نُقل إلي قصر الخبال؟

قال الدينوري: وأخذ، فأُتي ببغلة فركبها، وصاروا به إلي ابن زياد (1).

وقال المسعودي: وحملوه علي بغلة وأتوا به ابن زياد... (2).

وكذلك قال غيرهما.

ويمكن الاستفادة من هاتين العبارتين عدّة إفادات:

الفائدة الأولى: الذهاب راكباً

يفيد الدينوريّ والمسعودي دون سواهما من المؤرّخين أنّهم أغفلوا الحديث عن هذا المقطع من حركة البطل الهاشمي: أنّ المولي الغريب (عليه السلام) انتقل إلي القصر راكباً ولم يذهب ماشياً، وقطع المسافة علي ظهر بغلة أُتي بها، لا علي فرسه الذي سلب ولا غيره من الأفراس المشاركة في القتال.

الفائدة الثانية: ركوب المولي بنفسه

يبدو أنّ تعبير المسعوديّ لا- يبين عبارة الدينوري، إذ قال الأوّل: «وحملوه»، وقال الآخر: «فركبها»، فالمسعوديّ تحدّث عن نقله علي ظهر البغلة مقابل الحمل علي غيرها من المطايا أو المشي، والدينوري تحدّث عن مباشرة الركوب، فأخبر أنّ المولي الغريب (عليه السلام) ركب بنفسه ولم يُركبه أحد.

ص: 65

1- الأخبار الطوال للدينوري: 240.

2- مروج الذهب للمسعودي: 3 / 59.

الفائدة الثالثة: اختيار البغلة

البغلة حيوانٌ له خصوصياته؛ فهو سيء الخلق، لا يحتفل براكبه، وربما تعمّد أذاه ورمى به من علي ظهره وهجم عليه (1).

وهو حيوان ثقيلٌ في الحركة، يمشي كما يحلو له، لا يعرف بالسرعة والمناورة والمبادرة في مفاجآت الطريق، لذا لا يُركب في الحروب ولا يُستخدم في الميادين إلا لنقل المؤن وإيصال المدد، لأنه لا يستجيب للفارس في الكرّ والفرّ.

قيل لأَمير المؤمنين (عليه السلام): ألا تركب الخيل وطلّابك كثير؟ فقال: «الخيّل للطلب والهرب، ولست أطلب مُدبراً ولا أنصرف عن مُقبِل». وفي رواية: «لا أكرّ عليّ من فرّ، ولا أفرّ ممّن كرّ، والبغلة تزجيني»، أي: تكفيني (2). والبغلة -- في العرف الاجتماعي -- لا تعدّ مركباً محترماً، ولا تليق بالفارس إلا إذا كان بالمعنى الذي ذكره أمير المؤمنين (عليه السلام).

لماذا اختيار البغلة؟

إشارة

ربما كان اختيار البغلة لنقل المولي الغريب (عليه السلام) إلى القصر يكشف عن الدواعي التالية:

ص: 66

1- أنظر: كتاب البغال للجاحظ، ذكر فيه أسماء كثيرين قتلتهم بغالهم.

2- بحار الأنوار: 59 / 42.

الداعي الأول: أذي المولي (عليه السلام)

تعمد الخبيث ابن الخبيث ابن الأشعث طعن المولي الغريب (عليه السلام) طعناً معنوياً يؤذيه من حيث إحضاره مطيةً دون شأن الأسد الطالبي، وفات الأحمق اللعين أن مثل المولي مسلم بن عقيل (عليهما السلام) لا يرفع أو يضع من شأنه ما يركب وما يلبس وما يأكل، فشأنه من الله ومن ساداته الأئمة الكرام (عليهم السلام)، وكرامة الله وكرامة الأئمة (عليهم السلام) لا تقاس بمركوبٍ وملبوسٍ وبناءٍ شامخٍ وما شاكل، وقديماً قيل: المكان بالمكين.

بل إذا ركب السيد مطيةً دون شأنه اجتماعياً كانت سبباً لرفعته، فمن تواضع لله رفعه، تماماً كما صار ركوب البغلة المذموم في الحروب مفخرةً لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وكشفت عن صورةٍ من صور شجاعته.

الداعي الثاني: الأذي الجسدي

في حكم أمير المؤمنين (عليه السلام): «ركوب الخيل عزّ، وركوب البراذين لذّة، وركوب البغال مهزمة، وركوب الحمير مذلة» (1).

وهكذا هو الواقع، فإن ركوب البغلة غير مريح ومتعب ومهزمة، وذلك للإنسان السالم الصحيح، فكيف للجريح المجهد؟

فربما قصد الخبيث البغيّ أذي المولي الغريب (عليه السلام)، وهؤلاء المختئين يتفتنون في أذي الأبرار من عترة النبي (صلي الله عليه و آله)، ويتحرّون الجزئيات والتفاصيل

ص: 67

التي قد تغيب عن مرده الشياطين وإبليس نفسه.

الداعي الثالث: الحذر من المولي (عليه السلام)

لقد سلب سلاح المولي الغريب (عليه السلام) وفرسه، وأُتخن بالجراح، فأتوه ببغلة، تحسباً وحذراً من المولي (عليه السلام)، فلو أنه ركب فرساً فربما تمكن بعد استراحةٍ من لملمة جراحه وإعادة الكرة عليهم، فأين يفرون إذا كان علي ظهر فرس؟ أما البغلة فإنها لا تنفع في مثل هذه المواضع.

نُقل فوراً

النصوص الواردة تفيد أنّ المولي (عليه السلام) نُقل من ميدان القتال إلي القصر فوراً، غير أنّ ابن قتيبة انفرد بعبارة تفيد أنّه بات ليلةً قبل أن يدخل علي ابن زياد، حيث قال -- بعد أن نقل القتال والأسر والاستسقاء -- : فلما أصبح دعا به عبيد الله بن زياد وهو قصير، فقدّمه لتضرب عنقه.. (1).

فقوله: «فلما أصبح» بعد نقل مجريات الأحداث علي التوالي، يفيد أنّه (عليه السلام) بقي بقيّة اليوم الذي انتهت فيه الحرب ووقع جريحاً، ثم مضت عليه الليلة بتمامها، فلما أصبح ابن الأمة الفاجرة دعا به!!

وهو كما تري شاذٌ مخالف للمتمق عليه، والله العالم.

ص: 68

سمي الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قصر الإمارة في الكوفة بقصر الخبال.

عن الأصمغ بن نباتة: أن علياً لما دخل الكوفة قيل له: أي القصرين نُزِلَ؟ قال: «قصر الخبال لا تنزلونه»، فنزل علي جعدة بن هبيرة المخزومي (1).

وقد قامت جدران القصر منذ أمدٍ بعيد، وشهدت بلاطاته وأرجاؤه أحداثاً جساماً، إذ سكنه الطواغيت، وعمّر زماناً طويلاً، فشهد عصوراً متتالية، ولا زالت أطلاله قائمة إلى اليوم.

فكانت من ذكرياته ما رواه الزرندي في (درر السمطين) مسنداً وغيره:

عن عبد الملك بن عمير قال: لقد رأيتُ في هذا القصر عجباً -- يعني قصر الإمارة بالكوفة --، دخلتُ علي عبيد الله في بهو علي سرير، والناس عنده سماطان، وعلي يمينه ترس عليه رأس الحسين بن علي.

ثم دخلتُ علي المختار في ذلك البهو علي ذلك السرير، والناس

ص: 69

عنده سماطان، وعلي يمينه ترس عليه رأس عبيد الله بن زياد.

ثم دخلت علي مصعب بن الزبير في ذلك البهو علي ذلك السرير، والناس عنده سماطان، وعلي يمينه ترس عليه رأس المختار.

ثم دخلت علي عبد الملك بن مروان في ذلك البهو علي ذلك السرير، والناس عنده سماطان، وعلي يمينه ترس عليه رأس مصعب بن الزبير.

وفي روايةٍ أُخري: أنّ عبد الملك بن عمير أخبر بهذه القصّة عبد الملك ابن مروان حين رأى رأس مصعب علي يمينه، فقال له عبد الملك : لا أراك الله الخامس، وقام من السرير فحوّل عنه، وأمر بهدم الإيوان (1).

وكانت لأبوابه وأسواره شهادات وذكريات خاصّة به، وقد حدّث أمير المؤمنين (عليه السلام) عن مستقبل أبوابه، كما ورد في الخبر عن الأصبغ بن نباتة قال:

خرجنا مع أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يطوف بالسوق يأمر بوفاء الكيل والميزان، وهو يطوف إلي أن انتصف النهار، مرّ برجلٍ جالس، فقام إليه فقال له: يا أمير المؤمنين، مرّ معي إلي أن تدخل بيتي تتغدي عندي وتدعولي، وما أحسبك اليوم تغديت. قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «علي أن لا تدخر ما في بيتك، ولا تتكلّف من وراء بابك». قال: لك شرطك. ودخل

ص: 70

ودخلنا، وأكلنا خبزاً وزيتاً وتمراً.

ثم خرج يمشي حتّى انتهى إلي قصر الامارة بالكوفة، فركض برجله الأرض فزلزلت، ثمّ قال:

«وأيم الله لو علمتم ما هاهنا، وأيم الله لو قام قائمنا لأخرج من هذا الموضع اثني عشر ألف درعٍ واثني عشر ألف بيضة لها وجهات، ثمّ ألبسها اثني عشر ألفاً من ولد العجم، ثمّ يأمر بقتل كلّ من كان علي خلاف ما هم عليه، وأني أعلم ذلك وأراه كما أعلم اليوم وأراه» (1).

وشهدت أبواب القصر مصيبتين عظيمتين:

إحداهما: دخول السبايا والرؤوس

لا نريد الدخول في تفاصيل هذه المصيبة العظيمة، فإنّ لها موضعاً آخر، وإتّما نشير إلي عنوانها فقط، إذ شهد القصر وشهدت أبوابه وقوف الإمام سيّد الكائنات في عصره زين العابدين وسيّد الساجدين (عليه السلام) وعمّته فخر المخدّرات (عليها السلام) وباقي النسوة والأطفال علي باب القصر، ودخولهمإلي مجلسٍ «ما بارح اللّهُو والخمر»..

وشهد حمل الرؤوس المقدّسة، بما فيها رأس أشبه الناس برسول الله (صلي الله عليه وآله) وسبطه وحبّيه الحسين (عليه السلام)، وأخيه العباس (عليه السلام)، وباقي رؤوس أهل البيت والأنصار (عليهم السلام) .. يا لها من مصيبة!

ص: 71

إشارة

وقف المولي الغريب (عليه السلام) علي باب القصر جريحاً مكدوداً في ذات الله، تنزف منه الدماء، وقد كظّه العطش وفَتَّت كبده بعد حربٍ عظيمةٍ خاضها مع الأوغاد.

قال ابن كثير في (البداية والنهاية): ولما انتهى مسلم بن عقيل إلي باب القصر، إذا علي بابه جماعة من الأمراء من أبناء الصحابة ممن يعرفهم ويعرفونه، ينتظرون أن يؤذَن لهم علي ابن زياد، ومسلم مخضَّب بالدماء في وجهه وثيابه، وهو مشخَّن بالجراح، وهو في غاية العطش... (1).

ولولا الجراحات والعطش لما استطاع أحدٌ منهم الدنو منه والاقتراب، ولما وقف علي باب القصر تحوطه الأعداء، ولكن المقادير تجري، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هل أوقف المولي مسلم (عليه السلام) علي باب القصر؟

إشارة

تنقسم الأخبار التي تحدّثت عن دخول المولي الغريب (عليه السلام) علي ابن زياد إلي ثلاثة أقسام:

القسم الأول: لم تذكر الوقوف

لم يذكر أكثر المؤرّخين وقوفاً أو انتظاراً للمولي (عليه السلام) علي باب القصر،

ص: 72

منهم:

ابن سعد (1)، وابن قتيبة (2)، والبلاذري في (أنساب الأشراف) (3)، والدينوري في (الأخبار الطوال) (4)، واليعقوبي في (تاريخه) (5)، وابن أعمش في (الفتوح) (6)، وابن عبد ربّه في (العقد الفريد) (7)، وابن حبان في (الثقات) (8)، والسيد في (اللهوف)، وغيرهم ممن تبعهم من المتأخرين.

القسم الثاني: المكث مقدار الاستسقاء

ذكر المسعودي خبر استسقاؤه (عليه السلام) علي باب القصر، من دون أن يفيد الوقوف.

قال: فلمّا صار مسلم الي باب القصر نظر الي قلّة مبردة، فاستسقاها منها، فمنعهم مسلم بن عمرو الباهلي..

ثم ساق الحديث إلي أن قال: ثم أدخل الي ابن زياد (9).

ص: 73

-
- 1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) (من طبقات ابن سعد): 66، تاريخ الإسلام للذهبي: 2 / 269، الطبقات الكبرى لابن سعد: 4 / 42.
 - 2- الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 2 / 5.
 - 3- أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 81، ومواضع أخرى من الكتاب تجدها في موادّ البحث.
 - 4- الأخبار الطوال للدينوري: 240.
 - 5- تاريخ اليعقوبي: 2 / 243.
 - 6- الفتوح لابن أعمش الكوفي: 5 / 54.
 - 7- العقد الفريد لابن عبد ربّه: 5 / 128، جواهر المطالب للباعوني: 2 / 268.
 - 8- الثقات لابن حبان: 2 / 308.
 - 9- مروج الذهب للمسعودي: 3 / 59.

وفعل أبو الفرج الأصفهاني (1) مثل ما فعل المسعودي بعبارة قريبة منه.

القسم الثالث: الوقوف حتّى خروج الإذن

وأفاد الشيخ المفيد في نصّه ما يُشعر بوقوفه علي الباب حتّى يخرج الإذن، فقال -- بعد أن نقل خير استسقائه -- : وخرج رسول ابن زياد فأمر بإدخاله إليه (2).

وقد صرّح النويري فقال: وجاء محمّد بمسلم إلي القصر، فأجلسه علي بابه ودخل هو إلي ابن زياد فأخبره بأمانه (3).

المحصّلة

تبين ممّا مضى أنّ أول من ذكر وقوف المولي الغريب (عليه السلام) علي الباب -- حسب فحصنا -- هو الطبري في إحدى رواياته فقط، حينما ساق خبر استسقائه (عليه السلام) وما دار بينه وبين الباهلي، ثمّ قال: ثمّ جلس متسانداً إلي حائط (4). وتبعه ابن الأثير والنويري كما سيأتي بعد قليل.

وربّما يُستبعد حمل جميع تلك المصادر علي الاقتضاب والاختصار، وفيها من المصادر التي أسهبت في الحديث عن تفاصيل حركته (عليه السلام) من

ص: 74

1- مقاتل الطالبين للأصفهاني: 66.

2- الإرشاد للشيخ المفيد: 2 / 60.

3- نهاية الإرب للنويري: 20 / 402.

4- تاريخ الطبري: 4 / 281.

ميدان القتال إلي داخل القصر، سيّما إذا أخذنا بنظر الاعتبار فرحة ابن زياد بما حصل من جهة، وخوفه الشديد من التبعات وتوجّسه من عواقب ما جري، واستعجاله في طي هذه الحقبة واختتام المعركة، ومتابعة مجريات الأحداث.

جلوسه علي باب القصر

قال الطبري في إحدى رواياته، والشيخ المفيد في (الإرشاد)، والفتال في (روضه الواعظين): ثم جلس متسانداً إلي حائط (1).

وقال ابن الأثير في (الكامل)، والنويري في (نهاية الأرب): ولما جلس مسلم علي باب القصر رأي جرّة فيها ماء بارد، فقال: اسقوني من هذا الماء (2).

وقد ذكرت مصادر أخرى استسقاء المولي (عليه السلام) علي باب القصر، مندون الإشارة إلي جلوسه هناك.

فيكون المصدر الأقدم -- علي ما يبدو -- في ذكر ذلك هو الطبري في إحدى رواياته.

المتواجدون علي باب القصر

ذكر الطبري والشيخ المفيد والفتال أنّ المولي الغريب (عليه السلام) حينما انتهى

ص: 75

1- تاريخ الطبري: 4 / 281، الإرشاد للمفيد: 2 / 60، روضة الواعظين للفتال: 151.

2- الكامل في التاريخ لابن الأثير: 4 / 33، نهاية الأرب للنويري: 20 / 401.

إلي باب القصر، كان علي باب القصر «ناس جلوس ينتظرون الإذن، منهم عمارة بن عقبة بن أبي معيط، وعمرو بن حريث، ومسلم بن عمرو، وكثير ابن شهاب» (1).

وقال المسعودي في (مروج الذهب): فلما صار مسلم إلي باب القصر نظر إلي قلّة مبردة، فاستسقاها منها، فمنعهم مسلم بن عمرو الباهلي -- وهو أبو قتيبة بن مسلم -- أن يسقوه، فوجّه عمرو بن حريث، فأثاه.. (2).

وذكر أبو الفرج مثل قول المسعودي، وأضاف: قال: وحدثني مدرك بن عمارة: أن عمارة بن عقبة بعث غلاماً يدعي نسيماً، فأثاه بماء (3).

وقال ابن كثير: قالوا: ولما انتهى مسلم بن عقيل إلي باب القصر، إذ اعلي بابه جماعة من الأمراء من أبناء الصحابة ممن يعرفهم ويعرفونه، ينتظرون أن يؤذن لهم علي ابن زياد (4).

وهذه النصوص ذكرت المتواجدين علي باب القصر ذكراً عاماً تارة، ونصت علي بعض الأسماء خاصّة.

فذكر الطبري «ناساً جلوساً ينتظرون الإذن»، وعبر عنهم ابن كثير بقوله: «جماعة من الأمراء من أبناء الصحابة!!».

أما الذين نصّوا علي أسمائهم، فهم:

ص: 76

1- تاريخ الطبري: 5 / 375، الإرشاد للمفيد: 2 / 60، روضة الواعظين للفتال: 151.

2- مروج الذهب للمسعودي: 3 / 68.

3- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 70.

4- البداية والنهاية: 8 / 156.

عمارة بن عقبة بن أبي معيط.

عمرو بن حريث.

مسلم بن عمرو الباهلي.

كثير بن شهاب.

نسيم غلام عمارة بن عقبة.

وهؤلاء جميعاً من أعلام بني أمية وعبيدهم.

ص: 77

التنبيه الأول: الاستسقاء

الاستسقاء وطلب الماء ليس فيه هوان، ولا نزول إلي الدنيا، ولا يخالف الإباء والحفاظ والأنفة والعزّة، وهو يختلف عن شكايه الجوع وطلب الطعام!

فالماء قد قرّه الله وجعله للمخلوقات شرعاً سواء، وغطّي به وجه البسيطة حتّي صار الماء فيها أكثر من اليابسة، وجعل صبر الإنسان علي الطعام أشدّ وأكثر من صبره علي الماء والظمأ، وسرعان ما يؤثّر العطش في الأعضاء، فيحول بين الظمآن وبين السماء كالدخان، فلا يقوي علي النظر ويمنعه من الرؤية، ويفتّ الكبد ويلهبه بسعيه، ويحرق حبة القلب،

ويجفّف الفم واللسان، ويشلّ اليد والرجل وباقي الأعضاء، ويكبس الروح ويخثقها..

أمّا الطعام والكلاء فقد جعله الله لمن يجدّ ويعمل ويحاول ويحتال في طلبه، وأمره أن يسعى لتحصيله بحول الله وقوّته.

قال الصادق (عليه السلام) -- في حديث المفضّل المعروف -- :

«واعلم -- يا مفضّل -- أنّ رأس معاش الإنسان وحياته الخبز والماء، فانظر كيف دبّر الأمر فيهما، فإنّ حاجة الإنسان إلي الماء أشدّ من حاجته إلي الخبز، وذلك أنّ صبره علي الجوع أكثر من صبره علي العطش، والذي يحتاج إليه من الماء أكثر ممّا يحتاج إليه من الخبز، لأنّه يحتاج إليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقي أنعامه وزرعه، فجعل الماء مبدولاً لا يُشتري، لتسقط عن الإنسان المؤونة في طلبه وتكلفه، وجعل الخبز متعدّراً لا يُنال إلاّ بالحيلة والحركة» (1).

وقد نشأت الأخلاق والشيم عند الإنسان المتخلّق بالأخلاق الحميدة علي ذلك، فهم لا يرون في الاستسقاء وطلب الماء عيباً ولا عاراً ولا منقصةً ولا مذلةً، ولا خادشاً للعقّة والحياء والعزّة والإباء، فيما يترفّعون عن شكايه الجوع والاستطعام. قال الشيخ التستري في (الخصائص الحسينية):

ص: 80

1- التوحيد للمفضّل: 87.

«إنّ الطعام كان مفقوداً عندهم في ذلك اليوم، ولذا قال السجّاد (عليه السلام): «قُتل ابن رسول الله جائعاً، قتل ابن رسول الله عطشاناً»، لكن من جهة شدّة العطش لم يتحقّق ذكر الاستطعام، لأنّه مذلةٌ عظيمة لا تتحمّلها النفوس الأبيّة، بل وتستكف الإطعام وإن حصل بدون استطعام في هذه الحالة.

ولذا لما أطعم أهل الكوفة الأطفال التمرَ والجوز، صاحت بهم أمّ كلثوم (عليها السلام): يا أهل الكوفة، إنّ الصدقة علينا حرام. وأخذت هي وزينب ما في أفواه الأطفال ورمته إليهم، فإنّ الطعام في هذه الحالة صدقة فيها إهانة وذلّة، فيحرم عليهم وإن لم يكن زكاة».

التنبيه الثاني: العطش وطبيعة الحرب

إنّ طبيعة الحرب والقتال، والمبارزة والمصاولة، وثوران النقع والنجيع، والنزف والجراحات.. تقتضي العطش، بغضّ النظر عن وقوع ذلك في الصيف أو في الشتاء، وفي الجوّ البارد أو الجوّ الحار، وفي القرّ أو الحرّ..

التنبيه الثالث: الإباء الطالبي

رغم ما ألمّ بالبطل الهاشميّ (عليه السلام) من جراحٍ وغربة، بحيث لم تسلم فيهمّن جارحة، وصار كأنّه الشجرة، لأنّه كان مشتجراً للسهام والرماح، ورغم النزف الذي جعل من بدنه كالفوّارة من الدماء، ورغم أسره بعد أن بذل غاية المجهود وأعدّر في قتال الأعداء..

بيد أنه ردّ عليّ الوغد الوقح الذي تجاسر عليّ ساحته، فلئن كلّ السيفُ والسنان فإنّ سلاحه الماضي لا يكلّ، فكان لسانه أشدّ عليهم من السيوف والأسنة والرماح، فردّ عليّ الجبان قولته بقصْفٍ عنيف، ونزلت كلماته عليهم أشدّ من الصواعق وألذع من لهب النيران.

التنبيه الرابع: مواساة سيّد الشهداء (عليه السلام)

المواساة طبعٌ غرسه الله في الإنسان، وجعل معرفتها تحسّ بالفطرة، وجعل العلم بها ممّا يكون فيه صلاح الدين والدنيا.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) -- في حديث المفضّل المعروف -- :

«فكّر - يا مفضّل - فيما أعطى الإنسان علمه وما منع، فإنّه أعطى جميع علم ما فيه صلاح دينه ودنياه، فمّمّا فيه صلاح دينه: معرفة الخالق (تبارك وتعالى) بالدلائل والشواهد القائمة في الخلق، ومعرفة الواجب عليه من العدل عليّ الناس كافّة، وبرّ الوالدين، وأداء الأمانة، ومواساة أهل الخلّة، وأشباه ذلك ممّا قد توجد معرفته والإقرار والاعتراف به في الطبع والفطرة من كلّ أمةٍ موافقةٍ أو مخالفةٍ» (1).

ومواساة سيّد الشهداء (عليه السلام) رتبةٌ ومقامٌ ومنزلةٌ ودرجةٌ رفيعةٌ لا تتسنى لكلّ أحد، فقد تنافس فيها الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) من قبل أن تزدهر هذه الدنيا بنور الوجود العنصري لسيّد الشهداء (عليه السلام).

ص: 82

1- التوحيد للمفضّل: 81.

روي ابن قولويه في (كامل الزيارات) عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال:

«إِنَّ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: (وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا)، لَمْ يَكُنْ إِسْمَاعِيلُ بِنَ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، كَانَ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَسَلَخُوا فِرْعَوْنَ رَأْسَهُ وَوَجْهَهُ، فَأَتَاهُ مَلَكٌ مِنَ اللَّهِ (تَبَارَكَ وَتَعَالَى) فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكَ، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ. فَقَالَ: لِي أُسُوَّةٌ بِمَا يُصْنَعُ بِالْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)» (1).

وروي المجلسي: إِنَّ آدَمَ لَمَّا هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَرَ حَوَاءَ، فَصَارَ يَطُوفُ الْأَرْضَ فِي طَلَبِهَا، فَمَرَّ بِكَرْبَلَاءَ، فَاعْتَمَ وَضَاقَ صَدْرُهُ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ، وَعَثَرَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حَتَّى سَالَ الدَّمُ مِنْ رِجْلِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: إِلَهِي، هَلْ حَدَثَ مِنِّي ذَنْبٌ آخَرَ فَعَاقَبْتَنِي بِهِ؟! فَأَيُّ طِفْتِ جَمِيعِ الْأَرْضِ وَمَا أَصَابَنِي سُوءٌ مِثْلَ مَا أَصَابَنِي فِي هَذِهِ الْأَرْضِ! فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: يَا آدَمُ، مَا حَدَثَ مِنْكَ ذَنْبٌ، وَلَكِنْ يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ وَلِذَلِكَ الْحَسَنِ ظَلَمًا، فَسَالَ دَمُكَ مُوَافَقَةً لَدَمِهِ (2).

وهكذا كان مع غيرهما من الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام)، فربما استعمل المواساة كما فعل إسماعيل (عليه السلام)، أو استعمل المحاكاة والموافقة كما حدث لآدم (عليه السلام) وغيره.

ص: 83

1- كامل الزيارات لابن قولويه: 64 باب 19.

2- بحار الأنوار: 44 / 242.

ومسلم بن عقيل (عليهما السلام) في درجته الرفيعة، ومقامه السامي، ومنزلته الخاصة عند الله وعند الأئمة (عليهم السلام)، تسنم ذري الشرف بمواساته لسيد الشهداء (عليه السلام) في غربته ووحدته وعطشه ومحاصرته وتكاثرهم عليه، وكثرة جراحاته، وافتراق القوم عليه فرقاً؛ ضرباً بالسيوف، وطعنًا بالرمح، ورمياً بالسهم، ورضخاً بالحجارة والنار..

التنبيه الخامس: شكا عطشه إلي الله أولاً

لقد بلغ العطش بمولانا الغريب (عليه السلام) مبلغاً عظيماً، فجعله يشكو حاله إلي الله أولاً، «ثم رجع موضعه فوقف وقال: اللّهم! إنّ العطش قد بلغ منّي».

وربما كانت الشكوي هذه تعبيراً عن (غاية المجهود) الذي بذله، بحيث أثر فيه العطش تأثيراً بالغاً عظيماً وجراحاته تشخب دماً، فحال دون استمراره في القتال، فجاءته الطعنة ليسقط إلي الأرض.

التنبيه السادس: امتناعه عن شرب الماء

أرأيت طهارةً ونبلاً وسموّاً ورفعةً وخُلُقاً ربيعاً وتقويً وورعاً وصبراً مثل ما تري في رجال سيد الشهداء (عليه السلام) وسيوفه، وفي المولي الطالب الغريب (عليه السلام)؟

عطشٌ وجراح مَزّت بدنه تمزيقاً، ونزف سيّال غسل أعضائه غسلًا وضمّخه تضميخاً، حتّي صار كياقوتة حمراء من رأسه حتّي قدميه -- فداء

لكلِّ جرحٍ من جروحه --، وهو مع ذلك يأتي أن يشرب الماء وقد امتزج بدمه المتدفق من شفتيه.

قاتلهم الله ولعنهم لعناً يرضي مولانا الغريب (عليه السلام) وفوق الرضا..

أما كان فيهم مخلوقٌ قد شَمَّ في يومٍ من أيام حياته رائحة الإحساس والوجدان، أو هبَّت عليه في ساعةٍ من ساعاته نسمة من ضمير أو شعور؟!!

أما كان فيهم من يستلّ نصلاً من تلك النصال التي غرزت في بدن المولي الشريف، أو يتناول كسراً من الرماح المتكسرة عليه ويتخذ من أنابيب القنا وسيلة يطبق عليها المولي شفتيه، فيمرّ الماء إلي أحشائه ويبرد كبده قبل أن يختلط بها الدم؟

التنبية السابع: سقيه وهو مكتوف

التنبية السابع: سقيه وهو مكتوف

يبدو أنّ الجبناء «لم يجسر أحدٌ منهم أن يسقيه الماء ولا قرب منه» (1) خوفاً وفاقاً من المولي (عليه السلام)، ولم يقترب منه أحدٌ إلا بعد أن أوثقوه كتافاً، ويشهد لذلك أيضاً تعبير ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة)، قال: فسقاه، فتمضمض مسلم، فخرج الدم، فما زال يمسح الدم، ولا يسيع شيئاً منه، حتّى قال: أخروه عني... (2).

ولو كانت يد المولي (عليه السلام) خارج الكتاف لدفعه إليهم بيده وقال خذوه

ص: 85

1- أنظر: الفتوح لابن أعمش: 5/ 53، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 208.

2- الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 2 / 10.

مثلاً، فلمّا قال لهم: أحرّوه عنيّ، أي أحرّوا الإناء أو الماء وأبعده، يلزم أن يكون المتصرّف بالإناء غيره.

التنبيه الثامن: سقوط ثناياه

«وسقطت ثنيتاه في القدح، فامتنع مسلم بن عقيل من شرب الماء».. (1).

لقد كانت ضربة اللعين بالسيف معترضاً وجه المولي المذكّر برسول الله (صلي الله عليه وآله) ضربةً قاسيةً همجيّةً، نزلت علي محيّا الغريب (عليه السلام) لتشكّل زاويةً منفرجةً تقوم علي حدّ السيف من جهة وأعلي الشفة دون الأنف الشامخ من جهة ثانية، لأنّها استطاعت أن تقطع الشفة وتغوص إلي الأسنان الشريفة ثم تسرع في الشفة السفلي. ويبدو أنّها كانت ضربةً بطرف السيف، وأنّ اللعين ضربه وهو في أقصى ما يكون مبتعداً عن المولي (عليه السلام)، مستفيداً من مسافة مدّ يده منبسطةً وطول السيف كلّ، وبذلك يستطيع أن يوظّف انحناءين: إحداهما انحناء الضربة، والثانية انعطاف طرف السيف.

ورغم تعبير المؤرّخ عن الثنايا أنّها نصلت، غير أنّ سقوطها في الإناء يعني أنّها كانت لا زالت عالقةً في فمه الشريف.

فلمّا سُقي الماء، لا بدّ أن يكون الإناء قد عمل فيها فأسقطها، إمّا لعدم

ص: 86

1- الفتوح لابن أعمش: 53 / 5 وما بعدها، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 208 وما بعدها.

وجود شفةٍ تحميها، أو لارتجاف الساقى وارتعاش يده خوفاً من اقترابه من المولى (عليه السلام)، أو لفظاظه الساقى وتعامله بجلفيّة وقساوةٍ مع المولى (عليه السلام) بالخصوص إذا قلنا أنّ المولى سُقي وهو مكتوف الوثاق.

التنبية التاسع: حَسّة العدوّ ونذالته

أتبلغ الحسّة والنذالة واللؤم والانحطاط والتنكّر للقيم بمخلوقٍ إلي حدّ يمتنع فيه عن سقي الماء، ويمتنع عن سقي الماء العذب ويعدل عنه إلي ماء البئر؟ وماء البئر أجحّ مالح يزيد العطشان عطشاً، وهم يعلمون أنّ المولى الغريب (عليه السلام) بطلٌ همام وضرغام من آل خير الأنام، وقد رأوا بطولاته وشجاعته وكرامته وكرمه.

هكذا هم أعداء سيّد الشهداء (عليه السلام)، لا يبغون حولاً عن سلاح الجبناء وطريقة الحقراء وأولاد البغايا الرخيصات التنتات. لك الله يا غريباً، يا وحيداً، يا وتر كوفان، يا عطشاناً، يا دمعة سيّد الرسل (صلي الله عليه وآله) ودمعة الإمام الغريب العطشان (عليه السلام) ..

بأبي أنت وأمي ونفسي ومالي وأهلي.. فذاك روحي، يا مظلوماً علي مرّ العصور وطول الزمان (1).

متي استسقي المولى الغريب (عليه السلام) ؟

إشارة

يمكن تقسيم النصوص الواردة في استسقاء المولى الغريب (عليه السلام) إلي

ص: 87

1- منقول من: مسلم بن عقيل (عليه السلام) .. الحرب الأخيرة.

الأول: أثناء الحرب

أفاد ابن أعثم والخوارزمي أنّ الاستسقاء كان أثناء القتال:

قالا: ... ثمّ رجع موضعه، فوقف وقال: اللهم! إنّ العطش قد بلغ منّي.

قال: فلم يجسر أحدٌ أن يسقيه الماء ولا قرب منه ...

فجعل يقول: اسقوني شربةً من الماء!

فقال له مسلم بن عمرو الباهلي: والله لا تذوق الماء يا ابن عقيل أو تذوق الموت!

فقال له مسلم بن عقيل: ويلك يا هذا! ما أجفأك وأفطّك وأغلظك! أشهد عليك أنك إن كنت من قريشٍ فإنّك ملصق، وإن كنت من غير قريشٍ فإنّك مدّع إلي غير أبيك، من أنت يا عدوّ الله؟

فقال: أنا من عرف الحقّ إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي!

فقال له مسلم بن عقيل: أنت أولي بالخلود والحميم، إذ آثرت طاعة بني سفيان علي طاعة الرسول محمّد (صلي الله عليه وآله).

ثمّ قال مسلم بن عقيل (رحمه الله): ويحكم يا أهل الكوفة! أسقوني شربةً من ماء!

فأتاه غلامٌ لعمر بن حريث الباهلي بقلّة فيها ماء وقدح فيها، فناوله

القدّة، فكلمّا أراد أن يشرب امتلأ القدح دمًا، فلم يقدر أن يشرب من كثرة الدم، وسقطت ثنيتاه في القدح، فامتنع مسلم بن عقيل (رحمه الله) من شرب الماء (1).

فهو قد شكى العطش إلي الله، ثم استسقاهاهم، وهو لا زال يقاتل، ودار بينه وبين ذلك اللئيم ما دار من كلام، ثم استسقاهاهم، فسُقي..

الثاني: بعد الأسر

قال ابن قتيبة: ... فلما أُسر بعث الرجال، فقال: اسقوني ماء.. (2). وقال ابن شهر آشوب: فضربه بكبير بن حمران الأحمرّي علي شفته العليا، وضربه مسلم في جوفه فقتله، وطعن من خلفه فسقط من فرسه فأُسر.

فقال مسلم: اسقوني شربةً من ماء. فأناه غلام عمرو بن حريث بشربة زجاج، وكانت تملي دمًا، وسقطت فيه ثنيته (3).

وعبارتهما واضحة بالاستسقاء بعد الأسر.

الثالث: علي باب القصر

ذكر ذلك الطبري في (تاريخه) (4)، والمسعودي في (المروج) (5)، وأبو

ص: 89

1- الفتوح لابن أعمش: 53 / 5 وما بعدها، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 208 وما بعدها.

2- الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 10 / 2.

3- المناقب لابن شهر آشوب: 10 / 319.

4- تاريخ الطبري: 5 / 375.

5- مروج الذهب للمسعودي: 3 / 68.

الفرج في (المقاتل) (1)، والشيخ المفيد في (الإرشاد) (2)، والفتّال في (الروضة) (3)، وابن الأثير في (الكامل) (4)، والنويري في (نهاية الإرب) (5)، وابن كثير في (البداية والنهاية) (6).

وعباراتهم متقاربة تؤدّي جميعاً نفس المؤدّي، وتصرّح أنّ الموليا الغريب مسلم بن عقيل (عليهما السلام) لمّا انتهى إلي باب القصر وجد ثمة قلّة، فاستسقى القوم..

من الذي ردّ علي المولي الغريب (عليه السلام) ؟

تفرّد ابن قتيبة بالنصّ علي شهر بن حوشب من بني سليم، وقال: فقال له شهر بن حوشب: لا أسقيك إلا من البئر (7). وقد ذكر ذلك ضمن الاستسقاء أثناء الحرب.

فيما ذكر الآخرون أنّ الرادّ علي المولي هو مسلم بن عمرو الباهلي، سواء في ذلك من جعلوا الاستسقاء بعد الأسر أو علي باب القصر.

ص: 90

1- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 70.

2- الإرشاد للمفيد: 2 / 60.

3- روضة الواعظين للفتّال: 151.

4- الكامل في التاريخ: 3 / 273.

5- نهاية الإرب للنويري: 20 / 401.

6- البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 156.

7- الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 2 / 5.

وشهر بن حوشب هذا تابعي شامي الأصل من رجال البخاري ومسلم، ولا يبعد أن يكون قد ردّ علي المولي الغريب (عليه السلام) إذ كان حاضراً ثمّة قبل أن ينبري الباهلي، ومما يساعد عليه اختلاف عبارته مع عبارة الباهلي، قال شهر: «لا أسقيك إلا من البئر».

مَن الذي أمر له بالماء؟

إشارة

ذكر المؤرّخون الذين تعرضوا لاستسقاء المولي (عليه السلام) شخصين أمرا بإحضار الماء له:

أحدهما: عمارة بن عقبة بن أبي معيط

كما في (تاريخ الطبري) بإحدي رواياته، و(مقاتل الطالبين) في إحدي رواياته، وابن الأثير في (الكامل)، والنويري في (نهاية الإرب)، وابن كثير في (البداية والنهاية)، وابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) بلفظ «المعيطي».

الآخر: عمرو بن حريث الباهلي

ذكر ذلك جملةً من المؤرّخين، كالطبري، وابن أعثم، والمسعودي، وأبي الفرج في إحدي روايته، والشيخ المفيد في (الإرشاد)، والفتال في (الروضة)..

أما الطريحي في (المنتخب) (1)، فقد جعل خطاب المولي الغريب (عليه السلام) مباشراً إلي من يلي السقاية علي باب القصر، ويبدو أنه اعتمد في ذلك علي كتاب أبي مخنف المشهور (2).

من الذي باشر بسقيه؟

ذكر البعض الساقى من دون تسمية، واكتفوا بنسبته إلي مولاه، فقال ابن قتيبة: فأمر غلاماً له، فأتاه بإبريق من ماء وقده قوارير ومنديل (3).

وكذا فعل ابن أعثم والخوارزمي والشيخ المفيد والفتال وابن كثير، بيد أنهم نسبوه إلي عمرو بن حريث.

ولم يذكر المسعودي وابن الأثير والنويري الغلام، واكتفوا بقولهم: «فوجّه عمرو بن حريث»، «فدعا عمارة بن عقبة بماء...».

أما الطائفة الثالثة من المؤرخين فقد اختلفوا في تسمية الغلام، فقال الطبري في إحدى رواياته أنه غلام عمرو ويدعي (سليمان)، وفي رواية أخرى أنه غلام عمارة ويدعي (قيساً) (4).

واسم غلام عمرو عند الاصفهاني في (المقاتل): (سليماً)، وغلام

ص: 92

1- المنتخب للطريحي: 2 / 427.

2- مقتل أبي مخنف المشهور: 35.

3- الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 2 / 5.

4- تاريخ الطبري: 5 / 375.

عمارة: (نسيماً).

ولا يبعد أن يكون ثمّة تصحيف (سليمان وسليم) و(قيس ونسيم).

من أين جاؤوا بالماء؟

ذكر ابن الأثير والنويري أنّ المولي (عليه السلام) رأى علي باب القصر جرّة فيها ماء بارد، فقال: اسقوني.. ثم ساقا الكلام حتّى قال: فدعا عمارة بنعقبة بماء بارد... (1).

فلا يُدري أدعا له من نفس تلك الجرّة أو من مكان آخر؟

بيد أنّ ابن كثير قال أيضاً في سياق كلامه عن وصول المولي (عليه السلام) إلي باب القصر: «وإذا قلّة من ماءٍ بارد هنالك، فأراد أن يتناولها ليشرب منها...»، إلي أن قال: «فبعث عمارة بن عقبة بن أبي معيط موليّ له إلي داره، فجاء بقلّة عليها منديلٌ ومعه قدح..» (2).

وفي (المنتخب) للطريحي و(مقتل الحسين (عليه السلام)) لأبي مخنف المشهور: رفع الساقى الجرّة الموجودة علي باب القصر فدفعها إلي المولي (3).

المحصلة

لا يبعد أن يكون قد استسقى المولي (عليه السلام) أكثر من مرّة، مع ملاحظة

ص: 93

1- الكامل في التاريخ لابن الأثير: 3 / 273، نهاية الإرب للنويري: 20 / 401.

2- البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 156.

3- المنتخب للطريحي: 2 / 427، مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: 35.

شدة عطشه وكثرة جراحاته ونزفه، ويمكن استفادة ذلك من النصوص بعد ملاحظة سياقاتها وتفصيلها، سوي ما قد يقال من اتحاد كلام مسلم بن عمرو الباهلي المشترك في بعض المصادر بين الاستسقاء بعد الأسر وعلي باب القصر. وربما قيل بإمكان تكرّر موقف الباهلي كلّما استسقى المولي (عليه السلام).

وكذا يقال بالنسبة لمن أمر بالماء، وربما كان أحدهما علي باب القصر والآخر في المعركة -- وفق نصّ ابن قتيبة -- أو بعد الأسر.

وإرسال الغلام إلي الدار أو إلي موضع آخر لإحضار الماء أوفق بالاستسقاء بعد الأسر أو في المعركة منه بباب القصر، غير أنّ عبارات المؤرّخين غير صريحة في ذلك، وعبارة ابن كثير تكاد تكون صريحة بأنّ ابن أبي معيط بعث الغلام إلي داره وهو علي باب القصر (1).

استمرار عطشه من الحرب إلي الشهادة

قال الطريحي في (المنتخب)، وكذا في المقتل المشهور لأبي مخنف: «فنظر مسلم إلي برادة هناك فيها ماء، وكان له يومان ما شرب الماء» (2).

وفيه تصريحٌ بعطش المولي (عليه السلام) منذ يومين، ولو لم يكن منذ ذلك الحين فهو لا شكّ قد استمرّ أثناء الحرب -- وفق إخبار ابن قتيبة -- إذ

ص: 94

1- البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 156.

2- المنتخب للطريحي: 2 / 427، مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: 35.

استسقي وهو يقاتل، ويشهد له شكواه إلي الله -- كما في رواية ابن أعثم وغيره -- : «ثم حمل عليه حتى ألحقه بأصحابه، ثم رجع موضعه فوققوال: اللهم! إن العطش قد بلغ مني» (1).

فلما جيء له بالماء لم يشرب منه من كثرة الدم، وسقطت ثنيتاه في القدر (2).. وهذا ما اتفقت عليه المصادر، وقد حاول أكثر من مرة ليشرب الماء ونزيف الدم يمنعه، فقال: الحمد لله، لو كان من الرزق المقسوم لشربته (3).

واستمر به العطش حتى الشهادة، فقتل (عليه السلام) غريباً وحيداً عطشاناً ظامناً، فصلّى الله عليه ولعن قاتليه.

ص: 95

1- الفتوح لابن أعثم: 5 / 54.

2- الفتوح لابن أعثم: 5 / 96.

3- مروج الذهب للمسعودي: 3 / 68.

إشارة

أُخِن المولي الغريب (عليه السلام) بالجراح، حتّي صار جرحاً نازفاً من رأسه حتّي قدميه، فقد مزّقت بدنه الشريف السهام، ورضّت عظامه وكدمته وجرحته الحجارة وأطنان القصب المتقدة بالنيران، وكان قد ضُرب علي فيه فكُسِر، وأسرع سيف اللعين في شفّته السفلي بعد العليا، ونصّلت ثيّته، وكان مكتوفاً منذ أن دخل، بناءً علي المصادر التي نصّت علي أنّهم أوثقوه كتافاً عندما أسروه، أو وفق المصادر التي نصّت علي أنّ ابن الأمة الفاجرة اللعين أمر به فكتف (1).

ومع كلّ ما كان يقاسيه المولي الغريب (عليه السلام) من عطشٍ وجراحات

ص: 97

1- جمل أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 339، تاريخ الطبري: 5 / 392.

وإجهاد بعد أن بذل غاية المجهود في حربهم، وقد أوثقوه كتافاً، ولا زالوا يخشون سطوة البطل الهاشمي ويخافون صولته، فقد أدخلوه علي الجبان الرعيد «وقد اكتنفه الجلاوزة»! (1)

ويستفاد من قولهم: «فنظر في وجوه الناس» (2)، أي: المولي الغريب (عليه السلام) حينما أراد أن يوصي، وقولهم في نفس الموقف: «نظر إلي جلسائه» (3)، أو: «فنظر ابن عقيل إلي القوم، وهم جلساء ابن زياد، وفيهم عمر بن سعد» (4)، وما شاكلها من العبارات.. أن المجلس كان مكتظاً، وربما أذن اللعين للناس إذناً عاماً ليستخفهم ويخوفهم ويستعرض ما يخاله نصراً، بشهادة قولهم: «فنظر في وجوه الناس»، فإن كلمة (الوجوه) هنا سواء قصد بها (الشخصيات) أو الناس مطلقاً تفيد المعنى المذكور، فلو قصد الأول فهذا يعني أن ثمة جماعة مختلطة من (الشخصيات) الذين عبر عنهم بالوجوه وغيرهم من عامة الناس، فاقصر المولي الغريب (عليه السلام) في النظر إلي (الوجوه) منهم خاصة، لإمكان الوصية لهم دون سائر من حضر.

وإذا كان المقصود من قولهم: «وجوه الناس»، أي أن المولي (عليه السلام)

ص: 98

-
- 1- الأخبار الطوال للدينوري: 241.
 - 2- الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 2 / 5، العقد الفريد لابن عبد ربه: 4 / 378، جواهر المطالب للباعوني: 2 / 268، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 156.
 - 3- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 339، تاريخ الطبري: 5 / 375، الإرشاد للمفيد: 2 / 59، روضة الواعظين للفتال: 151.
 - 4- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 70.

تصّفح وجوه الناس عامة، فهو المقصود تماماً.

وكيف كان! فإنّ في عبارات من تعرّض لبيان ذلك ممّن ذكرناهم من المؤرّخين إشارات، بل دلالات واضحة، تؤكّد أنّ المجلس كان حاشداً يضمّ غير الجرو الأمويّ وحراسه وأفراده.

ويشهد لذلك أيضاً ما مرّ معنا من وقوف جماعة عليّ الباب ينتظرون الإذن، وفيهم «الأمرء وأبناء الصحابة».

التفاته: مواسة عيال سيّد الشهداء (عليه السلام)

صليّ الله عليك يا سيّدي ومولاي يا غريب كوفان! لقد واسيت إمامك وأخاك سيّد الشهداء (عليه السلام) في كلّ تفاصيل يومه في كربلاء، ولم يفتكّ مواساته في دخول هذا المجلس الذي سيشهد دخول الإمام زين العابدين (عليه السلام) ومخدرات الوحي وعقائل النبوة، والوقوف أمام هذا الطاعي الرذل الرعيدي!

رفض السلام عليّ ابن زياد

إشارة

تنقسم المصادر في قصة السلام عليّ ابن زياد إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: لم تذكر السلام

ثمّة جملة من المؤرّخين لم يذكروا السلام، بل ولم يذكروا حواراً بين الموليّ الغريب (عليه السلام) وسفير الحسين (عليه السلام) وبين ابن الأمة الفاجرة، من قبيل

ابن سعد (1)، والذهبي في (تاريخ الإسلام) و(سير أعلام النبلاء) (2)، وابن قتيبة (3)، والبلاذري (4)، والطبري في إحداه رواياته (5)، وابن عبد ربه (6)، والباعوني (7)، والمسعودي (8)، وابن حبان في (الثقات) و(السيرة) (9)، ومسكويه (10)، والشجري (11)، وابن شهر آشوب (12)، وابن الجوزي (13)، والبري (14)، وسبط ابن الجوزي (15)..

هؤلاء الذين سمعت أسماءهم من المؤرخين وكتبهم لم يذكروا السلام، ولم يشيروا إليه، وهم الأكثر والأقدم، كما سيوضح من خلال الملاحظة

ص: 100

- 1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 66.
- 2- تاريخ الإسلام للذهبي: 2 / 269، سير أعلام النبلاء: 3 / 201.
- 3- الإمام والسياسة: 2 / 5.
- 4- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 39، أنساب الأشراف: 2 / 81.
- 5- تاريخ الطبري: 5 / 392.
- 6- العقد الفريد لابن عبد ربه: 4 / 378.
- 7- جواهر المطالب للباعوني: 2 / 268.
- 8- مروج الذهب للمسعودي: 3 / 69.
- 9- الثقات لابن حبان: 2 / 308، السيرة النبوية: 557.
- 10- تجارب الأمم لمسكويه: 2 / 52.
- 11- الأمالي للشجري: 1 / 167.
- 12- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 10 / 320 - بتحقيق: السيد علي أشرف.
- 13- المنتظم لابن الجوزي: 5 / 326.
- 14- الجوهرة للبري: 43.
- 15- تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي: 139.

القسم الثاني: رفض السلام

وهذا القسم من المؤرخين انقسم إلي طائفتين، سنذكر هنا طائفة منهم وترك الأخرى الي القسم الثالث لتتم مناقشتهم في موضعٍ واحد، إذ أنّهم خلطوا الرفض بتمني الاستبقاء.

أمّا من ذكر رفض المولي (عليه السلام)، سليل الإباء والشهامة والنبيل والكرامة، فهو السيّد ابن طاووس في (اللهوف) ومَن تبعه، قال: فلَمّا أُدخل علي عبيد الله لم يسلم عليه، فقال له الحرس: سلّم علي الأمير، فقال له: أُسكت، ويحك، والله ما هو لي بأمرير. فقال ابن زياد: لا عليك، سلّمّت أم لم تسلم فإنّك مقتول.

فقال له مسلم: إن قتلتني فلقد قتل من هو شرُّ منك من هو خير مني.. (1).

وفي رواية أبي مخنف (المشهور) والطريحي في (المنتخب) -- واللفظ للأول -- : ثمّ أدخلوه علي ابن زياد (لعنه الله)، فلَمّا نظر مسلم إلي تجبّره قال: السلام علي من أتبع الهدى، وخشي عواقب الردي، وأطاع المليك الأعلى. فتبسّم ابن زياد (لعنه الله)، فقال بعض حجابيه: يا مسلم، أما تري الأمير ضاحكاً عليك (2)، لو قلت: السلام عليك أيها الأمير. فقال

ص: 101

1- اللهوف للسيّد ابن طاووس: 55.

2- في (المنتخب): «ضاحكاً في وجهك».

مسلم: والله ما علمتُ أن لي أميراً غير الحسين (عليه السلام)، وإنما يسلم عليه بالإمارة من يخاف منه. فقال ابن زياد (لعنه الله): سواء عليك سلّمت أو لم تسلّم، فإنك مقتول في هذا اليوم (1).

القسم الثالث: لم يسلم بشرط الاستبقاء

إشارة

يمكن تقسيم هذا القسم من المؤرخين إلي طائفتين:

الطائفة الأولى:

يبدو لنا -- حسب فحصنا -- أن أول من ذكر فرية تمّني الاستبقاء من خلال السلام علي ابن الأمة الفاجرة إنّما هو الدينوري في (الأخبار الطوال)، قال: فلمّا أدخل عليه وقد اكتنّفه الجلاوزة قالوا له: سلّم علي الأمير.

قال: إن كان الأمير يريد قتلي فما أنتفع بسلامٍ عليه، وإن كان لم يرد فسيكثر عليه سلامي.

قال ابن زياد: كأنك ترجو البقاء (2). ثمّ تلاه الطبري، فقال: وأدخل مسلم علي ابن زياد، فلم يسلم عليه بالإمرة، فقال له الحرسى: إلا تسلّم علي الأمير. فقال له: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه، وإن كان لا يريد قتلي فلعمري ليكثرن سلامي عليه. فقال

ص: 102

1- مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف (المشهور): 36، المنتخب للطريحي: 427 / 2، ينابيع المودة للقندوزي: 58 / 3.

2- الأخبار الطوال للدينوري: 241.

له ابن زياد: لعمرى لتقتلن. قال: كذلك! قال: نعم (1).

وتبعه علي ذلك الشيخ المفيد في (الإرشاد) (2)، وأبو الفرج الأصفهاني في (المقاتل) (3)، والفتال في (الروضة) (4)، والطبرسي في (الإعلام) (5)، وابن الأثير في (الكامل) (6)، وابن نما في (المثير) (7)، والنويري في (النهاية) (8)، وابن كثير في (البداية والنهاية) (9).

الطائفة الثانية:

ذكرنا في القسم الثاني أنّ ثمة مصادر ذكرت رفضه (عليه السلام) للوعد اللصيق، وأنّ المولى ردّ علي من دعاه للسلام ردّاً قوياً، وأوعز ذلكالي علّتين:

إحدهما: أنّه ليس له بأمر.

والثانية: أنّه لا ينتفع بالسلام وابن زياد يريد قتله، فإن استبقاه فليكثرنّ سلامه عليه.

ص: 103

1- تاريخ الطبري: 375 / 5.

2- الإرشاد للمفيد: 59 / 2.

3- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 70.

4- روضة الواعظين للفتال: 151.

5- إعلام الوري للطبرسي: 229.

6- الكامل في التاريخ لابن الأثير: 273 / 3.

7- مثير الأحزان لابن نما: 17.

8- نهاية الإرب للنويري: 402 / 20.

9- البداية والنهاية لابن كثير: 156 / 8.

قال ابن أعثم في (الفتوح)، والخوارزمي في (المقتل): فأدخل مسلم بن عقيل علي عبید الله بن زياد، فقال له الحرسي: سلّم علي الأمير! فقال له مسلم: أسكت لا أم لك! ما لك وللكلام؟ والله ليس هو لي بأمر فأسلّم عليه! وأخري فما ينفعني السلام عليه وهو يريد قتلي؟! فإن استبقاني فسيكثر عليه سلامي.

فقال له عبید الله بن زياد: لا عليك سلّمتم أم لم تسلّم، فإنك مقتول. فقال مسلم بن عقيل: إن قتلني فقد قتل شرّ منك من كان خيراً منّي (1).

فريّة تمّني الاستبقاء

إشارة

إنّ من يعرف سيوف الحسين (عليه السلام) وإباء الطالبين وأخلاق العظماء من عترة سيّد المرسلين (صلي الله عليه وآله)، وخريجي مدرسة أمير المؤمنين وسيّد الوصيين (عليه السلام)، يستبشع هذه الفريّة المفصوحة التي لا تصمد أمام النقد ولا تستحقّ المناقشة، ولا يستسيغ هذا اللون من الأكاذيب الممجوجة، ولا يحتاج إلي مناقشة الأقوال التي ترشح من فيح محابر الأمويين بروائحها التيتزكم الأنوف، وتخدش عفة المتعويدين علي السياحة في ساحات القدس والطهارة من شهداء الحقّ وأتباع الهدى.

ولكنّ ضرورة البحث تقتضي التوقّف عندها قليلاً، لمناقشتها باختصار من خلال الملاحظات التالية:

ص: 104

1- الفتوح لابن أعثم: 97 / 5، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 211 / 1.

الملاحظة الأولى: وجود نصوص لم تذكر السلام

رأينا في القسم الأول جملةً من المؤرخين ممن هو أقدم من الدينوري والطبري، وهم لا يروون هذه القصة ولم يشيروا إليها.

وعرفنا أنّ أول من ذكرها إنّما هو الدينوري ثم الطبري، وتبعهما الآخرون ممن جاء بعدهم، وجاءت عند ابن أعمم خليطاً غير متجانس من الردّ والقبول بشرط الاستبقاء.

ويبدو للمتأمل أنّ السيّد ابن طاووس قد نقل عبارة ابن أعمم، بيد أنّه أسقط منها ما لا يناسب المولي الغريب والبطل الهاشمي (عليه السلام)، فذكر الردّ واقتطع الاستبقاء، وهذا هو دأب السابقين في اختيار الأقوال، كما ذكرنا ذلك في أكثر من موضع من هذه الدراسات.

فإنّما أن يقال بما ذكره الذين سبقوا الدينوري، فتتفتي قصة إكثار السلام من أجل الاستبقاء من رأس.

وإنّما أن يقال بقول السيّد ابن طاووس وأبي مخنف (المشهور) والطريحي من الردّ علي من اقترح السلام، دون التورّط بذكر الاستبقاء، إذإنّه لا ينسجم مع شيم المؤمن فضلاً عن الفقيه العالم والشجاع الباسل والأبيّ الفاضل مسلم بن عقيل الهاشميّ الطالبّي (عليه السلام).

الملاحظة الثانية: علم المولي بشهادته

لقد ذكرنا سابقاً في بحث (الحرب الأخيرة) وفي غيره بالتفصيل أنّ

المولي الغريب (عليه السلام) كان عالماً بشهادته في الكوفة، وقد أخبر بذلك النبي (صلي الله عليه وآله) وسيد الشهداء الحسين (عليه السلام)، ومن كان عالماً بشهادته منتظراً متطلّعاً مترقباً بشوقٍ ولهفة لها لا يتخصّع بالقول ليطلب من الرجس النجس والعفن المتكلس ويستجديه أياماً قلائل يستبقه فيها علي قيد الحياة!

الملاحظة الثالثة: مجريات الأحداث تؤكد إرادة قتله

ذكرنا أيضاً في بحث (الحرب الأخيرة) تفاصيل كافية تدلّ بوضوح أنّ مجريات الأحداث وطبيعة ابن زياد البطاش ومهمته المخولة له من قبل القرد الأموي، الواضحة تماماً لدي المولي الغريب (عليه السلام) العالم، كلّها تؤكد أنّه مقتولٌ لا محالة، فلماذا يقف هذا الموقف الذي تأباه الأنوف الحمّية والنفوس الأبيّة والأرواح السامية؟!

الملاحظة الرابعة: طبيعة أخلاق الأحرار والأبّاء

لماذا يتوسّل الأبّي الغيور ويتزلف العزيز الشجاع الهصور إلي دعيّ يعرفه بخسّة النسب ونذالة الطبع؟ لا يمكن أن نتصوّر الصرح الشامخ والهامة العالية والقمة السامقة ينزل إلي القاع ويرغب في الدنيّة ويطلب من أولاد البغايا حياةً يكثر السلام عليه بالإمرة، وهو يعلم أنّ الحياة بيد واهب الحياة!

ليست هذه من أخلاق الأحرار الأبّاء، الذين سمعوا من سيدهم صرخةً

لا زالت تملأ سمع الزمان: «والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل»، و«موتٌ في عزٍّ خيرٌ من حياةٍ في ذلٍّ»..

إنَّ غيرَ المؤمن وحميَّته وتنزَّهه عن العيش في الأروقة الموبوءة وترفَّعه عن المذلَّة والهوان تأتي له أن يستعطي الحياة ويستوهب البقاء في الدنيا من ساقطٍ سافلٍ، قد غرز أقدامه -- التي لم تخطُ إلي طاعةٍ لله قطَّ -- في بركة الدماء ووحل الدنيا القذرة الرخيصة.

يا لله! يُقال في حقِّ الضرغام سليلِ الأنبياء، ومعلِّمِ التاريخ دروسِ الشهامة والشجاعة والاستبسال في الدفاع عن الحقِّ وأهله، والتائق إلي الشهادة ولقاء ربِّه، هذا الكلام؟!!!

وفي نصِّ المقتل المشهور والطريحي تعبير رائع يردُّ هذه المزاعم:

روي الطريحي أنَّ مسلماً (عليه السلام) قال: «والله ما لي أميرٌ غير الحسين بن علي (عليهما السلام)، وإنَّما يسلم عليه بالإمارة من يخاف منه الموت».

وفي لفظ (المقتل) المشهور: «والله ما علمتُ لي أميراً غير الحسين (عليه السلام)، وإنَّما يسلم عليه بالإمارة من يخاف منه».

الملاحظة الخامسة: إذا سلّم عليه بالإمارة، فما فرقه عن الخونة الذين خذلوه?!!!

لورضيّنا بما قاله المؤرّخ الخؤون الظالم للمولي الغريب (عليه السلام)، ويأبي الله ذلك لأوليائه الذين جعل لهم العزّة في كتابه الكريم..

فما هو الفرق إذن بين المولي الغريب (عليه السلام) وبين الآخرين الذين خذلوه،

وتخلّوا عن ربحانة الرسول (صلي الله عليه وآله) وقرّة عين المرتضى والزهراء البتول (عليهما السلام) ، وباعوا آخرتهم بالثمن الأوكس،
وخسروا حظّهم بالأرذل الأدنى؟!!!

أفعل أولئك الأوغاد والهمج الرعاع أكثر من أن سلّموا علي أولاد البغايا بالإمرة، ليستبقيهم أياماً قلائل؟!!

وقولهم افتراءً علي المولي الغريب (عليه السلام) : «ليكثرن سلامي عليه» يعني الملازمة، وليس المقصود أن يكرّر عليه السلام في ذلك الموقف مرّةً بعد مرّة، كما هو واضحٌ من سياق العبارة.

وهل يغدر ثقة الحسين (عليه السلام) -- والعياذ بالله -- ويتصلّ معتمد سيّد شباب أهل الجنّة عن المسؤوليّة الملقاة علي عاتقه، ويترك السلام بالإمرة علي إمامه الحسين (عليه السلام) ، ويسلّم علي ذنب القرد الأموي بالإمرة؟

ماذا فعل الخونة الذين غدروا بالمولي الغريب (عليه السلام) وأعرضوا عن الحقّ وأشاحوا وجوههم عن وجه الله، هل فعلوا غير إكثار السلام علي ابن الأمة الفاجرة ليستبقيهم؟!!

نستغفر الله ونتوب إليه من نسبة هذه النكبة النكدة الفقماء الشوهاء العمياء التافهة إلي عترة النبيّ المختار (صلي الله عليه وآله) ومبعوث أبي الأئمّة الأبرار (عليه السلام) .

الملاحظة السادسة: تجنّي المؤرّخ علي المولي (عليه السلام) بتأكيد حبه للحياة والبقاء

لقد ذكرنا -- في مواطن عديدة من دراستنا لحياة المولي الغريب (عليه السلام) ، فلا نعيد -- تأكيد المؤرّخ وإحاحه بسماجة، وإصراره بوقاحة، وإمعانه في

ممارسة التزوير لرسم صورة مشوّهة للبطل الهاشمي، وتكدير إشعاع البدر العَقيلي، وإبرازه في حُلّة لا تليق به ولا تسبغ عليه ولو جهد الحاقدون، فحاولوا إخفات هذا النور الباهر وطمس حقائق البدر المتألق بإشعاع الإمامة الزاهر، فصوروه في أكثر من موقف وعرضوه في أكثر من مشهد كواحدٍ منهم أو من أمثالهم -- والعياذ بالله --، يحبّ الحياة ويريد أن يبقى في هذه الدنيا مهما كلفه الثمن، منذ قصة التطير وما قبلها إلى قصة قبول الأمان وما بعدها، وما بينهما من صور مموّهة باهتة لا تليق بالمؤمن العادي من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) المخلصين، فضلاً عن ساداتهم ورجالهم وجماعهم ومفاخرهم وأوتادهم.

تنكّر ابن زياد للأمان الذي أمر به

تنكّر ابن زياد للأمان الذي أمر به

قال ابن أعثم -- وهو يروي أحداث المعركة واستمداد ابن الأشعث -- : «فأرسل إليه عبيد الله بن زياد: أن أعطه الأمان، فإنّك لن تقدر عليه إلّا بالأمان» (1).

وقال الخوارزمي في نفس السياق: «فأرسل إليه ابنُ زيادٍ أن أعطه الأمان، فإنّك لن تقدر عليه إلّا بالأمان المؤكّد بالإيمان» (2).

وفق هذا النصّ أمر ابن الأمة الفاجرة الخبيث ابن الخبيث ابن الأشعث أن يعطي الأمان للمولي الغريب (عليه السلام)، وأكّد له أنّه لا يقدر عليه إلّا

ص: 109

1- الفتوح لابن أعثم: 53 / 5.

2- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 208 وما بعدها.

بذلك.

وبهذا كذب الجرو الأموي (ابن زياد) مرّة بعد مرّة، والكذب ديدنه وطبعه، هو وأسياده الذين مكّنوه من رقاب المسلمين.

فكذب علي المولي الغريب (عليه السلام) وافترى عليه، وزعم أنه سيغترّ بأمانهم، وقد تبين كذبه، وفضحه البطل الهاشميّ حينما صرخ فيهم: «لا حاجة لي في أمان الغدرة الفجرة»، وقال في رجزه: «أخاف أن أخدع أو أغرّأ».

فبيّن لهم أنه قد عرفهم وعركهم وقرأ صحيفتهم المشؤومة وعالجهم مع عمّه أمير المؤمنين وأخويه (1) الحسن والحسين (عليهم السلام) (2). وكذب مرّةً أخرى حينما أمر بإعطاء الأمان وهو لا يريد.

فقد تنكّر اللّعين بعد أن رأى الأسد الطالبيّ مكتوفاً في القصر مشخناً بالجراح، قد كظّه الظمأ وفتّ كبده وتمزّقت أحشاؤه، وتسربل بالنبال والسهام، وتناثرت كدمات الحجارة ودمامل حروق القصب المشتعل بالنيران علي بدنه كالنجوم كثرة..

تنكّر لابن الأشعث الغويّ الخائن والرعيد الجبان، فلم يُنفذ أمانه كما قال البلاذري: «فأُتي به ابن زياد، وقد آمنه ابن الأشعث، فلم ينفذ

ص: 110

1- عبّر سيّد الشهداء (عليه السلام) عن المولي الغريب ب: «أخي»، ومن كان أخو الحسين يكون أخاً للحسن (عليهما السلام).

2- ناقشنا قصّة قبول الأمان في (الحرب الأخيرة) مناقشةً مفصّلة.

بل تنكّر له وزعم أنّه لم يرسله ليؤمنه وإنّما أرسله ليأتيه به، وكأنّ لم يأمره قبل ذلك بإعطاء الأمان بتاتاً.

روي الطبريّ في (تاريخه)، والشيخ المفيد، والفتال، وأبو علي مسكويه، والطبرسيّ في (الإعلام)، والخوارزميّ في (المقتل)، وابن الجوزيّ في (المنتظم)، وابن الأثير في (الكامل)، والنويري، -- واللفظ للأوّل -- قال:

«فأخبره محمّد بن الأشعث بما كان منه وما كان من أمانه إياه، فقال عبيد الله: ما أنت والأمان! كأنّ أرسلناك تؤمنه، إنّما أرسلناك تأتينا به. فسكت» (2). فاللّعة له ولابن الأشعث الذي «سكت»!! ولم ينتفض لشرفه وسمعته التي يدّعيها.

من أين تخجل أوجه أمويّة

سكبت بلذات الخمر حياءها

وهل للأدعياء وأبناء البغايا الرخيصات والجبناء الأذلاء سمعة وشرف ترتعش له الجوانح إذا مسّ أو خُدش!؟

ص: 111

1- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 339، أنساب الأشراف: 2 / 81.

2- تاريخ الطبري: 5 / 375، الإرشاد للمفيد: 2 / 59، روضة الواعظين للفتال: 151، تجارب الأمم لمسكويه: 2 / 52، إعلام الوري للطبرسي: 229، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 211، المنتظم لابن الجوزي: 5 / 326 - وفيه: «عبد الرحمان بن الأشعث»، الكامل في التاريخ لابن الأثير: 3 / 273، نهاية الإرب للنويري: 20 / 402، بحار الأنوار للمجلسي: 44 / 355.

لا شك أنّ المولي الغريب (عليه السلام) قد عهد بوصية من قبل أن يخرج من مكة، لاستحبابها الشرعي من جهة، ولأنّه عالم بمآل أمره، ومنطلق إلى شهادته الموعودة، مجدداً نحو يومه الذي ينتظره في الكوفة.

ومن الطبيعي جداً أن يتقدّم بالوصية لأهله وبياله وزوجته وأولاده وهم قادمون علي الشهادة والسبي، وهو يعلم من سيرجع منهم ممّن سيثوي في الأرض الطيبة مقيماً في رحال سيّد الشهداء (عليه السلام)، «حتي يبعث الله قائماً، يفرج عنها الهمم والكربات».

إذن، لمن أوصي؟ هل أوصي سيّد الشهداء (عليه السلام) ببياله وأولاده في الفترة التي سيكونون في حمايته حتّي تسقط الراية علي العلقمي؟!!

هل أوصي الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين (عليه السلام)، الولي بعد

الولي، والإمام بعد الإمام، بعمته (زوجة مسلم (عليه السلام)) وبمن سببني من أولاده؟

هل أوصي السيدة الحوراء الصديقة (عليها السلام)، باعتبارها حامية الركب الحسيني بعد الحماة بتفويض من سيد الشهداء والإمام السجاد (عليهما السلام) حتى يعود الركب إلى المدينة؟

هل أوصي أولاده وهو يعلم أنهم سيقاتلون ويُقتلون بين يدي سيد الشهداء (عليه السلام)؟

هل اتخذ من رجال الركب وحماته -- كأبي الفضل العباس وعلي الأكبر (عليهما السلام) -- كفيلاً لأهله وعياله؟

هل أوصي أولاده بأُمهم وأخواتهم، وملازمتهم لركاب السعادة بين يدي إمام الشهداء (عليه السلام)؟

هل أوصي زوجته، بنت الإمام وأخت الإمام وعمّة الإمام، وبكي لخدورها المسلوب ولرحلها المنهوب، ولأولادها المقطعين آراباً والمذبحين ظمياً، فحثّها علي الصبر ودعا الله أن يربط علي قلبها؟

هل أوصي بولديه الصغيرين محمّد وإبراهيم، وأوصاهما علي صغر سنّهما؟

وعشرات الأسئلة الأخرى التي لم نسمع لها في التاريخ جواباً، إلا أن يجمعنا الله وسيدنا ومولانا في الرجعة أو يوم القيامة، بفضلته ومنّه وكرمه ومغفرته وجوده، لنستمع إليه!

اختلفت المصادر التاريخية في تصوير هذا المشهد، وربما كان الاختلاف نتيجة الاختصار والإسهاب، أو لأي سبب آخر كان، بيد أنها -- علي كل حال -- ترسم مشهداً يختلف عن المشهد الذي يرسمه الآخر.

فهي تنقسم إلي مشاهد متعددة تعبر عن موقف واحد:

منها: ما يعرض المولي (عليه السلام) يتقدم بطلب الوصية إلي ابن زياد، فيجيبه بالإيجاب..

ومنها: ما يعرضه متقدماً بطلب الوصية مبادراً بها، دون انتظار جواب اللعين..

ومنها: ما يعرضه مبادراً إلي الوصية دون طلب..

ومنها: ما يعرضه طالباً لها، وابن سعد متوثباً مبادراً لقبولها دون انتظار الإذن من ابن زياد..

ومنها: من لم يذكر الوصية بتاتاً، وكأن شيئاً لم يكن.

وسنسمع هذه الأقوال من خلال استعراض نصوص المؤرخين:

طلب المولي (عليه السلام) وإجابة اللعين

طلب المولي (عليه السلام) وإجابة اللعين

قال ابن سعد والذهبي: فقال: دعني أوصي، قال: نعم (1).

وقال ابن قتيبة وابن عبد ربّه والباعوني: فقدّمه ليضرب عنقه، فقال:

ص: 115

دعني حتّي أوصي، فقال: أوص (1).

وقال الدينوري: فقال له مسلم: فإن كنت مُزْمِعاً علي قتلي، فدعني أوص إلي بعض من هاهنا من قومي، قال له: أوص بما شئت (2).

وقال أبو الفرج: قال: دعني إذاً أوصي إلي بعض القوم، قال: أوص إلي من أحببت (3).

وقال المفيد والفتال وابن الأثير والنويري في (نهاية الإرب) وابن كثير في (البداية والنهاية): قال: فدعني أوصي إلي بعض قومي، قال: افعل (4).

وقال الشجري: فقال: انذن لي في الوصيّة! فقال: أوص (5). وأقوال هؤلاء تتفق علي طلب الإذن بالوصيّة، ولكنها تختلف في التعبير عن ذلك.

أمّا في التعبير عن قول المولي الغريب (عليه السلام)، فقد جاءت بصيغ: «دعني أوصي»، «دعني حتّي أوصي»، «فدعني أوص إلي بعض من هاهنا من

ص: 116

1- الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 5 / 2، العقد الفريد لابن عبد ربّه: 378 / 4، جواهر المطالب للباعوني: 268 / 2.

2- الأخبار الطوال للدينوري: 241.

3- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 70.

4- الإرشاد للمفيد: 59 / 2، روضة الواعظين للفتال: 151، الكامل في التاريخ لابن الأثير: 273 / 3، نهاية الإرب للنويري: 402 / 20، البداية والنهاية لابن كثير: 156 / 8 - وفيه: «أوص» بدل «افعل»، بحار الأنوار: 355 / 44.

5- الأمالي للشجري: 167 / 1.

قومي»، «دعني إذاً أوصي إلي بعض القوم»، «فدعني أوصي إلي بعض قومي»، «أذن لي في الوصية».

وهذه النصوص مع اتفاقها علي المضمون، فإن فيها أدنى اختلاف في التعبير، حيث أطلقت بعضها طلب الوصية، وصرحت بعضها برغبة المولي (عليه السلام) في الوصية إلي «بعض القوم» من دون تحديد القوم، وصرحت بعضها برغبته (عليه السلام) في الوصية إلي بعض قومه بالخصوص ممن حضر «بعض من هاهنا من قومي»، وبعضها نصت علي رغبته بالوصية إلي قومه من دون التقييد بالحاضرين منهم.

مبادرة المولي بعد الطلب دون انتظار الإذن

قال الطبري: قال: فدعني أوص إلي بعض قومي، فنظر إلي جلساء عبيد الله.. (1). قال ابن نما: وإن كنت لا بدّ قاتلي دعني أوصي. فنظر إلي عمر بن سعد.. (2).

وقال الخوارزمي: ولكن إن كنت عزمت علي قتلي ولا بدّ لك من ذلك، فأقم إلي رجلاً من قريش أوصي إليه بما أريد. ثم نظر مسلم إلي عمر بن سعد... (3).

ص: 117

1- تاريخ الطبري: 375 / 5.

2- مشير الأحزان لابن نما: 17.

3- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 211 / 1.

هنا طلب المولي (عليه السلام) من ابن زياد أن يفسح له من الوقت ما يوصي به، ولكنّه يبادر فوراً للنظر إليّ الجلساء ويستدعي ابن سعد، كما عند الطبري وابن نما، وامتاز عنهما وعن غيرهما الخوارزمي مع اتفاه في أصل المشهد بإيكال اختيار الوصي لابن زياد بشرط أن يكون الوصي من قريش «فأقم إليّ رجلاً من قريش أوصي إليه».

ولكنّ المولي الغريب (عليه السلام) لم ينتظر حتّي يختار له ابن زياد، وإنّما يبادر هو بنفسه (فداه روعي) ليستدعي ابن سعد.

قول ابن أعم

قال ابن أعم والخوارزمي: ولكن إن كنت عزم علي قتلي ولا بدّ لك من ذلك، فأقم إليّ رجلاً من قريش أوصي إليه بما أريد. فوثب إليه عمر (1).

اعتاد الخوارزمي في (المقتل) بالنقل عن ابن أعم، وقد نقل هنا أيضاً عنه كما سمعنا قبل قليل، واتّق معه في طلب المولي (عليه السلام) أن يقيم له ابن زياد من يوصيه من قريش، بيد أنّ الخوارزمي لم ينقل عبارة ابن أعم التي يصرّح فيها أنّ ابن سعد بادر بشخصه التعيس لقبول الوصيّة.

وقد تفرّد ابن أعم بهذا النقل -- حسب فحصنا --، إذ أنّ الغالب يصرّحون -- كما سيأتي -- بأنّ ابن سعد تنكّر وأبي أن يقبل الوصيّة إلّا بعد

ص: 118

أن أذن له أو أمره ابن الأمة الفاجرة.

مبادرة المولي إلى الوصية دون طلب ذلك من اللعين

قال البلاذري: فأتني به ابن زياد، وقد آمنه ابن الأشعث فلم ينفذ أمانه، فلما وقف مسلم بين يديه نظر إلي جلسائه، فقال لعمر بن سعد بن أبي وقاص: إن بيني وبينك قرابة أنت تعلمها، فقم معي حتى أوصي إليك.. (1).

وقال البري: لما قدم ليقتل بين يدي عبید الله بن زياد، وقد أثنى جراحاً، نظر هل يري أحداً من قريش، فرأى عمر بن سعد، فقال: أدن مني.. (2). صرح البلاذري أن المولي الغريب (عليه السلام) بادر بالنظر إلي جلساء ابن زياد، واختار منهم ابن سعد، ثم ذكر عدلة اختياره من خلال كلام المولي مسلم بن عقيل (عليه السلام)، فهو إنما اختاره للقرابة بينهما.

أما في نص البري، فقد أجال المولي (عليه السلام) نظره ليري هل يجد أحداً من قريش في المجلس، فرأى ابن سعد فوق اختيار عليه.

ثم إنه (عليه السلام) بادر إلي الوصية مباشرة، ولم يطلب ذلك من ابن زياد.

ص: 119

1- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 339، أنساب الأشراف: 2 / 81.

2- الجوهرة للبري: 43.

لم يذكر الوصية:

لم يذكر الوصية جملةً من المؤرخين، منهم:

المسعودي في (المروج) (1)، وابن حبان في (الثقات) و(السيرة) (2)، وأبو علي مسكويه (3)، والطبرسي (4)، وابن شهر آشوب (5)، وابن الجوزي في (المنتظم) (6)، والسيد ابن طاووس في (اللهوف) (7).

موقف عمر بن سعد

إشارة

إنما نتناول موقف ابن سعد وفق أخبار من نقل الوصية خاصة، وهم ينقسمون إلى أصناف في بيان موقفه وموقف أميره وسيد ابن الأمة الفاجرة:

الصنف الأول: مبادرة ابن زياد

قال ابن سعد وابن نما -- واللفظ للأول -- : فنظر إلي عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال: إن لي إليك حاجة، وبينني وبينك رحم. فقال عبید الله:

ص: 120

1- مروج الذهب: 3 / 69.

2- الثقات لابن حبان: 2 / 308، السيرة النبوية: 557.

3- تجارب الأمم لمسكويه: 2 / 52.

4- إعلام الوري للطبرسي: 229.

5- المناقب لابن شهر آشوب: 10 / 320 - بتحقيق: السيد علي أشرف.

6- المنتظم لابن الجوزي: 5 / 326.

7- اللهوف للسيد ابن طاووس: 55.

أنظر في حاجة ابن عمك! (1)

يبدو من هذا النص أن المولي الغريب (عليه السلام) لما وجه الكلام إلي ابن سعد، بادر ابن زياد ليأمر ابن سعد ويدعوه للنظر في حاجة المولي الغريب (عليه السلام)، معللاً ذلك أنه ابن عمه.

الصنف الثاني: مبادرة ابن سعد

قال ابن أعثم: فأقم إلي رجلاً من قريش أوصي إليه بما أريد. فوثب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال: أوص إلي بما تريد يا ابن عقيل (2). وفي (المنتخب) للطريحي و(المقتل) المشهور لأبي مخنف -- واللفظ للأول -- قال: أريد رجلاً قرشياً أوصيه. فنهض عمر بن سعد (لعنه الله) (3).

في هذا النص يبدو ابن سعد مبادراً لقبول الوصية، لأنه عرف أن المولي (عليه السلام) يبحث عن رجل من قريش، فوجد في نفسه الكفاءة لذلك ونهض، أو «وثب» علي حدّ تعبير ابن أعثم، ولم يلتفت إلي ابن زياد.

بيد أن ابن أعثم نفسه يروي بعد سطرين تقريباً ما يؤكد أن الخبيث جبن وتردد في إجابة الدعوة وقبول الوصية، قال:

ص: 121

- 1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات: 66، مشير الأحران لابن نما: 17.
- 2- الفتوح لابن أعثم: 97 / 5.
- 3- مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: 36، المنتخب للطريحي: 427 / 2.

فَأَقِمِ إِلَيَّ رَجُلًا مِنْ قَرِيْشٍ أَوْصِيَّ إِلَيْهِ بِمَا أُرِيدُ. فَوُثِبَ إِلَيْهِ عَمْرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، فَقَالَ: أَوْصِ إِلَيَّ بِمَا تُرِيدُ يَا ابْنَ عَقِيلٍ. فَقَالَ: أَوْصِيكَ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّ التَّقْوَى فِيهَا الدَّرَكُ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَقَدْ عَلِمْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الْقَرَابَةِ، وَلِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ، وَقَدْ يَجِبُ عَلَيْكَ لِقْرَابَتِي أَنْ تَقْضِيَ حَاجَتِي. قَالَ: فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: لَا يَجِبُ (وَفِي نَسْخَةٍ: يَجِبُ) يَا عَمْرُ أَنْ تَقْضِيَ حَاجَةَ ابْنِ عَمَّكَ، وَإِنْ كَانَ مُسْرِفًا عَلَيَّ نَفْسَهُ!!! فَإِنَّهُ مُقْتَوْلٌ لَا مَحَالَةَ. فَقَالَ عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ: قَلَّ مَا أَحْبَبْتَ يَا ابْنَ عَقِيلٍ.. (1).

يبدو من مداخلة ابن زياد، وتفريع قول ابن سعد للمولي الغريب (عليه السلام): «قل ما أحببت يا ابن عقيل»، أن ابن سعد قد تلكأ وتردد أو أحجم عن قبول لوصية، ثم إنه عاد لسمعها.

وبناءً على هذا يكون النصّ داخلاً في الصنف الرابع، كما سيأتي.

وربما يشهد لذلك أن الخوارزمي نقل هذه الأحداث عن ابن أعثم حرفياً، بيد أنه تنبّه لما في هذا المقطع من الارتباك فغيّر النصّ هنا، ثم عاد إلي النقل عن ابن أعثم، فقال: فامتنع، فقال له ابن زياد: ما يمنعك من الاستماع لابن عمك؟ فقام عمر إليه... (2).

ص: 122

1- الفتوح لابن أعثم: 97 / 5.

2- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 211 / 1.

الصف الثالث: قبول ابن سعد دون انتظار الإذن

قال ابن قتيبة: فنظر في وجوه الناس، فقال لعمر بن سعد: ما أري من قريش غيرك، فادنُّ منِّي حتَّى أكلّمك. فدنا منه، فقال له: هل لك أن تكون سيّد قريش، ما كانت قريش ... (1).

وقال الدينوري: فقال له: أتقبل وصيّي؟ قال: نعم.. (2).

قال ابن عبد ربّه والباعوني والبري -- واللفظ للأوّل --: فقال لعمر بن سعد: ما أري قرشيّاً هنا غيرك، فادنُّ منِّي حتَّى أكلّمك. فدنا منه.. (3).

في هذه النصوص دعا المولي الغريب (عليه السلام) ابن سعد لقبول الوصيّة واختاره باعتبار قرشيّته -- في ظاهر الأنساب --، فأجاب ابن سعد دون أن ينتظر الإذن من ابن زياد.

الصف الرابع: امتناع ابن سعد إلا بعد الإذن

قال البلاذري: فقال لعمر بن سعد بن أبي وقاص: إنّ بيني وبينك قرابة أنت تعلمها، فقم معي حتّى أوصي إليك. فامتنع.. (4).

وقال الطبري: فنظر إلي جلساء عبيد الله، وفيهم عمر بن سعد، فقال:

ص: 123

1- الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 5 / 2.

2- الأخبار الطوال للدينوري: 241.

3- العقد الفريد لابن عبد ربّه: 4 / 378، جواهر المطالب للباعوني: 2 / 268، الجوهرة للبري: 43، نفس المهموم للقمّي: 116، معالي السبطين للمازندراني: 1 / 241.

4- جمل من أنساب الأشراف: 2 / 339، أنساب الأشراف: 2 / 81.

يا عمر، إنَّ بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب لي عليك نُجَحَ حاجتي، وهو سرّ. فأبي أن يمكّنه من ذكرها.. (1).

وقال أبو الفرج: فأبي أن يمكّنه من ذكرها، فقال له عبيد الله: لم تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمّك؟ (2)

وقال الشيخ المفيد والفتال: فامتنع عمر أن يسمع منه، فقال له عبيد الله: لم تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمّك؟! (3)

وقال الخوارزمي: فامتنع، فقال له ابن زياد: ما يمنعك من الاستماع لابن عمّك؟ فقام عمر إليه.. (4)

وقال ابن الأثير والنويري: فلم يمكّنه من ذكرها، فقال له ابن زياد: لا تمتنع من حاجة ابن عمّك.. (5)

وقال ابن كثير: فأبي أن يقوم معه حتّى أذن له ابن زياد (6).

هذه النصوص هي المشهورة، وهي لصنفٍ واحدٍ من المؤرّخين كما

ص: 124

-
- 1- تاريخ الطبري: 375 / 5.
 - 2- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 70.
 - 3- الإرشاد للمفيد: 2 / 59، روضة الواعظين للفتال: 151، بحار الأنوار: 44 / 355، أسرار الشهادة للدربندي: 226، معالي السبطين للمازندراني: 1 / 240.
 - 4- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 211.
 - 5- الكامل في التاريخ لابن الأثير: 3 / 273، نهاية الإرب للنويري: 20 / 402، نفّس المهموم للقمّي: 115.
 - 6- البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 156.

لاحظنا، ويبدو أنّ اشتهاها اعتضد بملايسات الظروف وطبيعة الأشخاص، من قبيل عمر بن سعد وجبنه وتخاذله وعبوديته، وغطرسة ابن زياد وجبروته وسطوته وبطشه، وحراجه الموقف وثقل المهمة، كلّ ذلك يؤكّد أنّ ابن سعد أقلّ وأحقّر وأضعف وأجبن من أن يبادر إلي قبول الوصية قبل أن يأذن له سيّده ومولاه.

دواعي اختيار عمر بن سعد

إشارة

قبل أن نتناول دواعي اختيار عمر بن سعد للوصية ودلالات ذلك، ينبغي التنويه إلي بعض النكات:

النكتة الأولى: عمل أهل البيت (عليهم السلام) بظاهر الأنساب

لقد كان من لطف أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ورفعتهم وعلوّ قدرهم وعظم شأنهم، أنّهم عملوا بظاهر الأنساب، ودعوا الناس إلي آبائهم المنسوبين إليهم المشهورين بهم بين الناس، وهم كجدّهم رسول الله (صلي الله عليه وآله) تماماً الذي قال: «فسلوني، فوالله لا يسألني رجلٌ عن أبيه وعن أمّه وعن نسبه إلاّ أخبرته به» (1)، وهم أعرّف الخلق بالخلق، يعرفون الناس طرّاً بأسمائهم وانتماءاتهم، وكانوا يكشفون ذلك علي رؤوس الأشهاد إذا دعت الضرورة لذلك، كما فعل رسول الله (صلي الله عليه وآله) حينما تعرّض الجلف الجافي لعمّته (2)،

ص: 125

1- كتاب سليم بن قيس: 237، بحار الأنوار: 30 / 313.

2- أنظر: كتاب سليم بن قيس: 237.

وفي ذلك شواهد كثيرة وردت في كتب الحديث والتاريخ.

ولا يسلم النسب -- في الغالب -- عامةً بالقطع واليقين في طول الشجرة -- أي شجرة كانت صعوداً ونزولاً --، إلا الشجرة الطيبة التي بسقت في الحرم وأثمرت سادات الأمم محمدًا وآله (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، ثم من بعدهم شيعتهم الأبرار، الذين يدعون يوم القيامة بأبائهم لطهارة مولدهم ونجابة الأرحام التي حملتهم، كما صرّحت به الأحاديث الصحاح عن النبي وآله (عليهم السلام)، وقد جعل النبي (صلي الله عليه وآله) لذلك علامة، فقال مخاطباً أمير المؤمنين وسيد الموحدين وقائد الغر المحجلين (عليه السلام): «يا علي، لا يبغضك إلا ابن حيضٍ أو ابن زنا».

وكيف كان، فإن الأئمة (عليهم السلام) خاطبوا الناس وعاملوهم علي ظاهر الأنساب لا علي واقعها الذي يعرفونه ويعلمون به عن الله تعالى، فخاطبوا ملوك بني العباس بأبناء العم، وفيهم من لا يُشكّ في كونه منسوباً إلي غير عمّهم جزماً، لأنّ قاتل الإمام لا يُشكّ أبداً في كونه ابن زنا، بل خاطبوا أحياناً بني أمية بهذا الخطاب.

وكذا فعل سيد الشهداء؛ «لما كان يوم الطفّ، قال شمر بن ذي الجوشن الكلابي للعبّاس وإخوته: أين بنو أختي؟ فلم يجيبوه، فقال الحسين لإخوته: أجيبوه وإن كان فاسقاً، فإنّه بعض أخوالكم» (1). وقد شهد سيد الشهداء (عليه السلام) نفسه يوم الطف أنّ شمر هذا ابن زنا، فقال

ص: 126

الحسين (عليه السلام) -- في خبر -- : مَنْ هذا؟ كأنه شمر بن ذي الجوشن! فقالوا له: نعم، فقال له: يا ابن راعية المعزي ... (1).

من هنا لا يُفهم من تعبير المولي الغريب (عليه السلام) «بعض قومي» أو «رجل من قريش» إقراراً منه بصحة انتساب عمر ابن سعد وسلامة نسبه. كما لا يُفهم منه إقرار المولي الغريب (عليه السلام) بإيمانه أو صحة إسلامه، فقد تداول أهل البيت (عليهم السلام) تعبير الرحم حتى مع المشركين والكفار وسكان جهنم والنيران، وقد اشتُهر عن رسول الرحمة (صلي الله عليه وآله) أنه كان كلما آذاه قومه الكفار وبالغوا فيما يفعلون، قال (صلوات الله عليه وآله): «اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون» (2).

وروي ابن شهر آشوب والطبري: إنه لما ضرب عليّ (عليه السلام) طلحة العبدري تركه، فكبر رسول الله (صلي الله عليه وآله) وقال لعلي (عليه السلام): ما منعك أن تجهز عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني الله والرحم حين انكشفت عورته، فاستحيته (3).

ولما أُردي (عليه السلام) عمرو أقال عمرو: يا ابن عم! إن لي إليك حاجة؛ لا تكشف سواة ابن عمك ولا تسلبه سلبه. فقال: ذاك أهون عليّ.

وفيه يقول (عليه السلام):

ص: 127

1- الإرشاد للمفيد: 96 / 2، أنساب الأشراف للبلاذري: 187 / 3، تاريخ الطبري: 322 / 4.

2- إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: 385 / 1.

3- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 322 / 4 - بتحقيق: السيد علي أشرف، تاريخ الطبري: 194 / 2، تفسير جامع البيان للطبري: 4 / 166.

وعَفَّفْتُ عن أَثوابه ولو أَنِّي

كُنْتُ المَقْطَرِ بَزْنِي أَثوابِي

فقال له عمر: هَلَّا سَلَبْتَ دَرَعَهُ! فَإِنَّهَا تَسَاوِي ثَلَاثَةَ آلَافٍ، وَليْسَ لِلعَرَبِ مِثْلُهَا؟ قال: إِنِّي اسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَكْشِفَ ابْنَ عَمِّي (1).

النكته الثانية: تَمَسَّكْ أَهْلَ البَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بِالقَرَابَةِ وَإِنْ بَعَدَتْ

ورد في حديثٍ طَوِيلٍ عَنِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا)، كَانَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ هَذَا الأبِّ الصَّالِحِ سَبْعُونَ أَبًا، فَحَفِظَهُمَا اللهُ بِصَلَاحِهِ (2).

وعن الرضا، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وآله): «لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ رَأَيْتُ رَحِمًا مَتَعَلِّقَةً بِالْعَرْشِ تَشْكُو رَحِمًا إِلَى رَبِّهَا، فَقُلْتُ لَهَا: كَمَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا مِنْ أَبٍ؟ فَقَالَتْ: نَلْتَقِي فِي أَرْبَعِينَ أَبًا» (3).

وقد سَمِّيَ الأئِمَّةُ (عليهم السلام) مَلُوكَ بَنِي العَبَّاسِ أبنَاءَ عَمِّ، رَغْمَ بُعْدِ النِّسْبَةِ بَيْنَهُمْ.

وسَيَأْتِي فِيمَا يَلِي الكَلَامَ فِي النِّسْبَةِ والقَرَابَةِ بَيْنَ المَوْلِيِّ الغَرِيبِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

ص: 128

1- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 4 / 331 - بتحقيق: السيّد عليّ أشرف، مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: 69 رقم 196.

2- علل الشرائع للصدوق: 1 / 62.

3- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): 2 / 254، الخصال للصدوق: 2 / 111، بحار الأنوار: 71 / 91.

النكته الثالثة: ما هي القرابة بين المولي الغريب (عليه السلام) وابن سعد؟

إنّ المولي الغريب (عليه السلام) كَلَّمَهُ باعتبار انتسابه -- في ظاهر الأنساب -- إلى قريش، وبنو زهرة فخذٌ من أفخاذ قريش.

ونسب المولي الغريب (عليه السلام) هو: مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (1).

وظاهر نسب اللعين هو: عمر بن سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب أبو حفص القرشي الزهري (2).

فهما يلتقيان في كلاب بن مرة.

نؤكد أنّ كلامنا كلّ وفق ظاهر الأنساب، وإلا فإنا لا نشكّ أنّ عمر بن سعد دعِيّ لصيق، وقد وردت النصوص الصحيحة الصريحة في أنّ قاتل الإمام ريحانة النبيّ (صلي الله عليه وآله) الحسين بن علي (عليهما السلام)، ابن زنا، وكذا قتلة الأنبياء والأوصياء والأئمة (عليهم السلام).

ص: 129

1- أنظر: العباس بن أمير المؤمنين حامل لواء الحسين (عليه السلام) للمؤلف: 33.

2- تاريخ دمشق لابن عساكر: 37 / 45.

النكته الرابعة: تشكيك البعض

شكك البعض في صدور هذه الوصيّة من المولي الغريب (عليه السلام) لعمر بن سعد، واستدلّوا لذلك بعدم ورودها في بعض المصادر، كما مرّ آنفاً، وأنّ المولي مسلم بن عقيل (عليهما السلام) يعرف ابن سعد وخبثه وخيانتته وشخصيّته ودناءته، فكيف يوصي له؟!

ولا يخفي أنّ عدم ذكر بعض المؤرّخين والعلماء لها يعدّ شاهداً، سيّما إذا كان علي وزان المسعوديّ وابن شهر آشوب والسيّد ابن طاووس، وهم إنّما يذكرون ما يختارونه في كتبهم في الغالب.

ولكن ورودها عند مؤرّخين آخرين قدماء ربما يكون عاضداً معتدّاً به، إذ ذكرها كثيرون وإن اختلفوا في التفاصيل، وقد أتينا علي ذلك مفصّلاً في بداية الحديث تحت عنوان الوصيّة.

أمّا معرفة المولي الغريب (عليه السلام) بابن سعد وخبثه وخيانتته فلا شكّ في ذلك، ولكن ربما كان في الوصيّة لهذا الشخص بالخصوص فوائد تترتّب بالرغم من وجود تلك الخصال الذميمة وأكثر فيه، وسنأتي علي الإشارة إلي بعض تلك الفوائد فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

الداعي المنصوص عليه

إنّ من يلاحظ النصوص التي روت الوصيّة والكلام الذي دار حولها، يري بوضوح أنّ الداعي المنصوص عليه في أكثر عبارة المؤرّخين علي لسان

المولي الغريب (عليه السلام) إنّما هي القرابة (1)، وأنّ ابن سعد هو القرشيّ الوحيد الحاضر في المجلس، وبذلك أخرج المولي الغريب (عليه السلام) ابن زياد من نسب قريش، كما صرّح له بذلك فيما بعد حينما قال له: «أما والله يا ابن زياد! لو كنت من قريش أو كان بيني وبينك رحم أو قرابة لما قتلتني» (2).

فهو (عليه السلام) لم يناشد ابن سعد بالله ولا بدين ولا بالنبيّ الأمين (صلي الله عليه وآله)، ولا بالأخلاق والشيم، ولا بأيّ خصلةٍ تثبت له مزيّة أو كرامة أو حسن سيرة ومعرفة سويّة، وإنّما ناشده بالقرابة والنسب، وهو ما يستجيب له أجلاف الجاهليّة وعتاة المردة، ويستقبح التنصّل منه كلّ إنسان مهما كان، ومع ذلك تنصّل عنها الخبيث إلاّ بإذن من مولاه السلطان.

وبالرغم من أنّه (عليه السلام) لم يكلف ابن سعد أيّ عطاءٍ خاص من عنده شخصياً -- كما سنسمع في تفاصيل الوصيّة وبنودها --، وليس عليه سوي التنفيذ فقط، إذ لا مال يدفعه من عنده ولا عطية يطلبها منه المولي (عليه السلام).

الدواعي غير المنصوص عليها

إشارة

أمّا الدواعي غير المنصوص عليها، وهي ما يمكن استفادتها واحتمالها من خلال التأمل في الأحداث والمواقف والنصوص وتحليلها، فإن عضدته الشواهد وساعدت عليه القرائن والمؤيّدات، ووافق روح المشهد العام،

ص: 131

1- لا حاجة في تكرار النصوص هنا بعد أن سمعتها مفصلاً خلال ما مرّ من البحث قبل قليل.

2- الفتوح لابن أعثم: 5 / 55.

فالحمد لله، وإلا فلا ضرر في أصل احتماله وتصوّره وتصويره، فربما أقتنع بعض الاحتمالات بعضاً، واقتنع آخرون بأخري.

وينبغي أن نقسّم الدواعي إلي قسمين لتكتمل الصورة وتّضح معالم الموقف أكثر، إذ أنّ ثمة دواعي تنتج أصل الإقدام علي الوصيّة، فيما تنتج دواعي أخري اختيار هذا الوعد الرعديد ابن سعد بالذات لها دون غيره.

والقسم الأوّل يساعد بالتالي علي إدراك القسم الثاني.

القسم الأوّل: الدواعي العامّة

الداعي الأوّل: العمل بالتكليف الشرعي

رُوي عن النبيّ (صلي الله عليه وآله): «مَن مات ولم يوصِ، مات ميتةً جاهليّةً».

وقال (صلي الله عليه وآله): «الوصيّة حقٌّ علي كلّ مسلم».

وقال (صلي الله عليه وآله): «مَن مات ولم يوصِ، فقد ختم عمله بمعصية» (1).

فالوصيّة أدبٌ شرعيّ أكّدت عليه الشريعة أيّما تأكيد، وهي في الوقت ذاته سيرة متعارفة وسلوك ثابت عند المتشرّعة، وعند الناس حتّي من غير المتشرّعة، وقد تعارف واشتهر إلي يوم الناس هذا أنّ مَن يُحكّم عليه بالقتل يؤذّن له بالوصيّة أو يبادر هو بها.

والمولي الغريب (عليه السلام) فقيهٌ عالمٌ من فقهاء آل محمّد (صلي الله عليه وآله)، لا يفوته هذا الأدب الشرعيّ، وقد عمل به بغضّ النظر عن الموصي إليه ومدّي التزامه

ص: 132

بالتنفيذ أو التنصّل، إذ أنّ الوصيّة ذاتها تكليف.

الداعي الثاني: الردّ عليّ شبهات الأعداء وتضليلهم

إنّ العدو المتسلّط العنيد دأب في حربه المضلّلة عليّ عرض أهل بيت النبوة في زيّ الخوارج والخارجين عن الإسلام، فكانت الوصيّة -- مطلقاً ولا بن سعد خاصّة -- ردّاً عليّ تلك المزاعم الباطلة وكسراً لوسائل التضليل المتمحّلة، وتدليلاً عليّ خلاف ما يقوله المبطلون، فهو يوصي كأيّ مسلمٍ من المسلمين، ويشهد بالوحدانيّة لله ربّ العالمين وبالنبوة لخاتم المرسلين.. وهذا ما التزمه أهل البيت (عليهم السلام) أمام أعدائهم أعداء الله، والتزمه سيّد الشهداء (عليه السلام) وأصحابه النجباء (عليهم السلام)، وكان آخر رجزٍ لسيّد الشهداء (عليه السلام) : «أمضي عليّ دين النبي (صلي الله عليه وآله)».

الداعي الثالث: وجود ضرورة في بعض موارد الوصيّة

يلاحظ أنّ بنود الوصيّة كلّها ضرورات ملحّة وموادّ مؤثّرة، ووصايا فاعلة، لا ينبغي التهاون فيها والتغافل عنها، لعمق تأثيرها في حركة التاريخ وكشفها عن فراغ الذمّة أمام الله في تنفيذ أوامر الإمام المفترض الطاعة، أو فراغ الذمّة الشخصية من مطالبات الناس عامّة، وتبرير حقّ لمواقف الموليّ الغريب (عليه السلام) وتفسير لها عليّ مدي التاريخ وكرّ العصور والدهور.

إضافة إليّ ما تضمّنته من تعريضٍ وإشعارٍ وتنويهٍ وتحذيرٍ وإقامة للحجّة عليّ الخارجين عليّ إمام زمانهم.

الداعي الرابع: ابلاغ سيّد الشهداء (عليه السلام) لإتمام المهمة وانجازها علي أكمل وجه

هذا الداعي يندرج تحت العنوان السابق، وإنّما أفردناه هنا للأهمية وإلفات النظر إليه، فربما كان هو الداعي الأساسي والأصل في الوصيّة، باعتباره الفرصة الأخيرة للتأكّد والاحتياط في إنجاز المهمة، وطمأنة النفس المتكدّرة الولهي علي سيّد الشهداء (عليه السلام) وركبه، وقد أتينا علي بيان هذا الداعي مفصلاً في (مسلم بن عقيل -- ثائر أم سفير).

الداعي الخامس: إقامة الحجّة علي ابن زياد وغيره من الأذنان

إنّ المولي الغريب (عليه السلام) يعلم أنّ أمر الوصيّة سيّضح بالمآل للجميع، ونحن نطمئنّ بلا تردّد أنّه (عليه السلام) كان يعرف ابن سعد وخيائته، وأنّ الوصيّة سيفشي بها، فلا تكون خفية ولا تبعد عن الطغام الذين احتوشوه وتكاثروا عليه، وكان ابن سعد نفسه من المقرّبين عند الجرو الأموي، ومن أدواته الفذرة وأعوانه والكلاب التي تلهث في ديوانه، وقد كلّمه المولي الغريب (عليه السلام) بألفاظ متينة ومعاني جزلة رصينة، يفهمها كلّ من سمعها. وكان بفعله ذلك قد أقام الحجّة عليهم جميعاً، وعلي ابن سعد خصوصاً، وأبان لهم المحجّة، وعرض عليهم غدرهم وخيانتهم وخذلانهم للحقّ وأهله، وأراهم ما هم عليه من سوء العاقبة، وغبّ المواقف الجانحة، وأنّهم قوم متذبذبون كاذبون متقلّبون، دينهم الدنيا وأثمتهم أربابها.

ويخطابه هذا قد أتمّ عليهم الحجّة، ووعظهم أبلغ الموعظة، ولكنّهم قد

استحوذ عليهم الشيطان، فأعماهم وأصمهم وأمات قلوبهم.

(إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتِي وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ)، (وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ).

لقد عرّفهم المولي (عليه السلام) بحقيقة أمرهم، وأخبرهم عن دخائل أنفسهم ومعاهد ذواتهم التي عقدت علي الخيانة والغدر، كما فعلوا من قبل بأمر المؤمنين وابنه الحسن الأمين (عليهما السلام)، وأنهم لن يجانبوا مقارفة الأخلاق الذميمة وارتكاب الدنيّة في دينهم وديناهم، فعلمهم من خلال ما رفعه لسيد الشهداء (عليه السلام) في الوصيّة وطلب الرجوع منه، بناءً علي ما أمره به الإمام نفسه (عليه السلام)، إذ أمره أن يري ما عليه الناس فيخبره بالإقدام أو بغيره، كما ورد في نصوص تكليفه بالمهمّة.

وكأنّه (عليه السلام) يريد أن يقول لهم: إنكم إن كنتم عاجزين عن نصر الحقّ والوقوف في صفّ أولياء الرحمان، فلا تتركوا إليّ الذين ظلموا وتمنعوا الإمام (عليه السلام) وتكونوا ضمن جند السقيفة الذين يدعوه إلي ما يدعو إليه أربابها، ويقترحون عليه النزول علي حكم أولاد الأدياء، فإنّ سيد الشهداء (عليه السلام) قال لهم مرّة بعد أخرى -- لإتمام الحجّة عليهم --: «دعوني» (1)، فأبوا إلا أن ينزل علي حكم أربابهم، والحسين (عليه السلام) سيد

ص: 135

1- أنظر: البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 179، الكامل في التاريخ لابن الأثير: 4 / 62، ← → المنتظم لابن الجوزي: 5 / 336، الإرشاد للمفيد: 2 / 85، روضة الواعظين: 1 / 181، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 4 / 97 ط قديم، بحار الأنوار: 44 / 384.

الكائنات يومها والإمام المفترض الطاعة علي الخلق أجمعين!

فكأنّ المولي الغريب (عليه السلام) يقول لهم: لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم عذاب أليم، إذا قال لكم: دعوني، دعوه، ولا تكونوا خاذلين قاتلين، فأني أخبرتكم بكم وبغدركم، وأنتم تعرفون أنفسكم وما انطوت عليه قلوبكم من الغدر والخيانة، فاعملوا علي خلاصكم من التورّط في حربه ولا تقتلوه (1).

الداعي السادس: كانت وصيته (عليه السلام) بمثابة تبليغ بحركة الإمام والدعوة إلي نصرته

حينما يؤسّر الإنسان الحرّ الأبي والشجاع القوي، يبقي ثابتاً راسخاً، تسربله السكينة وتحيطه الطمأنينة، لا يتزعزع ولا يتلجلج ولا يتردد في القيام بمهمّته، والإمعان في التنكيل بعدوّه، وتنفيذ ما أُسّر لأجله.. فالمولي الغريب (عليه السلام) أكبر من الطغاة، فلا يقاس بوقوفه أسيراً أمام الجرو الأموي الرعديد الجبان..

فقد أقدم المولي الغريب (عليه السلام) -- رغم غربته ومحنته وألمه وجراحاته -- علي فعل زلزل الأرض تحت أقدام القزم وليد المومس النتنّة، إذ ويخّ الناس علي لسان قاتل الحسين (عليه السلام)، وكشف لهم زيفهم، ودعاهم وحرّضهم من خلال إعلانه لسيد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) أنّ القوم قد نكثوا، وأنهم لم

ص: 136

1- أنظر: مسلم بن عقيل.. الحرب الأخيرة: 211 وما بعدها.

يفوا بما وعدوا، وأنهم تركوا ابن رسول الله (صلي الله عليه وآله) لابن مرجانة!

وفي ذلك تحريضٌ واضح، وشحنٌ للهمم، وإثارة لكوامن النفوس إن كان فيها بقيّة من ذمم ورواسب من الحميّة والشعور بالندم، وصعقة شاحنة للقلوب الخاوية إذا كان فيها ذبالة خافتة من الروح أو آثار من بقايا الحياة..

وبكلمة أُخري: كان مشهد المولي الغريب (عليه السلام) هنا في وصيّته تماماً كمشهد السفير الغريب قيس بن مسهر الصيداوي، إذ «أقبل بكتاب الحسين (عليه السلام) إلي الكوفة، حتّى إذا انتهى إلي القادسيّة أخذه الحصين بن نمير، فبعث به إلي عبيد الله بن زياد، فقال له ابن زياد: إصعد إلي أعلى القصر فسبّ الكذاب ابن الكذاب!!! عليّ بن أبي طالب وابنه الحسين.

فصعد، فحمد الله وأثني عليه، ثمّ قال: أيّها الناس! إنّ هذا الحسين ابن علي خير خلق الله، وهو ابن فاطمة بنت رسول الله (صلي الله عليه وآله)، وأنا رسوله إليكم، وقد فارقتُ بالحاجر من بطن ذي الرمة، فأجيبوه واسمعوا له وأطيعوا. ثمّ لعن عبيد الله بن زياد وأباه، واستغفر لعليّ والحسين. فأمر به ابن زياد، فألقي من رأس القصر، فتقطّع، ويقال: بل تكسّرت عظامه، وبقي فيه بقيّة رمق، فقام إليه عبد الملك بن عمير البجلي فذبحه» (1).

ص: 137

الداعي السادس: كشف خبث ابن زياد وجرأته علي الجنّة والتمثيل بها

لقد كشف المولي الغريب (عليه السلام) -- من خلال بعض بنود الوصيّة -- عن عمق معرفته بأعدائه عموماً وبابن الأمة الفاجرة خصوصاً، ومعرفته بعمق العداوة والحقد والبغضاء المتجدّرة في شعاب الأرواح الشريرة المتولّدة علي فُرْش ذوات الأعلام المحمّلة بالضغائن المتقيحة علي عترة النبي (صلي الله عليه وآله) وسادات الأنام، فنصّ علي أخذ جثته المقدّسة لتواري في التراب، وإلا فمن يُقتل يُدفن!

وفي بعض المتون: أوصي باسترجاع فرسه وسيفه لتسديد دينه، ليعلن بذلك علي مسامح الزمن أنّ القوم قد سلبوه عدواناً وغلبةً لا استحفاً، وأنّ سلبه ليس حلالاً لهم، وأنها لا زالت ملكه يتصرّف بها.

وفي ذلك دلالة علي علمه بما يجري عليه قبل وبعد الشهادة، فالعجب ممّن يجعل مشاهد المولي الغريب (عليه السلام) في الكوفة كلّها مفاجآت كأنّها الصواعق تنزل عليه في كلّ خطوة، فتتهمر عليه السماء وتتفجر الأرض أمامه، فلا يدري كيف يتعامل معها ولا يهتدي إلي سبيل للخروج من غمراتها والنجاة من دوّامتها!!

فقد أنبا المولي الغريب (عليه السلام) -- بوصيّه باستنقاذ جثته من براثن الوحش الكاسر والوغد المتوحّش -- أنّه علي علم تامّ بما سيجري عليه، فهو (عليه السلام) يعرف عدوّه تماماً، ويعلم بمصيره وحركته وما يؤول إليه أمره، ويعرف

تفاصيل شهادته، إمّا بالأخذ عن إمامه (عليه السلام) الصادق المصدّق والمعصوم عن الخطأ الذي لا يكذب ولا يُكذّب، وإمّا بمتابعته للأشخاص ومعرفته بالأعداء وسلوكياتهم وخلفياتهم وأخلاقياتهم، ومعرفته لمجريات الأحداث، أو للإثنين معاً.

فهو (عليه السلام) -- علي كلّ حالٍ وفي أيّ تقدير -- ليس غريباً عن الواقع الذي يتحرّك فيه، ولا مستغرباً من الوقائع ولا متفاجئاً بما يراه من القوم قادةً وأتباعاً.

وبهذا أصاب المولي الغريب (عليه السلام) أهدافاً شتّى، كالكشف عن حقيقة الأعداء، والكشف عن عمق معرفته، ليكون واضحاً للأجيال المتعاقبة، والعيون المراقبة، والأفلام التي تريد الخوض في معرفة شخص المولي الغريب (عليه السلام)، أنّه لم يكن كما يصوّره المؤرّخ ويحلّله الكتاب ويتّهمه به المغرضون والسُدّج وغير المغرضين: إنّهُ عالمٌ عارفٌ بكلّ التفاصيل!

القسم الثاني: الدواعي الخاصّة

الداعي الأوّل: القرابة بين سيّد الشهداء (عليه السلام) وابن سعد

قال الشيخ المظفّر في هامش كتابه (مسلم بن عقيل سفير الحسين (عليه السلام)): «القرابة المشار إليها أنّ أمّ النبي (صلي الله عليه وآله) آمنة وأمّ حمزة هالة من بني زهرة» (1).

ص: 139

1- سفير الحسين (عليه السلام) مسلم بن عقيل للمظفّر: 116.

ونسب مولاتنا المظلومة أم النبي (صلي الله عليه وآله) هو: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب (1).

فهي من بني زهرة، وبنو زهرة أحوال سيّد الشهداء (عليه السلام)، وقد صرّح بهذا الداعي الشجري في (أماليه)، فقال: «فدعا عمر بن سعد للقرابة بينه وبين الحسين» (2).

وهذه القرابة لها دورٌ كبير عادةً في إثارة الهمم والحمية والحماس للذبّ والدفاع عن القريب والمنتسب.

الداعي الثاني: إقامة الحجّة علي ابن سعد

إنّ المولي الغريب (عليه السلام) -- لقربه من معادن العلم وينايع الحكمة ومهابط الوحي وأخبار الغيب، وباعتباره واحداً من المؤمنين والمسلمين -- كان يعلم علم اليقين أنّ عمر بن سعد قاتل ریحانة النبي (صلي الله عليه وآله) وسيّد شباب الجنة أجمعين، وقد شاع هذا الخبر وذاع وعرفه القريب والبعيد، فقد روي عبدالله بن شريك العامريّ قال: كنتُ أسمع أصحاب عليّ (عليه السلام) إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون: هذا قاتل الحسين بن علي (عليه السلام)، وذلك قبل أن يُقتل بزمان (3).

ص: 140

1- الكافي للكليني: 1 / 439.

2- الأمالي للشجري: 1 / 167.

3- الإرشاد للمفيد: 2 / 135، كشف الغمّة للأربلي: 2 / 9، إثبات الهداة للحرّ العاملي: 2 / 479، بحار الأنوار: 44 / 263.

وفي (تاريخ دمشق) و(الكامل في التاريخ) -- واللفظ للأول --، مسنداً عن عبدالله بن شريك، قال: أدركتُ أصحاب الأردية المعلّمة وأصحاب البرانس من أصحاب السواري، إذا مرّ بهم عمر بن سعد قالوا: هذا قاتل الحسين، وذلك قبل أن يقتله (1).

والأخبار في ذلك والدلالات كثيرة، ولهذا جعل المولي الغريب (عليه السلام) هذا القاتل اللعين مكلفاً، وأخبره بما سيجري، وأقام عليه الحجّة، وأخذ من كلّ جهاته، وقد ذكرنا قبل قليل وجه إقامة الحجّة، كما أشرنا إلي ذلك في (مسلم بن عقيل -- الحرب الأخيرة)، و(مسلم بن عقيل -- ثائرٌ أم سفير)، وغيرهما، فلا نعيد.

الداعي الثالث: موقع ابن سعد

باعتبار أنّ عمر بن سعد بن أبي وقاص له موقعٌ خاصّ بامتداداتها الاجتماعية والسياسية، وانتسابه إلي سعد بن أبي وقاص بمكانته الخاصة عند الأمويين والكوفيّين من أتباع العجل والسامري، ورتبته العسكرية والاجتماعية عند ابن الأمة الفاجرة، وانتسابه القرشيّ في ظاهر الأنساب، وارتباطاته بالمجتمع المدني والمكي بالحيث العشائري والقبلي، وحاجة ابن زياد له في القريب العاجل في حربه علي الله ورسوله وإمام زمانه سيّد الشهداء الحسين (عليه السلام) وأنصاره، كلّ ذلك يؤهّله للاضطلاع بتلك المسؤولية والقيام بتلك المهمّة الخطيرة، لِمَا له من قوِيّ تميّزه عن غيره من

ص: 141

1- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 32 / 48، والكامل في التاريخ لابن الأثير: 370 / 3.

الحاضرين في ذلك المجلس المشؤوم.

الداعي الرابع: إخراج ابن سعد أمام الملأ

لقد دعا المولي الغريب (عليه السلام) ابنَ سعد اللعين علي رؤوس الأشهاد، واستوصاه علي مرأي ومسمع من الحاضرين، فإمّا أن يقبل ابن سعد أو يردّ، ولا خيار آخر له.

فإن ردّ، فسوف يتعرّي أمام الجميع، ويكشف عن طويّته وسقوطه ودناءته وجبنه وتحلّله عن أيّ التزامٍ يدخله في حضيرة البشر من أمثاله من الأوغاد.

لأنّ ردّه لوصيّة قريبٍ ينتمي إليه في العشيرة والنسب، وهو غريب ليس له من أبناء قومه سواه، وهو عازمٌ علي الموت ولا محيص من قتله، لا يحتمله أيّ مخلوقٍ مهما كان ضيعاً.

وإن قبل وصيّته، فسوف يخرجه أمام أميره وسيّده البطّاش، ويخرجها أمام الناس، فسرعان ما يقدم اللّعين علي قيادة العسكر لقتال ريحانة النبي القرشي (صلي الله عليه وآله)، والحال إنّ كان بالأمس القريب يرسل إليه الرسل، ويبلغه بما جري علي مسلم (عليه السلام)، ويدعوه علي لسان مسلم (عليه السلام) أن يعود ولا يقدم، ويقوم بمهام تخصّ مسلم (عليه السلام) مبعوث الحسين (عليه السلام)، وهو القرشيّ الذي يمتّ إلي الحسين (عليه السلام) بصلّةٍ في ظاهر الأنساب.

ص: 142

اتّقت المصادر التي ذكرت الوصية أنّ عمر بن سعد قد قبل الوصية علي التفصيل المذكور آنفاً في (موقف عمر بن سعد)، ومن البديهي أنّ ثمة دوافع دفعته إلي قبول هذه المهمة العسيرة في ساعة العسرة والظرف الحرج..

ونحن نتوقع جملةً من الدواعي قد يكون أحدها كافٍ في تفسير الموقف، وقد يكون بعضها أو جميعها، فربما اقتنع القارئ بوحدة أو بأكثر، وربما قنع آخر بغير ما اقتنع به الأول، وهكذا هو الحال في كلّ ما نذكره من احتمالاتٍ في دراستنا.

وعلي كلّ حال، لا بدّ من ملاحظة العامل الغيبيّ دوماً في تحليل كلّ حالٍ أو تفسير أيّ مقال، فربّما كان قبول ابن سعد (لعنه الله) للوصية - بالإضافة إلي الاحتمالات التي سنأتي علي ذكرها -- من باب إقامة الحجّة عليه من قبل ربّ العالمين (جلّ وعلا)، فهو يُجري الحقّ علي لسان المخالفين، ويقيم عليهم الحجّة باختيارهم المحجّة والإعراض عنها علي علم، ليهلك من هلك منهم عن بيّنة..

الداعي الأول: الداعي المنصوص

تصرّح النصوص التاريخيّة التي ذكرناها مفصّلاً تحت عنوان (موقف عمر بن سعد) أنّ ابن سعد إنّما قبل الوصية امتثالاً لأمر ربّه ومولاه وسيّده

ابن الأمة الفاجرة، وإطاعة له، وتصريح جملة منها أنه امتنع من إجابة المولي الغريب (عليه السلام)، ثم عاد فقبل إطاعة لمولاه الزنيم ابن زياد.

وبناءً على هذا التصور يكون القبول وفق معايير الذل التي ارتضاها ابن سعد لنفسه، وهي العبودية للقروذ الأموية وأذناؤها، فلا تدل حينئذٍ علي أي تأثيرات في شخصيته كقابل، وينتقل الكلام في تفسير الموقف للبحث عن دوافع ابن الأمة الفاجرة.

كما أن هذا الدافع المنصوص سيلغي الحاجة إلى التمعن في الدوافع الأخرى، وينتهي الكلام هنا إذا كان الدافع الأصلي هو الطاعة للسلطان الغاشم.

الداعي الثاني: التفاخر والمباهات

ورد في الحديث عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، عن أبيه (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وآله): «قسم الله (تبارك وتعالى) أهلاً لأرض قسمين، فجعلني في خيرهما، ثم قسم النصف الآخر علي ثلاثة، فكنْتُ خير الثلاثة، ثم اختار العرب من الناس، ثم اختار قريشاً من العرب، ثم اختار بني هاشم من قريش، ثم اختار بني عبد المطلب من بني هاشم، ثم اختارني من بني عبد المطلب» (1).

وقد ورد بهذا المعني أحاديث متظافرة كثيرة عند الخاصّة والعامة، وقد

ص: 144

سمعها ابنُ سعدٍ ووعاها، فلمّا عمل المولي الغريب (عليه السلام) بظاهر الأنساب ونماه إلي قريش أمام الناس، نفخ فيه روح الزهو والفخر والمباهاة، وحملته الحميّة علي الشبث بهذا الانتساب تكبراً علي الحاضرين وتمطياً علي ابن زياد اللّعين، فإنّ في نسبة ابن سعد دون غيره إلي قريش تعريضاً واضحاً بكبير الأقرام الحقراء في ذلك المجلس.

الداعي الثالث: الإحراج أمام الملأ

ربما يقال: إنّ المولي الغريب (عليه السلام) دعا ابنَ سعدٍ أمام الحاضرين في المجلس ونسبه إلي قريش، وهو في تلك الحال والموقف الاستثنائي؛ غريباً وحيداً فريداً، لا أهل يحضرونه ولا عشيرة يؤوونه، ولا ناصر ولا معين، وقد حضرته المنية واقترب منه الأجل المحتوم بين أناسٍ جُفاةٍ أجلاف، فلورّد الوصيّة في مثل تلك الظروف التي يصعب تصويرها، لكانت عاراً عليه وعلي أهله وعشيرته، لا تستره الأيام ولا تمحوه السنين، ولبقيت سُبّةً علي مرّ العصور.

بيد أنّ هذا الداعي يكذّبه موقف اللّعين من ريحانة النبيّ (صلي الله عليه وآله) وجنباياته التي ضجّ لها الملكوت الأعلي، وتزعزع لها عرش الرحمان، ونكب بها الأرض ومن عليها إلي يوم القيامة، فهو مخلوقٌ لا يرعي إلّا ولا ذمّة، ولا يحتوي وجوده إلّا الخسّة والضعة والرجس والوحشيّة والتتكّر للقيم، وهل يكون فيمن سبي حرم الله ورسوله ما يحمله علي الفخر والمباهاة

بالانتساب إلي الأعراق؟! إلا أن يكون فخراً بالجاهلية الجهلاء!

الداعي الرابع: الطمع في تكذيب الصادقين

إنّ اللعين ابن سعد كان يعلم -- من خلال ما سمعه من النبيّ (صلي الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) والصالحين -- أنّ الحسين (عليه السلام) مقتولٌ في كربلاء لا محالة، وأنّ عمر بن سعد سيكون قائداً لذلك الجيش المنكوس المغضوب عليه الذي سيقتل حبيب الله الحسين (عليه السلام)، وقد ورد في ذلك النصوص الكثيرة المتظافرة المستفيضة، لا نريد الإطالة هنا بذكرها وهي موجودةٌ في مضانها لمن أرادها.

فربّما طمع اللعين في أن يكون هو السبيل لإبلاغ الإمام سيّد الشهداء الحسين (عليه السلام) بما جرى علي أخيه مسلم (عليه السلام)، فينشئ ويرجع فلا يُقتل! وبهذا يكذب النبيّ (صلي الله عليه وآله) ويكذب الأئمة الصادقين (عليهم السلام) -- والعياذ بالله --، فيجاهر بالحجّة والبراهين، وينفي أخبار الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام)، فيعود الناس بذلك إلي ما فارقه ظاهراً من دين آبائهم المشركين..

الداعي الخامس: أن تكون له يدٌ عند الهاشميين

إنّ ابن سعد اللعين يعرف جيّداً مكارم أخلاق الهاشميين عموماً والطالبيين خصوصاً، ويعلم جيّداً أنّهم أوفياء لا يتركون عملاً إلا جزوه بالإحسان، وهو لا يعرف ماذا سيجري في مستقبل الأيام، وإن كان يعرف أنّه قاتل الحسين (عليه السلام)، كما نصّت عليه الأخبار وعلمه الناس أجمعين..

فأراد بقبول الوصية أن تكون له يدٌ عند الطالبين، تكون له ذخراً ربما ينتفع بها في يومٍ من أيام عمره النحس.

هل كانت الوصية سراً؟

إشارة

أعرض بعض المؤرخين عن ذكر الوصية من رأس، وأعرض آخرون عن الإشارة إلي ما يفيد السرية أو غيرها (1)، رغم أنهم ذكروا الوصية، وجاءت بعض العبارات بلفظ: «فادنُ منِّي حتَّى أكلمك، فدنا منه» (2)، و«فقم معي حتَّى أوصي إليك، فامتنع، فقال ابن زياد: قم إلي ابن عمك، فقام» (3)، وفي مثل هذين التصريحين لا يمكن استفادة قصد المولي (عليه السلام) أن تكون وصيته سرية، إذ أن موضع وقوف المولي الغريب (عليه السلام) لا شك غير موضع جلوس الوغد التعيس ابن سعد، فلا بد أن يستدنيه أو يأمره بالقيام ليقترب منه فيكلمه ويوصيه، فتكون هذه الطائفة مندرجة ضمن الثلثين السابقتين.

ص: 147

-
- 1- الفتوح لابن أعمش: 97 / 5، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 66، تاريخ الإسلام للذهبي: 269 / 2، مروج الذهب للمسعودي: 3 / 69، الثقات لابن حبان: 2 / 308، تجارب الأمم لمسكويه: 2 / 52، الأمالي للشجري: 10 / 167، إعلام الوري للطبرسي: 229، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب.. وغيرها، إضافة إلي المصادر التي لم تذكر الوصية من رأس.
 - 2- الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 2 / 5، العقد الفريد لابن عبد ربه: 4 / 378، جواهر المطالب للباعوني: 2 / 268، نفس المهموم للقمي: 116.
 - 3- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 339، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 211.

بيد أن عبارة الدينوري تفيد أنّهما اختلّيا في ناحية، وأنّ المولي الغريب (عليه السلام) أمر ابن سعد أن يخلو معه في (طرف البيت)، «فنظر إلي عمر ابن سعد بن أبي وقاص فقال له: أخلّ معي في طرف هذا البيت حتّي أوصي إليك... ففتنّحي معه ناحية» (1)، والظاهر من العبارة أن يقصد البيت الذي هم فيه، بقرينة قوله: «فتنّحي معه ناحية»، ولم يذكر أنّهما خرجا من الموضع الذي هما فيه إلي بيتٍ آخر.

وفي (مثير الأحزان) لابن نما: «فتنّحيا بحيث لا يراهما أحد» (2)، ولاندرى أين اختفيا وهما في المجلس العام؟! وهو يبين تماماً ما ذكره الطبري كما ستسمع.

وكعادته فقد نمّق الطبري عبارة الدينوري، وصرّح علي لسان المولي الغريب (عليه السلام) أنّ وصيّته سرّاً، «فقال: يا عمر، إنّ بيني وبينك قرابة.. وقد يجب لي عليك نجح حاجتي، وهو سرّ. فأبي أن يمكّنه من ذكرها.. فقام معه فجلس حيث نظر إليه ابن زياد..» (3).

والوصيّة لا تحتوي علي ما يكون سرّاً يخشي عليه أن يفشي، إلّا ما يخصّ حركة سيّد الشهداء (عليه السلام) وقدمه وبيان خذلان الناس وتنمّر الجرو

ص: 148

-
- 1- الأخبار الطوال للدينوري: 241.
 - 2- مثير الأحزان لابن نما: 17.
 - 3- تاريخ الطبري: 375 / 5، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 70، الإرشاد للمفيد: 2 / 59، روضة الواعظين للفتال: 151، الكامل في التاريخ لابن الأثير: 3 / 273، نهاية الإرب للنويري: 20 / 402، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 156.

الأموي، ولا يكاد يكون في شيءٍ من ذلك سرّاً، لأننا نجزم بالوجدان ومن خلال معرفة البطل الهاشمي والعالم الطالبّي أنّ المولي الغريب (عليه السلام) يعرف ابن سعد معرفةً جيّدة، ويعلم أنّه ليس موضعاً للسرّ، ويعلم بمجريات الأحداث، وأنّ كلّ ما قاله في شأن سيّد الشهداء (عليه السلام) للوغد الأموي الحقيّر هو مشهورٌ معروفٌ معلّن علي رؤوس الأشهاد، فالناس قد علموا بقدوم سيّد الشهداء (عليه السلام) وتوجّهه إليهم، وعلموا أنّ مسلم بن عقيل (عليه السلام) سفيرٌ مخذول يريد إخبار مولا به بما جري عليه وإعلامه بوضع الناس.

فلو كانت الوصيّة سرّية، كما صرّح الطبري ومن جاء بعده أو أخذ عنه، فربما كانت:

أولاً: خبث ابن سعد

لفضح خبث ابن سعد وعدم رعايته للأمانة والسرّ، فإنّ إفشاء السرّ سقوط (1)، بل حقيقة النميمة إفشاء السرّ وهتك الستر عما يُكره كشفه (2)، فيعلم دور هذا الوغد الوقح في إذكاء نار الحرب علي سيّد الشهداء (عليه السلام) وإغراء الذئاب المفترسة في نهش الأبدان الطيّبة والولوغ في الدماء الزكيّة الطاهرة.

ثانياً: عزّة مسلم (عليه السلام)

ص: 149

1- تحف العقول لابن شعبة: 315.

2- بحار الأنوار: 269 / 72.

أو إته من فيض ينابيع الحشمة والإباء والعزة الهاشمية تسامياً ورفعةً علي الأدياء، وازدراءً بأبناء البغايا المتسلطين، واحتقاراً لابن زياد بالذات، وغيره من حضار مجلسه الموبوء.

ثالثاً: رعاية لمقام سيّد الشهداء (عليه السلام)

أو أنّها رعاية لمقام سيّد الشهداء (عليه السلام) وتعظيماً للإمام وتنزيهاً للخطاب الدائر بين السفير والمرسل المقدّس من أن تدسّ فيه أنوف الأعداء العفنة وتسمعه الآذان الملوثة، ولا بدّ أن يحصّن الخطاب المرسل من هؤلاء المجرمين رعايةً للأدب مع الإمام (عليه السلام) وصاحب المقام.

مواد الوصية

إشارة

قال ابن سعد والذهبي -- واللفظ للأول -- : هذا الحسين بن عليّ قد أظلك، فأرسل إليه رسولاً فلينصرف، فإنّ القوم قد غرّوه وخدعوه وكذبوه، وأنّه إن قُتل لم يكن لبني هاشم بعده نظام، وعليّ دين أخذته منذ قدمت الكوفة فاقضه عني، واطلب جثتي من ابن زياد فوارها (1). وقال ابن قتيبة: إنّ الحسين ومن معه وهم تسعون بين رجل وامرأة في الطريق فارددهم، واكتب إليهم بما أصابني (2).

ص: 150

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات: 66، تاريخ الإسلام للذهبي: 2 / 269.

2- الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 5 / 2.

وقال البلاذري: إنَّ عَلِيَّ بالكوفةَ دِيناً، سبعمائة درهمٍ أخذتهُ مذ قدمتها، فاقضِها عَنِّي، وانظر إذا ما قُتِلتُ جثَّتِي، فاطلبها من ابن زياد فوارها، وابعث إلي الحسين مَن يردّه (1).

وقال الدينوري: إنَّ عَلِيَّ هاهنا دِيناً مقدار ألف درهم، فاقضِ عَنِّي، وإذا أنا قُتِلتُ فاستوهب من ابن زياد جثَّتِي لئلاَّ يمثَّل بها، وابعث إلي الحسين علي رسولاً قاصداً من قبلك، يُعلمه حالي وما صرتُ إليه من غدر هؤلاء الذين يزعمون أنَّهم شيعة، وأخبره بما كان من نكثهم بعد أن بايَعني منهم ثمانية عشر ألف رجل، لينصرف إلي حرم الله فقيم به، ولا يغترب بأهل الكوفة (2).

وقال الطبري في إحدى رواياته: إنَّ عَلِيَّ بالكوفةَ دِيناً استدنته منذ قدمت الكوفة، سبعمائة درهم، فاقضِها عَنِّي، وانظر جثَّتِي فاستوهبها من ابن زياد فوارها، وابعث إلي حسين مَن يردّه، فإني قد كتبتُ إليه أعلمه أنَّ الناس معه ولا أراه إلا مقبلاً (3).

وقال ابن أعمش: أوصيك ونفسي بتقوي الله، فإنَّ التقوي فيها الدرك لكلِّ خير، وقد علمت ما بيني وبينك من القرابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب عليك لقرابتي أن تقضي حاجتي.

ص: 151

1- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 339 / 2، أنساب الأشراف: 81 / 2.

2- الأخبار الطوال للدينوري: 241.

3- تاريخ الطبري: 375 / 5.

قال: فقال ابن زياد: لا يجب يا عمر أن تقضي حاجة ابن عمك، وإن كان مسرفاً علي نفسه، فإنه مقتولٌ لا محالة.

فقال عمر بن سعد: قل ما أحببت يا ابن عقيل!

فقال مسلم (رحمه الله): حاجتي إليك أن تستردّ فرسي وسلاحي من هؤلاء القوم، فتبيعه وتقضي عني سبعمائة درهم استدنتها في مصركم، وأنتستوهب جثتي إذا قتلتني هذا وتواريني في التراب، وأن تكتب إلي الحسين ابن عليّ أن لا يقدم فينزل به ما نزل بي (1).

وقال ابن عبد ربّه والباعوني: إنّ حسيناً ومَن معه وهم تسعون إنساناً ما بين رجلٍ وامرأةٍ في الطريق، فاردّدهم واكتب لهم ما أصابني (2).

وقال أبو الفرج: إنّ عليّ بالكوفة ديناً استدنته مذ قدمتها تقضيه عني حتّي يأتيك من غلّتي بالمدينة، وجثّتي فاطلها من ابن زياد فوارها، وبعث إلي الحسين مَن يرده (3).

وقال الشيخ المفيد والفتال: إنّ عليّ بالكوفة ديناً استدنته منذ قدمت الكوفة سبعمائة درهم، فبع سيفي ودرعي فاقضها عني، وإذا قُتلُ فاستوهب جثّتي من ابن زياد فوارها، وبعث إلي الحسين (عليه السلام) مَن يرده،

ص: 152

1- الفتوح لابن أعمش: 97 / 5.

2- العقد الفريد لابن عبد ربّه: 378 / 4، جواهر المطالب للباعوني: 268/2، نفس المهموم للقمّي: 116.

3- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 70.

فإني قد كتبت إليه أعلمه أن الناس معه ولا أراه إلا مقبلاً (1).

وقال الشجري: إن الحسين قد أقبل في سيافة وتراسه، وأناسٍ من ولده وأهل بيته، فأبعث إليه من يحذّره وينذره فيرجع، فقد رأيت من خذلان أهل الكوفة ما قد رأيت (2).

وقال الطريحي والقندوزي وفي (مقتل) أبي مخنف المشهور -- واللفظ للأول -- :

فقال له: أول وصيتي: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا رسول الله، وأنّ عليًّا وليّ الله ووصيّ رسوله وخليفته في أمّته. وثانيًا: تأخذ درعي تبعه، وتقضي عني سبعمائة درهم استقرضتها منذ دخلت إلي مصركم هذا. وثالثًا: أن تكتب إلي سيدي الحسين يرجع ولا يأتي إلي بلدكم فيصيبه ما أصابني، فقد بلغني أنّه توجه بأهله وأولاده إلي الكوفة (3).

الوصية في نقاط:

إشارة

يمكن جمع موادّ الوصية في النقاط الرئيسية التالية:

1 - الوصية بتقوي الله، فإنّ في التقوي الدرك لكلّ خير.

2 - إبلاغ سيّد الشهداء (عليه السلام) بخيانة القوم وخديعتهم وغدرهم

ص: 153

1- الإرشاد للمفيد: 2 / 59، روضة الواعظين للفتال: 151، بحار الأنوار: 44 / 355.

2- الأماشي للشجري: 1 / 167.

3- المنتخب للطريحي: 2 / 417، ينابيع المودة للقندوزي: 3 / 58 - بتحقيق: السيّد عليّ أشرف، مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي

مخنف المشهور: 36.

وتكذيبهم.

3 - إبلاغ سيّد الشهداء (عليه السلام) بما أصاب المولي الغريب (عليه السلام).

4 - قضاء دينه.

5 - طلب الجثّة من ابن زياد ومواراتها.

والآن نتناول كلّ واحدةٍ من النقاط المذكورة بشيءٍ من البيان المختصر:

النقطة الأولى: الوصية بتقوي الله

الوصية بتقوي الله أدبٌ دأب عليه أهل بيت النبوة (عليهم السلام) وصنائعهم المنتجبة، بيد أنّها هنا لها وقعٌ مميّز، ودلالات محدّدة، وتأثيرات فعّالة، وتلويحات نافذة، فهو يخاطب عمر بن سعد قاتل الحسين (عليه السلام) المعروف المشهور بفعلته هذه منذ عهدٍ بعيد، وقد عرفه بذلك الناس أجمعون (1)، فعليه أن يتقي الله، وينفذ الوصية بحذافيرها، فهو خائنٌ غير مؤتمن عند المولي الغريب (عليه السلام)، ومفسٍ للسرّ، إضافةً إلي تحذيره من مغبة فعلته التي ستنتهي به إلي الدرك الأسفل من الجحيم.

ولو أضفنا إلي الوصية بالتقوي الشهادات الثلاثة التي ذكرها القندوزي والطريحي والموجودة في (المقتل) لأبي مخنف المشهور، لتبيّن لنا إتمام الحجّة البالغة علي اللعين.

ص: 154

1- مرّت الإشارة إلي مصادره.

النقطة الثانية: إبلاغ سيد الشهداء (عليه السلام) بخيانة القوم وخديعتهم وغدرهم وتكذيبهم

تبين لنا من خلال دراسة سابقة أنّ البطل الهاشمي وكبير آل عقيل (مسلماً (عليه السلام)) لم تكن «مهمته الأساسية هي الثورة بأهل الكوفة ضدّ السلطة المحليّة الأمويّة فيها والتمهيد للقضاء علي الحكم الأموي كلّ» (1)، ولم يكن مكلفاً بذلك من قبل سيّد الشهداء (عليه السلام)، بإجماع المؤرّخين وما وصل إلينا من نصوصٍ أتينا علي ذكرها مفصّلاً في محلّه..

وقد انكشف لنا -- من خلال معرفتنا بصلب مهمّته -- مدي دقّة العالم الفقيه الأمين، وثقة سيّد شباب أهل الجنّة مسلم بن عقيل (عليهم السلام)، في أداء مهمّته وتنفيذ ما شرفه به ريحانة النبيّ (صلي الله عليه وآله) من تكاليف ومسؤوليات.

وقد أدّى مهمّته ووفي وقام بما أنيط به أحسن قيام، ولم يهن ولم ينكل، وإنّما مضى علي بصيرةٍ من أمره مقتدياً بالصالحين..

وكان من مهمّته أن يقيّم الوضع، وينظر حال الناس، وما هم عليه من المواقف الموالية لأبي عبد الله (عليه السلام)، حسب ما يُظهره الناس من التودّد والاستعداد لا حسب واقع الأمور؛ لأنّه والإمام (عليهما السلام) كانا يعرفان تماماً بما ستؤول إليه عاقبة المنكوسين.

وقد أتمّ ذلك ووفي، وقام به أحسن قيام، حيث نقل الصورة التي شاهدها بعينه، وصوّر الحالة التي عاشها بنفسه، ورسوم ما لمسّه فيهم من

ص: 155

الهيجان والغليان وإظهار الاستعداد والإعلان عن نصره سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وكتب بذلك إلي الحسين (عليه السلام) بعبارة واضحة صريحة دقيقة مختصرة رصينة.

وحيثما خذله الناس وخذلوا إمامهم (عليه السلام) ، ونكثوا بيعتهم، وضيّعوا حظّهم.. كتب مسلم بن عقيل (عليهما السلام) الثقة الأمين بذلك إلي سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وأوصل خبره من خلال الرسل أو الكتب التي كتبها..

وقد كتب عن طريق عبد الله بن يقطر (1)، وكان الإبلاغ الثاني عن طريق ابن الأشعث (لعنه الله) بعد الأسر (2)، ثمّ كان الإبلاغ الثالث هنا عند الوصيّة.

وقد ترتّب علي هذه الإبلاغات من الفوائد العظيمة والآثار الجمة الجسيمة، غير ما فيها من إقامة الحجّة وكشف المحجّة وبذل غاية المجهود واتخاذ كلّ ما يلزم واستخدام جميع الوسائل لتنفيذ المهمة واستقراء الوضع وتبليغه لسيّد الشهداء (عليه السلام) ، علي أكمل وجه (3).

ص: 156

1- أنظر: إِبصار العين للسماوي: 94، مع الركب الحسيني: 90 / 3.

2- أنظر: الإرشاد للمفيد: 59 / 2، تاريخ الطبري: 281 / 4، البداية والنهاية لابن كثير: 158 / 8، تجارب الأمم لمسكويه: 53 / 2، الكامل في التاريخ لابن الأثير: 33 / 4، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 107، إعلام الوري للطبرسي: 443 / 1.

3- أنظر للزيادة والتفصيل: (مسلم بن عقيل - ثائرٌ أم سفير).

النقطة الثالثة: إبلاغ سيّد الشهداء (عليه السلام) بما أصاب المولي الغريب (عليه السلام)

ورد هذا البند من الوصيّة في بعض المصادر، وهو يحمل الشكوي ويبيّن الألم لسَيِّده ومولاه (عليه السلام)، ويبلّغه بتفاصيل ما جرى عليه، ليكون دقيقاً في نقل الصورة، وشاملاً في رسم المشهد بكلّ جزئياته وملامحه، فكلّ أمرٍ يمكن أن يكون له علاقة بتنفيذ المهمّة الموكولة، وهي استطلاع الوضع وإبلاغ الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) بمواقف الناس، فهو لا يألوا جهداً في إيصاله.

إضافةً إلي ما يتضمّنه هذا الإبلاغ من الإشارة إلي تسجيل مواقفه (عليه السلام) وإطلاع أهله وذويه والمترقّبين لسماع أخباره عبر التاريخ..

ولا يخفي ما فيه من إقامة الحجّة علي ابن سعدٍ نفسه والرسول ومَن سيستمع إليه بعد تسريب الوصيّة، إذ يصرّح المولي الغريب (عليه السلام) بخذلان القوم ونكثهم البيعة وخضوعهم لابن الأمة الفاجرة..

النقطة الرابعة: قضاء دينه

إشارة

المصادر التي ذكرت الوصيّة كلّها ذكرت قضاء الدين كبندي من بنود الوصيّة، فلماذا استدان المولي الغريب (عليه السلام)، ولأيّ غرض؟ هل كان لحاجةٍ شخصيّة، أو كان لإنجاز عملٍ ما له علاقة بحركته في الكوفة؟ والحال أنّهم يزعمون أنّه كان يجمع المال ويقبضه عنه بعض خواصّ أصحابه وأنصاره،

كما يصوّرونه في قصة مَعْقِل (1) الجاسوس. ممّن استدان؟

المصادر كلها لم تذكر في متونها -- إشارة ولا تلويحاً -- أسماء أصحاب المال الذين ينبغي أن يرده عليهم ابن سعد، والمبلغ -- كما يبدو -- لا يُعدّ مبلغاً ضخماً! ولم يذكر التاريخ أيضاً ولو الإشارة إجمالية إليهم، كأن يقول: فذكرهم له، وما شاكل.

ليس في الدين منقصة

كيف كان! فإن الاستدانة والاستقراض لا تعدّ منقصة، فقد قضى الأئمة المعصومون (عليه السلام) وكانت عليهم ديون وعِدات للناس، ولا يخفي ذلك علي من أطلع علي الأحاديث الشريفة الواردة عن أهل البيت (عليه السلام) وروايات التاريخ.

أمّا ما رُوي في الخبر عن أبي عبد الله الحسين (عليه السلام): عن أبي الجحّاف، عن أبيه، أنّ رجلاً من الأنصار أتى الحسين (عليه السلام)، فقال: إنّ عليّ ديناً، فقال: «لا يقاتل معي من عليه دين» (2).

وعن موسى بن عمير، عن أبيه قال: أمر الحسين منادياً، فنادي: لا يُقبل معنا رجلٌ عليه دين. فقال رجل: إنّ امرأتي ضمنت ديني، فقال حسين (عليه السلام): «وما ضمان امرأة؟» (3).

ص: 158

1- أنظر مناقشة قصة معقل في: (مسلم بن عقيل - قصة معقل).

2- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من طبقات ابن سعد: 71.

3- المعجم الكبير للطبراني: 3 / 123.

فإنّها أخبار عاميّة السند والمصدر، ولم أقف عليها في كتبنا فضلاً عن طرقنا، بل ورد في كتبنا وطرقنا وطرق غيرنا ما هو خلاف ذلك تماماً.

فقد رُوي مسنداً عن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إنّه ذكر لنا أنّ رجلاً من الأنصار مات وعليه ديناران ديناً، فلم يصلّ عليه النبيّ (صلي الله عليه وآله) وقال: صلّوا عليّ أخيكم، حتّى ضمنهما عنه بعض قراباته.

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): «ذاك الحقّ». ثم قال (عليه السلام): «إنّ رسول الله (صلي الله عليه وآله) إنّما فعل ذلك ليتّعظوا، وليردّ بعضهم عليّ بعض، ولئلاّ يستخفّوا بالدين، وقد مات رسول الله (صلي الله عليه وآله) وعليه دين، وقُتل أمير المؤمنين (عليه السلام) وعليه دين، ومات الحسن (عليه السلام) وعليه دين، وقُتل الحسين (عليه السلام) وعليه دين» (1).

وعن عمر بن عليّ بن حسين، عن أبيه قال: «قُتل الحسين بن عليّ (عليهما السلام) وعليه دين كثير، فباع فيها عليّ بن حسين عين كذا وعين كذا» (2).

ورُوي عن جعفر بن محمّد (عليهما السلام) أنّه قال: «أصيب الحسين (عليه السلام) وعليه دين بضع وسبعون ألف دينار» (3).

وعن أبي جعفر (عليه السلام): «إنّ الحسين (عليه السلام) قُتل وعليه دين، وإنّ عليّ بن

ص: 159

1- الفقيه للصدوق: 3 / 182، الكافي للكليني: 5 / 93، التهذيب للطوسي: 6 / 184.

2- المعجم الكبير للطبراني: 3 / 123.

3- شرح الأخبار للقاضي النعمان: 3 / 269.

الحسين زين العابدين (عليه السلام) باع ضيعةً له بثلاثمائة ألف ليقضي دين الحسين (عليه السلام) وعدات كانت عليه» (1).

وقال ياقوت الحموي: عين يحنس كانت للحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، استنبطها له غلامٌ يقال له: (يحنس)، باعها علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، من الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان بسبعين ألف دينار، قضى بها دين أبيه، وكان الحسين (عليه السلام) قُتل وعليه دينٌ هذا مقداره (2).

وروي أنّ جابراً قال: استشهد والذي بين يدي رسول الله (صلي الله عليه وآله) يوم أحد وهو ابن مائتي سنة، وكان عليه دين، فلقيني رسول الله (صلي الله عليه وآله) يوماً فقال: ما فعل دين أبيك؟ قلت: علي حاله. فقال: لمن هو؟ قلت: لفلان اليهودي. قال: متي حينه؟ قلت: وقت جفاف التمر. قال: إذا جفت التمر فلا تحدث فيه حتّي تعلمني، واجعل كلّ صنفٍ من التمر علي حدة.

ففعلت ذلك، وأخبرته (صلي الله عليه وآله)، فصار معي إلي التمر وأخذ من كلّ صنفٍ قبضةً بيده وردّها فيه، ثم قال: هات اليهودي. فدعوته، فقال له رسول الله (صلي الله عليه وآله): إخرت من هذا التمر أي صنفٍ شئت، فخذ دينك منه. فقال اليهودي: وأي مقدارٍ لهذا التمر كلّ حتّي أخذ صنفاً منه؟ ولعلّ كلّ لا يفي بديني! فقال: إخرت أي صنفٍ شئت فابتدى به.

ص: 160

1- كشف المحجّة لابن طاووس: 125، بحار الأنوار: 43 / 321.

2- معجم البلدان لياقوت: 3 / 764.

فأوما إلي صنف الصيحاني، فقال: أبتدئ به؟ فقال: إفعال باسم الله.

فلم يزل يكييل منه حتّي استوفي منه دينه كلّه، والصنف علي حاله ما نقص منه شيء.

ثمّ قال (صلي الله عليه وآله): يا جابر، هل بقي لأحدٍ عليك شيء من دينه؟ قلت: لا. قال: فاحمل تمرّك، بارك الله لك فيه.

فحملته إلي منزلي، وكفانا السنة كلّها، فكنا نبيع لنفقتنا ومؤوتتنا ونأكل منه، ونهب منه ونهدي، إلي وقت التمر الحديث، والتمر علي حاله إلي أن جاءنا الحديث (1) [الجديد] (2).

والأحاديث والأخبار في ذلك كثيرة، ولا نريد الإطالة هنا في مناقشة ما رواه العائمة عن أبي عبد الله الحسين (عليه السلام).

مقدار الدين!

عرفنا فيما سبق أنّ جملة من المؤرّخين والعلماء لم يذكروا الوصيّة من رأس، وأنّ الذين ذكروها اختلفوا في ذكر الدين في بنودها بين من لم يذكره أصلاً، من قبيل ابن قتيبة وابن عبد ربّه والباعوني والشجري والبري (3). وبين من ذكره إجمالاً ولم يحدّد مقداره: «وعليّ دين منذ قدمت

ص: 161

1- الخرائج للراوندي: 1 / 154.

2- بحار الأنوار: 18 / 31.

3- الإمامة والسياسية لابن قتيبة: 2 / 5، العقد الفريد لابن عبد ربّه: 4 / 378، جواهر المطالب للباعوني: 2 / 268، أمالي الشجري: 1 / 167، الجوهرة للبري: 43.

الكوفة، فاقضه عتي)، من قبيل ابن سعد والذهبي وأبي الفرج وابن نما (1)).

وبين من حدّده بسبعمائة درهم، من قبيل البلاذري والطبري وابن أعثم والمفيد والفتال والخوارزمي وابن الأثير والنويري والطريحي (2)).

وفي (الأخبار الطوال) للدينوري، و(المقتل) المشهور لأبي مخنف: مقدار ألف درهم (3)).

قضاء الدين من أي مال؟

جاء بند قضاء الدين في جملة من المصادر مطلقاً من دون تحديد لمصدر المال الذي سيُقضى منه الدين: «فاقضه عتي» (4)).

وجاء في مصادر أخرى بلفظ يفيد توفير المال من بيع الفرس والسلاح

ص: 162

-
- 1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 66، تاريخ الإسلام للذهبي: 2 / 269، سير أعلام النبلاء للذهبي: 3 / 201، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 70، مثير الأحزان لابن نما: 17.
 - 2- جمل أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 339، أنساب الأشراف: 2 / 81، تاريخ الطبري: 5 / 375، الفتوح لابن أعثم: 5 / 97، الإرشاد للمفيد: 2 / 59، روضة الواعظين للفتال: 151، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 211، الكامل لابن الأثير: 3 / 273، نهاية الإرب للنويري: 20 / 402، المنتخب للطريحي: 2 / 427.
 - 3- الأخبار الطوال للدينوري: 241، مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: 36.
 - 4- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات: 66، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 339، الأخبار الطوال للدينوري: 241، تاريخ الطبري: 5 / 375، الكامل في التاريخ لابن الأثير: 3 / 273، مثير الأحزان لابن نما: 17، نهاية الإرب للنويري: 20 / 402، سير أعلام النبلاء للذهبي: 3 / 201، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 156، المنتخب للطريحي: 2 / 427.

والدرع: «تستردّ فرسي وسلاحي من هؤلاء القوم، فتبيعه وتقضي عني» (1)، «فبع فرسي ودرعي، فاقضها عني» (2)، «تبيعون درعي هذا وتوفون عني» (3).

وفي نقل أبو الفرج: «تقضيه عني حتي يأتيك من غلتي بالمدينة» (4).

ومن البديهي أنّ المولي الغريب (عليه السلام) لم يكن محتاجاً لابن سعد ولا لغيره، والدّين في الكوفة لم يكن نتيجة الحاجة والفقر -- والعياذ بالله --، تماماً كما كان يستدين أهل البيت (عليه السلام) لا عن فقر وعوز، والمولي الغريب (عليه السلام) أنبل وأعزّ وأجلّ وأكرم، والإباء الهاشمي الساري في دمه وعروقه، والشمم الطالبّي المتجذّر في شخصه وشعوره، تأتي له أن يطلب من أحدٍ من الناس فضلاً عن اللعين ابن سعد مالاً، وهذا الطلب يختلف تماماً عن أصل الوصيّة، وفي حال دفع المولي الغريب (عليه السلام) الدين من ماله بأيّ طريق لا يكون ابن سعد سوي منفذاً للوصيّة، ليس إلا.

فلا يبعد أن يكون هذا الأمر والتكليف صدر من المولي الغريب (عليه السلام) لابن سعد باعتبار ما لديه من النفوذ عند الناس والحظوة عند ابن الأمة

ص: 163

1- الفتوح لابن أعمش: 97 / 5، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 211 / 1.

2- الإرشاد للمفيد: 59 / 2، روضة الواعظين للفتال: 151، بحار الأنوار: 355 / 44، العوالم للبحراني: 204 / 17.

3- مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: 36.

4- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 70.

الفاجرة، ممّا يؤهّله لاستعادة سلاحه وفرسه الذي يفى بدينه، وهو يتضمّن التشنيع عليهم والمطالبة بحقه، إذ لا يري لهم حقاً في سلبه والاستحواذ علي أمواله الشخصية من فرسٍ وسلاح.

كيف كان فإنّ المولي الطالبّي الأبّي أمر بتسديد الدين من ماله، إمّا بالاسترداد أو بالغلّة القادمة من المدينة علي رواية أبي الفرج.

النقطة الخامسة: طلب الجثة من ابن زياد ومواراتها

نصّ علي هذا البند من الوصيّة كلّ من ابن سعد والذهبيّ والبلاذري والدينوري والطبري وابن أعثم وأبي الفرج والشيخ المفيد، ولم يذكره ابن قتيبة وابن عبد ربّه والباعوني والشجري والطريحي والقندوزي.

وقد صرّح الدينوري في نقله لكلام المولي الغريب (عليه السلام) عن سبب ذلك فقال: «وإذا أنا قُتلت فاستوهب من ابن زياد جثتي لنألا يمثّل بها».

وفي ذلك إشارة واضحة من المولي الغريب (عليه السلام) إلي علمه بنذالة ابن الأمة الفاجرة وبما سيجري علي جثته المقدّسة، وإلا فمَن يقتل يدفن ولا يحتاج إلي وصيّة تؤكّد علي دفن جثته.

النقطة السادسة: الشهادة الثالثة

ذكر الطريحيّ والقندوزي وأبي مخنف في (المقتل) المشهور وهمينقلون نصّ وصيّة المولي (عليه السلام) إله قال: أوّل وصيّتي، فأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وأنّ عليّاً وليّ الله ووصيّ رسوله وخليفته في أمّته..

ولا يبعد بعد المتابعة أن يكون المصدر الأول لهذا النقل هو المقتل لأبي مخنف النسخة المشهورة المتداولة، فالقندوزي يصرّح أنه يروي ذلك عن أبي مخنف (1)، واتّحاد النصّ ودأب الشيخ الطريحي علي النقل عن النسخة الشائعة لأبي مخنف يؤكّدان أنه المصدر له، فيكون المقتل المشهور هو المصدر الأول لذكر الشهادة الثالثة.

ومع إثبات صدورها عنه (عليه السلام) تكون سابقة تاريخية (2) كتسجيل لسيرة المتشرّعة والتزام المؤمنين بالشهادة الثالثة ومقارنتها للشهادتين والتصريح بها والإعلان عنها في الوصية وغيرها.

كما يستفاد من إصحاح المولي (عليه السلام) بها علناً أمام هذا الوغد الدنيء ابن سعد وسيّده وراعيه ابن زياد، ليقيم الحجّة عليهم بإسماعهم -- ومن بلغ -- الحقّ ودحض الباطل، وردم السقيفة علي من فيها بقوله: «وأنّ عليّاً وليّ الله ووصيّ رسوله وخليفته في أمّته».

ص: 165

1- قال القندوزي: «الباب الحادي والستون: في إيراد ما في الكتاب المسمّي بمقتل أبي مخنف الذي ذكر فيه شهادة الحسين وأصحابه مفصّلاً، وقال: ...»، ثم يبدأ بسرد المقتل، وقد وجدنا - عند تحقيق كتاب (ينابيع المودّة) - أنّ نسخته لا تتطابق كاملاً مع النسخة المشهورة ولا نسخة الطبري، بيد أنّ تقارب النصّ نسبياً يؤكّد أنّ نسخة الينابيع مختصرة عن النسخة الشائعة، والله العالم.

2- أقول: سابقة تاريخية، أمّا روائياً وعقائدياً فثبوت ذلك صار من الضروريات والبديهيات عند المؤمنين، زاد الله نورهم وإيمانهم.

إشارة

ذكر ابن قتيبة ضمن الوصية قولاً للمولي الغريب (عليه السلام) يصرح فيه بعدد القادمين مع سيد الشهداء (عليه السلام)، فقال: إن الحسين ومن معه وهم تسعون (إنساناً) (1) بين رجل وامرأة في الطريق، فاردّهم ... (2)، ثم جاء من بعده ابن عبد ربّه والباعوني فذكروا نصّ عبارته تقريباً.

وقال البري: فأني تركته ومن معه وهم تسعون إنساناً علي الخروج من مكّة، وإنهم الآن في الطريق (3).

وأجمل الشجري فلم ينصّ علي عددٍ معيّن، فقال: إن الحسين قد أقبل في سيّافه وتّراسه وأناسٍ من ولده وأهل بيته (4).

ولم ترد الإشارة للعدد في بقية المصادر -- حسب فحصنا -- لا إجمالاً ولا تفصيلاً، ويمكن مناقشة ذلك بالمناقشات التالية:

المناقشة الأولى: ما هي الضرورة لذكر العدد؟

غاية ما كان يهمّ المولي الغريب مسلم بن عقيل (عليهما السلام) أن يوصل إلي سيد الشهداء (عليه السلام) الصورة التي آلت إليها عاقبة المنكوسين في الكوفة، إذ

ص: 166

1- الزيادة بين القوسين في (العقد الفريد) و(جواهر المطالب) و(نفس المهموم).

2- الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 2 / 5، العقد الفريد لابن عبد ربّه: 4 / 378، جواهر المطالب للباعوني: 2 / 268، نفس المهموم للقمي: 116.

3- الجوهرة للبري: 43.

4- الأمالي للشجري: 1 / 167.

إنه كان مكلفاً بهذه المهمة من قبل سيّد الشهداء (عليه السلام) ، ويكفي في ذلك أن يبلغه بمجريات الأحداث وخذلان الأعداء، فأبي ضرورة تدعو لكشف عدد القادمين -- رجالاً ونساءً -- للأعداء؟! وماذا سيترتب علي هذا الكشف من فوائد لسيّد الشهداء (عليه السلام) أو للمولي الغريب مسلم (عليه السلام) ، وهل أنّ هذا العدد القليل من السيّافة والتراسة القادم سيؤثر علي الجرو الأموي أو سيّده القرد القابع في الشام؟!

المناقشة الثانية: العدد أكبر من ذلك

ثم إنّ العدد المذكور علي لسان المولي الغريب (عليه السلام) لا يتجاوز التسعين إنساناً رجالاً ونساءً، وقد عدّ الشيخ الحائري في (معالي السبطين) الذين خرجوا مع سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة فأنهاهم إلي مائةٍ واثنين وعشرين، ثمّ قال: فهؤلاء الذين ذكرناهم غير أولئك الذين صحبوا الحسين (عليه السلام) بمكّة من الرجال والنساء حين إقامته هناك (1). واحتمال أن يكون العدد الخارج في الركب الحسيني من المدينة أكبر ممّا ذكره الشيخ الحائري (عليه السلام) قريبٌ جدّاً لو تسنّى للباحث أن يحصّيه ويعدّهم عدداً دقيقاً.

وكيف كان، فإنّ العدد الأقلّ في الإحصائيات لمن خرج بهم سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة أكبر من العدد المزعوم الذي يفترضهم قد خرجوا

ص: 167

المناقشة الثالثة: فإني تركته ومن معه!

قوله: (فإني تركته ومن معه ... علي الخروج من مكّة..)، والحال أنّ مسلم لم يتركه علي الخروج! بل كان خروج الإمام الحسين (عليه السلام) من مكّة يوم شهادة مسلم (عليه السلام) أو قبلها بيوم، فهو لم يقل أنني أرسلتُ له كتاباً أدعوه فيه للقدوم، وقد وصل إليه الكتاب فربما استجاب وهو علي الخروج الآن، وإّما يقول حسب النصّ: فإني تركته ... علي الخروج من مكّة.

المناقشة الرابعة: كيفية خروج الحسين!

مشهد خروج الإمام الحسين (عليه السلام) من المفاصل الضرورية في دراسة قيام سيّد الشهداء (عليه السلام)، ويمكن من خلال معرفتها بشكلٍ دقيقٍ تمييز الكثير من التصورات والانعكاسات المهمة والمؤثرة في فهم القيام، بيد أنّ دراسة ذلك لا يسعها هذا البحث، ويمكن أن نقول هنا بكلمة واحدة:

إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) لم يخرج من المدينة بسيافه ولا تراسه، وإّما خرج من المدينة خائفاً يترقب في أهل بيته، وقد أمر القرد الأمويّ الناه في قصر دمشق واليه علي المدينة بأخذ البيعة من سيّد شباب أهل الجنة (عليه السلام) أو إرسال رأسه المقدّس مع جواب الكتاب، فبات الإمام (عليه السلام) في مدينة جدّه مهدّداً، مُباح الدم، مطلوباً للقتل، ومعرّضاً في كلّ آنٍ لأن تُهتَكَ به حرمة المدينة المنوّرة، فخرج -- فداه العالمين -- متوجّهاً إلي مكة، ولم يبد علي

حركته (عليه السلام) من المدينة أنه عازمٌ علي القيام أو ما يسمونه ب- (الثورة)، ولم يصرح أيّ تصريح يفيد ذلك.. وغاية ما فعله ثمّة أنه تقبّض عن البيعة، ثم شكى لجده النبي (صلي الله عليه وآله) أن القوم استضعفوه وخذلوه وضيّعوه، كما في (الفتوح) لابن أعثم.

وكذلك الأمر في خروجه من مكّة، حيث أبيع دمه، ودبر اغتياله ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة، فخرج منها متوجّهاً إلي الكوفة، حيث كانت ثمّة بعض الأصوات الواعدة بالنصر والدفاع عنه وفق ما ورد عليه من كتبهم ورسولهم، وهو عالمٌ جازمٌ متيقّن تماماً وعدّ الله وأنه مقتول، فأصحر لمن معه وللعالَمين بما قاله في البيان العظيم يوم قام فخطب وقال: «خُطّ الموت علي ولد آدم..»، إلي قوله (عليه السلام): «فمَن لحق بي استشهد، ومَن لم يلحق لم يبلغ الفتح».

ولم ينقل لنا التاريخ أن ركب سيّد الشهداء (عليه السلام) كان ركب حربٍ وقاتل وهجومٍ مدججٍ بالسلاح ومثقل بالحديد والرماح، بل كان صورته فيالمنطلقين (المدينة ومكّة) علي العكس من ذلك تماماً، فهو مجموعة من النساء والأطفال وعدد من الشبان والفتيان من ذوي الأعمار التي لا تبلغ مرحلة الشباب أحياناً، من أمثال القاسم بن الحسن وأترابه من أولاد عقيل وأحفاده (عليهم السلام)، وأكثرهم كان ممّن لم يباشر قبل يوم الحسين (عليه السلام) قتالاً ولا مارس حرباً، رغم أنهم أبهروا العقول وأذهلوا التاريخ وأبدوا مهارات قتالية عالية لم يعهد صناديد عسكر السقيفة لها مثيلاً، لكن بالرغم من ذلك فإنّ

قبل يوم الطف لم يكن هؤلاء الأبطال معروفين كرجال حرب بين الناس، فهم بين شاب فتى وبين فتى لم يبلغ الحلم أو إنه راهق، فالركب في ظاهر الحال لم يكن ركباً عسكرياً إلا في بعض رجاله، من قبيل نفس الإمام الحسين (عليه السلام) وأخيه أبي الفضل العباس (عليه السلام).

وحمل مقدار من السلاح يحمي به المسافر نفسه ومن معه كان من ضروريات السفر يومئذ، فلا يعدّ المسافر الحامل للسيف أو الرمح أو كنانة النبل والقوس محارباً، وإنما هي طبيعة الحركة في صحراء قاحلة معرضة للسلب والنهب والتبييت.

ومن الواضح أنّ العدد الكبير من النسوة والأطفال الذي ربما كان يربو كثيراً علي عدد الرجال الكبار، وقد خرج هؤلاء النسوة في كفالة من معهنّ من الرجال، فلا بدّ أن يحملوا السلاح لحماية الركب رجالاً ونساءً وشباناً وأطفالاً.

هذا، والركب ليس ركباً عادياً يقطع الصحراء ليصل إلي مدينة ما، بل هو ركبٌ مهتدّد قد خرج من المدينة والوالي مأموراً بقتل سيدهم وإمامهم، وخرج من مكة بعد أن بيّتوا قتله واغتياه، وأزلام القرد الأموي ينتهزون منه الغرة، ولا زالت كلاب السقيفة تعوي وتنتشر في كلّ منزلٍ وماءٍ وقريةٍ ومدينة، بل إنّ ذئاب الغابة الأموية كانت تجوب الصحراء.

فمن الطبيعي إذن أن يحمل الركب معه مقداراً من السلاح ليحمي نفسه ومن معه، وهذا المقدار من السلاح لا يعبر عنه (بالسيافه والتراسة)،

لما في هذا التعبير من إيقاع حربيّ وجرس تحذيري، وهو مُشعرٌ بالإعداد والتسربل بالسلّاح، وكأنّهم جيشٌ يُقلِقُ الصحراءَ باصطكاك عدّته وصهيل خيّالته ورجّالته.

وهل يُعدّ التسعون إنساناً رجلاً ونساءً جيشاً قد خرج بالسيّافة والتراسة!!؟

هذا باختصارٍ ربما يكون مخالفاً، غير إنّه كافٍ هنا لما نحن فيه، إذ يكشف لنا أنّ حركة سيّد الشهداء (عليه السلام) من مكة لم تكن في صورة جيشٍ وعسكرٍ قادمٍ عليّ حربٍ وقتالٍ، ولم يبدُ عليها أنّها كانت حركةً هجوميةً، وربما كان هذا التصوير كلّهُ من أضاليل الأمويين.

نذالة ابن سعد وإفشائه السّرّ

إشارة

استعرضنا قبل قليلٍ تحت عنوان (هل كانت الوصيّة سرّاً) أقوال المؤرّخين، وربما يرجح للمتأمل أنّ الوصيّة لم تكن سرّاً من قبل الموليّ الغريب مسلم بن عقيل (عليه السلام)، إلّا عليّ ما صرّح به الطبري، فربّما كان للعدوّ غرضٌ في عرض الوصيّة كسرّاً ليوحى إليّ الناس أنّ ثمة أموراً كانت تحدث في الخفاء، وأنّ ثمة دسائس تُحاك، وأنّ أموراً عظيمة خفيت عليّ الناس وانكشفت للوغد القابع في قصر الخبال، فسوّغت له قلقه وإقدامه عليّ جريمة قتل البطل الهاشمي (عليه السلام).

فتهويل الأمر، واستجاشة القوم بالغوامض، وإثارة هواجسهم بالأسرار،

وتحريك مخاوفهم بالألغاز، وإرعابهم بما يخبئ لهم المستقبل القريب القادم مع ركب الشهادة الحسيني، كل هذا وغيره من الأغراض المهمة التي يوظفها الجرو الأموي في الحرب النفسية والتعبئة للأيام القادمة، وتسويغ التجيش والفروض الاحترازية التي ينوي الإقدام عليها، بما فيها قتل المولي الغريب (عليه السلام) والطيبين من شيعة سيّد الشهداء (عليه السلام) والمناصرين لمسلم بن عقيل (عليه السلام) آنئذٍ.

كيف كان! فإن جملةً من المصادر اعتبرت الوصية سرّاً من قبل الأوغاد، وبناءً عليه فإن جرد شجرة القروذ الأموية القذر قد أفشاه معتاكده علي سرّيته، وقد انقسمت المصادر كالعادة، فمنها من جعلته هو المبادر، ومنها ما جعلته مستجيباً لأمر الجرو الأموي ابن زياد.

الإفشاء بعد طلب من ابن زياد

قال ابن سعد وتبعه الذهبي: فقال له ابن زياد: ما قال لك؟ فأخبره بما قال.. (1). وهو يفيد أن ابن زياد هو الذي بادر وحث علي الإفشاء، وكأنه كان ينتظر انتهاء اللقاء بين المولي الغريب (عليه السلام) وابن سعد ليطلع علي ما قاله وما أوصي به.

ص: 172

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 66، تاريخ الإسلام للذهبي: 269 / 2.

جاءت مبادرة ابن سعد في المصادر بصورتين:

الصورة الأولى: بإلقاء الخبر مباشرة

ورد في جملة من المصادر أنّ عمر بن سعد لم يستأذن ولم ينتظر موقفاً من ابن زياد، وإنما بادر بدنائه وخسّته ولؤمه إلي إلقاء الخبر مباشرة، وإفشاء السر فوراً، وكأنّه جاسوس مخوّل وعين مكلف بمهمّة يلزمه أن يقدم عنها تقريراً فور الحصول علي أي معلومة، فهو مستعجل في أداء الواجب. وقد اختلفت عبارات المؤرّخين في التعبير عن هذه المبادرة الهابطة، غير أنّها اتّقت علي أنّ ابن سعد هو المبادر:

قال البلاذريّ وابن نما: فقالوا: فأخبر عمر بن سعد ابن زياد بما قال له (1).

وقال الدينوري: فانصرف إلي ابن زياد، فأخبره بكلّ ما أوصي به إليه مسلم (2).

قال ابن أعثم والحوارزميّ وابن الأثير -- واللفظ للأوّل -- : فالتفت عمر ابن سعد إلي عبید الله بن زياد، فقال: أيّها الأمير! إنّه يقول كذا وكذا (3).

ص: 173

1- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 339، مشير الأحران لابن نما: 17.

2- الأخبار الطوال للدينوري: 241.

3- الفتوح لابن أعثم: 5 / 97، مقتل الحسين (عليه السلام) للحوارزمي: 1 / 211، الكامل لابن الأثير: 3 / 273، نفس المهموم للقمي:

وقال ابن كثير: فقام عمر، فعرض علي ابن زياد ما قال له (1).

وفي (مقتل) أبي مخنف المشهور: ثم التفت إلي ابن زياد (لعنه الله) وأخبره بما أوصاه (2).

الصورة الثانية: الإلقاء بعد الاستئذان

هنا أيضاً العبارات متقاربة، وهي تحكي قصةً واحدةً مؤداها أنّ الرجس الزنيم ابن سعد سأل ابن زياد عمّا إذا كان يريد سماع الوصية.

قالوا: وألقاه عمر لعبيد الله وقال: أتدري ما قال؟ (3)

فقال عمر لابن زياد: أتدري ما قال لي؟ (4) إنّه ذكر كذا وكذا (5).

فلما انصرف عنه عمر بن سعد قال لابن زياد: أتدري ما قال لي مسلم؟ (6).

فقال عمر لابن زياد: أتدري ما سأرتني؟ (7)

ص: 174

-
- 1- البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 156.
 - 2- مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: 36.
 - 3- الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 2 / 5.
 - 4- العقد الفريد لابن عبد ربه: 4 / 378، جواهر المطالب للباعوني: 2 / 268، نفس المهموم للقمي: 116، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 70.
 - 5- تاريخ الطبري: 5 / 375، الإرشاد للمفيد: 2 / 59، بحار الأنوار: 44 / 355، روضة الواعظين للفتال: 151.
 - 6- الجوهرة للبري: 43.
 - 7- نهاية الإرب للنويري: 20 / 402.

وصيغة السؤال هنا إما أن تكون استناداً للإفشاء، باعتبار حسنة ابن سعد ودنائه وتملّقه البارء لمولاه.

أو إنّه استشارة وتهويل وتحريض واستجاشة للجرو الأموي، وتحرش يفضي إلي الإقناع بضرورة الاستعداد للحرب القادمة، ويؤكّده قول ابن سعد: «قال: هو أعظم من ذلك».

تبيّن من خلال استعراض النصوص أنّ ابن سعد وحده أكّد علي أنّ المبادر كان ابن زياد، وباقي النصوص جميعاً تؤكّد أنّ المبادر هو الدعي المتوتّب لقتال سيّد الشهداء (عليه السلام) ابن سعد.

وقد جمع الشجريّ بين الحالتين، فجاءت عبارته مرتبكة، قال: «فقال له عبيد الله: ما قال لك هذا؟ قال: قال لي: كذا وكذا. وجاء عبيد الله، فأخبره الخبر، فقال عبيد الله: إنّه لا يخون الأمين، ولكنّه قد يؤتمن الخائن (1)».

ففي المقطع الأوّل من عبارته يذكر أنّ ابن زياد بادر فسأله، وفي المقطع الثاني يقول: جاء عبيد الله فأخبره الخبر، والتفريع في «فأخبره» علي المجيء يفيد مبادرة ابن سعد.

وبالرغم من تفرّد ابن سعد فإنّ عبارته لا تفيد الجزم، إذ يمكن أن يكون «ما قال لك» التي قالها ابن زياد بعد تدفّق عفن ابن سعد في

ص: 175

1- الأمالي للشجري: 1 / 167.

الإفشاء كما هو في سائر المصادر الأخرى، بيد أنّها اختصرت أو حذفت عند ابن سعد.

موقف ابن زياد من الإفشاء

إشارة

قال ابن قتيبة: قالوا: فقال عبيد الله: إكتم علي ابن عمّك. فقال عمر: هو أعظم من ذلك. فقال ابن زياد: فأيّ شيء هو؟ قال: أخبرني أنّ الحسين ... ((1)). قال: إكتم علي ابن عمّك. قال: هو أعظم من ذلك. قال: وما هو؟ قال: قال لي: إنّ حسيناً أقبل .. ((2)).

وقال أبو الفرج: إكتم ما قال لك. قال: أتدري ما قال لي؟ قال: هات، فإنّه لا يخون الأمين ولا يؤتمن الخائن. قال: كذا وكذا ((3)).

وقال البري: فلمّا انصرف عنه عمر بن سعد قال لابن زياد: أتدري ما قال لي مسلم؟ قال: إكتم علي ابن عمّك. قال: الأمر أعظم من ذلك. قال: إكتم علي ابن عمّك. قال: الأمر أعظم من ذلك. قال: إكتم علي ابن عمّك. فلمّا أكثر علي ابن زياد فيما قال له مسلم، قال له: قل.. ((4)).

وقال النويري: فقال عمر لابن زياد: أتدري ما سارني؟ فقال: إكتم

ص: 176

1- الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 5 / 2.

2- العقد الفريد لابن عبد ربّه: 378 / 4، جواهر المطالب للباعوني: 268 / 2، نفس المهموم للقمّي: 116.

3- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 70.

4- الجوهرة للبري: 43.

علي ابن عمّك. فقال: الأمر أكبر من هذا. قال: أكتّم علي ابن عمّك. قال: الأمر أكبر من هذا. وأخبره بما قال (1).

وقال الدينوري: فقال له ابن زياد: قد أسأت في إفشائك ما أسره إليك، وقد قيل: إنّه لا يخونك، إلا الأمين، وربما اتّمنك الخائن (2).

وقال الطبريّ وجماعة: قال له ابن زياد: إنّه لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن (3).

وفي (المقتل) المشهور لأبي مخنف: فقال ابن زياد (لعنه الله): قَبَّحَك اللهُ من مستودع سرّاً، والله لو إنّه باح إليّ سرّه لكتمتُ عليه وقضيتُ حاجته (4).

يمكن ملاحظة عدّة إشارات وردت في هذه النصوص:

الإشارة الأولى: تملّق ابن سعد وتوثّبه

ذكرت بعض المصادر -- وأقدمها (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة -- أنّ ابن سعد عرض علي الجرو الأموي الاستماع إلي الوصيّة، وكأنّه قد اكتشف سرّاً عظيماً واستخرج كنزاً ثميناً يعادل في أقلّ تقاديره حياة الجرو اليزيدي،

ص: 177

1- نهاية الإرب للنويري: 20 / 402.

2- الأخبار الطوال للدينوري: 242.

3- تاريخ الطبري: 5 / 375، الإرشاد للمفيد: 2 / 59، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 211، بحار الأنوار للمجلسي: 44 /

355، روضة الواعظين للفتال: 151، الكامل لابن الأثير: 3 / 273، نهاية الإرب للنويري: 20 / 420، نفّس المهموم للقمّي: 115.

4- مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: 36.

ويحتوي علي أسرار القضاء علي القرد الأموي، واستئصال الشجرة الخبيثة الملعونة، وتفريق القروذ المترنحة علي أغصانها.

وليس في وصية المولي الغريب (عليه السلام) ممّا يابه له ابن زياد سوي قصية الإخبار بخروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من مكّة، أمّا باقي البنود فهي وصايا شخصيّة لا تهّم ابن زياد من قريبٍ ولا من بعيد، بل لقد تظاهر بعدم اكتراثه بالبند الخاص بخروج سيّد الشهداء (عليه السلام) كما سيأتي بعد قليل إن شاء الله. بيد أنّ الوحش الكاسر ابن سعد كان يريد أن يسجّل موقفاً يثبت به يداً عند ابن الأمة الفاجرة، ويصحر بالولاء المطلق والاهتمام الحاسم الجاد في شأنٍ من الشؤون الحساسة المؤثرة في مجريات الأحداث.

ونسي أو تناسي الوحش المسعور من أجل تحقيق أغراضه أنّ قصة خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة وعزمه علي التوجّه إلي الكوفة باتت من أكثر الأخبار شيوعاً في الكوفة، وقد تداولتها المخدّرات في خدورهن، وكاتب أهلها سيّد الشهداء (عليه السلام) ودعوه دعواتٍ متتالية متوالية، ولم يهزّ الكوفة ويزلزلها آنثذٍ إلا هذا الخبر الذي قدم من أجله المولي الغريب مسلم ابن عقيل (عليهما السلام) الكوفة حتّي أدخل إلي القصر وأوصي لابن سعد.

فما معني هذا التهويل والتعظيم لخبرٍ لا يكاد يخفي علي أحد يومذاك!!؟

إشارة

إنّ ابن زياد الطاغية النزق الأرعن لا يعرف القِيم ولا يحترم شرعة ولا يلتزم منهاجاً، فهو أبعد ما يكون حتّي عن أبسط القِيم الجاهليّة الخرقاء، فضلاً عن القِيم الإنسانيّة أو الموازين الإسلاميّة.

وقد ثبت ذلك كأوضح ما يكون في سلوكيّاته وتعامله من قبل، وبيان بما لا يحتاج إليّ شاهدٍ وبرهان خلال تعامله مع قيام سيّد الشهداء (عليه السلام). فلا يمكن أن يُتصوّر فيه إصراره عليّ الكتمان وإعراضه عن سماع السرّ وابن سعد يؤكّد له أنّ الأمر أعظم من ذلك، للأسباب التالية:

السبب الأوّل: بناؤه الشخصي

هذا ما أشرنا إليه قبل قليل، إذ أنّ دعياً تتعقد نطفته من سيول مياه الزناة ويكتنفه رحمٌ شهد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أنّه لأمةٍ فاجرة، وهو يتوارث هذه النطفة القذرة من أبيه ابن سميّة صاحبة الراية حتّي تنازع فيه الزناة، فلصقه معاوية (وهو ابن هند) بأبي سفيان، وكان ولا زال لم يُعرّف له أب، فدُعي: زياد ابن أبيه.

لقد شبّ وكبر في مستنقع آسن يزكم الأنوف، ورعي في دمن القروود الأموية الفاجرة الخليعة، متقلّباً بين أحضان المومسات الرخيصات، يرضع منهنّ صديد الخيانة ويرتوي من قيء القروود الثملة مسكرات الدسائس والغوائل والتنكّر للحقّ وأهله.

كيف يكون مثل هذا النبات المشوّه الممسوخ الغاطس في أحوال

الدناءة والخسّة واللؤم، والمتشبّث بلزوجة قاع النسب الخامل اللئيم، والمرتكس في مزابل الخُلق الذميم، والمغروز في خمائر المكر والحيلة والغشّ والاحتيال، كيف يكون مثل هذا متمسّكاً بالأمانة، ومؤكّداً علي رعايتها، ومعرضاً عن الخيانة وخائفاً من عواقبها، حتّى لا يرضي لابن سعد أن يفشي سرّ ابن عمّه! ويشيح بوجهه القبيح عنه ثلاث مرّات! ولا يقبل منها الخيانة إلّا بعد إصرار؟!!

السبب الثاني: ضرورة الموقف

إنّ ابن الأمة الفاجرة كان في موقفٍ حرج، وقد سارت مجريات الأحداث بشكلٍ جعلته خائفاً مرتبكاً لا يدري ماذا ينبغي له القدر من مواجهة تعقب شهادة المولي الغريب (عليه السلام) إن قتله، فهو في أمسّ الحاجة لاستطلاع أيّ خبرٍ يمكن أن يعينه علي مستقبل أيامه، بل الساعات القليلة القادمة من يومه.

فكيف يُغضي عن خبرٍ ربما يودي تجاهله بحياته وحياة القرد الشامي المجدور، ويأتي علي جذور الشجرة الملعونة فيجثّثها ويطهّر المنبر النبوي من نزوها؟!!

السبب الثالث: ممارسته التجسّس

كان ابن زيادٍ في مواجهةٍ حقيقيّةٍ مع المولي الغريب وسيد الشهداء (عليه السلام)، وهو يترصد كلّ شاردةٍ وواردةٍ يمكن أن يوظّفها في تسريع القضاء علي خامس أصحاب الكساء (عليهم السلام)، وقد بثّ -- كما يقولون --

جواسيس وعيوناً، ونظم الصحراء بالخييل والرجال، وزرع في كلّ مناطق الكوفة ما يستكشف به واقعها المتحرك في الشوارع والأزقة أو المكنون خلف جدران الدور وأسوار الضياع.

فهو قد مارس التجسس، وقد شهد له التاريخ بذلك، والتجسس واستجماع المعلومات بأيّ طريقٍ كان من ضرورات الحروب سابقاً ولاحتماً، فكيف يأنف عن إفشاء السرّ وهو يدفع لاستكشاف الأسرار المال والرجال؟!

الإشارة الثالثة: رياء الطواغيت

للطواغيت سلوكيات خاصّة، فربما تظاهروا في تصرفاتهم بسلوكٍ لا يبهون به ولا يقيمون له وزناً، إمّا لموقفٍ سياسيٍّ أو لمكاسب اجتماعيةٍ أو مراعاة مصالح شخصيةٍ أو حكومية، وغير ذلك من الدواعي.

وربما تعمّد الطاغوت سلوكاً معيّنًا ليكون طُعماً يلقمه الراوي والمؤرخ، فيرويه عنه ويسجّل له فضيلةً ومنقبةً وسلوكاً حسناً، ويتبجح بمستويّ رفيع من التحلّي بالمحاسن والمكرّمات، وهذا الرياء ينطوي على البسطاء السذج، ويتلقّفه المصلحيّون والوصوليّون والمتملّقون والنفعيّون، ويعتقد به أصحاب القلوب المريضة والمطعونون.

لذا تري الطاغية يحسب له ألف حساب، وقد رأينا ذلك جليّاً في سلوك إفرازات السقيفة من الحكام، إذ التزموا الصلاة والصيام، وتظاهروا

بالنسك والعبادة والتهجد والقيام، وهم بعد لحظاتٍ تضجّ لياليهم بالمزامير والقيان وتبادل كؤوس المدام، وكم من موقفٍ تحلّم فيه وهو يتميّز حقداً وغيضاً ليسجّل له عبر روايات المؤرّخين، ثم يبادر إلي دسائس كوامنه وضغائنه وأحقاده فيقتل أو يغتال. فلا يبعد أن يكون تصرّف ابن الأمة الفاجرة في هذا الموقف من هذا القبيل، إذ إنّه واثق من حصوله علي المعلومة التي تغلي في صدر ابن سعد الحقود، وهو عبد قنّ حقير سافل بين يديه، فلماذا لا يسجّل له موقفاً في مثل هذا الظرف الحساس ليبدو في صورة ممّوهة للتاريخ باعتباره رجلاً لا يحبّ الخيانة وإفشاء السرّ؟!

الإشارة الرابعة: تحقير ابن سعد

ربما كشفت هذه المحاوره بين الجرو الأموي وذيله عن نوع من الحرب النفسية والمغالبة والتكالب ومحاولات ثني السواعد وكسر العظام بينهما.

فمن جهةٍ يحاول ابن سعد من خلال التهويل والترميز أن يوحي إلي ابن زياد أنّه يحتفظ بأسرار مهمّة تمكّنه من التسلّط علي موقع ابن زياد، وتعرّض وجوده وكيانه للخطر.

ومن الجهة الأخرى يحاول ابن زياد احتقار ابن سعد والازدراء به وبمحتوياته والاستهانة بموقعه وأسراره ومعلوماته، فهو يعرض عنها ثلاث مرّات تأكيداً علي عدم الاحتفاء به وبأسراره، وتعبيراً عن عدم اكتراثه.

وهو يعلم عاقبة الأمر مع ابن سعد وضعفه وتراميه علي أقدام القردة، فهو سيبوح له علي كلّ حال، وفي ذات الوقت يعلم أنّ ما في جعبته لم يغب عنه، لأنّه قد استوعب ما يهّمّه من أخبار حركة سيّد الشهداء (عليه السلام)، فلاتهمّه معلومة يزعم ابن سعد أنّه اكتشفها.

الإشارة الخامسة: معرفة ابن زياد بالمولي الغريب (عليه السلام)

إنّ ابن الأمة الفاجرة يعرف سيوف الحسين (عليه السلام) وليوث آل أبي طالب، ويعرف البطل الهاشميّ مسلم بن عقيل (عليهما السلام)، ويعلم من خلال مجريات الأحداث أنّ مسلماً سوف لا ولن يكشف سرّاً من أسرار سيّد الشهداء (عليه السلام)، وهو المقاتل المجربّ في ساحات الوغي أيام الجمل وصفين، والمجاهد الثابت في ولاية الأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، والخبير الحاذق والمحنّك العميق الغور، وليس لابن سعد ولا لغيره من الأوغاد أن يستخرجوا من صدره ما هو أقلّ من السرّ، ويتعرّفوا من خلال وصيّته علي ما يؤثّر في عرقلة حركة سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام)، فلماذا إذن يكثرث بما جاء به هذا الرخيص الهابط؟

أجل! ربما كان يلتفت إليه أو يستحثّه علي الكلام والبوح إذا كان ابن سعد قد زعم أنّه حاز معلومةً عن غير سبيل مسلم بن عقيل (عليهما السلام).

الإشارة السادسة: لا يخونك الأمين

إشارة

لما ألحّ ابن سعد علي كشف ما زعم أنّه سرّاً، قال له ابن زياد: هات،

وعقب -- حسب نصّ الدينوري -- قائلاً: قد أسأت في إفشائك مأسرّه إليك، وقد قيل: إنّه لا يخونك إلا الأمين!! وربما ائتمنك الخائن (1).

وفي نصّ الطبري وجملة من المؤرّخين: قال له ابن زياد: إنّه لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن (2).

وفي (مقتل الحسين (عليه السلام)) لأبي مخنف المشهور: فقال ابن زياد (لعنه الله): قبحك الله من مستودع سرّاً، والله لو إنّه باح إليّ سرّه لكتمتُ عليه وقصّيت حاجته (3).

وفي (المقاتل): هات، فإنّه لا يخون الأمين، ولا يؤتمن الخائن (4).

وفي عبارة الشجري: فقال عبيد الله: إنّه لا يخون الأمين، ولكنّه قد يؤتمن الخائن (5).

ويلاحظ هنا عدّة ملاحظات:

الملاحظة الأولى: كلام النبي (صلي الله عليه وآله)

يُلاحظ أنّ ما نسب لابن زياد إنّما هو مؤدّي قول خاتم النبيّين محمّد

ص: 184

1- الأخبار الطوال للدينوري: 242.

2- تاريخ الطبري: 5 / 375، الإرشاد للمفيد: 2 / 59، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 211، بحار الأنوار للمجلسي: 44 / 355، روضة الواعظين للفتال: 151، الكامل لابن الأثير: 3 / 273، نهاية الإرب للنويري: 20 / 420، نفس المهموم للقمّي: 115.

3- مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: 36.

4- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 70.

5- الأمالي للشجري: 1 / 167.

الأمين (صلي الله عليه وآله) كما رواه عنه ابنه الصادق (عليه السلام)، فيما أخرجه الحرّ العامليقال: عن جعفر بن محمّد، عن أبيه (عليهما السلام) أنّ رسول الله (صلي الله عليه وآله) قال: «ليس لك أن تتّهم من قد اتّمنته، ولا تأتمن الخائن وقد جرّبته» (1).

وورد بلفظ قريب جداً عن معمر بن خلاد قال: سمعتُ أبا الحسن (عليه السلام) يقول: كان أبو جعفر (عليه السلام) يقول: «لا يخنك الأمين، ولكن اتّمنت الخائن».

وروي بالألفاظ وتركيبات أُخري أيضاً عنهم (عليهم السلام) (2).

وربما كان قول النبي (صلي الله عليه وآله) قد ذهب مذهب المثل كما هو اليوم، فهي ليست من كلمات ابن زياد وإبداعاته، وهو أحقر من أن يدرك هذه الحقائق من ذات نفسه.

ص: 185

1- الكافي للكليني: 298 / 5، وسائل الشيعة للحرّ العاملي: 81 / 19 ح 10.

2- في الكافي للكليني: 298 / 5: عن محمّد بن هارون الجلاب قال: سمعتُ أبا الحسن (عليه السلام) يقول: «إذا كان الجور أغلب من الحق، لم يحل لأحد أن يظنّ بأحدٍ خيراً حتّى يعرف ذلك منه». وعن زكريّا بن إبراهيم رفعه، عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديثٍ له أنّه قال لأبي عبد الله (عليه السلام): «مَن اتّمن غير مؤتمنٍ فلا حجة له علي الله». وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «مَن عرف من عبدي من عبيد الله كذباً إذا حدّث وخُلُفاً إذا وعد وخيانةً إذا اتّمن، ثمّ اتّمنه علي أمانة، كان حقّاً علي الله تعالي أن يبتليه فيها، ثمّ لا يخلف عليه ولا يأجره». وغيرها من الأحاديث.

إشارة

أما سبب تمثله بهذه القولة فقد يوعز إلي عدّة أسباب علي نحو الاستقلال أو المجموع:

السبب الأول: التعبير عن الموقف

لا يبعد أن يكون قد شاهد موقف الخيانة من ابن سعد، فذكر هذه القولة باعتبارها تصف الموقف وصفاً دقيقاً، فهو تعبيرٌ عن موقف الوغد ووصفاً له، والتمثّل ببيت شعرٍ أو بمَثَلٍ أو بالمأثور أمرٌ معتاد عند الناس.

السبب الثاني: الطعن بابن سعد

قد يكون قصد من خلال التمثّل أن يوعز إلي ابن سعد بحقارته ويُشعره بنذالته وسقوطه وتجذّر الخيانة في كيانه العفن، وبذلك يعرف الوغد قدره عند ابن زياد، فلا يتطاول ولا يدسّ أنفه أكثر ممّا يسمح له، فيتكوّر علي حجمه، ولا يتصوّر إنّه قد جعل يداً ومَنَّةً له عند ابن زياد، وهو يعرف ابن زياد أيضاً ويعرف قذارته وخيانتته ودناءته، وقد وصفه بالخيانة والتملّق الرخيص، فويل لمن كَفّره النمروذ!

السبب الثالث:

إنّ هذا التمثّل في مثل هذا الموقف له دلالاته بالنسبة للتمثّل وللمتمثّل له، وكلاهما يعلمان من خلال مجريات الأحداث وما وردهما من كتب وأخبار أنّهما مقبلان علي أمرٍ عظيم، يحتاج كلّ منهما للآخر.

ولابدّ لابن زياد من الاستخفاف بالوغد الكاسر والأفعي الرقطاء

ليمسك بها من رأسها، فيُغرز أنيابها فيمن أحب من دون أن تلدغه، (فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ).

فهو في تمثله هذا كشف لآيين سعد أنه قد قرأه إلي آخر سطر، وعرف مقداره ووزنه وأخلاقه، فأعلن له عن تقييمه له ليكون محذراً له من الخيانة فيما يستقبل من الأيام، وما تحوّل له من المهام، ويفهمه أنه لا يثق به ولا يتعامل معه إلا بحذر تام، لأنه قد انكشف له تماماً، وسوف لا يأتى خائناً.

الملاحظة الخامسة: زيادة الرواة

يمكن أن تكون هذه العبارة من زيادة الراوي والمؤرخ تحت ضغط النصب والعقيدة الفاسدة أو حبّ الدنيا والتزلف إلي السلطان، فأضافها علي أمل أن يزيّن وجوه القروود والجراء الأموية المشوّهة المرعبة، ويعرض الدمن من وجهه الأخضر في صورة من يعرف شيئاً مهماً من القيم والأخلاقيات، ويتقرّز من عظام المنكرات، وينكمش وجهه من ممارسة الخيانة، وينتفض عند مقارفة الرذيلة، فيلوم المرتكب وكأنه خلو منها، ويقول قد أسأت!! وهيئات ثم هيئات، وقد كشف الصبحُ فحمة الدجى.

إفشاء السرّ بعد الشهادة

تقرّد ابن قتيبة في صياغة ما جرى بين القزمين الحقييرين، فعرضها في تركيبة يُستظهر منها أن إفشاء السرّ كان بعد شهادة المولي الغريب (عليه السلام).

ص: 187

قال: فضرب عنقه وألقاه عمرو لعبيد الله وقال: أتدري ما قال؟ ... قال: أخبرني أنّ الحسين ومَن معه قد أُقبل ... (1).

فذكر الشهادة أولاً، ثمّ قال: وألقاه عمر لعبيد الله.. وهو يفيد أنّ الإلقاء تمّ بعد ضرب العنق.

وهو بعيد، لتفرّد ابن قتيبة من جهة، واستبعاد أن يصبر الخبيثان علي ذلك، فلا ابن سعد يصبر علي الكتمان مع خزينة النتن، ولا ابن زياد يصبر وهو يبحث عن أيّ سببٍ يضيفه إلي مسوّغاته في حربه مع سيّد الشهداء (عليه السلام) وقتله المولي الغريب (عليه السلام).

دواعي الإصرار علي الإفشاء

صوّر ابن سعدٍ وصيّة المولي الغريب (عليه السلام) كسرّ عظيم، وهوّل الأمر علي ابن زياد، وعرضه كتهديدٍ مروّع لا يسعه تجاهله والتغافل عنه؛ «فالأمر أعظم من ذلك»! وأصرّ علي كشفه وإطلاع ابن الأمة الفاجرة عليه، فلا بدّ أن تكون ثمّة نوازع تدفعه لهذا التصوير والتهويل والإلحاح علي الإفشاء.

وقد ذكرنا جملة من نوازعه وأغراضه في ثنايا الحديث قبل قليل، ويمكن أن نجملها هنا بعبارةٍ مقتضبة:

إنّ ابن سعد يريد أن يحجز لنفسه عوداً من أعواد الشجرة الملعونة، فيتسلّق إليه من خلال التمسك بذيل القرد الأموي، وذيل القرد الأموي

ص: 188

مشدودٌ بذيل جروه ابن زياد، فلا يسلك طريقاً إلي أيّ موقع في حديقة القروود ما لم يرضَ هذا الجرو القابع في قصر الخبال.

وإنّما يتمّ ذلك من خلال إثبات خالص الولاء من جهة ولو علي أساس القيم والشيم والأخلاق إن كانت بهم شمةً من ذلك، ومن ثم التملق إليه بما يقنعه بالتمحّض في الخدمة.

وهو يريد أيضاً أن يجعل نفسه رقماً ينبغي لابن زياد أن يلتفت إليه من حيث كونه حاملاً لأسرار مؤثّرة ومعلومات مدمّرة، لا يسع ابن زياد تجاهله ولا التغافل عنه.

هذا، عدا معدنه النجس ومنبته النحس ونطفته القذرة التي تدعوه لارتكاب أيّ خيانةٍ ومجانبة أيّ شرفٍ وتكبّ الرذيلة وتعقب المواقف الذليلة.

ومن هنا ربما نكتشف وإزعاً ودافعاً مهمّاً يدعو الدعيّ للوشاية وإفشاء السرّ، وهو النصب والحقد والضغينة والعداوة المتجدّرة في ذاته النكراء لأهل البيت (عليهم السلام)، وربما كان هذا من أهمّ الأسباب، إذ لا يألوا مثل ابن سعد الناصبيّ النجس جهداً في إيذاء كلّ من يمتّ إلي أهل البيت (عليهم السلام) بصلةٍ ويحاربه ويمثّل به.

إنّ العداوة والنصب والبغضاء والشحناء والحقد الكامن في أعماق ابن سعد الخبيث يعدّ المحرك الأساس في جميع مواقفه إزاء سيّد الشهداء (عليه السلام) وأنصاره وأهل بيته، وهو ما يمكّنه أن يفسّر لنا جرائمه وجنایاته وعظيمهما

ارتكبه من سيّد الشهداء (عليه السلام) وأهل بيته في كربلاء.

أمّا إقدامه علي جميع ذلك طمعاً في الري!! والري فقط! فهو كلام ينبغي التأمل فيه، من دون تنكّر لظواهر التصريحات، وليس هذا موضعه.

أثر إفشاء السرّ

إفشاء السرّ جناية كبرى وإثم كبير له آثاره التكوينية وتبعاته الوضعيّة وعواقبه وأوزاره، وهو ينمّ عن سوابق غير مرضية في المفشي، وإفشاء السرّ هو في حقيقته نميمة (1)، فتشمله نصوص ذمّ النميمة وما يترتّب عليها، وقد ورد في إفشاء السرّ الكثير من الأحاديث الدائمة، نذكر منها علي سبيل المثال لا الحصر:

فقد ورد عن عبد الله بن سنان قال: قلت له: عورة المؤمن علي المؤمن حرام؟ قال: نعم، قلت: تعني سفليه؟ قال: ليس حيث تذهب، إنّما هو إذاعة سرّه (2).

وإفشاء السرّ سقوط (3).

وثلاثة لا ينبغي للمرء الحازم أن يتقدّم عليها: شرب السمّ للتجربة وإنجا منه، وإفشاء السرّ إلي القرابة الحاسد وإن نجا منه، وركوب البحر

ص: 190

1- أنظر: مرآة العقول للمجلسي: 58 / 11.

2- الكافي للكليني: 358 / 2 - عنه: بحار الأنوار: 169 / 72.

3- تحف العقول: 315.

وإن كان الغني فيه (1).

وستُخصالٌ تُعرف في الجاهل: الغضب من غير سرّ، والكلام من غير نفع، والعطيّة في غير موضعها، وإفشاء السرّ، والثقة بكلّ أحدٍ لا يعرف صديقه من عدوّه (2).

وإفشاؤك سرّ أخيك خيانة، فاجتنب ذلك (3).

ومن أفشي سرّاً استودعه فقد خان (4).

وبناءً عليّ ما ورد في المصادر التاريخيّة، فإنّ هذا الوغد المتوحّش ابن سعد قد ارتكب هذه الرذيلة، وقد جاءت النصوص بصياغةٍ مرعبةٍ وتعليلٍ مخيفٍ، يرتجف لها الكيان، ويهتّر بها الوجدان، ويرتعش منها الفؤاد، ويخلع القلب من مستقرّه، ويشيب لهوله الرضيع، ويجهض من سماعه الجنين، ويكاد لا يصدّقها إنسانٌ لعظم وقعها وشدّة وطأتها..

يا لله! يا للهول! يا للخيبة والخسران!

قالوا: فقال ابن زياد: أما والله إذ دللت عليه لا يقاتلهم أحدٌ غيرك (5).

ص: 191

1- تحف العقول: 321.

2- معدن الجواهر: 53.

3- الأمالي للطوسي: 537 المجلس 19.

4- غرر الحِكَم: 608، عيون الحِكَم والمواعظ: 446.

5- الإمامة والسياسة: 2 / 5، العقد الفريد لابن عبد ربّه: 4 / 379، جواهر المطالب للباعوني: 2 / 268، نفس المهموم للقمّي: 116. في الثلاثة الأخيرة: «يقاتله».

قال ابن زياد: أما إذ أخبرتني فوالله لا خرج لقتاله غيرك (1).

وقالوا: ثم أن ابن زياد سمع بذلك، فقال: قبحك الله من مستودع سرٍّ، وحيث أنك أفشيت سرّه فلا يخرج إلي حرب الحسين غيرك (2).

تفريع وتعليل: إذ دلت عليه.. لا يقاتلهم أحد غيرك.. وحيث أنك أفشيت سرّه.. فلا يخرج إلي حرب الحسين غيرك..

ترتيب للقتال وللخروج إلي الحرب علي الإفشاء مباشرة، وكأنه النتيجة الطبيعية للدلالة عليه، والحاصل الضروري من الإفشاء.

هل يعني أن إفشاء السرّ يبلغ هذه الخطورة وهذا المدي الرهيب! يبلغ هذا الحدّ من المعقبات والتوالي؟!!

أفشي السرّ فأعان علي نفسه، وأعطي الذريعة بيد الطاغية ليكلّفه -- في الظاهر -- ليقاتل سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام)، فجزّه عملّه -- حسب تصريح ابن الأمة الفاجرة ومجريات الأحداث في الظاهر المنظور -- إلي قتل ريحانة النبي (صلي الله عليه وآله) وأهل بيته وصحبه (عليهم السلام)؟!!

نعوذ بالله ونستجير به!

الجواب علي الوصية

اشارة

تنقسم المصادر في تحديد من ردّ علي المولي الغريب (عليه السلام) بعد أن

ص: 192

1- الجوهرة للبري: 43.

2- المنتخب للطريحي: 427 / 2، مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: 36.

انتهى من وصيته إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ردّ ابن زياد علي ابن سعد

إشارة

بعد أن أفشى الوحش المتعطّش لدم سيّد الشهداء الحسين (عليه السلام) السرّ لسائسه ابن زياد، سمع منه الردّ علي بنود الوصية الأساسية، وقد صرّح ابن سعد في ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من (الطبقات) والذهبي في (تاريخ الإسلام) أنّ ابن زياد وجّه خطابه لابن سعد باعتباره واسطه بينه وبين المولي الغريب (عليه السلام)، فقال: قل له: أمّا مالك فهو لك لا نمنعك منه، وأمّا حسين فإن تركنا لم نرده، وأمّا جثته فإذا قتلناه لم نبال ما صنع به (1).

فيكون الخبيث ابن سعد مجرد ناقل رسالة ليس إلا، ويكون المقصود بالمال في قوله: أمّا مالك فهو لك، أي: أمّا مال مسلم بن عقيل (عليه السلام)، وهذا يؤكّد أنّ مسلماً قد أوصي بقضاء الدين من ماله شخصياً، وأنّ له مالا يمكنه أن يوصي به!

وأما الآخرون فلم يذكروا عبارة: «قل له»، فيكون الخطاب حينئذٍ مع ابن سعد بالذات باعتباره قابلاً للوصية، ويؤكّد ذلك قول ابن زياد فيما يخصّ الجثة المقدسة: «فإنّا لا نشفعك فيها»، أي: لا يشفع ابن سعد كما هو واضح من العبارة.

قال البلاذري وغيره: فقال: أمّا مالك فهو لك، تصنع فيه ما شئت،

ص: 193

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 66، تاريخ الإسلام للذهبي: 269 / 2.

وأما حسين! فإنه إن لم يردنا لم نرده، وأما جثته فإننا لا نشفعك، لأنه قد جهد أن يهلكنا. ثم قال: وما نصنع بجثته بعد قتلنا إياه (1).

وفي رواية الطبري وآخرون: قال له ابن زياد: ... أما مالك فهو لك ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت، وأما حسين فإنه إن لم يردنا لم نرده (2)، وإن أردنا لم نكف عنه، (وفي رواية أنه قال: وأما الحسين، فلا ولا كرامة (3))، وأما جثته فإننا لن نشفعك فيها، إنه ليس بأهل منا لذلك، قد جاهدنا وخالفنا، وجهد علي هلاكنا (4). وزعموا أنه قال: أما جثته فإننا لا نبالي إذ قتلناه ما صنع بها (5).

وقال ابن نما: فقال: ماله له، لا نمنعه أن يصنع به ما شاء، وأما الحسين إن تركنا لم نرده، وأما جثته، فإذا قتلناه لا نبالي ما صنع بها (6).

وقال ابن كثير: فأجاز ذلك له كله، وقال: أما الحسين فإنه [إن] لم يردنا لا نرده، وإن أردنا لم نكف عنه (7).

ص: 194

1- جمل أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 339، بأدني تفاوت: الكامل لابن الأثير: 3 / 273، نهاية الإرب للنويري: 20 / 420، نفس المهموم للقمي: 115.

2- الإرشاد للمفيد: 2 / 59، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 211، البحار للمجلسي: 44 / 355، روضة الواعظين للفتال: 151.

3- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 211.

4- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 70 باختلاف طفيف جداً.

5- تاريخ الطبري: 5 / 375.

6- مشير الأحزان لابن نما: 17.

7- البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 157.

ويلاحظ في النصوص المذكورة عدّة أمور:

الأمر الأوّل: المبادرة بالجواب

بمجرد أن عرض الوغد الرذيل بنود الوصيّة علي ابن زياد بادر ابن زياد بالجواب، وكأنّ ابن سعد إنّما عرض عليه البنود بقصد الاستئذان في التنفيذ، وإجراء ما يوافق مصالح مولاه، والإعراض عمّا لا يوافق عليه ولم يعطِ الإذن فيه.

فإنّما أن يكون ذلك هو ما فهمه من موقف ابن سعد فبادر للإجابة، أو باعتبار طغيانه وتجبره وتمردّه علي أولياء الله، أو إبلاغاً منه لابن سعد وتفهمياً له أن ليس له من الأمر شيء، وإنّما هو تحت إمرة وطوع إرادته وليس له أن يفعل أو لا يفعل إلا بعد صدور الموافقة من أميره الفاجر.

الأمر الثاني: المال

سواءً كان المخاطب في النصوص المذكورة ابن سعد -- كما في المصادر -- أو المولي الغريب مسلم (عليه السلام) -- كما في نصّ ابن سعد والذهبي --، فإنّ الرجس المتغطرس صرّح أنّه لا يتدخّل في التصرف بالمال، وله أن يفعل ما أحبّ أو ما شاء.

الأمر الثالث: الوصيّة لسيد الشهداء (عليه السلام)

إشارة

فيما يخصّ وصيّة المولي الغريب (عليه السلام) في إبلاغ سيّد الشهداء (عليه السلام) بخذلان أهل الكوفة وما آل إليه أمره، وردت النصوص في ثلاث مفادات،

ص: 195

فذكر ابن سعد والبلاذري وجماعة آخرون: وأما حسين! فإنه إن لم يردنا لم نرده (1).

وأضاف الطبري وابن كثير علي ما مضى قوله: وإن أرادنا لم نكف عنه (2).

وفي (المقتل) للخوارزمي بعد ذكر الفقرة الأولى: وفي رواية أنه قال: وأما الحسين، فلا ولا كرامة (3).

وينبغي الالتفات هنا إلي ما يلي:

أولاً: الطغيان وسوء الأدب

ماذا يُنتظر من دعيّ ينشأ مرتضعاً من صديد المومسات، وجروٍ يتعرع بين القروء، أن يفقه من سيّد الشهداء (عليه السلام) ويعرف من مقامه ومنزلته، ولذا تراه ينظر في عطفه، وينتفخ سحره، وهو الرعديد الجبان لمجرّد ذكر سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام)، فيغطي خوفه، ويحاول أن يتماسك أمام ذيله بذكر سيّد الشهداء (عليه السلام) بالاسم مجرّداً من (ال) التحلية والتعظيم، وقد صار

ص: 196

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 66، تاريخ الإسلام للذهبي: 269 / 2، جمل أنساب الأشراف للبلاذري: 339 / 2، بأدني تفاوت: الكامل لابن الأثير: 273 / 3، نهاية الإرب للنويري: 420 / 20، نفس المهموم للقمي: 115، الإرشاد للمفيد: 2 / 59، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 211 / 1، البحار للمجلسي: 355 / 44، روضة الواعظين للفتال: 151، مثير الأحزان لابن نما: 17.

2- تاريخ الطبري: 375 / 5، البداية والنهاية لابن كثير: 157 / 8.

3- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 211 / 1.

الاسم مع (ال) علماً للحسين (عليه السلام) ، فيقول: «حسين»، «يردنا»، وفي المقابل يذكر نفسه بالتعظيم فيقول: «يردنا».. لقد عتي وطغي وتكبر وتجرّب علي الله، وهو ابن الأمة الفاجرة المعروف بالجبن والنسب اللئيم القدر!!

ثانياً: إن لم يردنا لم نرده!

ماذا يقصد الخبيث بقوله: «إن لم يردنا لم نرده»؟

إن كان يقصد أنه ما دام في مأمنٍ من صولة سيّد الشهداء (عليه السلام) وأنّ الإمام لم يقصد إسقاط الحكم والاستيلاء علي السلطان، فهو إذن لا يتعرّض له بسوء، فلماذا تعرّض له وخيّره بين النزول علي حكمه أو القتل؟

لأنّ مجرد دخول قافلةٍ تضمّ عدداً قليلاً من الرجال وعدداً من النساء والأطفال إلي الكوفة لا يعدّ تهديداً للسلطة، وقد أحكم اللعين قبضته علي الكوفة وضواحيها، بل علي الطرق المؤدّية إليها والصحراء المحيطة بها، وأعلن الناس خضوعهم وخنوعهم واستسلامهم له ولزبانيته، وتوافرت لديه العساكر وأعلنت العشائر بالولاء والانصياع.

ثالثاً: متي أرادته سيّد الشهداء (عليه السلام) !؟

من هو هذا الوضع القزم المتهاك في خدمة القرد الأموي الأجر، حتّي يريده أو يرده الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) أو يقصده بأيّ مستويٍ من المستويات التي تجعله قريناً لسيّد الكائنات يومها وسيّد شباب أهل الجتّة (عليه السلام) !؟

ثمّ إنّه كذب وفجر (لعنه الله)، إذ إنّه طلب دم سيّد الشهداء (عليه السلام) من

دون أن يريدَه أو يرده الإمام (عليه السلام)، وإلا فما الذي دعاه أن ينظم الصحراء خيلاً ورجالاً، ويرسل الكتائب تجوب الفيافي، ويفرض علي الحرّ أن يمنعه من الرجوع أو التوجّه إلي أيّ جهةٍ إلا أن ينزل علي حكم الأدياء أو يُقتل هو ومن معه؟!

ومتي أرادهم الإمام الأبي؟ ففي المدينة أبي البيعة وقال: «مثلي لا يباع مثله»، فطلب دمه، وأمر القرد الشامي الأجرّب أن يبعث له الوالي برأس ريحانة النبي (صلي الله عليه وآله) مع جواب الكتاب (1)، فخرج -- فداه روعي -- من المدينة وقد ضيعوه وخذلوه وتركوه وحيداً (2).

توجّه إلي مكّة، وفيها طلبوا دمه ودبروا لقتله ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة (3)، فخرج حبيب الله متوجّهاً إلي حيث أمره الله، حيث وصلت كتب الكوفيين ورسلمهم تدعوه إليهم.

وبعد أن قطعوا عليه الطريق في الصحراء عرض عليهم أن يرجع إذ خذلوه وكرهوا قدومه! فأبوا إلا أن ينزل علي حكم ابن زياد أو يزيد، فأبي أن يعطيهم بيده إعطاء الذليل (4).

فمتي إذن أرادهم وقصدهم؟ (5) وهل يمكن أن يكون مثل ابن زياد رقماً

ص: 198

1- أنظر: الفتوح لابن أعمش: 5 / 11، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 180.

2- أنظر: الفتوح لابن أعمش: 5 / 18.

3- أنظر: بحار الأنوار: 45 / 98.

4- أنظر: الإرشاد للمفيد: 2 / 100، إعلام الوري للطبرسي: 240.

5- هذا كلّه مبنيّ علي أنّ قيام سيّد الشهداء (عليه السلام) كلّه كان دفاعاً ولم يكن هجوماً أو ما يصطلح ← → عليه عند المتأخرين ب- (الثورة)، ولإثبات ذلك موضع آخر.

يعتدّ به سيّد الشهداء (عليه السلام) ويحسب له ويجعل نفسه يازانه؟ إنّ هذا لهو البهتان العظيم!

بل علي العكس تماماً كان ابن زياد مأموراً بملاحقة سيّد الشهداء (عليه السلام)، وكان متوثّباً هو وأزلامه من قبيل عمر بن سعد للقضاء عليه واستتصال شأفة النبي (صلي الله عليه وآله) وآل الله (عليهم السلام) جميعاً، وكانوا ينتظرون أن تعلق مخالبتهم به، فيقطعون أوصاله ويملؤون منه أكراشاً، ويشبعون نهمهم لدماء آل أبي طالب، وينتقمون من سيّد الأنبياء (صلي الله عليه وآله) وسيّد الأوصياء (عليه السلام) ويثأرون لبدر وأحد والمشاهد الأخرى.

وأليس ابن زياد هو القاتل:

الآن

إذ علقت مخالبتنا به

يرجو النجاة ولات حين مناص! (1)

رابعاً: إذنه بإرسال الرسول

ربما يُستفاد من قوله: «إن لم يردنا لم نرده» أنّه أذن لعمر أن يرسل إلي سيّد الشهداء (عليه السلام) من يبلغه رسالة سفيره، بمعنى أنّه يقول لابن سعد: أرسل الرسول فلا مانع من ذلك، فإن بلغه الرسول فامتنع سيّد الشهداء (عليه السلام) عن القدوم إلي الكوفة فإنّه سيكفّ عنه، وإن جاء فإنّه لا يكفّ عنه، وقد كذب هنا أيضاً، وهو كذوب، ويعرف كذبه من التعرّض لسيّد الشهداء (عليه السلام)، ومحاصرته في البيداء، ومنعه من الرجوع أو التوجّه في

ص: 199

أرض الله الواسعة، حتّى أنزل في كربلاء ومُنِع من الانتقال عنها بأمرٍ من ابن الأمة الفاجرة (1).

خامساً: فلا كرامة

في روايةٍ للخوارزمي أنّه قال: وأمّا الحسين، فلا ولا كرامة (2).

فإن كان الخبيث يقصد: لا كرامة لابن سعد في هذه القضية، أي إنّهُ سوف لن يشفّعه بها، فإنّ ابن سعد أحقر من أن يعترض هنا ويقول له: إنّك أمرتني بالاستماع إلي وصيّته.

وهو مع ذلك قد صرّح برفضه هذا أنّه يريد سيّد الشهداء (عليه السلام) ويلاحقه ويترصّص به، ليقتله ويُرضي بذلك أعداء الله ورسوله. وإن كان يقصد الأخرى، ولا يبعد أن تصدر هذه الجسارة والطغيان والعدوان من مثل هذا الحقيير الدنيء والرجس النجس في حقّ سيّد الشهداء (عليه السلام)، وقد كان ابن زياد بؤرة الحقد والضغينة علي معدن الطهر والعفاف والفضيلة، ولم يترك جنائياً وجريماً ورذيلة إلا وارتكبها الخبيث في حياته، فلعنة الله عليه وعلي من سلّطه علي رقاب المسلمين. اللهمّ العن أولّ ظالم ظلم حقّ محمّد وآل محمّد، وآخر تابع له علي ذلك.

ص: 200

-
- 1- أنظر: تاريخ الطبري: 4 / 302 - 305، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 230، روضة الواعظين للفتال: 179 و180، الفتوح لابن أعثم: 5 / 77، إعلام الوري للطبرسي: 1 / 450، الإرشاد للمفيد: 2 / 81، الأمالي للصدوق: 218.
 - 2- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 211.

من روي الوصيّة روي بند استيهاب الجنة المقدّسة، وفي ذلك دلالة واضحة أنّ المولي الغريب العالم العارف مسلم بن عقيل (عليهما السلام) يعرف عدوّه جيّداً، وهو عالمٌ بما سيجري عليها بعده، إمّا بالإخبار من قبل المعصومين (عليهم السلام)، فيكون الاستيهاب إتماماً للحجة، وإمّا لمعرفته بنذالة ابن زياد وسلوكياته، وهو إتمام حجة وإبلاغ.

وقد نصّ ابن سعد في ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) وغيره أنّ ابن الأمة الفاجرة قال: فإذا قتلناه لم نبال ما صنّع به (1).

وخالفهم البلاذري وغيره، فنقلوا عنه أنّه أبي ذلك وقال: وأمّا جثته فإنا لا نشفعك، لأنّه قد جهد أن يهلكنا (2)، ثمّ إنّ تراجع وقال: وما نصنع بجثته بعد قتلنا إياه (3).

وفي (تاريخ الطبري) و(المقاتل): وأمّا جثته فإنا لن نشفعك فيها، إنّ ليس بأهل ممّا لذلك، قد جاهدنا وخالفنا وجهد علي هلاكنا (4). وزعموا

ص: 201

-
- 1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 66، تاريخ الإسلام للذهبي: 2 / 269، مشير الأحران لابن نما: 17.
 - 2- جمل أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 339، بأدني تفاوت: الكامل لابن الأثير: 3 / 273، نهاية الإرب للنويري: 20 / 420، نفس المهموم للقمي: 115.
 - 3- جمل أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 339، بأدني تفاوت: الكامل لابن الأثير: 3 / 273، نهاية الإرب للنويري: 20 / 420، نفس المهموم للقمي: 115.
 - 4- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 70 باختلافٍ طفيف جدّاً.

أنه قال: أما جثته فإننا لا نبالي إذ قتلناه ما صنع بها (1).

ويلاحظ أن التعليل في ردّ الوصية في خصوص الجثة، كما عند البلاذري وغيره: «لأنه قد جهد أن يهلكنا» (2)، وعند الطبري وغيره: «إنه ليس بأهل منا لذلك، قد جاهدنا وخالفنا وجهد علي هلاكنا» (3).

فهي تتفق علي تعليله بأنه جهد علي إهلاكه، أما ما ذكره الطبري: «إنه ليس بأهل منا» و«إنه جاهدنا وخالفنا»، فهي مقدمات للتعليل الأخير. ثم إنهم ذكروا أنه تراجع وقال: وما نصنع بجثته بعد قتلنا إياه؟ (4) أو إنه قبل ذلك من رأس، كما نصّ عليه ابن سعد والذهبي، ويكذبه أمور:

المكذب الأول:

أن الطبري ذكر التراجع بعد أن أبي التنفيذ بلحن «وزعموا»، وهو تضعيف ظاهر.

المكذب الثاني:

ويكذبه أيضاً -- وهو الأهم -- : نفس تقدم المولي مسلم بن عقيل (عليهما السلام)

ص: 202

1- تاريخ الطبري: 375 / 5.

2- جمل أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 339، بأدني تفاوت: الكامل لابن الأثير: 3 / 273، نهاية الإرب للنويري: 20 / 420، نفس المهموم للقمي: 115.

3- تاريخ الطبري: 375 / 5.

4- جمل أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 339، بأدني تفاوت: الكامل لابن الأثير: 3 / 273، نهاية الإرب للنويري: 20 / 420، نفس المهموم للقمي: 115.

بهذه الوصية، فهو لولا- إنه يعرف حقد ابن زياد وتشفييه وشماتته ونذالته إذا شاط به الغيظ وتمكن بعد انهيار، كما تقدم باستنقاذ الجثة واستيهاها.

المكذب الثالث:

الواقع التاريخي المروي، حيث إنه اعتدي علي الجثتين الطاهرتين الزاكيتين لمسلم وهاني (عليهما السلام)، ودفعهما إلي الجند والغوغاء والسفلة وغيرهم من أهل الكوفة، فجرّوهما وسحلوهما في الشوارع، وهتكوا حرمتهما بما سنأتي علي ذكره إن شاء الله تعالى.

المكذب الرابع:

نحن نعرف المؤرخ جيداً، ونشكّ فيه شكّاً مؤكداً، ورتاب في كل ما يرويه، وفيه كنس لجرائم الطاغوت وتلميع لوجهه المشوّه، إذ يعتبر هذا القدر من النزاهة في التعامل مع جثة عدوّه الذي أرغم أنفه في تراب الذلّة وتركه يقرض ذيله من شدّة الخوف والهلع، وبدا يحسب الأيام والساعات للانجحار والانقراض..

إنّ هذا المقدار من التنازل عن التغطرس والخيلاء والتكبّر والتجبر، بحيث يتجاوز عن الجثة المقدّسة ويتغافل عن أخذها ودفنها دونما التشفي بها والإمعان في تفريغ الأضغان والدفائن، يعدّ ميزة ترفعه عن قاعه العفن، وهو ما لا يكون لمثل ابن الأمة الفاجرة.

بالخصوص إذا عرفنا أنّ هذا السلوك الوحشي المتردي في الرذيلة كان دأباً يمارسه الخبيث مع أعدائه، وقد أكده بفعلته الشنيعة التي زلزلت

الأرض وكادت السماء تنفطر لهولها يوم أمر برضّ جسد سيّد الشهداء (عليه السلام) والتمثيل به، فامثلوا وفعّلوا (1)). قال في كتابه لابن سعد: «وأوطئ الخيل صدره وظهره (2))، ومثّل به» (3)). فلا يُصدّق إذن دعوي من زعم أنّه رضي، أو أنّه رجع فأذن بدفن الجثة، بحجّة أنّه إن قتله لا يبالي، فإنّ مجرد القتل لا يُرضي هؤلاء الأوغاد المولعين بالتشفيّ والشماتة والحقد علي الأطهار الأبرار، وقد سمعنا ما فعله بالجثة الطاهرة -- كما نقله المؤرّخ --، وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ليس لكذبٍ أمانة، ولا لفجور صيانة» (4))، وقديماً قيل: لا حافظة لكذب.

ص: 204

-
- 1- اللهم العن أول ظالم ظلم حقّ محمّد وآل محمّد، وآخر تابع له علي ذلك، اللهم العن العصابة التي جاهدت الحسين (عليه السلام)، وشايعت وبايعت وتابعت علي قتله، اللهم العن بني أميّة قاطبة، والعن آل أبي سفيان وآل زياد وآل مروان إلي يوم القيامة، وعدّبهم عذاباً يستغيث منه أهل النار، آمين ربّ العالمين.
 - 2- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 3 / 290، تاريخ الطبري: 5 / 414، الإرشاد للمفيد: 2 / 90، روضة الواعظين للفتال: 157، بحار الأنوار: 44 / 390، إعلام الوري للطبرسي: 237، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 245، المناقب لابن شهر آشوب: 10 / 331 - بتحقيق: السيّد علي أشرف، المنتظم لابن الجوزي: 5 / 336، الكامل لابن الأثير: 3 / 284، نهاية الأرب للنويري: 20 / 430 ...
 - 3- تذكرة خواصّ الأمة لسبط ابن الجوزي: 141، الفتوح لابن أعثم: 5 / 166.
 - 4- غرر الحكم: 559.

الأمر الخامس: كذبة ابن كثير

أمّا ابن كثير الآذي يسمّي يزيداً (أمير المؤمنين) (1)، فقد عرض ابن زياد في صورةٍ لا- يتوقَّعها ابن زياد لنفسه، فأوجز في عبارةٍ واحدةٍ موقفه، فقال: فأجاز ذلك له كلّ، وقال: أمّا الحسين فإن لم يردنا لا نرده، وإن أرادنا لم نكفّ عنه (2).

ومن كان يزيد (لعنه الله) عنده أمير المؤمنين، فلا بدّ أن يكون هذا النغل المدلّل عند بني أمّية بهذه الصفة عند أتباعه!! والقدر كلّ واحد.

القسم الثاني: الردّ علي المولي ابن عقيل (عليه السلام)

إشارة

تقرّد ابن أعثم -- حسب فحصنا -- بجعل الردّ مباشراً من ابن الأمة الفاجرة يخاطب به سليل إبراهيم الخليل مسلم بن عقيل (عليهما السلام): «فقال ابن زياد: أمّا ما ذكرت يا ابن عقيل من أمر دينك، فإنّما هو مالك يُقضي به دينك ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت، وأمّا جسدك إذا نحن قتلناك فالخيار في ذلك لنا، ولسنا نبالي ما صنع الله بجثّتك، وأمّا الحسين فإن لم يردنا لم نرده وإن أرادنا لم نكفّ عنه» (3).

ويمكن أن يفيد النصّ عدّة فوائد:

ص: 205

1- أنظر: البداية والنهاية: 8 / 248.

2- البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 157.

3- الفتوح لابن أعثم: 5 / 97.

الفائدة الأولى: المال

يفيد قول ابن زياد في أمر الدين أنّ المولي الغريب (عليه السلام) قد أوصي بقضاء الدين من ماله خاصّة، سواءً كان من خلال بيع فرسه أو انتظار الغلّة حتّى تأتي من الحجاز، كما ورد في بعض المصادر التي ذكرناها آنفاً، أو وجود مالٍ بحوزته فعلاً، المهم أنّ تصرّيح الرجس وقوله: «فإنّما هو مالك يُقضى به دينك ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت» يفيد بوضوح أنّ المال الموصي به لقضاء الدين إنّما هو مال مسلم بن عقيل (عليه السلام) شخصياً، فهو لم يطلب من عمر بن سعد تسديد الدين إلّا من ماله الشخصي لا من مال عمر ولا غير عمر.

الفائدة الثانية: الجثة

يفيد النصّ أنّ الخبيث ردّ علي هذا البند بجبروته وطغيانه واستعلائه واستكباره المعهود، وهو من قد عرفه التاريخ بالحقارة والدناءة والسقوط والانحطاط بكلّ المعايير، إذ إنّه يقول: وأمّا جسدك إذا نحن قتلناك فالخيار في ذلك لنا، ولسنا نبالي ما صنع الله بجثتك..

فهو يؤكّد أنّ الخيار له يصنع بالجثة ما يشاء، ومن الواضح أنّه يصنع بها ما ينسجم وشأنه وطبعه وطريقته التي تأتي إلّا أن لا تجعل في الحضيض من هو أسفل منه، ولا يتصوّر من أمثال هذا الجرو أن يتعامل معها معاملة البشر، وهو مسخ رديء.

وتضمّن أيضاً تعبيره هذا وما لحقه من قوله: «ولسنا نبالي ما صنع الله بجثتك» تهديداً يؤكّد ما سمعته في الفقرة السابقة، فهو يوعز ما يفعله إلهي الله كما هو شأنه دائماً وشأن أسياده ورعاته من القروء الأمويّة والسباع التي نشأت في السقيفة.

ولو كان لا يريد التهديد والوعيد والتلوّيح بما سيفعله من التمثيل والسحل بالجثّة ولم يكن يبيّن ذلك، إذ أنّ قوله: «لا نبالي ما صنع به» أو «لسنا نبالي ما صنع الله بجثتك»، يشير إلهي أنه لا يهتم بدفنه ولا تجهيزه ولا بيالي بذلك، فإذا مثّلوا بها أو سحلّوها في الأزقة فهو لا بيالي أيضاً ولا يهتم ذلك!

الفائدة الثالثة: طغيان ابن زياد

يلاحظ في هذا النصّ -- كما يلاحظ في النصوص الأخرى التي تروي ما قاله هذا الخبيث بين يدي المولي مسلم بن عقيل (عليهما السلام) -- أنّ الوقاحة والصلافة والغطرسة والتجبر والعتوّ والاستعلاء إلهي الله وعلي أوليائه من السمات المتجدّرة في هذه المخلوقات العاتية، فهو يتكلّم بصيغة الجمع عن نفسه! ويعلن عن نواياه كأنّه الحاكم المطلّق والمتسلّط الذي لا يُنارَع، غير أنّه لا يجرؤ إلهي الإصحار عمّا في كوامنه من ادّعاء الربوبية، فهو قد قالها: (أنا ربكم الأعلى) بكلّ صيغة، وعبر عنها في كلّ تصرّفٍ وجملَةٍ من دون أن يذكر هذه الكلمات الثلاث.

إشارة

أمّا القسم الثالث من الكتب، فقد ورد فيها أنّ عمر بن سعد هو الذي بادر للردّ علي المولي مسلم بن عقيل (عليه السلام) وحدّد له الموقف ومدى الاستجابة في تنفيذ الوصية.

قال الطريحي: فقال عمر بن سعد: أمّا ما ذكرت من الشهادة فكلّنا نشهدها، وأمّا ما ذكرت من بيع الدرع وقضاء الدين فذلك إلينا إن شئنا قضيناه وإن شئنا لم نقض، وأمّا ما ذكرت من أمر الحسين فلا بدّ أن يقدم علينا ونذيقه الموت غصّة بعد غصّة (1).

وفي (المقتل) المشهور لأبي مخنف: فقال عمر بن سعد: أمّا ما ذكرت من الشهادة فكلّنا نقرّ بها، وأمّا ما ذكرت من بيع درعك وقضاء دينك فنحن أولي إن شئنا قضينا وإن شئنا لم نقضه، وأمّا الحسين (عليه السلام) فلا بدّ أن يقدم علينا ونذيقه الموت غصّة بعد غصّة (2).

ونصّ الطريحي -- كما يبدو -- مأخوذاً من (المقتل) المشهور لأبي مخنف، ولولا ما فيه من نقطتين لكان أكثر تلاثماً وانسجاماً مع مواقف المجرمين ونفسياتهم:

النقطة الأولى: مبادرة ابن سعد

يبدو من خلال النصوص الواردة في المتون السابقة، مضافاً إلي ما هو

ص: 208

1- المنتخب للطريحي: 2 / 427.

2- مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: 36.

معروفٌ من دناءة ابن سعد وذلّة نفسه وحقارة محتده ومنبته وسقوطه وتملّقه لابن زياد، أنّ من البعيد جدّاً أن تقوم به الجرأة لبيادر في الجواب قبل أن يأذن له ابن زياد.

إلا أن يقال: أنّ هذا الجواب كان عبارة عن تبليغ لمقالة ابن زياد، فهو قد بلّغ مولاه وسيّده بما قال البطل الهاشمي (عليه السلام)، واستمع إلي ردود ابن زياد، ثمّ نقلها إلي مسلم بن عقيل (عليهما السلام) من دون أن ينسبها إلي صاحبها، باعتباره هو المباشر في سماع الوصيّة والمطالب بتنفيذها والمتوقّع منه الجواب علي بنودها.

وربما لوّحت العبارات والتهديد والوعيد الوارد فيها إلي أنّها قريبة من لغة ابن زياد ونفسيّته وموقعه ومواقفه.

النقطة الثانية: الشهادة

لقد ورد في نصّ (المقتل) لأبي مخنف المشهور والشيخ الطريحي أنّ المولي الغريب (عليه السلام) قد شهد الشهادات الثلاث، وجاء هنا علي لسان عمر ابن سعد أنّه يقول: «أمّا ما ذكرت من الشهادة فكلّنا نقرّ بها»، من دون إبداء أيّ امتعاضٍ أو اعتراض علي الشهادة الثالثة، وكأنّه راضٍ ومعتقدٍ بها، وأنّه يشهد بها ويشهد بها جميع الناس؛ «فكلّنا نقرّ بها»، وهو ما لا يمكن المصير إليه بتاتاً.

إلا أن يقال: إنّ قصد الشهادتين وتجاهل الشهادة الثالثة، ليُفهم منه

أنّه لا زال علي ظاهر دين الإسلام، لو ساعد السياق علي ذلك، وهو ليس كذلك.

أمّا باقي فقرات الجواب، فهي تناسب تماماً ما في كوامن ابن زياد وابن سعد من الحقد والتميّز غيضاً وحنقاً علي معادن الطهر والشرف، وانتظارهم بلهفةٍ مشتعلة وروود سيّد شباب أهل الجنة (عليه السلام)، ليملؤوا أكراسهم السغباً منأوصاله المقدّسة، ويلغوا بشهيةٍ متفاقمة في دمانه الزاكية.

تنفيذ الوصية

قال ابن سعد وعنه الذهبي: وقضى عمر بن سعد دين مسلم بن عقيل، وأخذ جثته فكفّنه ودفنه، وأرسل رجلاً إلي الحسين، فحمله علي ناقه وأعطاه نفقةً وأمره أن يبلغه ما قال مسلم بن عقيل، فلقيه علي أربع مراحل فأخبره (1).

وقال الذهبي: ففعل ذلك، وبعث رجلاً علي ناقه إلي الحسين، فلقيه علي أربع مراحل (2).

ابن سعد عن الواقدي وغيره بإسنادهم: أنّ عمر بن سعد بن أبي وقاص أرسل رجلاً علي ناقه إلي الحسين يخبره بقتل مسلم بن عقيل، وكان قد بعثه الحسين إلي الكوفة.. (3).

ص: 210

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 67، تاريخ الإسلام للذهبي: 269 / 2.

2- سير أعلام النبلاء للذهبي: 3 / 201 - عن: الذهبي.

3- تاريخ الإسلام للذهبي: 269 / 2.

سيأتي الكلام عن تنفيذ الوصية فيما يخصّ الجثمان المقدّس تحت عنوان (تجهيز الأجساد الطاهرة)، وقد مرّ الكلام في تبليغ الرسالة لسيد الشهداء (عليه السلام) في بحث (مسلم بن عقيل -- ثائر أم سفير؟).

ومن الواضح أنّ ابن سعد لا يتجاوز حدود ما يرسمه له سائسُه ابنُ زياد، ولمّا كان في تبليغ سيّد الشهداء (عليه السلام) ما يحقّق لهم مأرباً فقد أذن له، وما سوي ذلك فقد خضع لأحقاده وضغائنه، وصغى به لعداوته وشحنائه ومنبته الموبوء.

ص: 211

بدنٌ مكدود.. مزّقتَه الجراح، طرّزت له الدماء سربالاً، وانغرزت فيه النبال حتّى لكأنّه مقاديم النصور، وهشمت فمه الحجاره ونصّلت ثنيتاه، غاصت الرماح في أحشائه، وانتهلّت السيوف من أعضائه، فكرعت من دمه الذي جفّفه العطش، فصدرت رويّةً من ضربة ابن حمران وطعنة الغادر بعد أن ردّ عليهم الأمان..

أذبل الضمأ شفّتيه، وفّتت كبده، وأيسس رأّيه، وامتلاً فوه دماً منعه من شرب الماء..

أحاطت به الأراذل والأوباش، واجتمعت عليه الغوغاء والأحابيش والسفلة، وصكّت مسامعه زعقات اللئام المردة..

حاصرته الأنظار التي زاغت من هول صولته وسطوته، والأبصار التي كفّها وغضها واختطفها وميض سيفه وسرعة جولانه في المعركة.. غير أنّها

الآن تجده مكتبلاً، فرمته بسهام لواحظ الشماتة الخائبة..

شماتة الجبناء، تسلط الخونة، لؤم الغلبة.. وسطوة الرعيد جرح لا يُطاق ألمه، بعد أن يكبّل الأسد لما أثنى وتكاثر عليه الضباع..

وليت الجنان يعينه البيان ويؤازره اللسان، ويجتمع بنو الإنسان ليتمكّنوا من وصف جراحات الضيغم الهاشمي والأسد الطالبي والليث العقيلي وهو داخل قصر الطاغية ابن الأمة الفاجرة.. ليت!

لقد ذكرنا في غير موضع الجراحات التي أصيب بها المولي الغريب (عليه السلام)، وقد اقتضب المؤرخون الحديث عنها بعباراتٍ لو تأملناها قليلاً لعلنا أن لا موضع في بدنه المقدّس لم يدمه عَضُ السلاح..

فكم من حجارةٍ كدمته وأدمته؟

وكم من سهمٍ أصابه ومزّقه؟

وكم من رمحٍ طعنه؟

وكم من سيفٍ ضربه وهشّمه؟

وكم من حزمةٍ قصبٍ مشتعلةٍ جرحته وأحرقته؟

هذا سوي ضربة ابن حمران والحجر الذي كسر فاه، وطعنة الغادر التي صرعته..

وسوي العطش.. والشماتة والنظر إلي دعي مكنته السقيفة علي سليل إبراهيم الخليل (عليه السلام)! العجيب! الذي يبهر العقول، ويهزّ كيان الغيور، ويدعو للفخر والمباهاة،

ويحتير ذوي الألباب، ويترك المتابع أياً كان في ذهول، أن يقف سفيرُ سيّد الشهداء (عليه السلام) بعد كل ذلك ليذبّ ويدافع وينافح ويكافح ويصول بلسانه العقيلي الحادّ اللاذع، ويخوض حرباً كلامية بلسانه الذي جفّفه العطش وضرّجته الدماء..

فمه مكسور.. شفته مقطوعة.. ثناياه ناصلة.. لسانه مخضّب.. والعطش.. العطش؛ يكاد يلصق لسانه بلهاته.. فكيف كان الهزبر الظامئ المجروح يتكلّم؟!!

ما ضعف البدن عمّا قويت عليه العزيمة.. إنّه حفيد أبي طالب، وابن عقيل، وابن أخي سيّد الوصيّين وأمير المؤمنين (عليه السلام)، وأخو سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين (عليه السلام).

لقد كان ثابت الجنان، صلب الإيمان، نافذ البصيرة، قوي اليقين، راسخ القدم، علي بصيرة من أمره، ثاقب النظر، بعيد الغور، سليم الطوية، عظيم المناقب، عالي المراتب، يطلّ من سامق مقامه، ويشرف من سامي منزلته، نجيب المحتد، أصيل النسب، رفيع الحسب، تقوم به همّته، وتسانده غزير معرفته التي لا تقوي العقول غير المعصومة علي حصر سعتها، ولا تري لبحار علومه شاطئاً، ولا تكتشف لها عمقاً..

إنّه مسلم بن عقيل (عليه السلام)، سفير الحسين (عليه السلام).. لا يقف إلا كما يقفسيده ومشرفه بهذه المهمّة، فهو يعرف الحسين (عليه السلام) كما يليق بمثل مسلم (عليه السلام) أن يعرفه..

لئن أجهد العطش والجراح والشماتة بدنه، فقلبه طوع الحسين (عليه السلام) .. كزبر الحديد علي أعدائه، بل أشد وأعظم تماسكاً وأقوي وأصلب، لا يضعفه نزع الجراح، ولا يكل ولا يمل عن مقارعة أعداء الله وأعداء سيّد الشهداء (عليه السلام)، ولا تزلزله القواصف، ولا تحركه العواصف، ولا تخور له قوة، ولا تلين له صلابة، ولا يخيفه في الله لومة لائم..

إنه قلب مسلم بن عقيل (عليه السلام) .. المفعم بحبّ الحسين (عليه السلام)، المتوهج بنور مصباح الهدى، المتألق بمعرفة الله، المتعلق بالرفيق الأعلى..

إنه مسلم بن عقيل (عليه السلام) .. النجيب الذي وُلد من نكاح لا من سفاح في طول تاريخ شجرته التي نبتت في الحرم وبسقت بالجوهر والعطاء والكرم، وأضاءت الدنيا بأنوار غرر آبائه منذ أشرقت وأطلت علي دياجير الجاهلية، فكشفت عورات الأعداء وأبناء الأعداء.. إنه ابن الزواكي الطاهرات، وابن الأنبياء، وسليل النجباء..

أوليس للقارئ أن يعجب كيف كان هذا البطل المكلوم، والغريب المهموم، والعزيز الذي وقع بين براثن أولاد البغايا أسيراً، وهو يعاني من كل تلك الجراحات.. كيف كان يستطيع الجواب، ويردّ علي من افتري عليه وتعرض لساحة قدس مولاه؟! هل يكون ذلك إلا من رجال سيّد شباب أهل الجنة (عليه السلام)، ومن أبناء أبي طالب (عليه السلام)، ومن أختارهم الله علي علم ليكونوا لمثل هذه المواقف؟! وعندها ينطلق اللسان كأمضي سلاح، وتنطق الجراح.. ولا يبالي القلب بما

يعتري البدن، ولا يكَلِّ اللسان من هول المصاب وعمق القرع!

تنقسم المصادر كالعادة إلي أقسام في نقل ما ورد في المقام من حيث الاقتضاب والإطناب والاختصار والتفصيل، وتكاد تتفق علي المضمون.

القسم الأول: المقتضبة

قال المسعودي: ثم أدخل إلي ابن زياد، فلما انقضي كلامه ومسلم يغلظ له في الجواب أمر به ... (1).

وقال أبو الفرج: ثم قال ابن زياد لمسلم: قتلي الله إن لم أقتلك قتلةً لم يقتلها أحدٌ من الناس في الإسلام. قال: أما أنك أحقّ من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أما أنك لم تدع سوء القتلة، وقبح المثلة، وخبث السيرة، ولؤم الغيلة لمن هو أحقّ به منك (2).

وقال الطبرسي: فقال ابن زياد: لعمري لتقتلن قتلةً لم يقتلها أحدٌ من الناس في الإسلام. فقال له مسلم: أنت أحقّ من أحدث في الإسلام، وإنكلا تدع سوء القتلة، وقبح المثلة، وقبح السيرة، ولؤم الغلبة. وأخذ ابن زياد يشتمه ويشتم الحسين وعلياً وعقبلاً، وأخذ مسلم لا يكلمه (3).

ص: 217

1- مروج الذهب للمسعودي: 3 / 69، نفس المهموم للقمي: 117.

2- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 70.

3- إعلام الوري للطبرسي: 229.

وقال ابن شهر آشوب: فأُتي به إلي ابن زياد، فتجاوبا، وكان ابن زياد يسبّ حسيناً وعليّاً (عليهما السلام)، فقال مسلم: فاقضِ ما أنت قاضٍ يا عدوّ الله (1).

هذه النصوص المختصرة التي تحكي ما دار بين المولي الغريب (عليه السلام) وبين ابن الأمة الفاجرة، وهي كما ترى تنقل مقطعاً من الوارد في المتون المفصلة، فترك البحث فيها هنا، إذ أننا سنتناولها هناك.

غير أنّ تعبير المسعودي في (المروج) فيه إشعارٌ يجمل التوقّف عنده ولو علي عجل، يقول: فلمّا انتقضي كلامه ومسلم يغلظ له في الجواب أمر به (2).

يفيد النصّ قوّة المولي مسلم بن عقيل (عليهما السلام)، ويعبّر عن الضربات الموجعة التي سدّدها بشفرة لسانه إلي عدوّ الله، فأعجزه وطّمّه في جحره وهو يخال أنّه يعيش زهو الظفر، فخاب وانقمع وتضاءل وانجحر..

ويبقى الشريف الكريم في كلّ حالاته شريفاً كريماً جليلاً عظيماً مهيباً مبادراً، يوجّه أزمّة الأمور وفق موازين الطاعة لله وللمن أوجب الله طاعته، ويضع المقاليد في مواضعها، لأنّه يعرف ضخامته وفخامته وحقارة عدوّه وذلّته وصغاره، كما يعرف الملاحظ ذلك..

ويبقى القويّ المتين الثابت الرصين يعطي لمن يواجهه فسحةً للفخار

ص: 218

1- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 320 / 10.

2- مروج الذهب للمسعودي: 69 / 3، نفس المهموم للقمي: 117.

غالباً كان أو مغلوباً، فقد افتخرت أخت عمرو بن ودّ حينما أبلغت أنّ قاتل عمرو كان أمير المؤمنين حيدر الكرار (عليه السلام)، وقالت أنّها سكنت لوعتها وهدأت رتتها، ولو كان قاتله غير أسد الله وأسد رسوله لبكت عليه سالف الأبد، ولكنّها سوف لا تبكيه إذ أنّ قاتله كفؤ كريم.

وسبى سيّد الكائنات في زمانه الإمام زين العابدين (عليه السلام) وولده الوصيّ من بعده الإمام الباقر (عليه السلام) وفخر المخدّرات عقيلة الطالبين (عليها السلام)، وكتبوهم.. وكانت لهم عليّ عدوّهم الوضيع.. لأنّ العظيم إذا وقع أسيراً بيد من هو دونه فهو زيادة في حقارة الدنيء وإمعانٌ في كشف زيفه وسخرية العارف بهما منه..

والقيود والأغلال لا تضعف القويّ ولا تسليخ عنه هويته، ولا تزيد هيئته إلاّ جلالاً وعظمة، إذ لم يؤثر السبي والقيود في الإمام زين العابدين (عليه السلام) ولا في عمّته فخر المخدّرات (عليها السلام)، بل انبري كلّ منهما بما منحه الله من هيبة وجلال وقوّة، فحدّوا للطغاة حدّهم، وقرّعوهم وفضحوهم، وكشفوا الحضيض الذي يتقلّبون فيه بأعمالهم، فإنّ العزّة دائماً لله ولرسوله للمؤمنين أينما كانوا وفي أيّ حال كانوا..

ومسلم (عليه السلام) يغلظ له في الجواب.. يكرّ عليه ولا يفرّ، فلم يجد الجبان الرعديد الفاشل سوي أن يأمر به، وهكذا جرت المقادير، ولله الحكمة البالغة..

قال البلاذري: وقال الهيثم بن عدي: حدّثني ابن عياش [ظ] عن مجالد، عن الشعبيّ قال: أُدخل مسلم بن عقيل (رحمه الله) علي ابن زياد وقد ضُرب علي فمه، فقال: يا ابن عقيل، أتيت لتشتيت الكلمة؟ فقال: ما لذلك أتيت، ولكنّ أهل المصر كتبوا أنّ أباك سفك دماءهم وانتهاك أعراضهم، فجئنا لنأمر بالمعروف وننهي عن المنكر. فقال: وما أنت وذاك؟ وجري بينهما كلام.

وقال هشام بن الكلبي: قال أبو مخنف في إسناده: قال ابن زياد لابن عقيل: أردت أن تشتت أمر الناس بعد اتفاهه، وتفرّق ألفتهم بعد اجتماعهما.

وجري بينهما كلامٌ حتّي قال له: قتلني الله إن لم أقتلك قتلةً لم يقتلها أحد في الإسلام. فقال له مسلم: أما أنّك أحقّ من أحدث في الإسلام، ما لم يكن فيه من سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة... (1).

وقال الطبري: ثمّ إنّ ابن زياد قال: إيه يا ابن عقيل! أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة، لتشتتهم وتفرّق كلمتهم، وتحمل بعضهم علي بعض! قال: كلاً، لست أتيت، ولكنّ أهل المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسري وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلي حكم الكتاب. قال: وما أنت وذاك يا فاسق؟ أولم نكن

ص: 220

نعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر!

قال: أنا أشرب الخمر؟ والله إن الله ليعلم أنك غير صادق، وأنت قلت بغير علم، وأنتي لست كما ذكرت، وإن أحق بشرب الخمر مني وأولي بها من يلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرّم الله قتلها، ويقتل النفس بغير النفس، ويسفك الدم الحرام، ويقتل علي الغضب والعداوة وسوء الظن، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً.

فقال له ابن زياد: يا فاسق، إن نفسك تمنيك ما حال الله دونه، ولم يرك أهله. قال: فمن أهله يا ابن زياد؟ قال: أمير المؤمنين يزيد! فقال: الحمد لله علي كل حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم.

قال: كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئاً؟ قال: والله ما هو بالظن، ولكنّه اليقين. قال: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام! قال: أما أنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما أنك لا تدع سوء القتل، وقبح المثلة، وخبث السيرة، ولؤم الغلبة، ولا أحد من الناس أحق بها منك.

وأقبل ابن سمية يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً وعقيلاً، وأخذ مسلم لا يكلمه.

وزعم أهل العلم أن عبيد الله أمر له بماء، فسّقي بخزفة، ثم قال له: إنّه لم يمنعنا أن نسقيك فيها إلا كراهة أن تحرم بالشرب فيها، ثم نقتلك، ولذلك

سقيناك في هذا (1).

وقال ابن أعثم: فقال مسلم بن عقيل: إن قتلنتي، فقد قتل شرُّ منك مَنْ كان خيراً منِّي.

فقال له ابن زياد: يا شاق! يا عاق! خرجت علي إمامك، وشققت عصا المسلمين، وألقحت الفتنة. فقال مسلم: كذبت يا ابن زياد! والله ما كان معاوية خليفة بإجماع الأمة، بل تغلب علي وصي النبي بالحيلة، وأخذ عنه الخلافة بالغضب، وكذلك ابنه يزيد، وأما الفتنة فإنك ألقحتها أنت وأبوك زياد بن علاج من بني ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة علي يدي شرِّ بريته، فوالله ما خالفت ولا كفرت ولا بدلت! وإنما أنا في طاعة أمير المؤمنين! الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله (صلي الله عليه وآله)، ونحن أولي بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد.

فقال له ابن زياد: يا فاسق! ألم تكن تشرب الخمر في المدينة؟ فقال مسلم بن عقيل: أحق والله بشرب الخمر منِّي مَنْ يقتل النفس الحرام، وهو في ذلك يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً.

فقال له ابن زياد: يا فاسق! منتك نفسك أمراً، أحالك الله دونه وجعله لأهله. فقال مسلم بن عقيل: ومن أهله يا ابن مرجانة؟ فقال: أهله يزيد ومعاوية. فقال مسلم بن عقيل: الحمد لله، كفي بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال ابن زياد لعنه الله: أظن أن لك من الأمر شيئاً؟ فقال مسلم

ص: 222

1- تاريخ الطبري: 375 / 5 وما بعدها.

ابن عقيل: لا والله، ما هو الظنّ ولكنّه اليقين. فقال ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك! فقال مسلم: إنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة، والله لو كان معي عشرة ممّن أتق بهم وقدرت علي شربةٍ من ماء لَطال عليك أن تراني في هذا القصر ...

... ولكنّي أريد أن تخبرني يا ابن عقيل بماذا أتيت إلي هذا البلد؟ شتت أمرهم، وفرقت كلمتهم، ورميت بعضهم علي بعض! فقال مسلم بن عقيل: لست لذلك أتيت هذا البلد، ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف، وتأمّرتم علي الناس من غير رضي، وحملتموهم علي غير ما أمركم الله به، وعملتّم فيهم بأعمال كسري وقيصري، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر، وندعوهم إلي حكم الكتاب والسنة، وكذبنا أهل ذلك، ولم تزل الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، ولا تزال الخلافة لنا، فإنا قهرنا عليها، لأنكم أول من خرج علي إمام هدي وشق عصا المسلمين، وأخذ هذا الأمر غضباً، ونازع أهله بالظلم والعدوان، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله (تبارك وتعالى): (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ).

قال: فجعل ابن زياد يشتم عليّاً والحسن والحسين (رضي الله عنهم)، فقال له مسلم: أنت وأبوك أحقّ بالشتيمة منهم، فاقض ما أنت قاض، فنحن أهل بيتٍ موكلّ بنا البلاء.

فقال عبيد الله بن زياد: الحقوا به إلي أعلي القصر، فاضربوا عنقه وألحقوا رأسه جسده. فقال مسلم (رحمه الله): أما والله يا ابن زياد! لو كنت

من قريش أو كان بيني وبينك رحم أو قرابة لما قتلتي، ولكنتك ابن أبيك (1).

قال المفيد والفتال: ثم قال ابن زياد: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وهم جميع، فشتت بينهم، وفرقت كلمتهم، وحملت بعضهم علي بعض. قال: كلاً، لستُ لذلك أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أن أبك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسري وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلي حكم الكتاب.

فقال له ابن زياد: وما أنت وذاك يا فاسق؟ لم لم تعمل فيهم بذلك إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟ قال: أنا أشرب الخمر؟! أما والله إن الله يعلم أنك غير صادق، وأنتك قد قلت بغير علم، وأني لستُ كما ذكرت، وأنتك أحق بشرب الخمر مني، وأولي بها من يلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها، ويسفك الدم الحرام علي الغضب والعداوة وسوء الظن، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً.

فقال له ابن زياد: يا فاسق، إن نفسك تمنيك ما حال الله دونه، ولم يرك الله له أهلاً. فقال مسلم: فمن أهله إذا لم نكن نحن أهله؟ فقال ابن زياد: أمير المؤمنين يزيد! فقال مسلم: الحمد لله علي كل حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم.

فقال له ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام

ص: 224

1- الفتوح لابن أعمش: 97/5 وما بعدها.

من الناس. فقال له مسلم: أما أنك أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن، وأنتك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة لأحد. فأقبل ابن زياد يشتمه ويشتم الحسين وعليّاً وعقيلاً (عليهم السلام)، وأخذ مسلم لا يكلمه (1).

قال مسكويه: وانتهى بمسلم إليه. فقال: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناسوأمرهم جميع وكلمتهم واحدة، لتشتت بينهم وتحمل بعضهم علي بعض. قال: كلاً! لست لذلك أتيت، لكنّ أهل المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم، وعمل فيهم أعمال كسري وقيصر، فأتيناهم لنامر بالمعروف والعدل، وندعو إلي حكم الكتاب. وتراجعا الكلام إلي أن قال له ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك قتلةً لم يقتلها أحد في الإسلام. قال: أما أنك أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، وأنتك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة، لا أحد من الناس أحقّ بها منك. وأخذ ابن زياد يشتمه ويشتم حسيناً وعليّاً، وأمسك مسلم لا يكلمه (2).

الخوارزمي: ثم قال لمسلم: يا شاقّ يا عاقّ، خرجت علي إمامك، وشققت عصا المسلمين، وألقت الفتنة. فقال: كذبت يا ابن زياد، إنّما شقّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وإنّما ألقت الفتنة أنت وأبوك زياد ابن عبيد بن علاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة علي يدي

ص: 225

1- الإرشاد للمفيد: 60 / 2، روضة الواعظين للفتال: 151، بحار الأنوار: 356 / 44.

2- تجارب الأمم لمسكويه: 53 / 2.

شَرَّ بَرِيَّتِهِ، فوالله ما خلعتُ وما غَيَّرت، وإِنَّمَا أَنَا فِي طَاعَةِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَابْنِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ، فَهُوَ أَوْلَى بِالْخِلَافَةِ مِنْ مَعَاوِيَةَ وَابْنِهِ وَآلِ زِيَادٍ.

فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: يَا فَاسِقُ! أَلَمْ تَكُنْ تَشْرَبُ الْخَمْرَ بِالْمَدِينَةِ؟ فَقَالَ مُسْلِمٌ: اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مَا شَرِبْتُهَا قَطُّ، وَأَحَقُّ مِنِّي بِشْرَبِ الْخَمْرِ مَنْ يَقْتُلُ النَّفْسَ الْحَرَامَ، وَيَقْتُلُ عَلِيَّ الْغَضَبِ وَالْعِدَاوَةِ وَالظَّنِّ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْهُو وَيَلْعَبُ كَأَنَّهُ لَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا.

فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: يَا فَاسِقُ! مَتَّكَ نَفْسُكَ أَمْرًا حَالَ اللَّهُ دُونَهُ وَجَعَلَهُ لِأَهْلِهِ. فَقَالَ مُسْلِمٌ: وَمَنْ أَهْلُهُ يَا ابْنَ مَرْجَانَةَ؟ فَقَالَ لَهُ: يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ. فَقَالَ مُسْلِمٌ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، رَضِينَا بِاللَّهِ حَكْمًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ. فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: أَتَنْظُرُ أَنَّ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ، مَا هُوَ بِالظَّنِّ وَلَكِنَّهُ الْيَقِينُ.

فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ لَهُ: قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ شَرَّ قَتْلَةٍ. فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ: أَمَا أَنْتَ لَا تَدْعُ سُوءَ الْقَتْلِ وَقَبِيحَ الْمِثْلِ وَخَبْثَ السَّرِيرَةِ وَلُؤْمَ الْفَعْلَةِ لِأَحَدٍ غَيْرِكَ أَوْلَى مِنْكَ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَعِيَ عَشْرَةٌ مِمَّنْ أَثِقَ بِهِمْ وَقَدَرْتُ عَلَيَّ شُرْبَةَ مَاءٍ، لَطَالَ عَلَيْكَ أَنْ تَرَانِي فِي هَذَا الْقَصْرِ ...

... وَلَكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَخْبِرَنِي يَا ابْنَ عَقِيلٍ، لِمَاذَا أَتَيْتَ أَهْلَ هَذَا الْبَلَدِ وَأَمْرَهُمْ جَمِيعًا وَكَلِمَتَهُمْ وَاحِدَةً، فَأَرَدْتَ أَنْ تَفَرِّقَ عَلَيْهِمْ أَمْرَهُمْ، وَتَحْمِلَ بَعْضُهُمْ عَلَيَّ بَعْضٌ؟ فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ: لَيْسَ لِذَلِكَ أَتَيْتُ، وَلَكِنَّ أَهْلَ هَذَا الْمَصْرِ زَعَمُوا أَنَّ أَبَاكَ قَتَلَ خِيَارَهُمْ وَسَفَكَ دِمَاءَهُمْ، وَأَنَّ مَعَاوِيَةَ حَكَمَ فِيهِمْ ظُلْمًا بِغَيْرِ رِضْيٍ مِنْهُمْ، وَغَلَبَهُمْ عَلَيَّ ثُغُورَهُمُ الَّتِي أَفَاءَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَأَنَّ

عاملهم يتجبر ويعمل أعمال كسري وقيصر، فأتينا لنأمر بالعدل، وندعو إلي الحكم بكتاب الله إذ كنّا أهله، ولم تزل الخلافة لنا وإن قهرنا عليها، رضيتم بذلك أم كرهتم، لأنكم أول من خرج علي إمام هديّ وشقّ عصا المسلمين، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله تعالى: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ).

قال: فجعل ابن زياد يشتمه ويشتم علياً والحسن والحسين، فقال مسلم: أنت وأبوك أحق بالثتم والسب، فاقض ما أنت قاضٍ يا عدو الله، فنحن أهل بيتٍ موكل بنا البلاء (1).

وقال ابن الأثير: ثم قال لمسلم: يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة، لتشتت بينهم وتفرق كلمتهم. فقال: كلاً، ولكن أهل هذا المصر زعموا أنّ أبك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسري وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلي حكم الكتاب والسنة.

فقال: وما أنت وذاك يا فاسق؟ ألم يكن يعمل بذلك فيهم إذ أنت تشرب الخمر بالمدينة؟ قال: أنا أشرب الخمر؟ والله إنّ الله يعلم أنّك تعلم أنّك غير صادق، وأني لست كما ذكرت، وأنّ أحق الناس بشرب الخمر مني من يبلغ في دماء المسلمين، فيقتل النفس التي حرّم الله قتلها علي الغضب والعداوة، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً.

ص: 227

فقال له ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك قتلةً لم يقتلها أحدٌ في الإسلام. قال: أما أنك أحقّ من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أما أنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة، ولا أحد من الناس أحقّ بها منك. فشتمه ابن زياد وشتم الحسين وعليّاً وعقيلاً، فلم يكلمه مسلم (1).

وقال ابن نما: قال: اسكت، ويحك ما هو لي بأمر! فقال عبيد الله: لا عليك، سلّمت أم لم تسلّم فإنك مقتول. قال: إن قتلتي فلقد قتل من هو شرّ منك من هو خيرٌ مني، فإنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة، لا أحد أولي بها منك. فقال ابن زياد: يا عاق، يا شاق، خرجت علي إمامك، وشققت عصا المسلمين، وألقحت الفتنة. فقال مسلم: كذبت يا ابن زياد، إنّما شقّ عصا المسلمين أنت وأبوك زياد عبد بني علاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة علي أيدي شرّ البرية.

فقال ابن زياد: متّك نفسك أمراً حال الله دونه وجعله لأهله. فقال مسلم: ومن أهله يا ابن مرجانة؟ قال: يزيد بن معاوية. فقال مسلم: الحمد لله، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال ابن زياد: أتظنّ أنّ لك شيئاً من الأمر؟ قال: والله ما هو الظنّ، وإنّما هو اليقين.

فقال ابن زياد: أما كان في قيان المدينة ما يشغلك عن السعي في فساد أمة محمّد؟ أتيتهم وكلمتهم واحدة، ففرقتهم. فقال: ما للفساد أتيت،

ص: 228

ولكنّ أهل المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم، وأنّ معاوية ظلمهم وحمل فيهم إليه، فجنّت لأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأقوم بالقسط وأدعو إلي حكم الكتاب (1).

وقال السيّد ابن طاووس: فقال له: اسكت، ويحك، والله ما هو لي بأمر. فقال ابن زياد: لا عليك، سلّمت أم لم تسلّم فإنّك مقتول. فقال له مسلم: إن قتلتي، فلقد قتل من هو شرُّ منك من هو خيرٌ منّي، وبعد، فإنّك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة لأحدٍ أولي بها منك.

فقال ابن زياد: يا عاق يا شاقّ، خرجت علي إمامك، وشققت عصا المسلمين، وألقحت الفتنة. فقال مسلم: كذبت يا ابن زياد، إنّما شقّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وأمّا الفتنة، فإنّما ألقحها أنت وأبوك زياد بن عبيد عبد بني علاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة علي يدي شرّ بريّته.

فقال له ابن زياد: متّك نفسك أمراً أحال الله دونه وجعله لأهله. فقال له مسلم: ومن أهله يا ابن مرجانة؟ فقال: أهله يزيد بن معاوية. فقال مسلم: الحمد لله، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم.

فقال له ابن زياد: أتظنّ أن لك في الأمر شيئاً؟ فقال له مسلم: والله ما هو الظنّ، ولكنّه اليقين. فقال ابن زياد: أخبرني يا مسلم بماذا أتيت هذا

ص: 229

البلد وأمرهم ملتئم، فشتت أمرهم بينهم وفرقت كلمتهم. فقال مسلم: ما لهذا أتيت، ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف، وتأمرتم علي الناس بغير رضيٍّ منهم، وحملتموهم علي غير ما أمركم الله به، وعملتُم فيهم بأعمال كسري وقيصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهي عن المنكر، وندعوهم إلي حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل ذلك. فجعل ابن زياد يشتمه ويشتم علياً والحسن والحسين (عليهم السلام)، فقال له مسلم: أنت وأبوك أحقُّ بالشتيمة، فاقض ما أنت قاضٍ يا عدو الله (1).

وقال النووي: ثم قال: يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة، لتشتيت بينهم وتفريق كلمتهم. قال: كلاً، ولكن أهل هذا المصر زعموا أن أبك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسري وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلي حكم الكتاب. فقال: وما أنت وذاك؟ ثم كانت بينهما مقالة، قال له ابن زياد في آخرتها: قتلني الله إن لم أقتلك قتلةً لم يقتلها أحدٌ في الإسلام. فقال: أما أنك أحق من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أما أنك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة لأحدٍ من الناس أحق بها منك! فشتمه ابن زياد وشتم حسيناً وعلياً وعقيلاً، ولم يكلمه مسلم (2).

وقال ابن كثير: فأقبل ابن زياد عليه، فقال: إيه يا ابن عقيل، أتيت

ص: 230

1- اللهوف لابن طاووس: 57.

2- نهاية الإرب للنوري: 20 / 402.

الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة، لتشتتهم وتفرق كلمتهم، وتحمل بعضهم علي قتل بعض. قال: كلاً، لستُ لذلك آتيت، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسري وقيصر، فأتيناهم لأمر بالعدل، وندعو إلي حكم الكتاب.

قال: وما أنت وذاك يا فاسق؟ لم لا كنت تعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟ فقال: أنا أشرب الخمر؟ والله إن الله ليعلم أنك غير صادق، وأنت قلتَ بغير علم، وأنتَ أحقّ بذلك منّي، [فإني لستُ كما ذكرت، وإنّ أولي بها منّي من يلع في دماء المسلمين ولغاً، ويقتل النفس التي حرم الله بغير نفس، ويقتل علي الغضب والظنّ، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً.

فقال له ابن زياد: يا فاسق، إن نفسك تمنيك ما حال الله دونك ودونه، ولم يرك أهله. قال: فمن أهله يا ابن زياد؟ قال: أمير المؤمنين يزيد. قال: الحمد لله علي كلّ حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. قال: كأنك تظنّ أن لكم في الأمر شيئاً؟ قال: لا والله، ما هو بالظنّ ولكنّه اليقين.

قال له: قتلتني الله إن لم أقتلك قتلةً لم يقتلها أحدٌ في الإسلام من الناس. قال: أما أنك أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما أنك لا تدع سوء القتلة، وقبح المثلة، وخبث السيرة المكتسبة عن كتابكم وجهالكم]. وأقبل ابن زياد يشتمه ويشتم حسيناً وعليّاً، ومسلم ساكت

لا يكلمه. رواه ابن جرير عن أبي مخنف وغيره من رواة الشيعة (1).

وجود اختصار في النصوص المفصلة:

جاءت المحاججة والمناظرة أو المعركة الكلامية والمنازلة والمصاولة اللسانية -- إن شئت فسمها -- في بعض المصادر فيها شيء من التفصيل لما جري بين سليل الطهر و سليل العمهر، بيد أن بعضهم اقتطع النص واجتزأ منه لأي غرض كان، كأن يكون قاصداً للاختصار، أو خائفاً من انتشار رائحة الفضيحة التي كشف غطاءها المولي مسلم بن عقيل (عليهما السلام)، أو متكباً الجادة العامة التي أوضح مناهجها العالم من عترة النبي (صلي الله عليه وآله)، لأن في ذلك إبطالاً لحجة أئمتهم و ساداتهم، أو بدافع إرضاء السلطان، أو أي حاجة في نفس المؤرخ والراوي يود أن يقضيها بالاجتزاء والاختصار.

ويشهد لذلك قول البلاذري: وجري بينهما كلامٌ حتّي قال له: قتلني الله إن لم أقتلك.. (2).

وقول مسكويه: وتراجعا الكلام إلي أن قال ... (3).

وقول النويري: ثم كانت بينهما مقابلة، قال له ابن زياد في آخرتها ... (4).

ص: 232

1- البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 156.

2- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 340.

3- تجارب الأمم لمسكويه: 2 / 53.

4- نهاية الأرب للنويري: 20 / 402.

وهذا ما يعطي مجالاً للمتابع أن يأخذ الزيادات المناسبة للموقف بنظر الاعتبار، إذ أن هؤلاء أقروا أن ثمة محذوف في البين، فربما كانت الزيادات من المحذوفات.

فقرات المحاجة:

إشارة

أرسل ابن الأمة الفاجرة أرتالاً وكتائب عبأهم لقتال البطل الهاشمي مسلم بن عقيل (عليه السلام)، وكان فيهم صناديد عسكر السقيفة في الكوفة يومها، وقد أتينا علي ذلك مفصلاً في دراسة (الحرب الأخيرة)، وبقي هو يلوذ بجدران قصر الخبال، تحوطه الحرس والرجال وتذود عنه الوحشة، ما يسميهم بالوجوه والأشراف، وهو مع ذلك لا يقرّ له قرار، يتسقط الأخبار، ويتابع مرتعشاً خائفاً لا يدري ماذا يخبئ له القدر من مواجهة فرع هاشم وغصن الشجرة المباركة وسيف الحسين (عليه السلام) البتار، ويهتز كيانه حينما يسمع رسل ابن الأشعث وهو يستمدّ الفرسان ويستغيث ويطلب الرجال.

وبعد كلّ الذي جري وصار، حكم القدر ووقع الضيغم الهصور أسيراً في يد الأذنان والأقزام، بعد أن كظّه العطش وأثنخن بالجراح وصرعته الضربة الغادرة التي مزقت أحشائه وغاصت في خاصرته، فظنّ الرعديد المتهاوي أنه قد تماسك واجتمع شتات نفسه الخائرة، فدبّ الزهو في أعطافه، وتوثّب الغرور من أعماقه، بعد أن كبت وقمع خلال فترة وجود المولي مسلم بن عقيل (عليه السلام) في الكوفة، وشال الكبرياء بقايا الغطرسة،

فتنافخ وعاد الهواء لأنفه وتورّم وهو يري الأسد الغالب مكتوفاً تحفّه الجلاوزة، وتشمت به الأنظار، والحرس يحوطونه وهو بين المترلّفين والمرترقة.

فبدا اللّعين كأنه وحشٌ أُطلق من قيوده، وصار يتكلّم وفق المنهج الذي سار عليه أسلافه منذ لبسوا الإسلام لبس الفرو مقلوباً، وتمكّنوا من رقاب المسلمين بالقهر والغصب والحيلة والافتراء وقلب الموازين وتزييف الحقائق وعرض الباطل مموّهاً بالحقّ الزائع عن الصراط المستقيم.

فكال التهم، وافترى واجترأ، وعاند وكابر، وكذب علي الله، وقلب الحقائق، وكان له ابن عقيل (عليه السلام) بالمرصاد، فقارعه وألقمه حجراً، فأذّله وكشف وجهه، فبان كأبيح من عراق خنزير مجذوم منتن ملقيّ في حشّ يهود.

ويمكن أن يلاحظ كلام الخبيث الرجس من خلال عدّة محاور ركّز عليها في حوار:

المحور الأوّل: المهمّة

إشارة

يتبيّن من النصوص التي ذكرناها قبل قليل أنّ ابن الأمة الفاجرة بدأ يفترى ويعرض أمام الحاضرين أفكاراً، ويستخدم مصطلحات شرعيّة وظّفها توظيفاً مقلوباً، وعكس فيها المفاهيم وفرّغ المصطلحات من معناها الحقيقي وحشاها معاني مغلوطة تتناقض تماماً مع إرادة الشارع الأقدس، وهو ما فعله جردان السقيفة من قبل، فكان كلامه متهرّناً متهافتاً لا يستر

قبحه ولا يردم عفته.

وقد حاول الضرب علي مواضع ترّبي عليها الناس منذ أيام السقيفة، من خلال الالتجاء إلي الجماعة ووحدة الصفّ والتوجّس من مقارفة الفتن والخروج علي الإمام، وهكذا.. وسوف نستعرضها تباعاً إن شاء الله تعالى.

وهو يريد من خلال ذلك محاكمة أصل المهمّة التي جاء من أجلها المولي الغريب سفير الحسين (عليهما السلام) :

أولاً: تشتيت الكلمة، وحمل بعضهم علي بعض!

ثانياً: شقّ العصا.

ثالثاً: إلقاء الفتنة.

رابعاً: الخروج علي الإمام.

ردّ المولي مسلم (عليه السلام)

وكان ردّ المولي مسلم بن عقيل صاعقاً قوياً مدمراً، يأخذ بالعقول السليمة إلي سواء السبيل، ويسلك بها المنهج القويم، ويضعها علي الصراط المستقيم، ويفتد مزاعم الخبيث، ويرجع الموازين كما نصبها الله، ويسوّيها خلاف ما نكسها أعداء الله.

قال البلاذري: فقال: ما لذلك أتيت، ولكنّ أهل المصر كتبوا أنّ أبك سفك دماءهم، وانتهاك أعراضهم، فجئنا لنأمر بالمعروف وننهي عن

ص: 235

وقال الطبري: قال: كلاً، لست أتيت، ولكنّ أهل المصر زعموا أنّ أبك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسري وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلي حكم الكتاب.

وقال ابن أعثم: فقال مسلم: كذبت يا ابن زياد! والله ما كان معاوية خليفةً بإجماع الأمة، بل تغلب علي وصي النبي بالحيلة، وأخذ عنه الخلافة بالغصب، وكذلك ابنه يزيد، وأما الفتنة فإنك ألقحتها أنت وأبوك زياد بن علاج من بني ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة علي يدي شرّ بريته، فوالله ما خالفت ولا كفرت ولا بدلت! وإنما أنا في طاعة أمير المؤمنين! الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله (صلي الله عليه وآله)، ونحن أولي بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد.

وقال المفيد والفتال: قال: كلاً، لست لذلك أتيت، ولكنّ أهل المصر زعموا أنّ أبك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسري وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلي حكم الكتاب. فقال له ابن زياد: وما أنت وذاك يا فاسق؟ لمّ لم تعمل فيهم بذاك إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟

وقال الخوارزمي: فقال: كذبت يا ابن زياد، إنّما شقّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وإنّما ألقح الفتنة أنت وأبوك زياد بن عبيد بن علاج

من تقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة علي يدي شرّ بريته، فوالله ما خلعتُ وما غيرت، وإنّما أنا في طاعة الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت رسول الله، فهو أولي بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد.

وقال ابن الأثير: فقال: كلاً، ولكنّ أهل هذا المصر زعموا أنّ أبك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسري وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلي حكم الكتاب والسنة.

وقال ابن كثير: قال: كلاً، لستُ لذلك أتيت، ولكنّ أهل المصر زعموا أنّ أبك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسري وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلي حكم الكتاب ...

ويمكن اختصار ردود المولي مسلم في نقاط:

أولاً: نفي (عليه السلام) أن يكون قد أتى لما زعمه واتّهمه به ابنُ الأمة الفاجرة.

ثانياً: إنّهُ إنّما جاء بناءً علي شكوي ودعوة تقدّم بها أهل المصر.

ثالثاً: إنّ القوم قد استنصروا بهم واستغاثوا ممّا هم فيه من قتلٍ وهتكٍ للأعراض وأعمال كسروية وقيصرية.

رابعاً: إنّ إغاثتهم للقوم ستكون عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلي العدل وحكم الكتاب والسنة.

خامساً: إنّ معاوية ويزيد ليسوا خلفاء مجمّع عليهم، وإنّما تغلبوا علي ما في أيديهم بالقهر والقوة، فهم من شقّ العصا. سادساً: إنّ من ألحح الفتنة هو زياد ابن أبيه وسليل العلوج ابن زياد.

الملاحظة الأولى: الضمائر في حديث مسلم (عليه السلام)

يلاحظ في كلام المولي مسلم (عليه السلام) الدقة في استخدام الضمائر، فهو يقول: «ما لذلك أتيت»، «كلاً لستُ أتيت».. مستخدماً ضمير المفرد.

وحينما يريد الحديث عن الناحية التي توجّهت لها كتب القوم والجواب عليها والاستجابة لما فيها، يستخدم ضمير الجمع: «فجئنا لنأمر بالمعروف»، «فأتيناهم لنأمر بالعدل»، «وندعو إلي حكم الكتاب»، «ونحن أولي بالخلافة».. في إشارةٍ إلي أنه ليس هو صاحب الدعوة، ولا المباشر بالإجابة والإغاثة، ولا الطالب للخلافة، وإنما هو رسولٌ وممثّلٌ لمن وراءه، وليس هو إلا رائد.

وفي ذلك ردٌّ وتقنيديٌّ قويٌّ لمزاعم ابن الأمة الفاجرة، وتشتيتٌ لما يحاول تكريسه، فهو يخاطب المولي مسلم (عليه السلام) وكأنه هو الذي جاء ليفعل ما يزعمه ابن زياد ويطمع في الأمر لنفسه، وأنه القائد الأصل والرجل الذي يريد الوصول إلي غاياته التي صوّرها ابن زياد نفسه، وقد قبض عليه ابن زياد وانهي كل ما كان يطمح إليه.

وربما أراد أن يمارس الخبيث حرباً نفسيةً مع الناس، ويوحي إليهم أنّ القيام قد انتهى، لأنّ قائده وزعيمه والمتصدّر لتحقيق الأهداف قد وقع في قبضته، وفي نفس الوقت يحاول أن يوفّر المسوّغات الكافية والأدلة الوافية

لقتل المولي مسلم بن عقيل (عليه السلام) باعتباره خارجاً علي الحكم شخصياً، وغيرها من المقاصد..

فكان ردّ البطل الهاشمي (عليه السلام) صاعقاً نبهاً دقيقاً، أتى علي بنيان عدوّه من القواعد فلم يُبق ولم يذر، إذ أجاب بصيغة الجمع مشيراً إلي أنّه مفردة تمثّل العظيم الذي يُذكر بالتبجيل والتكريم والتعظيم، لأنّ ممّا يجزم به كلّ من يسمع كلامه (عليه السلام) أنّه لا يدّعي الخلافة لنفسه أبداً في قوله: «نحن أولي بالخلافة»، فهو ليس وحده، وإنّما هو رسولٌ لإمامه (عليه السلام).

الملاحظة الثانية: كتبوا وزعموا

في لفظ البلاذري: «كتبوا»، وفي لفظ غيره: «زعموا».

والزعم أيضاً يأتي بمعني القول، ومنه: زعم فلان كذا، أي قال (1)، فيكون المعني واحد. وليس المراد به الزعم بمعني ادّعاء شيءٍ يحتمل الصدق والكذب أو التشكيك في أمر.

الملاحظة الثالثة: تشبّث الجمع

ذكر المولي مسلم بن عقيل (عليهما السلام) جرائم زياد سليل العلوج وجرائم ابنه، كأنّه اقتبس كلامه هذا من كتاب الإمام الحسين (عليه السلام) لمعاوية إذ يقول (عليه السلام) في حديثٍ طويل:

ص: 239

1- مجمع البحرين للطريحي: 6 / 78 - مادة (زعم).

«ثم سلطته (1) علي العرّاقين، يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم، ويسمّل أعينهم، ويصلبهم علي جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك» (2).

فقال مسلم (عليه السلام): إن أبك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسري وقيصر..

فإذا كان معك يا ابن زياد في الكوفة زيد من الغوغاء، فإنّ فيهم أيضاً من عجّ وضجّ واستغاث من فعالك وفعال أبيك ومن سلطكما، فأنت وأبوك وأسيادكم من شتت الجمع وفرّق الكلمة، وعمل بالظلم والجور، ومزّق الناس كلّ ممزّق، وجعلهم أحاديث وشراذم، حتّي صار الرجل يخاف من مملوكه وخادمه أن يفوه بكلمة أمامه، وقتلوا علي الظنّ والشبهة تحت كلّ كوكب، حتّي لقد كان الرجل يسقط بالكلمة فيضرب عنقه (3).

الملاحظة الرابعة: مؤدي الدعوة

قلنا قبل قليل أنّ المولي مسلماً (عليه السلام) حينما يتكلّم عن مؤديات الدعوة فهو لا يتكلّم بالمفرد، وإنّما يتكلّم باستخدام ضمير الجمع، فيقول: «فجننا»، «فأتيناهم»، «ندعو».. فهو ليس عمل فردي يريد أن يتبناه شخصياً،

ص: 240

1- أي: أنّ معاوية سلط زياداً (لعنهما الله وأخزاهما).

2- إختيار معرفة الرجال للطوسي: 1 / 256، الدرّ النظيم لابن حاتم العاملي: 534، بحار الأنوار: 44 / 213.

3- أنظر بحار الأنوار: 33 / 180، كتاب سليم: 2 / 786.

وإنّما هو واجهة وسفير وممثّل للإمام الذي «جاء» و«أتي» و«دعا»..

وقد لخصّها الموليّ مسلم (عليه السلام) وفق مجموع النصوص السابقة بثلاث مهام:

الأوّل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثاني: الأمر بالعدل.

الثالث: الدعوة إلى حكم الكتاب والسنة.

وتعبير الموليّ -- حسب المتون -- عميق ودقيق جدّاً، لا يمكن للدعيّ ابن زياد ولا لغيره أن يستفيد منه استهداف الحكم وتبييت الاستيلاء عليّ السلطة والتوثّب عليّ مقاليد الإمارة، حيث قال: «لنأمر بالمعروف وننهي عن المنكر»، «نأمر بالعدل»، «ندعو إلى حكم الكتاب»، وفي لفظ ابن الأثير أضاف «السنة».

أمرٌ بالمعروف ونهيٌّ عن المنكر، وأمرٌ بالعدل ودعوةٌ إلى حكم الكتاب.. وهذه تكاليف مفروضة عليّ كلّ مسلمٍ آمن بالله واليوم الآخر، ولا يُشَمّ من صياغة الفقرات ما يشير إلى تطبيقٍ ومباشرة تنفيذ. قال: «نأمر بالعدل» لا (ننشر العدل) مثلاً، «ندعو إلى حكم الكتاب» لا (نطبّق حكم الكتاب) أو عبارة أُخري تدلّ عليّ هذا المعني.. والبحث أعمق من ذلك بكثير، وليس هذا موضعه.

ص: 241

لقد ورد النهي مؤكّداً علي لسان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) عن تسمية غير الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ب- (أمير المؤمنين)، حتّى وُلده الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، فهو لقبٌ خاصٌ منحه الله (عزّ وجلّ) له، ولا- يكون لغيره قطّ من الأولين والآخريين، كما ورد في حديثٍ طويلٍ للإمام الحسن المجتبي (عليه السلام): «تسميني بإمرة المؤمنين وما جعلها الله لي ولا لأخي الحسين، ولا لأحدٍ ممّن مضى ولا لأحدٍ ممّن يأتي، إلا لأمر المؤمنين خاصّة؟ أو ما سمعت جدّي رسول الله (صلي الله عليه وآله) قد قال لأبي: يا علي، إنّ الله سمّاك بأمر المؤمنين، ولم يُشرك معك في هذا الاسم أحداً، فما تسمّي به غيره إلا وهو مأفون في عقله؟» (1).

وفي تفسير فرات: عن عمر بن زاهر قال: قال رجلٌ لجعفر بن محمّد (عليهما السلام): نسلم علي القائم بإمرة المؤمنين؟ قال: «لا، ذلك اسمٌ سمّي الله به أمير المؤمنين (عليه السلام)، لا يسمّي به أحدٌ قبله ولا بعده إلا كافر». قال: فكيف نسلم عليه؟ قال: «تقول: السلام عليك يا بقيّة الله». قال: ثمّ قرأ جعفر: (بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (2). وفي تفسير العيّاشي: دخل رجلٌ علي أبي عبد الله (عليه السلام) فقال: السلام

ص: 242

1- الهداية الكبرى للخصيبي: 192.

2- تفسير فرات: 93 ح 249.

عليك يا أمير المؤمنين. فقام علي قدميه فقال: «مه، هذا اسم لا يصلح إلا لأمير المؤمنين (عليه السلام)، أله سماء به، ولم يسم به أحد غيره فرضي به إلا كان منكوحاً، وإن لم يكن به ابتلي به، وهو قول الله في كتابه: (إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَانَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا)». قال: قلت: فماذا يدعي به قائمكم؟ قال: «يقال له: السلام عليك يا بقیة الله، السلام عليك يا ابن رسول الله» (1).

وقال السيد الجزائري في (رياض الأبرار): وروي الثقة العياشي عند تفسير قوله تعالى: (إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَانَا): إنه ما تسمي أحد بأمير المؤمنين غير علي (عليه السلام) إلا كان ممن يوتي في دبره وله حظ من الأنوثة (2).

ولا نشك أن الفقيه العالم ريب بيت أمير المؤمنين (عليه السلام) ومن آخاه سيد شباب أهل الجنة الحسين (عليه السلام) قد سمع ذلك ووعاه وعمل به، فلا يمكن أن يسمي الإمام الحسين (عليه السلام) بأمير المؤمنين، كما ذكره ابن أعثم: «وإنما أنا في طاعة أمير المؤمنين الحسين بن علي...».

ويشهد لذلك تفرّد ابن أعثم به، وأن الخوارزمي وغيره نقلوا النص نفسه من دون هذه الزيادة.

إلا أن يقال -- علي فرض صحّة ذلك -- : إنه أراد أن يفهم ابن زياد أن

ص: 243

1- تفسير العياشي: 1 / 276 ح 274.

2- رياض الأبرار للجزائري: 3 / 204.

هذا المقام (أمير المؤمنين) مقامٌ غصبه الأجلاف أسلافه، وهو لأمر المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) خاصّة، وإن كان لغيره فهو لابنه الحسين (عليه السلام).

وهو بعيد؛ لما ذكرناه قبل قليلٍ من ورود النهي عنه من جهة، ومن تعبيره (عليه السلام) بالخلافة في مقام بيان أحقيّة الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) كما سنسمع بعد قليل.

الملاحظة السادسة: الردّ عليّ شقّ العصا ونفي الخلافة عن معاوية

رمي ابنُ زياد الخبيث الموليّ مسلمَ بن عقيل (عليه السلام) بشقّ عصا المسلمين وتشتيت كلمتهم وتفريق وحدتهم، فردّ عليه البطل الهاشمي (عليه السلام) ردّاً أتى عليّ بنيانه من القواعد، وأبان الحقّ وكشف الدجي بتير كلماته، التي أثبت فيها أنّ ابن زياد ومن سلّطه عليّ رقاب الناس هم الذين شقّوا العصا وفرّقوا الكلمة وشتّتوا الجماعة، وبذلك أعاد مسلم (عليه السلام) الحقّ إليّ نصابه، وأرجع الميزان الذي حاول ابن زياد قلبه إليّ اعتداله، ودلّ عليّ القيم الأصلية التي ينبغي الرجوع إليها والتحاكم وفقها.

فقال مسلم (عليه السلام) -- كما في (الفتوح) -- : كذبتَ يا ابن زياد! والله ما كان معاوية خليفةً ياجماع الأمة، بل تغلّب عليّ وصيّ النبيّ بالحيلة، وأخذ عنها الخلافة بالغصب، وكذلك ابنه يزيد ... وإنّما أنا في طاعة ... الحسين بن عليّ بن فاطمة بنت رسول الله (صلي الله عليه و آله)، ونحن أولي بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد.

وفي (المقتل) للخوارزمي: فقال: كذبت يا ابن زياد، إنّما شقّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد ... فوالله ما خلعتُ وما غيّرت، وإنّما أنا في طاعة الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت رسول الله، فهو أولي بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد.

عبارات المولي الغريب (عليه السلام) في هذا المقطع -- كما هو في سائر عبارته -- غاية في المتانة وقوة الاستدلال، وجزالة اللفظ وحبك المعاني، وترادف الأفكار والمعتقدات، وتتابع المقدمات والنتائج، وعمق الغور ودقّة التعبير..

فهو أثبت -- وفق نصّ ابن أعثم -- أنّ معاوية قد تسلّط علي الناس بالحيل والغلبة والقهر، ولم تكن الأمة مجمعة عليه، فهو لم يصل إلي سدة الحكم والسلطان بجعلٍ وتسديدٍ من الملك المئان، بل اختلسها اختلاساً، وغضبها غضباً من الولي الذي جعله الله إماماً مفترض الطاعة وأولي بالمؤمنين من أنفسهم، والإمام العدل الذي جعل الله له الولاية علي الخلق لم يخلع ولن يخلع بالغلبة والحيلة، ولم تسقط ولايته بإعراض جميع الخلق عنها، كيف! وقد كان فيهم الكثير ممّن يعتقد بها ويدين الله بإمامته وحاكميته وولايته.

فمعاوية إذن لم يكن إماماً مجعولاً من الله، وإنّما أخذها بالغلبة والقهر والحيلة والغدر، فلا هو منصوبٌ بالنصّ من الله تعالي، ولم يجتمع عليه من يسمّونهم بأهل الحلّ والعقد، ولا أفرزته شوري، ولا اجتمعت عليه الأمة.. فبأيّ معيارٍ استولي علي الحكم؟ ومن أيّ شريعة استمدّ قوّة السلطان؟

فإذا كان الإمام وصيَّ النبيِّ وخليفته الإمام الحسين والحسن المجتبي ومن قبلهما الإمام أمير المؤمنين وسيد الوصيين (عليهم السلام) هم أئمة الحق المنصوص عليهم من الله والمفروضة طاعتهم بنصِّ رسول الله (صلي الله عليه وآله)، فمن خالفهم يُسمَّى خارجياً مفارقاً للجماعة وشاقاً للعصا.

معاوية ليس خليفة، وبالأولوية لم يكن ابنه يزيد خليفة؛ لأنَّ معاوية لم يأخذ الحكم وفق شريعة أقراها الإسلام، ولا نصَّ عليها النبيِّ (صلي الله عليه وآله) ولا ارتضاها ربُّ العالمين، فكيف يخلف عليها ابنه؟! والإمام الحسين (عليه السلام) هو الخليفة بالحقِّ، والوصيَّ المنصوص عليه، فمن تمسَّك به وأطاعه فهو في طاعة الله، ومن خالفه فقد هوي وغرق وشقَّ العصا.

إنَّها الحجَّة القارعة، والبرهان الدامغ، والحجر المُسكَّت الذي ألقمه لابن الأمة الفاجرة..

الخارجيُّ هو معاوية، ويزيد، وابن زياد.. ومن تبعهم ولهث خلفهم ولحس قياهم.. أمَّا من تبع الإمام المعصوم فليس هو الخارجي، وإنما هو علي الصراط المستقيم، ومن كان في طاعة الحسين (عليه السلام) فهو في طاعة ربِّ العالمين، فهم المحور وبهم الجماعة، ومن فارقتها شبراً أو فتراً أو أقلَّ من ذلك، فقد شقَّ العصا ودعا إلي الفرقة وشتت الكلمة، ورجع إلي الجاهليَّة القهقري، وأكبَّه الله منكوساً في جهنم واللَّظي.

هذه هي سنَّة الله وسنَّة نبيِّه، وليس كما يصوِّره ابن زياد وأسياده.. والإمام الحقَّ المنصوب من الله هو الجماعة وبه ومعه تكون، وكلَّ من

خالف سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) وقاتله وأعان عليه، فهو خارجيّ خرج علي إمام زمانه..

فليس الخارجيّ ولا شقّ العصا كما زعم ابن زياد ورمي به المولي الغريب (عليه السلام)، وإثما هو علي العكس تماماً، ابن زياد هو وأسياده الخوارج، وهم من شقّ العصا.

وفي كلامه (عليه السلام) هذا علي اختصاره بحوث وفوائد عقائديّة وتاريخيّة كثيرة غنيّة، لا تسعها أوراق العجلان هذه.

الملاحظة السابعة: من ألقح الفتنة

في الفتوح لابن أعثم: وأما الفتنة، فإنّك ألقحتّها أنت وأبوك زياد بن [عبيد بن] علاج من بني ثقيف..

ومثله في (المقتل) للخوارزمي.

إنّه ابن عقيل (عليه السلام)، العالم بأنساب العرب، الذي أذاق بني أميّة السهاد مرّاً، وأطعمهم الذلّ والفضيحة علقماً، وسقاهم حنظل منابتهم الذميمة التنتة ببيانه وحدّ لسانه، فلم يدع لهم مثلبةً إلا كشفها علي رؤوس الأشهاد، فسلب النوم من عيونهم، وزعزع عليهم استقرارهم..

مسلم (عليه السلام) الشجاع، ضربهم بالسيف وطعنهم بالسنان، وكبح زهوهم وقمع كبرياءهم بلسانه وبيانه..

من هو ابن زياد وأبوه؟ أولاد الخيام المنصوبة علي قارعة الطريق، التي

يدخلها كلّ رخيص، والنتاج المتولّد تحت رايات البغي المنشورة للزناة، والنطف المنعقدة من سيلانات المياه العفنة المتداخلة من سقطات المجتمع..

لقد واجهه مسلم بهذه الحقيقة المدمّرة أكثر من مرّة، فعرض به حينما بحث عن قرشيّ في المجلس ليوصي إليه، فالتفت إلي عمر بن سعد وقال: لا أري في المجلس قرشيّ غيرك.. فجاءت طعنة نجلاء أفرغت أعطاف ابن الأمة الفاجرة المتورّم زوراً، إنّه التصق بأبي سفيان..

ثمّ واجهه هنا مباشرةً بكلمةٍ أنفذ من السهم وأمّض من السنان.. «أنت وأبوك زياد بن عبيد علاج من بني ثقيف!!».

وقد سبقه إلي هذا القول سيّده وسيّد الكائنات الإمام الحسين (عليه السلام) في كتابه لمعاوية: «أولست المدّعي زياد ابن سمّية، المولود علي فراش عبيد ثقيف؟ فرعمت أنّه ابن أبيك، وقد قال رسول الله (صلي الله عليه وآله): الولد للفراش وللعاهر الحجر. فتركّت سنّة رسول الله (صلي الله عليه وآله) وعمدًا، واتبعّت هواك بغير هديّ من الله» (1).

فحدّ المولي الغريب (عليه السلام) لابن زياد حدّه، وعرفّه بحقارة أصله، ودناءة حسبه، وخساسة نسبه..

فديتك يا ابن عقيل علي هذه الشجاعة التي يتراجع أمامها الصناديد،

ص: 248

1- إختيار معرفة الرجال للطوسي: 1 / 256، الدرّ النظيم لابن حاتم العاملي: 534، بحار الأنوار: 44 / 213.

وينجح بين يديك الأبطال، فكيف بهذا الجبان الرعديد؟!

ثم إنَّ القوم منذ يوم السقيفة وقبلها شرعوا في قلب الموازين، ونكس القيم، ولبس الدين لبس الفرو مقلوباً، وتحريف معاني القرآن، وتشتيت القلوب والأذهان، وتهديم بناء العقل البشريّ الذي بناه سيّد الأكوان النبيّ محمّد الأمين (صلي الله عليه وآله) ووصيّه الناصح (عليه السلام)، وبناء عقل حشوه الشرك وطلاؤه الإسلام، يرضي بالمتناقضات ويخنع للترهات، فزيّفوا وحرفوا وشكّكوا، ودخلوا قرية الدين فدمروها تدميراً، وهذا هو شأن الملوك إذا دخلوا قرية، كما صرّح به القرآن.

وقد أعاد الحقّ إلي نصابه، ونصب الميزان معتدلاً مستقراً أبو حميدة، فأبان للرجس سليل الفاجرات أنّ الفتنة إنّما لقحت به وبأبيه وبمن سلّطهما، فجعلنا يسملان الأعين، ويصلبان علي جذوع النخل، ويلاحقان المؤمنين تحت كلّ حجرٍ ومدبر، وهجّرا الآمنين من ديارهم، وخبّطوا الناس خبط عشواء، فلم يسلم من عذابهما أحدٌ من العالمين، وهما يقتلان علي التهمة والظنّة، ولطالما قتلا بريئاً ليرعبا به الآخرين..

فعلا هذا وغيره كثير، ولا زالت صفحات التاريخ تأنّ من احتوائه، ولا زال المراجع للتاريخ يصيبه الدوّار ويفغر فاه ويغلبه الغثيان من التردّد علي سطور الكتب التي استعرضت حياتهما وحياة أسيادهما.

لقد فعلوا ذلك معاندين مكابرين مصرّين عالمين بما يفعلون، لأنّ مهمّتهم الأساس هي أن يفتنوا الناس عن دينهم، ويفرّقوا بينهم وبين

إمامهم الحقّ المنصوب لهم من ربّهم.

فهم أتون الفتنة وكانون النار الخبيثة المشتعلة من عظام الأبرياء والمؤمنين والأتقياء، ولهيب العار الذي يشردّ بالناس في عقائدهم وأفكارهم ودينهم وكتابهم ونبئهم وإمامهم..

أمّا الإمام الحقّ (عليه السلام) وصاحب الولاية الإلهية، فقد وعظ الناس بالحسني، وجادلهم بالتي هي أحسن، ودعا إلي سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة.. ومَن اقتدي به وامثل أمره وأطاعه وسلك نهجه ومضى في سبيله مقتدياً بالصالحين ومتّبِعاً للنبّيين ومرافقاً للشهداء والسعداء والصالحين، فليس هو ممّن فُتن أو افتتن..

فما دام هو في طاعة الحقّ وإمام الحقّ، فلم يخلع، ولم يغيّر، ولم يبدّل، ولم يكفر، تماماً كما قال في مجموع نصّي ابن أعثم والخوارزمي: «فواللهما خالفْتُ ولا كفرتُ ولا بدلتُ. فوالله ما خلعتُ وما غيّرتُ، وإنّما أنا في طاعة الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت رسول الله، فهو أولي بالخلافة من معاوية ويزيد وآل زياد».

أنا مسلم (عليه السلام)، في طاعة الحسين بن عليّ وابن فاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلي الله عليه وآله) .. وأنت يا ابن زياد في طاعة من؟ في طاعة القردة التي تجيد فنّ النزوع علي كلّ حرمة، القردة التعيسة التي ما تكاثرت إلّا بالحرام وطريق الحرام، حفنة من البغايا والزناة والسقطات والزبد الاجتماعي المتلبّد بالعفن منذ قديم الأيام، فلا شرف في جاهليّة ولا إسلام..

ص: 250

ما أقواك! وأشجعك! وأبعد دلالات كلامك! يا فارس الكوفة وسيف الحسين (عليه السلام) ..

الملاحظة الثامنة: الخلافة والملك

أكد المولي الغريب (عليه السلام) والبطل الهاشمي الصنديد، أنّ ما زعمه ابن زياد وأسياده وأسلافه من خلال محاولة تمويه باطلهم بشفف الحق، ومزج عنف تسلطهم وتجبرهم وقهرهم لعباد الله واتخاذهم خولاً بشيءٍ من عقب الرسالة وعبير الخلافة المنتسبة ولو من بعيد للنبيّ الأمين (صلي الله عليه وآله) .. كذبة مفضوحة وفرية قبيحة لا تمرّ علي العقول النيرة والقلوب الصافية، فليس الأمر كما يزعمون أنّهم خلفاء، وإتّما هم ملوك وسلاطين بطّاشين جبارين يسيرون بسيرة كسري وقيصر، ولا يستتّون بسنن خاتم المرسلين الأطهر (صلي الله عليه وآله) .. فليقولوا ما يقولوا، وليشوّهوا كما يحلوا لهم، فإنّ أعمالهم هي الحكم، وهي الشاهد عليهم (يقتلون الخيار، ويسفكون الدماء، ويعملون في الناس أعمال كسري وقيصر ..).

الملاحظة التاسعة: إدعاء ابن زياد أنّه يعمل بالكتاب والعدل

إشارة

روي الطبري أنّ ابن زياد ردّ علي المولي الغريب مسلم بن عقيل (عليهما السلام) لما شرح له سبب المجيء إلي الكوفة، وأنّ أهل المصر كتبوا يشكون فتنة ابن زياد وقتله خيارهم وسفكه دماءهم؛ «فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلي حكم الكتاب»، فقال ابن الأمة الفاجرة: «أو لم نكن نعمل بذلك فيهم؟».

ص: 251

ويحتمل في هذا النص احتمالان:

الاحتمال الأول: الكذب المفترع

أن يكون نصّ الطبري صحيحاً، ويكون ابن زياد بمستويّ من الوقاحة والصلافة وصلابة الوجه بحيث يكذب كذباً بهذه الضخامة التي تُغاير كلّ حقيقةٍ شهد بها التاريخ، ووثقتها جرائمه وجرائم أسلافه في الغابرين.

ولا يستبعد مثل هذا البهتان العظيم علي مثل ابن زياد، فقد فعلها جرذان السقيفة، وسار عليها الطغاة عبر القرون.

الاحتمال الثاني: تحريف الطبري

لقد اعتدنا أن نسمع من الطبري ما تمجّه الطباع السليمة من تحريفٍ وتزويرٍ وتزويقٍ وتنميقٍ لدمن القروذ الأموية، وهو يحاول أن يلّمع كدرهم ويموّه دمنهم، فنسب العمل بالكتاب لهم علي لسان ابن زياد.

ولعلّ الصحيح هو ما رواه المفيد والفتال وابن كثير وغيرهم: «فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلي حكم الكتاب. فقال له ابن زياد: وما أنت وذلك؟ لم لم تعمل فيهم بذلك إذ أنت بالمدينة؟».

وفي لفظ ابن كثير: «لم لا كنت تعمل بذلك فيهم..».

وفق هذا النصّ لم يكن ابن زياد يدّعي ذلك لنفسه، وإنما أراد أن ينال من قداسة شخص المولي مسلم بن عقيل (عليه السلام)، ويقول له كذباً وزوراً

ص: 252

وبهتاناً واجترأً علي الله وأوليائه أنك لست مؤهلاً لهذه الدعوة..

الملاحظة العاشرة: ختام هذا المقطع من المعالجة

حجّة دامغة، وتقرّيع عنيف، وكبحّ لجموح الخيلاء، وقمع لجنوح الكبرياء الذي أذلّ الخبيث المتطاول، فأسكته وملاً فمه القدر بالأحجار التي تلقم الكلاب المتوحّشة والسائبة، فانبهّر اللّعين وتقطّعت أنفاسه، فماذا يفعل! وقد أوقع نفسه في ورطة ليس له منها خلاص.. فلو كانت حرباً بالسيوف والأسنة لأحالها إلي صناديد الكوفة والمجرّبين في ساحات القتال من أمراء جيش السقيفة.. ولكنّها الحرب هنا عنده في قصر الخبال مواجهةً بينه وبين البطل الهاشمي (عليه السلام)، ولا حجّة له ولا طاقة علي مقارعة حجج الحقّ! فمال إلي طريق القروذ الأمويّة، وسلك منهاج السقيفة في الغدر والافتراء والكذب ومحاوله تفرّغ المقدّسات من القداسة، ظنّاً خائباً منه أنّ هذه القداسات كالهالات المنطفئة التي يسجّرها الملوك والسلاطين حولهم فيخدعون بها الناس، ونسي أو تناسي أو ضاق إناؤه عن إدراك أنّها قداسة ربّانيّة وهالات نور إلهية، تستمدّ النور والقداسة من مشكاة النبوة والإمامة..

إنّ مسلماً (عليه السلام) من العترة النبويّة، وابن زياد وأسياده ديدان نشأت في المزابل، وتوالدت وتكاثرت في النفايات المتراكمة في خيم البغاء الموبوءة وراء تلال مكّة وغيرها من الأمصار.. ومن هوان الدنيا علي الله أن يرمي

هذا الوغد الوقيح مقلع الرذائل مسلم بن عقيل (عليه السلام) بكلماتٍ نابيةٍ لا ترضي أن تنتسب إلي ساحته أبداً، لأنها لا تسجّم مع منابت الطهارة ومعادن العظمة والجلالة..

فعمد اللّعينُ إلي أسلوبٍ رخيصٍ هجم فيه علي شخص المولي الغريب (عليه السلام) ، ليشنّ حرباً نفسيةً استفزازيةً ربما يستطيع من خلالها أن يضطرّ مسلماً (عليه السلام) للدفاع عن نفسه، ويسقط هيئته في عيون الحاضرين ومن سيبلغهم خطابه، في محاولةٍ جديدةٍ منه لقلب الحقائق وتزييف الموازين.

فقدفه بشرب الخمر!!! والعياذ بالله..

أهذا هو جواب الحجج التي ساقها مسلم بن عقيل (عليه السلام)؟! أهذا هو ردّ من أثبت له أنه وأسياده باطلٌ صُراح، وقد اغتصبوا الخلافة اغتصاباً، ونزّوا علي منبر النبي (صلي الله عليه وآله) شرّ نزو، وعملوا في الناس بأعمال كسري وقيصر، وحاربوا الحقّ، وفتنوا الناس عن دينهم؟!

المحور الثاني: شخص مسلم بن عقيل (عليهما السلام)

إشارة

الأدب الرفيع يكون دائماً ملازماً لأصحاب الهامات الكبيرة والقمم الشمّاء السامقة والأشجار المثمرة المونقة الباسقة، أمّا النكرات والأقزام والذوات المعقدة المتكونة من مزيج النطف، فإنّها لا يمكن أن تمارس إلا ما تفيض به الأوساخ المتراكمة في أصولها.. والنخلة المثمرة إذا رميتها تُسقط

ص: 254

عليك رطباً جنيماً، والصبر لا تتوقع منه سوي المرارة والأشواك..

طفح ابن الأمة الفاجرة بما في وعائه، وهو لا يعرف سوي ما قال، ولا ينطلق في اختيار الكلمات والألفاظ إلا من خلال الأجواء والمفردات التي يعايشها ويصاحبها ويماسيها، فتملاً جوانحه وتظهر علي جوارحه..

هو لا- يجد إلا المفردة التي توقرت في قاموسه، وانبتقت من كوامنه.. لقد كبر ونشأ وترعرع ونما منذ انعقاد نطقته القذرة في خيام السكر ومجالس الفسق والفجور والغناء والقيان والفواحش وذوات الأعلام.. تجده لا يعاشِر إلا ثَملاً سَكيراً يعاقر الخمرة وينام في دنانها، ويأنس بالفواحش ما ظهر منها وما بطن.. فإمامه وأميره وسيده يزيد (لعنهما الله) الذي باع آخرته بدنياه، يقول وقد سكر يوماً، فقال للمغني: غنّ، ثم قال يزيد بديهاً:

إسقني شربةً ترّوي فؤادي

ثمّ مل فاسق مثلها ابن زيادِ

صاحب السرِّ والأمانة عندي

ولتسديد مغمي وجهادي

قاتل الخارجيّ أعني حسيناً

ومبيد الأعداء والحسادِ

وقال:

ولو لم يمَسّ الأرض فاضل بردها

لما كان عندي مسحة في التيمّم

وقال:

معشر الندمان قوموا

واسمعوا صوت الأعاني

ص: 255

واشربوا كأس مدام

واتركوا ذكر المعاني

شغلتنى نعمة العيدان

عن صوت الأذان

وتعوّضتُ عن الحور

عجوزاً في الدنان

وقال:

عليّة هاتي واعلني وترنمي

بذلك أنّي لا أحبّ التناجيا

حديث أبي سفيان قدماً سما بها

إلي أحدٍ حتّى أقام البواكيا

ألا هات فاسقيني علي ذلك قهوة

تخيّرهما العنسيّ كرماً شاميا

إذا ما نظرنا في أمورٍ قديمةٍ

وجدنا حلالاً شربها متواليان متّ يا أمّ الأحيمر فانكحي

ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا

فإنّ الذي حدّثتُ عن يوم بعثنا

أحاديث طسم تجعل

القلب ساهيا

ولا بدّ لي من أن أزور محمداً

بمشمولةٍ صفراء تروي عظاميا (1)

تاريخهم مع الخمره معروف مشهور، ولياليهم العاجّة بالغواني والقيان مكشوفة مفضوحة، ومن لا يفارق هذه الأجواء إلا لسفك دم حرام أو ارتكاب فاحشة أو انتهاك حرمة لا يجيد لغة سوي التي تكلم بها ابن زياد..

ومن سخرية الدهر أن يقف هذا اللثيم الحقير أمام الطود العظيم مسلم (عليه السلام)، ويتفوه بهذه الكلمات النابية.. لكن هكذا جرت المقادير قدماً

ص: 256

1- تذكرة خواص الأمة لسبط الجوزي: 2 / 278 - بتحقيق: حسين تقي زاده.

في أولياء الله، ومضت مشيئة الله في أنبيائه ورسله وأوصيائه (عليهم السلام)، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون، والابتلاء سنَّة إلهية يفوز بها الأمثل فالأمثل من عباد الله الصالحين.

قارن -- ولو بنظرة عجلي -- بين أراجيف ابن زياد والكلمات الوحشية التي تدافعت كالزبد من فمه لتفضح لؤم عنصره وتفاهة تنمره، وبين كلمات المولي مسلم بن عقيل (عليه السلام) الطُّهر الطاهر والمنار الواضح والنور اللائح والسمو والرفعة والتعالى عن الدنية..

تعبيره بأُمَّه

ابن زياد.. وهو مَنْ قد عرفت! وعرفه التاريخ! ولا غبار ولا ليس ولا تعتيم علي أصله وحسبه ونسبه.. ابن مرجانة، ابن سمية.. ولا ينكر ذلك أحدٌ حتّى زياد ابن أبيه نفسه وابن زياد ومعاوية.. كلهم أقرّ بتنازع شرذمةٍ من الزناة المحترفين -- الذين اعتادوا مراودة البغايا الرخيصات البائرات التنتات اللواتي لا سوق لهنّ في خيام البغاء -- علي زياد وابنه..

أمثل هذا يقف ليذكر مسلم بن عقيل (عليه السلام) وينسبه لأُمَّه معرّضاً به!!؟

إنّه لَعَجَبٌ عجاب! عقيل؛ العالم بأَنساب العرب، الذي كلّفه سيّد الكائنات بعد رسول الله (صلي الله عليه وآله) أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أن يختار له زوجة (أمّ البنين (عليها السلام))، أختار من النساء امرأةً عاديةً من عرض الناس لتلد له أولاداً يُقتلون في محبة سيّد الشهداء وسيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام)؟

لكنّها السنّة الجارية في كلّ وضعٍ متهاوٍ يستشعر الحقارة والذلّ والدناءة في أعماق كيانه، فتجيش به مراجل الحقد والبغضاء والضغينة والشحناء علي كلّ طاهرٍ عفيفٍ نظيفٍ الأردنّ ناصعٍ النسبٍ مبرّاً الأذبال..

روي البلاذري قال: حدّثني حفص بن عمر، عن الهيثم بن عدي، عن عوانة قال: جري بين ابن عقيل وابن زياد كلام، فقال له ابن زياد: إيه يا ابن حلية. فقال له ابن عقيل: حلية خيرٌ من سمّية وأعف (1).

فلمّا رآه أمر به فكُتِف، وقال: أجنّت يا ابن حلية لتتزع سلطاني؟ قال: وحلية أمّ مسلم بن عقيل، وهي أمّ ولد (2).

وفي (تاريخ الطبري): حتّي أتاه، فأمر به فكُتِف، ثمّ قال: هيه هيه يا ابن حلية. قال الحسين بن نصر في حديثه: يا ابن كذا، جنّت لتتزع سلطاني؟! (3)

كأنّ في خبر الطبري كناية أعرض عن ذكرها الراوي «يا ابن كذا»، تفيد أنّ الخبيث نطق بلفظةٍ نابيةٍ نزه الراوي نفسه عن التلفظ بها، ولا نستبعد صدور ذلك من الوغد الرعديد الذي عرفناه بؤرةً للأقدار..

والحرب عند ابن زياد حرب سلطان، حرب تسلّطٍ ونزوٍ وتحكّم في الرقاب.. ومن هو هذا الجرو الأجرّب حتّي يزعم لنفسه سلطاناً؟! إنّما هو

ص: 258

1- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 343.

2- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 3 / 423.

3- تاريخ الطبري: 5 / 392.

وسخ متعلق بذيول القروذ الأموية ليس إلا!

والبطل الهاشمي (عليه السلام) الذي لم تفارقه السكينة ولم يزايله الوقار أبداً، ولم يستفزّ، وهو يعرف حجم الطاغية ومنبته.. لم يترك له كلمة إلا ردها رداً صاعقاً مخرساً، يجزم السامع له أن ابن زياد قرض ذيله حتى النهاية ندماً علي ما قال وورط نفسه في مواجهة هذه الصاعقة الإلهية المنقضة علي قصر الخبال..

إنه ابن عقيل! المعروف بحدّة اللسان وقوة البيان وبداهة الجواب وسرعة الرد.. والابن سرّ أبيه! ماذا يعيب ابن سميّة علي أم مسلم بن عقيل (عليه السلام)، التي ولدت مثل هذا الضرغام المكتوف، الذي انهال عليه بلسانه الذي نشّفه العطش وفمه الذي كسره الحجر وشفته التي مضى فيها السيف حتى قطعها وثناياه الناصلة من ضربة ابن حمران؟!

لقد ولدت (حلية) -- كما سمّاها ابن زياد -- مثل مسلم (عليه السلام)، الذي تعجز نساء الدهر أن تقوم عن مثله.. وماذا ولدت البغي سوي جرواً ربّته القروذ؟!

ردها عليه سيف الحسين (عليه السلام) المسلول في الكوفة مسلم بن عقيل (عليه السلام): «حلية خير من سميّة وأعف» (1).. ذكره باسم سميّة.. سميّة ذات العلم التي لا يجهلها أحدٌ لحذقها ومهارتها في صنعها، حتى برّت كل

ص: 259

البغايا رغم دمامتها وبتن ربحها وزرقتها..

لقد حجر ابن عقيل (عليه السلام) الكلام علي ابن سمية، إذ لا ينبغي لابن بغي لا تعرف العفاف أن يجري علي لسانه أسماء النساء الزواكي الطواهر العفيفات المخدرات..

الافتراء بالفسق! الشقاق! العقوق! الافتراء بشرب الخمر! القيان!

إشارة

كلمات نابية، لا تليق إلا بابن زياد وأمثاله ممن عجمتهم القروء الأموية وهضمتهم مع الخمرة ثم قاتتهم، فسحوا علي المجتمع قطعاً كبيرة تزكم الأنوف روائحهم، وتكتسح المجتمعات جرائمهم..

ولو بحث التاريخ عن نماذج مجسدة للفسق والشقاق والكفر والنفاق، وكلّ الرذائل والذميم من الأخلاق، لما وجد مثلاً أفضل من ابن زياد وأسياده..

هذه سيرة آل أبي طالب (عليهم السلام) بشهادة التاريخ، وسيرة آل زياد، لكنّها أساليب السقيفة المعروفة في قلب الموازين وتحطيم المقدّسات..

فمنذ اليوم الأوّل الذي تنمّرت فيه جردان السقيفة، وتمردت علي الله، وهجمت متوحّشةً علي بيت الوحي، وهتكت حرّمات الله علي رؤوس الأشهاد، واعتدت علي بيت النبي (صلي الله عليه وآله) وبنته وبضعته وروحه التي بين جنبيه، وقتلت ابن النبي (المحسن) الشهيد، وطغت وبغت علي الولي الوصي الناصح (عليه السلام) أمام أعين الناس، ولقنت الناس أخطر الدروس،

ص: 260

وأفهمتهم أن أعظم الحرمات وأقدس المقدّسات منتهكة مسحوقه في شرع هؤلاء، فما بالك بغيرهم! هكذا هم مع أهل بيت الوحي ومختلف الملائكة ومعدن العلم والحلم والكرم، فليحذر الآخرون..

تهديم أسس الدين، وتحطيم مقدّساته، وتشويه صور المتّقين، وإطفاء نور الله، وإخماد جذوة أولياءه.. سلوكٌ أمويّ متواصل عبر التاريخ، ولذلك من الشواهد والدلائل ما يملأ أسفاراً.. وهذه الافتراءات الفجّة عليهمسلم ابن عقيل (عليه السلام) مفردة من تلك المفردات، ومشهد من تلك المشاهد.. غير أنّ الله يأبي إلا أن يتمّ نوره ولو كره المشركون والكافرون..

وقد سمعنا مولانا المعظّم وسيدنا المكرّم وبطلنا المنزّه عن الدنيّة يرّد علي ابن زياد، فلا نطيل في هذا المقام، وما عسانا نقول ردّاً علي ساقطٍ متجاهر بارتكاب المحرّمات والمآثم حتّي لم يدع لله حرمةً إلا اقتحمها!!

ولكن تقف وقفةً سريعةً عند ما وقف عليه نفس المولي مسلم بن عقيل (عليه السلام)، لنسمع جوابه بكلّ فخرٍ واعتزاز:

قال الطبري: قال: أنا أشرب الخمر؟! والله إنّ الله ليعلم أنّك غير صادق، وأنك قلت بغير علم، وأنّي لست كما ذكرت، وإنّ أحقّ بشرب الخمر منّي وأولي بها من يبلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرّم الله قتلها، ويقتل النفس بغير النفس، ويسفك الدم الحرام، ويقتل علي الغضب والعداوة وسوء الظنّ، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً.

ابن أعمش: فقال مسلم بن عقيل: أحقّ والله بشرب الخمر منّي من

يقتل النفس الحرام، وهو في ذلك يلهو ويلعب كأنه لم يسمع شيئاً.

المفيد والفتال: قال: أنا أشرب الخمر؟! أما والله إنَّ الله يعلم أنك غير صادق، وأنتك قد قلتَ بغير علم، وأنتي لستُ كما ذكرت، وأنتك أحقُّ بشرب الخمر منِّي، وأولي بها من يلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرّم الله قتلها، ويسفك الدم الحرام علي الغضب والعداوة وسوء الظنِّ، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً.

الخوارزمي: فقال مسلم: الله يعلم أنني ما شربتها قطّ، وأحقُّ منِّي بشرب الخمر من يقتل النفس الحرام ويقتل علي الغضب والعداوة والظنِّ، وهو في ذلك يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً.

ابن الأثير: قال: أنا أشرب الخمر؟! والله إنَّ الله يعلم أنك تعلم أنك غير صادق، وأنتي لستُ كما ذكرت، وأنَّ أحقَّ الناس بشرب الخمر منِّي من يلغ في دماء المسلمين، فيقتل النفس التي حرّم الله قتلها علي الغضب والعداوة، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً.

ابن كثير: فقال: أنا أشرب الخمر؟! والله إنَّ الله ليُعلم أنك غير صادق، وأنتك قلتَ بغير علم، وأنت أحقُّ بذلك منِّي، فإنِّي لستُ كما ذكرت، وإنَّ أولي بها منِّي من يلغ في دماء المسلمين ولغاً، ويقتل النفس التي حرّم الله بغير نفس، ويقتل علي الغضب والظنِّ، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً.

النصوص الحاكية لردّ المولي (عليه السلام) في المتون التاريخية متقاربة، وتكاد تروي نفس المعني سوي بعض الاختلافات في وسائل التعبير والتأكيد المستخدمة في النصّ، وقد تركّز جواب المولي الغريب (عليه السلام) في عدّة نقاط:

النقطة الأولى: الاستنكار والنفي

مفاجأة مروّعة أن يُتَّهم الإنسان بما ليس فيه، ولا يمكن أن يكون فيه أو يدانيه.. فمن المفارقات التي لا تستوعب: أن يُرمي الأسد بالجبن، أو الثعلب بالنسك.. فكيف يتنسك الثعلب الشرير، ويرمي الطهر الطاهر بما ليس فيه؟!!

غير أنّ الخبيث أراد أن يعرض صورةً للمولي الطاهر تثير المتابع، حيث وصفه بالميوعة ومعاقرة الخمرة -- والعياذ بالله --، والخمّار لا يؤتمن ولا يرعوي ولا يعرف الغيرة.. وهي صفة ابن زياد وربّه يزيد وأبائهم!

وقد أبدى المولي الغريب (عليه السلام) استغراباً واستنكاراً شديداً لهذه الفرية، لأنّها لا يمكن أن تشتمله ولا تنسجم مع ساحته المقدّسة، فنفي ذلك بصيغة السؤال الاستنكاري العنيف: «أنا أشرب الخمر؟!»، ثم أكّد ذلك النفي والاستنكار بالقسم: «والله»، وشدّد التأكيد بجعل الله شهيداً علي كذب الطاغية المبتذل: «إنّ الله يعلم أنّك غير صادق».

ثم إنّه قال ذلك بغير علم، والقسم لا زال ساري المفعول..

ثم نفى مرّةً أخرى وقال: «أني لست كما ذكرت»..

يستشعر الفارئ أنّ مسلماً (عليه السلام) استتكف من هذه الفرية، فقد رماه الخبيث بكثيرٍ من الخلال التي لا تجوز في مسلم بن عقيل (عليه السلام)، بيد أنّها من الممكن أن تصدر من مثل هذا الوحش المتطّفل علي الصورة البشريّة، غير أنّ هذه الفرية فيها ممّا يدنّس ساحة قدسه، ولو كانت بمستوي الفرية والكذب، ومسلم (عليه السلام) يابها ولا يحبّ أن تقاربه ولو كذباً، فأذياه أظهر من أن يتعمّد رجس نجس من الدنوّ منها، والخمرة مبعوضة لآل أبي طالب (عليهم السلام) يوم كانت محبوبة عند العرب، وقد اجتنبها عمّه جعفر -- بشهادة رسول الله (صلي الله عليه وآله) -- ولم يشربها حتّي في الجاهليّة، كما هو شأن بقيّة أعمامه وآبائه وأجداده، فهي غريبة عنهم البتّة..

مقرّرٌ ومقرّفٌ جدّاً أن يُرمي الطاهر بمثل هذه الفرية، وهي مؤلمة وموجعة رغم أنّها كذب جزماً.. ولم نشاهد مسلماً (عليه السلام) طيلة هذه المصاولة الكلاميّة غضباً متظلماً مؤكّداً في الردّ مثلما شاهدناه في هذا المقطع!

النقطة الثانية: مقارعة ابن زياد وردّها عليه

إشارة

بعد أن نرّه المولي الغريب (عليه السلام) ساحته من هذه الفرية الباردة السخيفة التافهة التي لا يقبلها من له أدني معرفة بمسلم بن عقيل وآل أبي طالب (عليهم السلام)، كرّ علي الجرو المتغطرس، فرغم أنّه ومرّغه بالوحد، وأشعره بحقارته ووضاعته وحجمه المنكمش المتضائل وزهوه المتبدّد، وسحقه كفقعةٍ وطأت بقرقر..

بدأ البطل الهاشمي (عليه السلام) هجومه بأدبه الرفيع وألفاظه الجزلة وأدلتة الرصينة المتينة القويّة، وعباراته المتماسكة المتقنة المعبرة عن القلب الواثق بالله والإيمان الراسخ والمعرفة العميقة..

وقد أجابه في ردّين:

الردّ الأوّل: ابن زياد شارب الخمر، وصحّة نسبه لذلك

«أنتك أحقّ بشرب الخمر منّي».. أبتهمه ابن زياد، اللقيط ابن اللقيط، الذي انتشله أبو سفيان من مطامر النفايات وحمله من مزابل البغايا؟! وقد أشرنا قبل قليلٍ إلي أنّ ابن زياد نشأ وترعرع في مجالس اللّهُو وخيام البغي وحانات الخمر.. وقد صرّح يزيد في أبياته التي سمعناها قبل قليلٍ أنّه وابن زياد عاقرا الخمرة ابتهاجاً بقتل سيّد الشهداء (عليه السلام)!

وتاريخ ابن زياد ومنبته وأصله وحياته وسلوكياته وأخلاقه والجوّ الذي عايشه ومرتعته الذي نشأ فيه، كلّها مؤيّدات وشواهد أنّه ممّن يعشق الخمرة ويعبّها في الدنان، فلا يحتاج أن يذكر ذلك أحدٌ أو يستدلّ عليه، ومثل هذه الظروف لا تولّد إلاّ سكّيراً ثملاً مترتّحاً لا يصحو إلاّ إذا اطمان للكأس بين راحتيه يكرع فيه كالبهيمة.

الردّ الثاني: الأولويّة

إشارة

إنّ المؤمن المتّقّي الذي يخاف الله ويطيعه في كلّ شيء، وتعلوه أنوار العترة النبويّة، ويُعرّف بالصلاح، ويشرب من رحيق الوحي، ويغتذي من

حدائق الجنان، لا يصدّق فيه هراء أولاد البغايا.

أمّا مَنْ قضى عمره في انتهاك الحرمات والاجتراء علي الله، وقد خمد فيه الخير وانطفأت فيه النخوة، وعاش جرواً سائباً في حدائق القرود الأمويّة، واغتذي بالدم وشرب منه، وهو «يلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفسالتي حرّم الله قتلها، ويقتل النفس بغير النفس، ويسفك الدم الحرام، ويقتل علي الغضب والعداوة وسوء الظنّ، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً»..

إنّ من يرتكب هذه -- وهي فعال ابن الأمة الفاجرة التي يعلمها هو في نفسه ويشهد عليه التاريخ بها -- أولي بشرب الخمر!

إذا كان لهوه ولعبه في انتهاك هذه الحرمات، والالتذاذ بعذاب الآخريين، والطرب علي آهات الثكالي وأنين المظلومين وحشرجات المذبوحين.. فما يعني له حرمة شرب الخمر؟ وهل يفعل كلّ تلك الأفاعيل إلا من يعاقر الخمر فينتشي بها، ويرتكب الفواحش ويستعذب الآثام؟!

ملاحظة: تشويه التاريخ!

إذا كان ابن زياد الخبيث يشوّه التاريخ ويفتري علي مسلم بن عقيل (عليه السلام) بين يديه وأمام عينيه، ويقول له: أنّك كنت في المدينة كذا وكذا، فماذا سيفعل بعد شهادته، وكيف سيفتري عليه؟ وماذا سيقول عن نفسه وعن عدوّه ابن عقيل (عليه السلام) الذي أذاق الطاغية الذلّ والهوان،

ص: 266

وأهلكه وهو في عرش السلطان؟

ولا ننسى أنّ المولي الغريب (عليه السلام) قد قُتل في الكوفة وليس معه من أهل بيته وأنصاره المخلصين أحد.. قُتل غريباً، وحيداً، فريداً.. وقد بقي الراوية لما جري عليه من الأعداء والمتزلفين المتكاثرين تحت مقعد ابن الأمة الفاجرة، فكتبوا كما يحلوه له وأطاعوا ما أمرهم فيه!

المحور الثالث: نمّي السلطة

إشارة

يلاحظ ردود المولي الغريب مسلم بن عقيل (عليه السلام) في دقّتها، وانطلاقها من المباني الشرعيّة الكاشفة عن عمق معرفته وسعة علومه وقوّة تشخيصه وإحاطته بقيام إمامه سيّد الشهداء (عليه السلام)، فقد ركّز أكثر من مرّة خلال كلامه أنّه إنّما جاء للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة المستنجدين بالإمام الحسين (عليه السلام)، ولم يتعرّض بأيّ إشارة من قريب ولا من بعيد إلى السلطة والحكم وإسقاط النظام.

ويلاحظ في تعبيره من الدقّة المذهلة التي تدعو القارئ إلى التأمل العميق، وتجعله يكبر غاية الإكبار والإجلال هذا العالم الطالبّي الفدّي، حينما يقول في أكثر من موضع -- كما في (الطبري) و(الفتوح) وغيرهما -- : «فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر، وندعوهم إلي حكم الكتاب والسنة»، فقد دعا القوم وأتاهم، وليس ابن زياد ولا القرد الأموي المجدور السائب في قصور الشام، ولا السلطان والحكم، ولا غير ذلك من الأغراض

ص: 267

الإدارية والمناصب الدنيوية محطّ نظر، ولا موضع لحظ عند مسلم (عليه السلام) وعند مولاه ومولي الثقلين الإمام الحسين (عليه السلام)!

فهو قد جاء للناس.. أتيناهم.. ننهاتهم.. ندعوهم.. وقد وجّه الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) كتابه مع مسلم (عليه السلام) إلي الناس وإلي من كاتبه، كما وجّه نفسالمولي (عليه السلام) سفيره الثقة الأمين إليهم، ولم يوجّهه إلي الوالي، ولا إلي أيّ جهةٍ أخرى تمثل السلطة يومئذٍ.. وقد أكّد الإمام الحسين (عليه السلام) أنّه قد خرج للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعوة الناس إلي سيرة أبيه وجدّه، فمن قبله بقبول الحقّ فالله أولي بالحقّ، ومن لم يقبله فيصبر حتّى يحكم الله وهو خير الحاكمين، كما ورد في وصيّته (عليه السلام) (1).

ص: 268

1- أنظر الوصيّة في: الفتوح لابن أعثم: 21 / 5، وفيه: «فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصي به الحسين بن عليّ بن أبي طالب لأخيه محمّد ابن الحنفية المعروف ولد عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه): إنّ الحسين بن عليّ يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عنده، وأنّ الجنّة حقّ والنار حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمة جدّي محمّد (صلي الله عليه وآله)، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي محمّد (صلي الله عليه وآله) وسيرة أبي عليّ بن أبي طالب وسيرة الخلفاء الراشدين المهديّين (رضي الله عنهم)، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولي بالحقّ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتّى يقضي [الله] بيني وبين القوم بالحقّ ويحكم بيني وبينهم [بالحقّ] وهو خير الحاكمين، هذه وصيّتي إليك يا أخي! وما توفّيقني إلاّ بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، والسلام عليك وعليّ من أتبع الهدى، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم. قال: ثمّ طوي الكتاب الحسين وختمه بخاتمه، ودفعه إلي أخيه محمّد ابن الحنفية، ثم ودّعه». ← → يلاحظ أنّها وصيّة، والوصيّة لا تفتح إلاّ بعد الموت، سيّما أنّه ختمها بخاتمه، ويلاحظ أيضاً: «وسيرة الخلفاء الراشدين المهديّين (رضي الله عنهم)»!!! فلم امتنع أمير المؤمنين (عليه السلام) في الشوريّ حتّى ذهبت إلي عثمان؟! ولماذا يأبي الإمام الحسين (عليه السلام) النزول علي حكم ابن زياد والبيعة ليزيد؟! أو ليس ولاية معاوية من سيرة الخلفاء الراشدين المهديّين!!! وولاية يزيد من معاوية؟! وحمل الخلفاء الراشدين المهديّين علي أئمة الهدى لا يساعد عليه السياق، ويلاحظ أنّه ذكر الخروج لطلب النجاح والصلاح حصراً مقابل نفي الأشر والبطر والإفساد والظلم! هذه إشارات سريعة، والحديث في هذه الوصيّة التي جعلت حاكماً علي جميع الأحاديث والروايات المعصومية يحتاج إلي تعمّق وتوسّع أكثر، ليس هذا محلّه.

ولا يفوت الملاحظ أنّ هذا النصّ ورد في وصيّة، والوصيّة إنّما تُفْتَح ويُنظَر فيها بعد الموت، فهي ليست مشروع عمل، وإنّما هي بلاغٌ عن نوع القيام، وهي ردُّ عليّ من سيزعم أنّ قيامه إنّما كان أشراً وبطراً أو فساداً، لأنّ جميع ظروفه وشروطه الخارجيّة دالّة بوضوح عليّ نتيجته وما سيؤول إليه الأمر من القتل الذريع والاستئصال، وقد أدرك هذا المعني القاصي والداني والشريف والدني، وصرّح به المعترضون عليّ قيام سيّد الشهداء (عليه السلام) من قبيل ابن عبّاس وابن عمر وابن مطيع وأضرابهم..

ولا يفوت أيضاً أنّ هذا نصّ تاريخيّ واحد نقله ابن أعثم في (الفتوح)، وربّما أخذ عنه من جاء بعده، ويقابله كمّ هائل من النصوص الشرعيّة المقدّسة الصريحة الواضحة من النبي الخاتم (صلي الله عليه وآله) وأوصيائه الأولياء (عليهم السلام) سادات أهل العالم، المؤكّدة عليّ الجانب الغيبيّ في قيام سيّد الشهداء (عليه السلام)، وأنّ له يوماً مشهوداً، وقتلاً معهوداً بتفاصيله، وأرضاً

تنتظره، ومصرعاً محدوداً، وحفرةً معدّة له، وهو قتيل العبرة، وثار الله ووتره الموتور.. وكلّ ما يجري من ظروفٍ خارجيّة إنّما هي مقدّمات لوقوع المصيبة العظمي، وتحقيق الإرادة الإلهيّة والغاية القصوي، وجميع ما ترتّب علي تلك الشهادة من آثار من إحياء الدين وإبقاء شريعة سيّد المرسلين (صلي الله عليه وآله) وحفظ الملة وترسيخ الإمامة، وغيرها من الآثار والفوائد الدنيويّة والأخرويّة التي لا تُعدّ ولا تحصى، إنّما هي نتاج تلك الطاعة، وثمار لبذل الدم الزاكي، وتعرّض حرم الله وحرم رسوله إلي ما تعرّضت إليه من السبي والتعذيب والاضطهاد والسلب والنهب والإحراق والعرض في المجالس والأسواق.

فالهدف الأوّل والأخير والغرض الأوحد إنّما هو طاعة الله حينما شاء أن يراه قتيلاً وشاء أن يراهن سبايا.. وقد بذل سيّد الشهداء (عليه السلام) مهجته الزاكية المقدّسة في الله فقط؛ «بذل مهجته فيك»! فكانت النتيجة استنقاذ العباد من الجهالة وحيرة الضلالة وغيرها من الآثار.. فالحسين (عليه السلام) -- وهو حبيب الله ومحبه -- بذل مهجته في الله فقط، ولا يمكن أن يكون دم الحسين (عليه السلام) ثمناً لشيءٍ آخر، كما لا يمكن أن يكون لدمه ثمناً سوي الله، فكان ثار الله ووتر الله!

والبحث في هذا الأمر الخطير الدقيق ذي الأبعاد المترامية والنتائج الخطيرة المؤثّرة ليس هذا موضعه (1)، وإنّما ذكرناه هنا باقتضاب، نحسب

ص: 270

1- أنظر: مجلّة جنة الحسين (عليه السلام) التخصّصية: العدد الخامس لمحرّم سنة 1435 / مقدّمة رسالة العلامة المجلسي (رحمة الله) في حكمة قيام سيّد الشهداء (عليه السلام) .

أنّه مخلّ، غير إنّه يشير ولو إشارةً ضعيفةً تقيّد في فهم موقف المولي الغريب مسلم بن عقيل (عليهما السلام) وعظّمته وأبعاد معرفته التي لا تدرك أغوارها لقيام سيّد الشهداء (عليه السلام).

وقد أكّد العالم الطالبي (عليه السلام) أنّه إنّما جاء للقوم لا للسلطان، بناءً على دعوة الناس مستجيباً لاستغاثتهم واستنجادهم، وقد توجّه نحوهم وهم قصده، وليس ابن زياد ملحوظاً كهدفٍ مقصودٍ لوحده، وإنّما هو فعل ما فعل متابعاً لجرائم أسياده وأسلافه، فضاق الناس ذرعاً ودعوا سيّد الشهداء (عليه السلام) وشكوا له ما هم فيه، فأرسل لهم مسلماً (عليه السلام) سفيره في مهمّةٍ خاصّةٍ أتينا علي ذكرها مفصّلاً بأبعادها وتفاصيلها في بحثٍ مستقل، والغرض من مجيء الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) إنّما هو ليأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويدعوهم إلى حكم الكتاب وسيرة النبيّ (صلي الله عليه وآله) وسيّد الأوصياء (عليه السلام)، لتكون هذه الدعوة التامة مناراً يتبعه التائهون، ومحجّةً واضحةً يسلكها المتلكّؤون، وطريقاً ومنهاجاً يسير عليه الضائعون المضلّلون، فقد هجروا القرآن وضيعوا السنن، وضلّوا الناس منذ يوم السقيفة، بل حاولوا محاولات حثيثة في إطفاء نور الله قبل ذلك اليوم أيضاً، ولا يخفي ذلك علي القارئ للتاريخ والمتابع للنصوص النبويّة والمعصوميّة.

وقد جهد الأمويّون ومن مكّتهم من الرقاب أن يصوِّروا الحرب بينهم وبين الأئمّة الأوصياء (عليهم السلام) بكلّ صورة، ويظهرونها بكلّ مظهر من الحرب

علي السلطان، والتنافس في فضول الحطام، والتنازع علي القدرة والحكم، والصراع العائلي والتنافس القبلي، وما شاكل.. لئلا يكون الأمر كما هو في الحقيقة صراعاً بين الحق والباطل، ونزاعاً علي تحكيم إرادة الله أو تحقيق أمني الشيطان، والفرق بين الدعوتين المسارعة في رضا الله أو التناقل في مغريات الشهوات ونزوات الشيطان.

وليس الحكم والسلطان عند المعصوم إلا جزء ضئيل من مهامه الإلهية، يقيم به الحق ويدحض به الباطل من موقع معين بذاته، فإن كان فسيئخذه أداة، وإلا فهو القائم لله بالحجة البالغة، والداعي إلي الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمقيم للحق والداحض للباطل، والوصي المعين من الله، لا يعزله أحد، ولا ينال رتبته مخلوقاً أيّاً كان، وكل الأئمة (عليهم السلام) هداة مهديون قائمون لله، بهم يقوم الدين، وبهم تثبت الشريعة، وبوجودهم يتحقق العابد الحق المتمحّض لله بالعبودية، فيتحقق الغرض من الوجود، فيبقي الكون لبقاء الهدف والغاية منه؛ (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)، وهو جارٍ سارٍ فيهم جميعاً، مَنْ قام منهم ومن قعد، ومن صالح ومن قاتل، ومن قُتل بالسّم غيلةً ومن ضُرب بالسيف ضربَةً ومن قَطَعوه إرباً إرباً..

ولذا حاول القروود وأذناهم وجراؤهم أن يرموا سيّد الشهداء (عليه السلام)، الذي أعلن منذ اللّحظة الأولى أنّه يمشي مسرعاً إلي الموت العزيز الذي

اختاره الله له، وأن من يلتحق به سيبلغ الفتح بالشهادة، وقد أزعج وأخرج من بلد جدّه ومسقط رأسه المدينة المنورة، ولوحق في مكّة، فكان لا بدّ أن يُقتل فيها إن لم يخرج، فخرج لئلا يهتكوا بقتله الحرمات، متوجّهاً إلى أرض المصرع الموعود..

والأمويّون كانوا ولا زالوا يرمون القيام الحسيني المقدّس بهذه الفرية المقذعة، ويتّهمونه بطلب ما لم يطلبه، ليأكّدوا أنّهم كانوا في السلطة وخرج عليهم خارجي، فاستباحوا حماه، واستأصلوا شأفته، وسبوا عياله، ليكون عبرة لمن اعتبر!!! وهذه عاقبة التنازع علي السلطان حينما يكون السلطان أقوي من المنازعين له..

وقد قال أبوه أمير المؤمنين (عليه السلام): «اللّهم إنك تعلم أنّه لم يكن الّذي كان منّا منافسةً في سلطان، ولا التماس شيءٍ من فضول الحطام، ولكن لئلا نرد المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك» (1).

والأمويّون أيضاً جهدوا أن يظهروا بمظهر السلطان المختار من الله، وأنّ سلطانهم يمثّل الإرادة الربانية، ومن نازعهم إنّما نازع سلطان الله، ومن خالفهم وعارضهم إنّما عارض إرادة الله وسخط عليها! فانطلق الجرو الأموي الأجرّب من نفس منطلقات أسياده، فجعل يرمي ساحة المولي الغريب (عليه السلام) ويقصد من ورائه الطعن بقيام سيّد الشهداء (عليه السلام)، فقال له ابن زياد: إنّ نفسك تمثّل ما حال الله دونه، ولم يرك أهله.

ص: 273

قال: فمن أهله يا ابن زياد؟ قال: أمير المؤمنين يزيد!!!

فقال: الحمد لله علي كل حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم.

قال: كأنك تظنّ أنّ لكم في الأمر شيئاً؟

قال: والله ما هو بالظنّ، ولكنّه اليقين (1). وفي نصّ ابن أعثم: فقال له ابن زياد: متّك نفسك أمراً، أحالك الله دونه وجعله لأهله.

فقال مسلم بن عقيل: ومن أهله يا ابن مرجانة؟

فقال: أهله يزيد ومعاوية!!

فقال مسلم بن عقيل: الحمد لله، كفي بالله حكماً بيننا وبينكم.

فقال ابن زياد (لعنه الله): أتظنّ أنّ لك من الأمر شيئاً؟

فقال مسلم بن عقيل: لا والله، ما هو الظنّ ولكنّه اليقين ...

... ولكنّي أريد أن تخبرني يا ابن عقيل بماذا أتيت إلي هذا البلد؟ شتّت أمرهم، وفرّقت كلمتهم، ورميت بعضهم علي بعض!

فقال مسلم بن عقيل: لستُ لذلك أتيت هذا البلد، ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف، وتأمرتم علي الناس من غير رضي، وحملتموهم علي غير ما أمركم الله به، وعملتتم فيهم بأعمال كسري وقيصر، فأتيناهم لنامر فيهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر، وندعوهم إلي حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل ذلك، ولم تزل الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي

ص: 274

1- تاريخ الطبري، وقد مرّ تخريجه قبل قليل.

طالب، ولا تزال الخلافة لنا، فإننا قهرنا عليها، لأنكم أول من خرج علي إمام هديّ وشقّ عصا المسلمين، وأخذ هذا الأمر غصباً، ونازع أهله بالظلم والعدوان، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله (تبارك وتعالى): (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ). وقد ذكرت مصادرٌ أُخري هذا المقطع من المناظرة والمحاججة بين الأسد الهاشمي (عليه السلام) والجرو الأموي، غير أنّ ألفاظها قريبة قد لا تكون فيها إضافات ملحوظة علي ما ذكره الطبري وابن أعثم، فاكتفينا هنا بهما.

ويمكن أن يفيد النصّ عدّة ردود ردّ بها المولي الطالبي (عليه السلام) :

الأول: الردّ الأول

إشارة

قد يكون التسديد الإلهي حليف العبد، فيأخذ بما أمره الله به، وقيس الآخرين وفق مقاسات الشريعة الربّانية، ويحكم عليهم مستنداً إلي الأحكام النبويّة ومنهاج الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) .. أمّا إذا كان الإنسان مخذولاً، قد اتخذ إلهه هواه من دون الله، وصار وكراً للشيطان، فإنّه يقيس الناس وفق مقاساته، ويحكم عليهم بناءً علي متبنياته وقناعته الذاتية.

فظرّ ابن زياد أنّ مسلم بن عقيل (عليه السلام) قد تمنّي السلطة وراح يحلم بمواقع القدرة، وقد خاب وافترى، فليس من كلامه شيءٌ يصدق علي المولي الغريب (عليه السلام) الموعود بالشهادة من خاتم الأنبياء والمرسلين (صلي الله عليه وآله) وسيد الشهداء والمظلومين (عليه السلام)، وقد جاء سفيراً للإمام الحسين (عليه السلام) في

مهمّةٍ خاصّةٍ محدّدة المعالم، وهو يعلم عاقبته في الكوفة تماماً.

ومع ذلك فقد جراه وسأله بكلّ ثقةٍ وثبات، وقال: ومن أهله يا ابن مرجانة؟ فقال: أهله يزيد ومعاوية!! فقال مسلم بن عقيل: الحمد لله، كفي بالله حكماً بيننا وبينكم. واللفظ لابن أعثم، وقريبٌ منه لفظ الطبري. ويمكن إجمال ردّ المولي في نقاط:

النقطة الأولى: ابن زياد وابن مرجانة

نقل الطبري خطاب المولي الغريب (عليه السلام) للجرو الأمويّ بلفظ: «ابن زياد»، ونقله ابن أعثم بلفظ: «ابن مرجانة»، وليس كبير فرقٍ بين اللّفظين، وكلاهما تقيعٌ وتحقيرٌ ومنقصةٌ في الوغد، فابن زياد المنسوب إلي أبيه المجهول النسب والهويّة اللّقيط اللصيق المعروف بالبطش والدمويّة والجرائم والجنايات التي شهد بها التاريخ وشهد بها سيّد الشهداء (عليه السلام) وشهدا أهل الكوفة حتّي ضجّوا منها.. وابن مرجانة البغيّ المعروفة المشهورة.. فهو علي كلا التقديرين نتاج الزنا والنسب المجهول والعقدة الحقيرة الدنيئة التي يتقرّز من ذكرها كلّ إنسانٍ لمجرّد كونه بشراً، وفي هذا الخطاب نفسه ردٌّ صاعقٌ مدمرٌ يحجر علي أبناء الزواني أن يتكلّم في السلطان والحكم، لأنّ من شروط الحاكم أن يكون طاهر النسب.

النقطة الثانية: من أهله؟

يبدو من سياق الكلام أنّ سؤال مسلم بن عقيل (عليه السلام) كان سؤالاً

استنكارياً تقريبياً، وهو لا يريد أن يدعي شيئاً لنفسه، وإنما يريد أن يطعن في خيار ابن مرجانة ويقول له: فمن تظنّه أنت الدعويّ ابن الدعويّ واللصيق ابن اللصيق مؤهلاً لذلك؟ وهو يعلم أنّ ابن مرجانة لا يعدو أن يذكر أصنامه التي يعبدها، وهم أنفسهم الذين شكاهم أهل الكوفة، وضجوا من تسلطهم علي الرقاب، وهتكهم للحرمت، واستخفافهم بالدماء والأعراض.. فقال ابن مرجانة: أهله يزيد ومعاوية!!

النقطة الثالثة: الاحتكام إلى الله

يبدو من حُبث ابن مرجانة أنّه كان يجزّ الكلام ليصدر من المولي الغريب (عليه السلام) أيّ لفظةٍ يمكنه أن يوظفها أمام الملام وينسب فيها ما لا ينبغي نسبه إلي مسلم بن عقيل (عليه السلام) من خلال إيكال الأمر إلي الله، فلو بدرت من مسلم (عليه السلام) أيّ بادرةٍ أو لفظةٍ تفيد نفي ذلك، ولو كانت صحيحة -- ولا يصدر من ثقة الحسين مسلم (عليهما السلام) إلا الصحيح --، بأن يقول له: لا، إنّ الله ما أراد ذلك.. وأخذ يشرح له الاعتقاد الصحيح ومعني الإرادة الإلهية وحرمة نسبة العصيان والطغيان وسفك الدم الحرام والتسلط بالظلم والجور إلي الله، لأخذها الخبيث وطار بها وشوّها للناظرين، والأكثرية يومها كانت من أتباع السقيفة تقنات علي إفرزاتها والقيح الراشح منها، ويمكنها أن تستسيغ كلام مثل ابن زياد، ويصعب عليها إدراك الحقّ وكلام رجاله.

وبالتالي، فإنّ قضاء الله وقدره جار في الخلائق، ولو من باب كيف ما

تكونوا يولّ عليكم، ولذا أجابه المولي (عليه السلام) فقال: الحمد لله، كفي بالله حكماً بيننا وبينكم.

وهذا التعبير الرائع عن التسليم لله والحمد والشكر له، وهو الذي لا يُحمد علي مكرهٍ سواه، يتضمّن تكديماً واضحاً لمزاعم ابن مرجانة، فقد حمد الله (فداه روعي)، وجعله حكماً بينهم، وهو خير الحاكمين، ولا يحكم إلا بالعدل.

وربما تضمّن أيضاً معني أنّك ظالم متجبرٍ وطاغوت متكبّر، تدّعي شيئاً لا تريد أن تقبل غيره، فليحكم الله بيننا.

وعلي كلّ حال، فهو ردّ قويّ، لأنّه قد أوكله إليّ من لا يغلبه غالب ولا يفوته مطلوب.

الردّ الثاني: اليقين

إشارة

يمكن استعراض الردّ الثاني في نقطتين:

النقطة الأولى: الدفاع عن حقّ الإمام

إنّ المولي الغريب (عليه السلام) وقف هنا موقفاً يدافع ويكافح فيه الظلمة عن الحقّ المسلوب منذ اليوم الأول والخلافة التي زُويت عن أهلها ووُضعت في الأراذل والأوباش، حتّى بلغت إليّ قاع لا يُحتمل يوم نزي عليها القرد المجدور يزيد الخمور والفواحش والشُرور.

وابن الأمة الفاجرة حينما يتكلّم مع المولي الغريب (عليه السلام)، يعلم أنّه سفير

للإمام (عليه السلام)، فهو يكلمه كسفير، ويقصد أن يناقش في أصل القيام وحركة سيّد الشهداء (عليه السلام)، ولو كلمه بشكل شخصي ليفتري عليه ما ليس فيه، بغية إعداد المسوّغات للقتل وإعلان الذرائع أمام الملاء، ويشهد لذلك قوله: «كأنك تظنّ أنّ لكم في الأمر شيئاً»، فهو يخاطب مسلماً (عليه السلام) «كأنك تظنّ» بضمير الخطاب المفرد، ثم يعدل عنه إلي ضمير الجمع: «أنّ لكم».

وكذلك كان المولي الغريب (عليه السلام) يتكلم مدافعاً عن حقّ الله المضيّع بين العباد، والسعادة المهدورة بترك اتّباع الإمام المفروض الطاعة، وهو لا يدعي شيئاً من ذلك لنفسه، وحاشاه، وهو أعلي وأجلّ وأكبر من أن يدعي ما لم يجعله الله له، نستغفر الله ونتوب إليه.

فحينما يقول له ابن زياد (لعنه الله): أتظنّ أنّ لكم (لك) من الأمر شيئاً. يردّ عليه مسلم بن عقيل: لا والله، ما هو الظنّ ولكنّه اليقين.. جزماً هو لا يقصد أنّ له شخصياً من الأمر شيء إلا بمقدار ما يدافع به المؤمن عن الأمر الإلهي، ويكافح من أجل فرض المنصوب يوم الغدير بأمر ربّ العالمين والنبّي الأمين (صلي الله عليه وآله).

وبهذا يتّضح أنّه كان يطالب بحقّ ثابت منذ اليوم الأوّل وقد سلب من أصحابه، وليس يطالب بسلطة ضيقة محدودة اجتمعت بعض خيوطها بيد ابن الأمة الفاجرة.

صعد أول القوم فقال أن له شيطاناً يعتريه (1)، وتمني شطيره أن يكون بكرة (2)، وكبت بثالثهم بطنته، إذ كان نافجاً حُضنيه بين نثيله ومعتلفه (3)، وكان كلُّ منهم شاكاً في نفسه لا يعلم عاقبة أمره، فلما ارتقى أمير المؤمنين (عليه السلام) منبراً أعلنها إعلان الواثق بربه، فقال: «أنا عبد الله وأخو رسوله، لا يقولها غيري إلا كذاب مفتر»، وهو ملك مفاتيح الجنة وقسيم النار، لأنه وصي النبي المختار (صلي الله عليه وآله) بأمر القوي المتين الجبار..

والمؤمن لا يشك ولا يعتريه الريب فيما أمر به الله وأعلنه رسول الله (صلي الله عليه وآله)، فكيف إذا كان المولي مسلم بن عقيل (عليه السلام) ربيب أمير المؤمنين وأخو الحسين (عليهما السلام).

أراد الخبيث الرجس أن يجعلها بمستوي الظن والخيال والتوهم والتمني والتطلع والأحلام، تماماً كما هو شأن عبيد الدنيا وأبناء الشهوات واللذات، فردّ عليه الليث الطالبي (عليه السلام) بالحق الإلهي وبنقطة العارف بالله وثبات الموالي لأولياء الله..

ما أروعه من جواب ينم عن عظمة ولاء مسلم (عليه السلام) ورسوخ إيمانه ويقينه بربه وتسليمه لنبيه وإخباته لإمامه.. قالها بقوة مسلم بن

ص: 280

-
- 1- أنظر: الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 1 / 34، البداية والنهاية لابن كثير: 6 / 303، تاريخ الطبري: 2 / 43، وغيرها.
 - 2- أنظر: المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي: 5 / 429.
 - 3- أنظر: علل الشرائع للصدوق: 1 / 151 باب 122.

عقيل (عليه السلام): لا والله، ما هو الظنّ ولكنّه اليقين.

لقد نفى الظنّ مرتين؛ مرّة حينما قال: «لا»، فنفي الظنّ الذي زعمه ابن مرجانة، ثم عاد فنفاه مؤكّداً بالقسم، فقال: «ما هو الظنّ».. حشّد جملةً من المؤكّدات في النفي والإثبات، فنفي بلا، ثم أكّد بالقسم بالذات الإلهية المقدّسة بلفظ الجلالة وواو القسم، ثم نفى الظنّ مصرّحاً به، ثم استثنى ب- «لكن»، ثم أكّد بالتصريح باليقين، وقد اختار لفظ «اليقين»، وربما لا تجد كلمةً أُخري تعبر عن المدى الذي تعبر عنه كلمة اليقين، لا العلم، ولا القطع، ولا الجزم، ولا غيرها من المفردات.. «لكنّه اليقين»!

ومن ذا يشكّ من المؤمنين أنّ الأمر للأئمة الطاهرين (عليه السلام)، لكن أن يبلغ (اليقين)، ويبلغ يقيناً كيقين مسلم بن عقيل (عليه السلام) فهذا ما لا يكون إلّا لمسلم (عليه السلام) ولأمثاله ممّن أعطاهم الله ذلك اليقين!

الردّ الثالث: لمن الحقّ في الخلافة؟!

إشارة

رغم ردود المولي الغريب (عليه السلام) المفحّمة وأجوبته القويّة، لم يرعوي الوغد الوضيع ابن زياد، وبقي يستمرّ كالمقامر يطمع باستعادة الضائع بالقمار كلّما خسر يقامر من جديد، وظنّ الأحقّ أنّه يستطيع -- ولو في جولة -- أن يكسب الموقف أمام ابن عقيل وسليل إبراهيم الخليل (عليه السلام)، فكأنّه أراد أن يعيد ما يخاله كرهة عليّ البطل الهاشمي (عليه السلام)، فقال -- كما في رواية ابن أعثم والنخوارزمي - :-

... ولكنتي أريد أن تخبرني يا ابن عقيل بماذا أتيت إليّ هذا البلد؟

شَتَّتْ أمرهم، وفرقت كلمتهم، ورميت بعضهم علي بعض! فقال مسلم بن عقيل: لستُ لذلك أتيتُ هذا البلد، ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف، وتأمّرتم علي الناس من غير رضي، وحملتموهم علي غير ما أمركم الله به، وعملتتم فيهم بأعمال كسري وقيصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر، وندعوهم إلي حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل ذلك، ولم تزال الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، ولا تزال الخلافة لنا، فإنا قهرنا عليها، لأنكم أول من خرج علي إمام هديّ وشقّ عصا المسلمين، وأخذ هذا الأمر غصباً، ونزع أهله بالظلم والعدوان، ولا- نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله (تبارك وتعالى): (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ).

قد تناولنا أكثر فقرات هذا الردّ القاصم لظهر الجرو الوضيع خلال العناوين السابقة، وإنّما أفردنا بعضها هنا للتأكيد علي عقيدة غاية في الأهمية تميّز بين الحقّ والباطل ذكرها مسلم بن عقيل (عليهما السلام):

الفقرة الأولى: كنا أهل ذلك

كرّر ابن الأمة الفاجرة أكثر من مرّة ألفاظ نابية تليق به، تؤدّي بالمجموع إلي دفع مسلم بن عقيل والإمام الحسين (عليهما السلام) عن مسؤوليّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلي كتاب الله وسنة النبيّ (صلي الله عليه وآله) والعترة الطاهرة (عليهم السلام)، وملوّحاً إلي قيامه وأصنامه بذلك، ورمي المولي مسلم بن

عقيل (عليه السلام) بأفدع التهم وافتري عليه أقبح الافتراءات، فأجابه مسلم (عليه السلام) قائلاً: «فأتيناهم لنامر فيهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر، وندعوهم إلي حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل ذلك».

أجل! هم أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلي كتاب الله والسنة، وابن زياد وأمثاله هم المنكر والفساد والضلال والإضلال والفتنة وقرونها وشياطينها، ومن أولي بعترة النبي (صلي الله عليه وآله) وأولياء الله (عليهم السلام) من الأمر بالمعروف؟ وقد فعلوه! والنهي عن المنكر؟ وقد انتهوا عنه! والدعوة إلي كتاب الله النازل في بيوتهم، وهم المخاطبون به والعاملون به والتالون له حق تلاوته..

«كنا»: تأكيدٌ وتحقيقٌ وإخبار عن أمرٍ واقع، كان ولا زال قائماً.. هم كانوا ولا زالوا أهل ذلك.

الفقرة الثانية: لمن الخلافة؟

يؤكد المولي الفقيه العالم (عليه السلام) أن كلامه كله إنما هو دفاع عن حريم الإمام والإمامة، ولم يدع هو لنفسه شيئاً، يقول: «ولم تزل الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولا تزال الخلافة لنا، فإنا قهرنا عليها، لأنكم أول من خرج علي إمام هدي وشق عصا المسلمين، وأخذ هذا الأمر غصباً، ونازع أهله بالظلم والعدوان، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله (تبارك وتعالى): (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)».

ورغم أنّ الموليّ مسلم بن عقيل (عليه السلام) لم يبادر إليّ هذا الموضوع، وإنّما أقحمه الخبيث فيه إقحاماً، وهذا شأنه في محاولة تهيج الرأي العام المضللّ من خلال استدراج الخصم للتعرّض لمقدّسات الجمهور وآهتهم، كما فعل مع ابن عفيف وغيره وسأله: ما تقول في عثمان؟ وقد التفت ابن عفيف إليّ الغرض من السؤال فقال له: ما أنتم وعثمان؟ سلني عنك وعن أبيك! (1).

ولذا نجد الموليّ الغريب (عليه السلام) يتجنّب التعرّض إليّ ذكر السقيفة وإفرازاتها، ويكتفي بذكر الأمويّين وغلبتهم عليّ الحكم بعد أمير المؤمنين (عليه السلام): «ولم تزل الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، ولا تزال الخلافة لنا...»، فجعل حدّ المطالبة منذ أن قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) وما بعده، وهي الفترة التي نزي فيها قرده بني أمية عليّ الحكم، بيد أنّ المتابع المسدّد يعلم من مجريات الأحداث أنّ الذي ركع لتزوّ من خلال ظهره القروود هو من أسّس أساس الظلم والجور، وفتح شهية القروود للطمع، وأسأل لعابها المخمور عليّ منابر المسلمين.

ثمّ أكّد أنّها أخذت منهم غضباً، وقُهروا عليها قهراً، وأنّ الخارجيّ هو من تمرّد عليّ سلطان الله وخالف شريعة رسول الله (صلي الله عليه و آله)، واعترض وغالب إمام الحقّ عليّ الحقّ الذي منحه الله، وغصبه منه ونحاه عن الموقع الذي وضعه فيه ربّ الكبرياء والسلطان والجبروت والعظمة.

فهذا هو من يشقّ العصا ويخرج عليّ إمام الهدى، وينازع أهله بالظلم

ص: 284

والعدوان والحيلة والغدر والطغيان، وسيكون له القويّ الجبّار بالمرصاد، وسيعلم غبّ عمله وعاقبة أمره يوم يخسر المبطلون، ويعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون، تماماً كما قال مولانا مسلم بن عقيل (عليه السلام): «فإنّا قهرنا عليها، لأنكم أول من خرج عليّ إمام هديّ وشقّ عصا المسلمين، وأخذ هذا الأمر غصبا، ونازع أهله بالظلم والعدوان، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله (تبارك وتعالى): (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)».

وفي قوله: «لا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله (تبارك وتعالى): (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)»، تهديدٌ مرعب، وتخويفٌ مهول، وتوعّدٌ مروّع، فعَمَّا قليل سيعرف الظالمون عاقبة أمرهم وسوء منقلبهم، إن كان في الدنيا علي يد المختار الثقفي، أو يوم يقوم المنتقم الأعظم صاحب الأمر والزمان وليّ الدماء الزكية (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، أو يوم يقوم الناس لربّ العالمين!

المحور الرابع: التهديد بسوء القتلة

إشارة

إنّفتحت نصوص المتن التاريخيّة في هذه الفقرة علي مضمونٍ واحد، يحكي تهديد ابن الأمة الفاجرة بقتل المولي الغريب (عليه السلام) والليث المكبّل، فهو يؤكّد أنّه سيقتل مسلماً (عليه السلام) من خلال الدعاء علي نفسه أن يقتله الله إن لم يفعل. ثمّ جعل يهدّد بنوع القتلة.. قتلة لم يقتل بها أحدٌ في الإسلام، قتلة شرّ

قتلة، قتلة يتحدث بها الناس.. لو كان التهديد لغير البطل الهاشمي (عليه السلام) القادم ليقتل في محبة الحسين (عليه السلام) لكان تهديداً مروّعاً؛ فإنّ القتل الذي حصل في تاريخ الإسلام إلي يوم الناس ذلك فيه صور مهولة، واليوم يزيد الخبيث ويرعد بقتلة لم يقتلها أحد في الإسلام من الناس، ويصفها أنها شرّ قتلة..

وفات الرعديد الجبان أنه يقف بين يدي بطل هزبر عباس، طبع علي شيم الشجرة المباركة، ونشأ في بيوت أذن الله أن ترفع، وهو سفير لسيد الشهداء (عليه السلام)، ومن بيت عرقت فيه الشجاعة، وهم لا يقاس بهم أحد، وليسوا كباقي الناس، فالكل يهرب من الموت في الغالب، إلا هؤلاء الأفاضل الأطياب، فإنهم يركضون وراء الموت فيقبضون عليه قبضاً، ويمسكونه بقبضاتهم مسكاً..

فلا يكون تهديد الحقراء مخيفاً أو مؤثراً في الصناديد العظماء يوماً، فكيف بالموعود بالشهادة مسلم بن عقيل (عليه السلام)؟! فقد كرّ بصولة حيدرية، وتشامخ علي التهديد بروح حسينية، وردّ علي الجرو المتضائل، وهشم أنف الوغد المتهاوي السافل، فتتابعت دفعات الشجاعة تتدفق من بين تلك الشفتين الجريحتين، فاكسحت الوجود النحس لابن مرجانة، وانطلق لسانه -- الذي صار كشقة المبرد من شدة العطش والجراحات -- سيفاً بتاراً مصقولاً، فأوجز في الردّ، ولكنّه أخرج الجرو ودمره تدميراً، واجتاح كبرياءه، فلم يُبق له ولم يذر، وقد رماه بكلمات صائبة متماسكة رصينة، تعبّر عن

رزانته وسكينته وثباته ومعرفته الدقيقة بعدوّه.

قال: أما أنّك أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما أنّك لا تدع سوء القتلة، وقبح المثلة، وخبث السريرة، ولؤم الغلبة، لا أحد من الناس أحقّ بها منك.. وخبث السيرة.. ولؤم الفعلة لأحدٍ غيرك أولى منك.. وخبث السيرة المكتسبة عن كتابكم وجهالكم..

هذا هو مجموع ردّ المولي الغريب (عليه السلام) علي تهديد ابن الأمة الفاجرة، بعد حذف الكلمات المكرّرة من المصادر.

فهو أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه.. وقد خاطبه البطل الطالبيّ (عليه السلام) بضمير المفرد المخاطب؛ زيادةً في الازدراء والتحقير..

وأكد له أنّه لا يدع سوء القتلة.. فهذه أخلاقه وشيمه وثمار نطفته..

ولا يدع قبح المثلة، وكيف يدعها وهو الكلب السائب في دور أبناء هند آكلة الأكباد، والمرتضع من صديد طبائعها الوحشيّة؟ ومن هنا نعرف سبب تأكيد المولي مسلم بن عقيل (عليه السلام) علي استيهاب الجثة من هذا الخبيث والوحش الكاسر..

وخبث السريرة.. وهذا هو شأن أولاد البغايا والذوات القذرة ومنابتالسوء..

ولؤم الغلبة.. وهو شأن الجبناء والنكرات والحقراء والأنذال، ربائب الغدر والخيانة والصّغار.. ولشدّ ما يجرح الغيور، ويؤذي الشهم، ويحرّز في قلب الشجاع، ويشير الشجون، ويعتلج في القلب الألم، وتلهبه المشاعر،

ص: 287

وتستجيشه الصورة، حينما يري أسداً غضنفرأ جريحاً، تتوثب الفتوة علي قسما ت وجهه، وتتفجر الشجاعة من أعضائه، وتشع الأنوار من محياه، مكتبلاً تنظر إليه الثعالب والفئران بعيون شامته.. ما أعظم ثباتك يا ابن عقيل وسليل إبراهيم الخليل (عليه السلام)!

وهذه الرذائل التي اكتنفت وجود الدعوي ابن الدعوي؛ «لا أحد من الناس أحقّ بها منك»، لتوافر كل أسباب السقوط في هذا الكائن اللزج الفجّ الوقح المتهاوي في مستنقع الرذيلة، والغائص في أعماق قاع الخطيئة والجريمة.. ويشهد لذلك: «خبث السيرة..»، فهو لا يدع لؤم الفعل لأحدٍ غيره أولي منه، وهو أولي من أيّ أحد؛ لأنّ «خبث السيرة المكتسبة عن كتابهم وجهالهم».. كما في نصّ ابن كثير.

كلّ هذه الصفات التي نعت بها مسلم بن عقيل (عليه السلام) ابن زيادٍ هي واقعٌ يعيشه الدعوي، ويعرفها من نفسه، ولا يستطيع نكرانها ولا التنصّل منها، ومسلم (عليه السلام) هو ابن عقيل العارف بالناس وأيامهم ووقائعهم وأخلاقياتهم وشيمهم، وذلك غير معرفته الشخصية بعدوّه، وعلمه بأنّ هذا الوحشالمسعود سيّئدّم علي ارتكاب أعظم جريمة في تاريخ البشرية؛ قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) وأهل بيته وأنصاره، وسبي حرم الله ورسوله (صلي الله عليه وآله)..

لو كان معي عشرة

بعد أن وبّخ المولي مسلم بن عقيل (عليه السلام) ابن زياد وقرّعه، ووضع في موقعه وحدّ له حدّه، وهجم عليه هجومه الصاعق السريع، وزلزل موقفه،

وأخذ بكظمه وجعله يشرق بريقه، رغم عدم تصريح التاريخ بذلك، بيد أنّ كلمات ابن عقيل (عليه السلام) كانت أمضي من سنانٍ يغرز مع كل كلمة في جميع كيان الدعي المتداعي، بعد أن كشف حقيقته، وأعلن علي رؤوس الأشهاد واقعه وما يمكن أن يطفح به وجوده من إفرازات تتولد عن تلك السيرة التي تزكم الأنوف.. قال حسب نصّ ابن أعثم:

«والله لو كان معي عشرة ممّن أثق بهم وقدرت علي شربة من ماء، لَطال عليك أن تراني في هذا القصر...».

ويبدو -- كما يظهر للمتابع -- أنّ الخوارزمي يعتمد في الغالب علي نصّ ابن أعثم، وقد نقل عنه هنا هذه العبارة أيضاً..

وبعد غصّ النظر عن تفرد ابن أعثم، فإنّ في كلام مسلم (عليه السلام) هذا تهديدٌ واضح وقوي لابن زياد، كما إنّه يكشف عن مدي غربته ووحدته، وتأثير العطش عليه ونشوب نيران الظمأ في جوفه وتفتت كبده واحتراق أحشائه (فداه روعي)، حتّى إنّه يقتصر علي (شربة من ماء).. شربة.. والنكرة تفيد المرّة هنا، وتحقّق بأقلّ ما يُتصوّر.. شربة من ماءٍ واحدةٍ ولو قطرات..

يا ربّ! أيّ ثباتٍ وأيّ صبرٍ كان يمتاز به المولي المعظم مسلم بن عقيل (عليه السلام)؟! كلّ هذه المصاولة والحرب الكلاميّة بعد تلك الجراحات والنزف، وهو لا زال عطشاناً؟!!

لقد واسيت -- يا سيّدي وحبّبي -- إمامك وأخيك سيّد الشهداء (عليه السلام)،

فهنيئاً لك! وأيم الله، ولا أحسب أن يخشي المؤمن في قسمه إنمأ إذا قال: يعجز غير المعصوم عن وصف مسلم بن عقيل (عليه السلام) وموقفه وشجاعته وثباته وصبره وإيمانه وصلابته، وكلّ خصال الخير والسؤدد والسموّ والعظمة والجلال فيه!

المحور الخامس: الشتم والسبّ وانتهاك المقدّسات

إشارة

لؤم الغلبة! تماماً كما قالها المولي المفدّي مسلم بن عقيل (عليه السلام) .. سلاح العاجز الجبان والرعيد المهان، والسافل الذي ذاق الأمر من الحنظل من لسان البطل الذي مزّق كيان ابن زياد بالردّ الحاد، أحد من السنان..

عجز عن مقابلة ردود المولي (عليه السلام) وضرباته الدقيقة المؤثرة التي أصاب بها ابن الأمة الفاجرة، وفتق قلبه بسهام كلماته الصائبة، وعزّاه وكشف نسبه وحسبه، وختم علي فيه بمياسم الذلّ والصغار، ومزّغ بوزه وبدّد زهوه، وتركه كدودةٍ حقيرةٍ تتلوي في أحوال تنن الماضي وجيفة مستنقع الحاضر، فصار كالكلب المسعور، ينبج ويلهث ويهجم، ليخمش بمخالبه ويعضّبأنيابه كلّ ما يعترضه، لعلّه يجد لنفسه مهرباً..

لقد ردّ البطل الهاشمي (عليه السلام) علي كلّ سخافات الوضع الوقح، ولم يدع له كلمةً تمرّ أو فرية تجوز، فطفح بما في كوامنه من حقدٍ ونصبٍ وعداءٍ لآل الله، وأصحر بما في وعائه من الكفر والطغيان والعتوّ والتمرد علي الله، وسلك مسالك من سبقه من قروود الشجرة الملعونة في القرآن، وطفق يسبّ

هل دفعه إلي ذلك جنبه وفشله وخييته وخسرانه أمام الصولة الهاشمية، وعجزه عن مقاومة لسان ابن عقيل المسدد؟!

أو أنه استشاط غضباً ولم يجد بداً من تفرغ غضبه بجرح الأسد المكبل بسب أبيه وأخيه وعمه ومن أحبهم مسلم (عليه السلام) في الله وفي الولاية وفي النسب، فأراد أن يؤذي البطل ويجرح قلبه؟!

أو أنه قد ضاق به ذرعاً، فاضطر إلي كشف نصبه وعداوته وحقدته ومحاربتة لله في أوليائه؟

أو أنه أراد أن يكسر شوكة الحق بالاعتداء علي حرمة الله وتحطيم المقدسات أمام أعين الناس فيما يزعم ويخال.. فيكسب الجولة علي طريقة أسلافه، الذين جهدوا في ذلك منذ يوم الهجوم علي الدار، وسب وهتك حرمة بيت النبي المختار (صلي الله عليه وآله)، والاستمرار في لعن الوصي الكرار (عليه السلام)، والإمعان في مخالفة الجليل الجبار، ومناصبة الحق ومقاومة القيم وسحق الأخيار؟!

يبدو أنه لذلك كله ولغيره سلك سبيل السب والشتم لشعائر الله العظمي.. لقد سب أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد فعل ذلك أسلافه من قبل علي رؤوس الأشهاد.. وسب مسلماً (عليه السلام) وهو عدوه المكتوف أمامه، وسب عقيلاً وهو أبو مسلم وأخو أمير المؤمنين (عليه السلام)، وله منه موقف، لأنه كان يحمل لساناً أقوي من المهند البتار، وهو العالم بأنساب العرب، والعارف

بالأصيل واللصيق منهم، وقد فضحهم في كلِّ مجلسٍ ونادي في حضره وفي الأسفار..

ثمَّ جعل يسبَّ الحسين سيِّد شباب أهل الجنَّة (عليه السلام)، ومَن أمَّه سيِّدة النساء، وأبوه سيِّد الأوصياء، وجدّه سيِّد المرسلين والأنبياء (عليهم السلام)، وجدّته خديجة، وعمّه حمزة وجعفر الطيار (عليهما السلام)، وهو مَن قد عرفه ابن زياد وسمع قول النبيّ (صلي الله عليه وآله) فيه وفي أخيه أنّهما: «سيِّدا شباب أهل الجنَّة»، وقوله (صلي الله عليه وآله): «إِنَّ حَبَّ عَلِيِّ قُذِفَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا يَحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ، وَإِنَّ حَبَّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ قُذِفَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ، فَلَا تَرَى لَهُمْ ذَامًا» (1).

فربما تجرّأ علي سبِّ أمير المؤمنين (عليه السلام) اقتداءً بسلفه الطالح، وقد اغتذي وارتضع من قذر القروذ الأمويّة منذ أوّل نشأته، وكان أبو سفيان شريكاً في نطفته مع غيره من الزناة، ومن الطبيعيّ أن يُبغض ابنُ الحرام أمير الأطهار والأخيار، لكنّه في أيّ صنّفٍ من المخلوقات سيكون حينما يسبِّ ويبغض الحسن والحسين (عليهما السلام)، فالبشر إمّا أن يكون مؤمناً أو منافقاً أو كافراً، وقد قذف الله في قلوب جميع هذه الأصناف حبَّ الحسين (عليه السلام)، كما في النصّ المذكور.. فمَن كان هذا المخلوق الممسوخ المشوّه حتّي سبَّ حبيب العالمين الحسين (عليه السلام)، وعدا عليه فقتله وسبي عياله!!

قال الطبري: وأقبل ابنُ سميّة يشتمه ويشتم حسيناً وعليّاً وعقبلاً..

ص: 292

وقال ابن أعثم والخوارزمي -- واللفظ للثاني -- : فجعل ابن زياد يشتمه ويشتم علياً والحسن والحسين..

أما ردّ المولي الغريب (عليه السلام) هنا، فقد انقسم المؤرخون فيه إلي طائفتين:

الطائفة الأولى: السكوت

روي الطبري في (التاريخ)، والشيخ المفيد في (الإرشاد)، والفتال في (الروضة)، ومسكويه في (التجارب)، وابن الأثير في (الكامل)، وابن كثير في (البداية والنهاية)، وغيرهم.. أنّ المولي الغريب (عليه السلام) سكت وأخذ لا يكلمه.. وقد صرح ابن كثير أنّه يروي ذلك عن الطبري، وقال: «رواه ابن جرير..»، ولا يبعد أن يكون من ذكرناهم قد أخذوه أيضاً عنه..

ولا نريد أن نسوق الاحتمالات هنا لمعرفة سبب سكوت المولي الغريب (عليه السلام)، وهل كان غضباً أو تجاهلاً أو مكابدةً للألم أو أيّ سبب آخر؟ فهو علي كلّ حال يحكي مدي ازدراء البطل الهاشمي (عليه السلام) لابن الأمة الفاجرة واحتقاره، والتنزّه عنه، واعتباره أدون من الجاهل الذي يردّ علي جهالاته بالسلام؛ (إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً).

وربما أكدّ تعبير الطبري والشيخ المفيد وغيرهما: «وأخذ مسلم لا يكلمه»، أو تعبير مسكويه: «وأمسك مسلم لا يكلمه».. أنّ المولي الغريب (عليه السلام) تعمّد السكوت واتّخذ موقفاً، لا إنّه حصر أو عي عن الردّ -- والعياذ بالله --.

وربّما سكت ثمّ أجاب بما سنذكره بعد قليل، فروي هؤلاء السكوت

الطائفة الثانية: الردّ

إشارة

ذكر ابن أعثم والخوارزمي والسيّد ابن طاووس ردّاً قوياً وجواباً حامياً ردّ به مسلم بن عقيل (عليه السلام) علي تمادي ابن زياد وجرأته علي الله وأوليائه ووقاحته وتطاوله علي الحرّات والمقدّسات التي رفعها الله..

فقال ابن أعثم والخوارزمي -- واللفظ للثاني -- : «فقال مسلم: أنت وأبوك أحقّ بالشتّم والسبّ، فاقض ما أنت قاضٍ يا عدوّ الله، فنحن أهل بيتٍ موكل بنا بالبلاء..». وذكر السيّد ابن طاووس وغيره مثله.

يبدو أنّ هذه الطائفة أقرب إلي مسار المحاججة ومجريات الأحداث، وتنسجم أكثر مع ما عهدناه خلال هذه المصاولة الكلاميّة من الانقضاض السريع المهلك من قبل البطل الهاشمي (عليه السلام) علي الجرو الأموي، وردّه الفوريّ عليه بعد كلّ فقرة من كلامه.. ويمكن أن نلخص الكلام في هذه الفقرة ضمن ثلاث مقاطع:

المقطع الأوّل: طريقة ردّ الشتيمة

إنّ المولي الغريب (عليه السلام) لم يردّ كلّ سبّة بسبّة وشتّم بشتّم، فلا سواء، إذ أنّ ابن زياد وأباه أحقّ بالسبّ والشتّم، وهو لازم لا ينفكّ عن وجودهما القدر، وذكرهما سبّة علي البشريّة وشتّم للإنسانية، وتوصيفهما يعني السبّ والشتّم والرذيلة بذاتها، فمتي ما ذكرنا جري السبّ والشتّم معهما..

المقطع الثاني: إعلان كفر ابن زياد

ثم إنّه (عليه السلام) أعلن عن كفر ابن زيادٍ وطغيانه وتمردّه علي الله وعتوّه بمخاطبته بما حكاه الله في مخاطبة فرعون: (فَأَفْضِرْ مَا أَنْتَ قَاضٍ).

وأثبت له العداوة لله: «يا عدوّ الله»، فقد كفر بسبّ الأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، واستحقّ اللّعن والكفر والسخط من ربّ العالمين، وبارز الله بالمحاربة، وقد استوجب بذلك القتل، لو كان في القوم الحضور رجلٌ مسلم يفقه ما يقوله سليل إبراهيم الخليل (عليه السلام)، أو يشري نفسه لله وينفذ في هذا الوجود المتعفنّ حكم الله ورسوله (صلي الله عليه وآله).

المقطع الثالث: نحن أهل بيتٍ موكل بنا البلاء

من عرف قدر نفسه لم يهنها بالفانيات (1)، وما هلك امرؤ عرف قدر نفسه (2)، وما جهل ولا ضاع امرؤ عرف قدر نفسه (3)، والعالم من عرف قدر نفسه (4).. وهذا مولانا مسلم بن عقيل (عليه السلام) العالم، قد عرف قدر نفسه، فقال: «فنحن أهل بيتٍ موكل بنا البلاء»..
وكانّ سفير سيّد الشهداء (عليه السلام) وثقته قد اقتبس ذلك من كلام الإمام الحسين (عليه السلام) في خطبة له: «خُطِّ الموتُ علي وُلد آدمٍ مخطّ القلادة علي

ص: 295

1- عيون الحكيم والمواعظ لليثي: 460.

2- مشكاة الأنوار للطبرسي: 245.

3- تفسير البرهان للبحراني: 4 / 604.

4- ترجمة إرشاد القلوب: 1 / 103.

جيد الفتاة... لا محيص عن يومٍ خُطَّ بالقلم، رضي الله رضانا أهل البيت، نصبر علي بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشدَّ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعةٌ له في حظيرة القدس، تقرّ بهم عينه وتنجز لهم وعده، مَنْ كان فينا باذلاً مهجته موطناً علي لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فيأتي راحلٌ مصباحاً إن شاء الله» (1).

واقْتباسٌ من طائفةٍ من الأحاديث الشريفة التي صرّحت أنّ الله يختصّ أوليائه بالبلاء، الأنبياء والأوصياء والأولياء والأمثال فالأمثال.. ومسلم بن عقيل (عليه السلام) من رجال البيت النبويّ، ورجال البيوت التي أذن الله أن تُرفع، والطائفة في أروقة تلك البيوت، ومن سيوف أمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام)، وقد أوكّل الله البلاء بهم لأنهم الأمثال في الخليقة.. ومسلم (عليه السلام) يدور معهم حيثما داروا.

المقطع الرابع: إقضى ما أنت قاض، والبلاء

إشارة

ربّما يُفهم من كلامه (عليه السلام): «اقضى ما أنت قاض» أحد فهمين، أو كلاهما معاً:

الفهم الأوّل: ردّ للسبّ والشتم

قد يُفهم أنّ المولي الغريب (عليه السلام) قد أجاب علي الوغد الوقح بقوله هذا بمعني أنّ ابن زياد قد تمادي في غيّه وتقرعن، وأنّ الليث الطالبي المكتبل في

ص: 296

موقع وَّكَلَّ به البلاء، وليس له إلا الصبر ليؤفِّي أجور الصابرين، وقد صبر مسلم (عليه السلام) وأهل البيت الذي ينتسب إليه علي مثل هذا البلاء، وما هو أعظم من السبِّ والشتم، كالقتل وإحراق الدار وغيرها.. فهو يقول له: قل وافعل ما شئتَ من طغيان، ومارس الغطرسة بالسبِّ والشتم، فإنَّ من بيتٍ يجيد المتاجرة مع الله والصبر علي بلائه..

أو كأنه بقوَّة قول السيِّدة الصديقة الصغرى ردّاً علي القرد الأمويالمجدور يزيد: «أنت أمير تشتم ظالماً وتقهَّر بسُلطانك» (1).

الفهم الثاني: تمَنِّي الشهادة

ربَّما كان قوله بمعني: إفعل ما شئتَ مِن قتلي، تماماً كما ردّوا علي فرعون حينما هدّد وأرعد، فقالوا له: (فأفْضِ ما أنتَ قاضٍ إنّما تُقْضِي هذه الحَيَاةَ الدُّنْيَا)، ومسلم (عليه السلام) من أهل بيتٍ موكل بهم البلاء، فلا يخشي الموت ولا يحزن، «ومن كرم دينه عنده هانت الدنيا عليه» (2).. فماذا بعد أن سبَّ الزنيم أئمة الدين علي مسمع من صاحب الغيرة الطالبيّة، وهو مكتوفٌ لا يستطيع أن يهشم رأس البغي بسيفه؟! وهو ينتظر الشهادة بلهفة، ويتطلّع إلي تحقّق الأمانة الموعودة، ويستعجل اللقاء بالأحبة محمّد رسول الله (صلي الله عليه وآله) وحزبه..

ص: 297

1- الإرشاد للمفيد: 2 / 121.

2- عيون الحكم والمواعظ لليثي: 460.

قال الطبري: وزعم أهل العلم أنّ عبيد الله أمر له بماء، فسُقي بخزفة، ثمّ قال له: إنّ لم يمنعنا أن نسقيك فيها إلاّ كراهة أن تحرم بالشرب فيها، ثمّ نقتلك، ولذلك سقيناك في هذا (1).

في العبارة ارتباكٌ لائح وتهافت واضح، لأنّه يقول: «لم يمنعنا أنسقيك فيها إلاّ كراهة أن تحرم بالشرب فيها»، فربما كان المقصود: لم يمنعنا أن نسقيك في غيرها..

ولابدّ من تمييز معني (التحريم) المقصود أولاً، فربّما أعان علي فهم العبارة، ويمكن أن يفترض لها معنيان:

المعني الأول: التحريم بمعني أنّهم سيمنعون من الاستفادة منها فيما بعد، فتحرم عليهم وتتلّف ويخسرونها.

والمعني الثاني: وهو الأقرب والأوفق الذي يساعد عليه سياق العبارة، وهو بمعني أن يكون لك حرمة عندنا بالشرب في أنيتنا. قال الزمخشري: تحرّم فلان بفلان، إذا عاشره ومالحه وتأكدت الحرمة بينهما، وتحرّمت بطعامك ومجالستك، أي: حرم عليك منّي بسببهما ما كان لك أخذه (2).

وقال الكاشاني: تحرّمت بصحبتك، أي صرت بها ذا حرمة (3). وهو

ص: 298

1- تاريخ الطبري: 5 / 375 وما بعدها.

2- أساس البلاغة للزمخشري: 123.

3- الوافي للكاشاني: 5 / 828.

لفظٌ يُستعملُ بمعنى أن يأكل أو يشرب أو يصاحب أحداً أو يدخل عنده ضيفاً، فتكون له بسبب ذلك حرمة تمنع من أذاه أو خيانتة أو غشّه وترك النصيحة له، وإيجاد علقَةٍ خاصّة وارتباطاً حامياً له عند المضيف.

وبعد أن اتّضح معني التحريم إجمالاً، يمكن أن تُفهم العبارة -- رغم مافيهما من ارتباك -- بأحد الاحتمالات التالية:

الاحتمال الأول: أن تكون إشارة غائبة

ربّما كانت ثمّة إشارة من ابن الأمة الفاجرة إلي إناءٍ موضوع بالقرب منه، فقال: لم يمنعنا أن نسقيك فيها -- أي: في الإناء الذي أشار إليه بالقرب منه مثلاً -- إلا كراهة أن تحرم بالشرب فيها، أي تحرم بالمعني الأوّل، أو إنّه قصد نفس الإناء الخزفي، بمعنى إنّه يقول: لم يمنعنا أن نسقيك في غير هذا الإناء إلا لأننا نكره أن تشرب فيه فنضطرّ لاجتنابه فيحرم علينا، وهو بعيد وفيه تكلف وتحميل علي النصّ، ولا ينسجم مع تتمّة العبارة: «ثمّ نقتلك، ولذلك سقيناك في هذا».

الاحتمال الثاني: التحريم بالمعني الثاني

كأنّ الخبيث الرجس يقول إنّه إنّما سقاه بإناء خزف ولم يسقه بإناء آخر من الآنية التي تُستعمل عندهم؛ خوفاً من أن يتحرّم بالشرب في آنيّتهم، فتكون له حرمة فلا يستطيع قتله بعدها.. وهذا المعني أوفق بسياق العبارة رغم ما فيه.

وكيف كان، فإنّ في سلوكه التافه علاماتٌ تقيّد عزم الطاغية عليّ التعدّي والتجاسر عليّ ساحة مولانا المقدّسة..

ويبقى أنّ الطبري تفرّد بها دون جميع المؤرّخين في طبقاتهم -- حسبفحصنا --، حتّى أولئك الذين يروون عنه بالحرف، وقد نسبها الطبري إليّ زعم أهل العلم..

أضف إليّ أنّنا نعرف إباء مسلم بن عقيل (عليه السلام)، وأنّه لم يشرب قبل دخوله عليّ ابن زياد، لأنّ نزع الدماء لم ينقطع وقد امتلأ القدرح دماً، ولا زالت جراحاته تشخب دماً، فكيف يشرب (فداه رويحي)؟ ونحن مطمئنون أنّ مولانا المعظم لا يفوته مواساة سيّد الشهداء (عليه السلام) في العطش، وأنّ له كأساً مذخورة عند النبي (صلي الله عليه و آله) سيسربها ولا يظماً بعدها أبداً!

يبدو أنّ علامات الضعف والوضع اللّائحة عليّ الخبر وارتبأكه تغني عن مناقشته..

المحور السادس: تمني الشهادة علي يد شرّ البريّة

إشارة

بعد أن أكّد الموليّ الغريب (عليه السلام) أنّ ابن زياد وأباه زياد بن عبيد بن علاج من ثقيف هما اللذان شقّوا العصا، وأنّه ما خالف ولا غيّر ولا خلع ولا كفر ولا بدّل، وإنّما هو في طاعة سيّد شباب الجنّة الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، ثمّ قال -- كما في نصّ ابن أعثم والخوارزمي والسيّد ابن طاووس -- : «وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة عليّ يدي شرّ بريّته»، وفي

(مثير الأحزان) لابن نما: «أيدي شرّ البريّة»..

يمكن أن يفيد هذا الرجاء الوارد ضمن السياق المذكور عدّة مطالب:

المطلب الأول: إعلان النهاية

كان البطل الهاشمي في جوّ ترفرف الشهادة علي رأسه بعد أن أصيب بكلّ تلك الجراحات المؤثرة البليغة التي قاومها المولي الغريب (عليه السلام) بصلافة إيمانه وقوة ثباته، ولو كانت في غيره لأتت عليه منذ اللحظة الأولى، مستعينةً عليه بالعطش الذي فتّت كبده وجفّف أحشائه وأذبل أعضائه الممزّقة بالسيوف والسهام والمكتوية بلهيب أطنان القصب..

وقد أعلن مسلم بن عقيل (عليهما السلام) إنّه يعيش الرجاء الذي سيتحقّق حتماً، لأنّه ممّا وعده به النبيّ الأمين (صلي الله عليه وآله) وسيّد الشهداء الحسين (عليه السلام)، فهو لا يريد أن يقاتل بعد تلك اللحظة التي جرّته إليها سنّة البلاء الموكول بالأولياء، وكان في قدره أن يوقّف مكتوفاً في القصر ويقف أمامه الجرو الأجرّب ليكلّمه بوقاحة، ويسبّ ويشتم أمامه أعظم حرّمات الله علي الإطلاق، وهو مصدودٌ عن القتال، ممنوع عن فري أوداج الوحش المطلق العنان، وهذه كلّها مؤشّرات واضحة وعلامات لائحة أنّه قد بلغ الغاية في بذل المجهود، ولم يبقَ بينه وبين الشهادة إلاّ أن يقتحم اللعين حدود الله ويجترئ علي حرّماته، فيأمر بقتله وينال الشهادة الأمنية ويتحقّق له الرجاء المنشود.

ويمكن أن يستشعر المتأمل في هذا التصريح العظيم من هذا البطل

العظيم في تلك اللحظة العصيبة واليوم المكفهر مدي ثبات مسلم بن عقيل (عليه السلام) ، وتسَلَّطه علي الموقف، وسكينته في إدارة دفة الأحداث، وتماسكه في الأخذ بزمام المبادرة في كلِّ مراحل تشرف الكوفة بأقدامه منذ أن دخلها سفيراً إلي اللحظة الأخيرة من حياته المباركة..

فحتي القتل والشهادة فقد بادر هو في تمنيها، وأعلن عن رجائه في نيلها قبل أن يحكم فيها ابن الدعي!! ما أعظم شأنك يا ابن عقيل!

المطلب الثاني: الاطمئنان بالعاقبة

لقد وصل المولي الغريب (عليه السلام) إلي مشارف الآخرة، وقرع أبوابها، وزُخرفت الجنان واستعدت لاستقباله، وهو يستعجل اللقاء بالنبي (صلي الله عليه وآله) والنظر إلي وجه عمّه أمير المؤمنين عليّ وإمامه الحسن المجتبي (عليهما السلام) وسائر الأحبة والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً..

وإنما يجتاز المؤمن هذه الحياة الدنيا ليضمن الآخرة، ومسلم بن عقيل (عليهما السلام) من سادات المؤمنين، وقد أكد في سياق كلامه أنه ما خالف ولا غير ولا خلع ولا كفر ولا بدّل، وإنما هو في طاعة سيّد شباب أهل الجنة الحسين بن عليّ بن أبي طالب، فعاقبته حميدة، وهو يمضي علي بصيرة من أمره مقتدياً بالصالحين ومتّبِعاً للنبيين والوصيين، وماذا ينتظر بعد أن يكون علي الإيمان ثابتاً، ويخرج من الدنيا بالشهادة وهو في طاعة الإمام الحسين (عليه السلام)؟

لا شك أنّ الآخرة لمثل هؤلاء الأولياء خيرٌ من الدنيا، لأنّها دار عامرة،

وهي دار الحيوان، ومستراح المتقين وفوزهم، وهم الذين يقضون الحياة الدنيا ضمن سنة الله في الأمثل فالأمثل من أوليائه المخلصين، وهو يتمني أن تحتّم له بالشهادة الموعودة، وهي أشرف الأبواب التي يسلكها العظماء من الأولياء لدخول الآخرة..

المطلب الثالث: الشهادة رزق

قرّر المولي الغريب (عليه السلام) أنّ الشهادة رزق يختصّ الله به عباده، فرجي أن ينال هذا الرزق، وأن يوفّر الله حظّه فيه ولا يحرمه منه، وهو يعيش رجاء الوائق من تحقيق الأمنية، واستجابة الدعاء من خلال الوعد الذي قطعه له خاتم المرسلين (صلي الله عليه وآله) وسيّد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام).

المطلب الرابع: قاتله شرّ البرية

إشارة

إنّ المولي الغريب (عليه السلام) أعلن أنّه يرجو أن يرزق الشهادة «علي يدي شرّ بريته»، وفي لفظ ابن نما: «أيدي شرّ البرية».

يمكن أن تُفهم العبارتين من جانبين:

الجانب الأول: جانب المولي

أمّا من جانب المولي (عليه السلام) فكأنّ القتل علي يد شرّ البرية فيه ميزة للقتيل، وهذا ما يتمناه الصالحون ويرنو إليه المخلصون، إذ إنّ القاتل كلّما كان مجرماً شريراً هابطاً تكون شهادته أكثر خلوصاً وأصفي، فإذا كان القاتل شرّ البرية فلا يوجد أيّ مجالٍ لأن يكون في الشهادة أدني شبهة في كونها قتل علي الحقّ، فلو كان في القاتل مسحة خيرٍ فربّما يُنسب عمداً أو جهلاً

ذلك القتل إلي تلك المسحة، أما إذا كان القاتل شرّ البريّة فلا يخالج أحدٌ ولا يقوي أحدٌ عامداً أو جاهلاً أن يعدّ في عمله ذلك جنبه حقّ، لأنّ شرّ البريّة لا يعرف الحقّ بتاتاً ولا يفعلُه ولا يصدر منه حسب الطبيعة والسيرة.

وبهذا نعرف قتلَةَ الأنبياء والأوصياء، وأشقي الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة صالح قاتل أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقاتل سيّدة نساء العالمين (عليها السلام)، وقتلة سيّد الشهداء الحسين (عليه السلام)، وقتلة الأئمّة الطاهرين (عليهم السلام)، ومدى الشرّ الكامن في القتلَة.

وكلّما كان القاتل شريراً تكون مظلوميّة المقتول أعظم، وتعرّضه للأذى والجور والمحن أكثر، فإذا كان القاتل شرّ البريّة فماذا ستكون مديات مظلوميّة المولي الغريب (عليه السلام) وتعرّضه للأذى والجور والعدوان؟!

الجانب الثاني: جانب ابن زياد

أما من جانب الدعيّ ابن الدعي، فقد أسمعهُ البطل الهاشمي (عليه السلام) كلاماً يتفجّر شهامةً وقوّةً وشجاعةً وبسالةً ورجولةً، وكلّ ما يمكن أن يقال ويوصف من خصال البطولة والفتوّة والتسلّط علي العدو وامتلاك زمام المبادرة إلي نهاية المعركة، وبقاء الضربة الأخيرة بيد المحارب المصاول الذي لا يكلّ ولا يملّ عن مقارعة الظالمين وكبح جماح المتغترسين وقمع الجبابرة المتفرعنين.

فقد واجهه بما لم يكن يتوقّع أن يسمعه من أحدٍ بعدما عُرف من

سجله الدموي الوحشي الطائش الأرعن، فكان يظن أن كتاف البطل الهاشمي (عليه السلام) وجراحه وأسره يفل من عزيمة أو أنه يرهبه الموت، فجاءته الصفحة القاصعة والضربة المدمرة في كلمات معدودات قررت فيه باطله وكفره وطغيانه، وكذبت كل مزاعمه في ادعاء الصبغة الدينية وتمثيل امتدادات السلطان والحكم، وأكدت أنه ليس إلا قدر متدل من أعقاب القروذ الأموية متعلق بأذنانها.. إنه «شر البرية».

المحور السابع: الرد علي الأمر بالقتل

مر علينا خلال بحث مقاطع المحاججة أن المولي الغريب (عليه السلام) رد علي كل فقرة تفوه بها النغل المفضوح ابن مرجانة، ولم يدع له سكة يفر منها، ولا باباً يوصده علي نفسه ليستريح من هجمات سليل إبراهيم الخليل (عليه السلام)، وقد هدد الرعيد بالقتل المروع الذي لم يشهد له تاريخ الإسلام مثيلاً، وأزبد وأرعد، فرد علي فخر الكوفة وصناديدها في الحال.

وآخر ما يمكن أن يفعله الوحش المسعور أن يأمر بقتل المولي الغريب (عليه السلام) لينجو من حملاته، ويريح أتون الحقد المستعر في أعماقه، ويشفي غليله ويطفئ لهيب البغضاء والعداوة لله ولأوليائه، ويحقق أغراضه التي يصبو إليها من خلال قتل سفير سيد شباب أهل الجنة (عليه السلام) بين الملاء.

فأمر بقتله! فجاءه الرد قوياً موجعاً، وأصابته سهام كلمات ابن عقيل (عليه السلام) في الصميم، فأتت عليه من بنيانه، كما في نص ابن أعثم، فقال

مسلم: أما والله يا ابن زياد! لو كنت من قريشٍ أو كان بيني وبينك رحم أو قرابة، لَمَا قتلتي (1)، ولكنك ابن أبيك (2).

وعاد البطل الهاشمي (عليه السلام) الطهر ابن الطاهرين ليضرب علي نفس المنطقة الموحجة، ويستهدف الموضع الذي لا يستطيع ابن الأمة الفاجرة الدفاع فيه عن نفسه، ويكشف زيف النسب اللصيق الذي يحاول الدعوي الاختباء تحت ظله..

إن ابن زياد لصيقٌ لا نسب له، وليد خيام الفواحش المتنازع عليه بين جماعة رواد دور الفاحشة، المتكوّنة نطفته في الأرحام العفنة التي ترفع لها الرايات فيمتزج فيها صديد الشهوات الهابطة من أصلاب القبيح الاجتماعي المتراكم علي مزابيل خيام الفاحشة والرذيلة..

لو كنت من قريش، أو كان بيني وبينك رحم أو قرابة، لَمَا قتلتي..

لو كنت! وهو ليس كذلك جزماً حتماً مؤكّداً.. بشهادة القسم، وقد حسم الأمر باستخدام «لو»، فهو فرض محالٍ لا يمكن أن يتحقّق.. ف- (لو) أداة امتناع لامتناع، فهو لا يمكن أن يكون من قريش ولو فرضاً.. وأكّد ابن عقيل (عليه السلام) وسليل الأطياب الطاهرين ذلك بقوله: «أو كان بيني وبينك رحم أو قرابة»، فنفي ابن زياد نفيّاً قاطعاً من أيّ علاقة بقريش وهو يزعم

ص: 306

1- تاريخ الطبري: 378 / 5، الإرشاد للمفيد: 64 / 2، روضة الواعظين للفتال: 152، بحار الأنوار: 357 / 44.

2- الفتوح لابن أعمش: 97 / 5 وما بعدها، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 213 / 1.

أنه منهم، فلمّا أمر بقتله تبين زيف ما يزعم وكذب ما يدعي له، فلم تبق له أيّ شجنة يمكنها أن تربطه بالنسب الصريح، فهو دعويّ ساقط ونغل متهالك متهاوي في أحضان الرذيلة يعبّ الموبقات من النسب الرديء والحسب الدنيء، ومن هذا شأنه يقتل الطيبين ولا يسع وجوده الوسخ النظر إلي طهارة الطاهرين، ويكون بغضه لأئمة الدين ورجال الحقّ متجدراً في كيانه المعقود من النطف المتراكمة والنجاسات المكثفة.

إنّ ابن زياد ليس من قريش، ولا يمتّ إليهم بصلّة لا من قريب ولا من بعيد، لولا ما ارتضاه معاوية من نسبة الزنا لأبيه فألصق زياداً به، فلا نسب ينتمي إليه هذا الوغد، (ولكّته ابن أبيه)، ابن أبيه فقط، كما كان زياد من قبل يدعي (زياد ابن أبيه)، فهو عهراً من عهراً، ونغل من نغل، لعنة الله عليه وعلي أبيه.

وقد فعلت كلمات المولي الغريب (عليه السلام) فعلها المؤثّر في إصابة المواضع الموجعة من ابن زياد، «فازداد ابن زياد غضباً» كما في نصّ الخوارزمي.

قوة المولي في محاجة ابن زياد

لقد عرفنا في ثنايا الحديث -- حينما سمعنا قبل قليل ردود المولي الغريب والبطل الهاشميّ مسلم بن عقيل (عليهما السلام) علي ابن الأمة الفاجرة -- مدي قوته وصلابته ودقّة كلامه وتسديده الضربات المتتالية الموجعة، ونفترض في الناظر إلي هذه الصفحات قد تابعنا في الحديث، فلا نعيد ولا

نذكر فقرات كلامه (عليه السلام)، وما سنذكره هو محاولة لرفع مستوي معرفتنا بهذا السيف البتار من سيوف آل خير الأنام، ولتكون منطلقاً لقراءة سيرته والتعرّف علي شخصه الكريم.

ونكتفي هنا بالإشارة إلى عدّة نقاط مفهومة، ونترك الباقي للمطالع وللباحث والمحقّق:

الأولي: الدقّة في الجواب وتحديد موضع الردّ.

الثانية: قوّة الردود، ودقّة التصويب للأهداف المقصودة في الطعن علي الظالم.

الثالثة: شدّة الصمود، وصلابة الإيمان، وعمق المعرفة، وثبات الجنان.

الرابعة: قوّة السكينة والوقار والتماسك والتجلّد في تلقّي حملات العدوّ البائسة.

الخامسة: عدم الاستجابة للاستفزازات والردّ وفق متطلّبات الموقف.

السادسة: العمق الذي لا يُدرّك والغور الذي لا يوصّف من الولاء الخالص لله ولرسوله (صلي الله عليه وآله) ولأئمّة الدين (عليهم السلام) ولشخص سيّد الشهداء الحسين (عليه السلام).

السابعة: المعرفة -- التي لا توصّف -- بالولاية.

الثامنة: المعرفة العميقة التي لا توصّف بالعدوّ المواجه له.

التاسعة: القوّة والدقّة والبلاغة والقدرة الفائقة علي فضح العدوّ، وطعنهم في المواضع الموحّجة والقاتلة لكيانه بكلّ أبعاده.

العاشرة: القوّة الخارقة في الدفاع عن الإمامة وحقّ أهل البيت (عليهم السلام) في الخلافة.

الحادية عشر: المعرفة التي لا تدرك بالدين وأحكامه وتشريعاته وأحكام التقيّة ومواضع استخدامها.

الثانية عشر: المعرفة الدقيقة بتفاصيل تاريخ الأمويّين وابن زياد وأبيه.

الثالثة عشر: المعرفة الدقيقة بأساليب العدوّ وأسلافه في التعامل مع الأولياء والمخالفة لربّ السماء، والتضليل والتجهيل والتعتيم.

الرابعة عشر: المعرفة الدقيقة بتفاصيل المجتمع الذي أرسل إليه ومعاناته.

الخامسة عشر: المعرفة الدقيقة الشاملة الكاملة بالمهمّة المكلف بها من قبل سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام).

السادسة عشر: الدقّة الفائقة في توظيف الكلمات والتعبير واستخدام الضمائر.

السابعة عشرة: الدقّة العالية في تحريّ الحقّ ومتابعته، ومسح الواقع وتشخيصه.

الثامنة عشر: الدقّة المرهفة في تجنّب أيّ موقفٍ أو تعبير يفيد ادّعاء شيءٍ أو حقّ شخصيٍّ له يدافع عنه في السلطان أو أيّ مقام دنيويٍّ أو منصب من مناصب الأئمّة من أهل البيت (عليهم السلام) ومقاماتهم.

التاسعة عشر: الوثوق المطلق بالله والثقة الكاملة غير المنقوصة أبداً

بصلاح الموقف وصحّته، والإيمان الكامل به ما دام في طاعة إمام زمانه.

العشرون: الرضا الكامل والتسليم المطلق لمؤدّيات الموقف وما سيؤول إليه الأمر.

الحادية والعشرون: الثقة الكاملة بحسن العاقبة.

الثانية والعشرون: الشجاعة في الردّ.

الثالثة والعشرون: الصبر والصلابة والتغافل عن الجراح والنزف والإبء والعزّ والشموخ.

الرابعة والعشرون: تجاهل العدوّ واحتقاره وسحق كبريائه وغروره.

ربما كان في بعض النقاط شيءٌ من التداخل، بيد أننا أردنا التركيز عليها فلا مانع، وربما فاتنا شيءٌ للقارئ أن يحصيه.

ص: 310

قال البلاذري والخوازمي: ثم قال ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر واضربوا عنقه. فأتبعوا رأسه جسده ... (1).

وقال الطبري، أبو الفرج، مسكويه: ثم قال: اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه (2). ثم أتبعوا جسده رأسه.. (3).

وقال ابن أعمش: فقال له: خذ مسلماً واصعد به إلي أعلي القصر واضرب عنقه بيدك؛ ليكون ذلك أشفي لصدرك (4).

وقال المفيد والفتال والطبرسي وابن شهر آشوب: ثم قال ابن زياد:

ص: 311

1- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 423 / 3، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوازمي: 1 / 213 وفيه: «وأتبعوا».

2- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 71.

3- تاريخ الطبري: 378 / 5، تجارب الأمم لمسكويه: 2 / 53.

4- الفتوح لابن أعمش: 5 / 103.

اصعدوا به فوق القصر واضربوا عنقه (1). ثم أتبعوه جسده ... (2).

وقال ابن الأثير: ثم أمر به، فأصعد فوق القصر لتضرب رقبتة ويتبعوا رأسه جسده ... (3).

وقال ابن نما: وأمر بقتله، فأغلظ له مسلم في الكلام والسب (4).

وقال السيد ابن طاووس: فأمر ابن زياد بكر بن حمران أن يصعد به إلي أعلي القصر فيقتله (5).

وقال الطريحي: ثم أمر بمسلم أن يصعد به إلي أعلي القصر ويُرْمِي منه منكَسًا علي رأسه، فعند ذلك بكى مسلم علي فراق الحسين (عليه السلام) وقال:

جزى الله عنا قومنا شر ما

جزى

شرار الموالي بل أعق وأظلم

هم منعونا حقنا وتظاهروا

علينا وراموا أن نذل ونرغم

وغاروا علينا يسفكون دماءنا

فحسبهم الله العظيم المعظم

ونحن بنو المختار لا شيء

مثلنا

نبي صدوق مكرم ومكرم (6) وقال أبو مخنف (المشهور): ثم أمر ابن زياد أن يصعد بمسلم إلي أعلي

ص: 312

1- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 320 / 10.

2- الإرشاد للمفيد: 64 / 2، روضة الواعظين للفتال: 152، إعلام الوري للطبرسي: 229، بحار الأنوار: 357 / 44.

3- الكامل لابن الأثير: 274 / 3، نفس المهموم للقمي: 117.

4- مشير الأحزان لابن نما: 18.

5- اللهوف لابن طاووس: 58.

6- المنتخب للطريحي: 428 / 2.

بعد أن عجز النذل الجبان عن مواجهة البطل الهاشمي (عليه السلام) باللسان، كما عجز هو وذئابه المدرّبة من قبل علي مواجهته بالسيف والسنان، صار يتجبر علي الله، ويبغي علي الحق، ويأمر بقتل العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، لينجو ممّا هو فيه، ويشفي غليله، ويسكن نيران الحقد ولهيب الضغينة والعداوة لعتره رسول الله (صلي الله عليه وآله) وأهله ورهطه، وينتقم لضعفه وحقارته وفضيحته، ولأغراضه الآنية الأخرى بدافع الحفاظ علي سلطانه..

وقد اتّقت أكثر المصادر علي عدّة بنود صرّح بها الخبيث لتطبّق عند تنفيذ قتل شهيد في محبة الحسين (عليه السلام) :

البند الأول: أن يُصعد به فوق القصر.

البند الثاني: أن يُضرب عنقه.

البند الثالث: أن يُتبع رأسه جسده، أو يتبع جسده رأسه، حسب اختلاف النصوص.

والمتبادر من البند الثالث أن يُقتل أولاً بضرب العنق، ثم يُرمي برأسه وجسده المقدّسين إلي الأرض، بيد أنّ الشيخ ابن شهر آشوب والسيد ابن طاووس اقتصرا علي ذكر البندين الأولين فقط.

وأضاف ابن نما أنّ المولي مسلم بن عقيل (عليه السلام) قد أغلظ له في الكلام

والسب، ويبدو أنه إشارة إلى ما ذكرناه قبل قليل من رده (عليه السلام) علي الأمر بالقتل في المحور السابع.

وذكر الطريحي مستنداً علي (المقتل) المشهور لأبي مخنف -- ظاهراً -- البند الثاني والثالث بصورة مرّعة أُخري، ب- «أن يُصعد به إلي أعلي القصر ويُرمي منه منكساً علي رأسه»، وهذه العبارة تفيد أن يكون القتل بالإلقاء من شاهق وهو حياً منكساً علي رأسه ليستقبل به الأرض!!

وهي صورة تصدع الفؤاد، وتسلب القرار، وتمزق الأحشاء، وتدعو المحبّ للجزع وقلة التصبّر ورقّة التجلّد.. أن يُرمي وهو حيّ من أعلي القصر إلي الأرض ليرتطم رأسه المقدّس، وتتهشم عظامه، وتتقطع أعضاؤه المشخنة بالجراح!! يا لله! يا لهول المنظر وبشاعة الفعل..

وبالرغم من تفرّد (المقتل) المشهور والطريحي بنقل هذه الصورة -- حسب فحصنا --، واشتهار ما في المصادر المذكورة قديماً وحديثاً، فإنّ هذه القتلة أقرب إلي التهديد الذي أطلقه ابن الأمة الفاجرة حينما كان واقفاً بين يدي المولي الغريب (عليه السلام)، إذ هدّد أنّه سيقتله قتلة لم يُقتل بها أحدٌ في الإسلام، أو أنّه سيقتله شرّ قتلة!

وربّما يؤيده أيضاً ما ورد في كفيّة شهادة سفراء سيّد الشهداء الآخرين؛ قيس بن مسهر الصيداوي (1)، وعبد الله بن يقطر (2)، حيث

ص: 314

1- أنظر: تاريخ الطبري: 5 / 398، الكامل لابن الأثير: 3 / 278، الإرشاد للمفيد: 2 / 72، روضة الواعظين للفتال: 152، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 168.

2- أنظر: مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 228.

ورد فيهما أنّهما ألقيا من أعلي القصر حيّين.

ويظهر أيضاً من عبارة الطريحي أنّ المولي الغريب (عليه السلام) قد بكى علي فراق سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وأنشد الأبيات: «جزي الله عنا قومنا شرّ ما جزي..» -- باختلافٍ في الأبيات الأخيرة عن (المقتل) -- عند صدور الأمر بالقتل لا عند تنفيذه كما في (المقتل).

أمّا من هو الذي باشر القتل، هل هو بكر أو بكير بن حمران الأحمرري أو رجل شامي ضربه البطل الهاشمي علي رأسه أو غيرهما؟ فهذا ما سيأتي بعد قليل.

ص: 315

يمكن تقسيم المصادر التي ذكرت شهادة المولي الغريب (عليه السلام) -- من حيث طريقة عرضها لهذا الخبر المفجع والمصيبة الفادحة والرزية الكاظمة القارحة -- إلى أقسام:

القسم الأول: المقتضبة جداً

ذكرنا فيما سبق أنّ بعض المصادر عرضت خبر شهادة المولي الغريب (عليه السلام) بكلمةٍ أو كلمتين، من خلال الإشارة إلى قتله وقتل شيخ الكوفة هاني بن عروة، واقتصر المؤرخ علي قوله: «فأخذ عبيد الله بن زياد

مسلم ابن عقيل وهانئ بن عروة، فقتلهما جميعاً» (1).

أو جمعهما مع قتل عبد الله بن يقطر (صلوات الله عليهم) في ذكر أحداث سنة ستين، فقال: قتل هانئ بن عروة ومسلم بن عقيل وعبد الله ابن يقطر (2).

ومنهم من أفرد ذكر خبر قتله لوحده، فاكتفي بقوله: «فقتله عبيد الله» (3).

ومنهم من اقتصر علي صدور الأمر من ابن الأمة الفاجرة وصاغ تنفيذ الأمر علي المجهول، فقال: «ثم أمر به فقتل» (4).

ومنهم من أشار إلي طريقة تنفيذ القتل من خلال التنصيص علي ضرب عنقه (عليه السلام)، كابن قتيبة والبلاذري والطبري في إحدى رواياته (5).

ص: 318

1- أنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: 29 / 1 - 4، مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور: 27 / 59، تاريخ الإسلام للذهبي: 2 / 352.

2- التاريخ المنصوري للحموي: 75.

3- أنظر: تاريخ يعقوبي: 2 / 216، شرح الأخبار للقاضي النعمان: 3 / 147، الردّ علي المتعصّب العنيد لابن الجوزي: 36، الصواعق المحرقة لابن حجر: 117، التنبية والإشراف للمسعودي: 303، الفصول المهمة لابن الصباغ: 185، نور الأبصار للشبلنجي: 257، الجوهرة للبري: 42، سير أعلام النبلاء للذهبي: 3 / 201، تاريخ الإسلام للذهبي: 2 / 269، مطالب السؤول لابن طلحة: 74، كشف الغمة للأربلي: 2 / 43.

4- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 67.

5- أنظر: الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 2 / 10، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 3 / ← → 423، تاريخ الطبري: 5 / 392.

وقال الذهبي: وقال غير واحد: قُتل مع الحسين ابن عمّه مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وقد كان في آخر سنة ستين، قتله ابن زياد صبراً (1).

وقد تبين أنّ هذا القسم من المصادر رغم شدّة الاقتضاب في نقل الخبر والبخل في شرح ما جرى علي المولي الغريب (عليه السلام)، غير أنّها أفادت أنّه (فداه روعي) قُتل بضرب عنقه صبراً..

والقتل صبراً أن يُحبس ويُقتل، أو أن يرمي وهو حيّ حتّى يموت (2)، وقد قُتل سيّد الشهداء (عليه السلام) وزينة عرش الله صبراً كما ورد في التاريخ والحديث، فقد ورد في حديث طويل عن الصادق (عليه السلام) وهو يحدث عن العهد المأخوذ علي النبي (صلي الله عليه و آله) في المعراج التعبير بالقتل صبراً في كلام الله (عزّ وجلّ) مع نبيّه (صلي الله عليه و آله) مرتين: «يقتلونه صبراً... أمّا ابنك المخذول المقتول وابنك المغدور المقتول صبراً..» (3).

ويا لها من قتلة مفعمة، تصدع الفؤاد وتزيل القلب عن مستقرّه، إذ يبتي حبيب الله ووليّه بتكاثر اللئام عليه، ويشخن بالجراح حتّى لا يقوي علي القتال، فاحتوشه من لا يعرف إلا «لوم الغلبة»، ويكون مثل المولي الغريب (عليه السلام) مكتوفاً، فيتقدّم جباناً لئيم وغد خبيث ليضرب عنقه!! فإنّا لله وإنا إليه راجعون!

ص: 319

1- تاريخ الإسلام للذهبي: 2 / 352.

2- أنظر: لسان العرب لابن منظور، ومجمع البحرين للطريحي: مادة (صبر).

3- كامل الزيارات لابن قولويه: 334 باب 108 ح 11.

قال البلاذري: فقتله، فكان الذي تولّى ذلك منه بكير بن حمران الأحمر، أشرف به علي موضع الحدّائين، وهو يسبح ويدعو علي من غرّه وخذله، فضرب عنقه، ثم أتبع رأسه جسده، ثم ضرب رأسه فسقط (1).

الدينوري: وأمر ابن زياد بمسلم بن عقيل، فرقي به إلي ظهر القصر، فأشرف به علي الناس وهم علي باب القصر ممّا يلي الرحبة، حتّى إذا رأوه ضربت عنقه هناك، فسقط رأسه إلي الرحبة، ثم أتبع الرأس بالجسد، وكان الذي تولّى ضرب عنقه أحمر بن بكير (2).

الطبري: فأمر به فأصعد إلي أعلي القصر فضربت عنقه، وألقي جثته إلي الناس (3).

الطبري أيضاً: فصعد به، وهو يكبر ويستغفر ويصلّي علي ملائكة الله ورسله، وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وأذلّونا. وأشرف به علي موضع الجزارين اليوم، فضربت عنقه، وأتبع جسده رأسه.

قال أبو مخنف: حدّثني الصقعب بن زهير، عن عون بن أبي جحيفة

ص: 320

1- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 340.

2- الأخبار الطوال للدينوري: 242.

3- التاريخ الطبري: 5 / 350، نفس المهموم للقمي: 118، الأمالي للشجري: 1 / 191، تهذيب الكمال للمزي: 6 / 426، سير أعلام

النبلاء للذهبي: 3 / 206، تهذيب التهذيب لابن حجر: 2 / 352، الإصابة: 1 / 333، ابن بدران في ما استدركه علي ابن عساکر: 4 /

337، المنتظم لابن الجوزي: 5 / 326.

قال: نزل الأحمري بكبير بن حمران الذي قتل مسلماً، فقال له ابن زياد: قتلتَه؟ قال: نعم. قال: فما كان يقول وأنتم تصعدون به؟ قال: كان يكبر ويسبح ويستغفر، فلما أدنيته لأقتله قال: اللهم احكم بيننا وبين قوم كذبونا وغرّونا وخذلونا وقتلونا، فقلت له: أدن مني، الحمد لله الذي أقادني منك، فضربتُه ضربةً لم تغن شيئاً، فقال: أما تري في خدشٍ تخدشنيه وفاءً من دمك أيها العبد! فقال ابن زياد: أو فخرأ عند الموت! قال: ثم ضربته الثانية فقتلته (1).

ابن أعمش: قال: فأصعد مسلم بن عقيل (رحمه الله) إلي أعلي القصر، وهو في ذلك يسبح الله تعالى ويستغفره وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا. فلم يزل كذلك حتى أتني به إلي أعلي القصر، وتقدم ذلك الشامي فضرب عنقه (رحمه الله).

ثم نزل الشامي إلي عبيد الله بن زياد وهو مدهوش، فقال له ابن زياد: ما شأنك؟ أقتلتَه؟ قال: نعم، أصلح الله الأمير! إلا أنه عرض لي عارض، فأنا له فزعٌ مرعوب. فقال: ما الذي عرض لك؟ قال: رأيتُ ساعة قتلتَه رجلاً حذاي، أسود كثير السواد كرية المنظر وهو [عاض] علي إصبعيه -- أو قال: شفتيه --، ففزعْتُ منه فزعاً لم أفرع قط مثله. قال: فتبسّم [ابن] زياد وقال له: لعلك دُهشت، وهذه عادة لم تعتدها قبل ذلك (2).

ص: 321

1- تاريخ الطبري: 378 / 5.

2- الفتوح لابن أعمش: 103 / 5.

المسعودي: فأصعدوه إلي أعلي القصر، فضرب بكير الأحمرري عنقه، فأهوي رأسه إلي الأرض، ثم أتبعوا رأسه جسده (1).

ثم دعا ابن زياد بيكير بن حمران الذي ضرب عنق مسلم، فقال: أقتلته؟ قال: نعم. قال: فما كان يقول وأنتم تصعدون به لتقتلوه؟ قال: كان يكبر ويسبح الله ويهلل ويستغفر الله، فلما أدنيه لنضرب عنقه قال: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا ثم خذلونا وقتلونا، فقلت: الحمد لله الذي أفادني منك، وضربته ضربة لم تعمل شيئاً، فقال لي: أو ما يكفيك! وفي خدش مني وفاء بدمك أيها العبد؟ قال ابن زياد: أو فخرأ عند الموت؟ قال: وضربته الثانية فقتلته، ثم أتبعنا رأسه جسده (2).

ابن حبان: ثم أمر عبيد الله بضرب رقبة مسلم بن عقيل بكير بن حمران الأحمرري علي طرف الجدار، فسقطت جثته، ثم أتبع رأسه جسده (3).

أبو الفرج: فصعدوا به، وهو يستغفر الله ويصلي علي النبي محمد (صلي الله عليه وآله) وعلي أنبيائه ورسله وملائكته، وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكادونا وخذلونا.

ثم أشرفوا به علي موضع الحدّائين، فضرب عنقه، ثم أتبع رأسه

ص: 322

1- مروج الذهب للمسعودي: 3 / 69، نفس المهموم للقمي: 118.

2- مروج الذهب للمسعودي: 3 / 70، بحار الأنوار: 44 / 358.

3- الثقات لابن حبان: 2 / 308.

جسده، صَلَّى الله عليه ورحمه (1)).

المفيد والفتال: فصعد به، وهو يكبر ويستغفر الله ويصلي علي رسوله ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وخذلونا. وأشرفوا علي موضع الحدّائين اليوم، فضربت عنقه وأتبع جسده رأسه (2)).

مسكويه: فصعد وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا. وأشرف به علي موضع الحدّائين اليوم، فضربت عنقه وأتبع جسده رأسه (3)).

الطبرسي: وجعل مسلم يكبر الله ويستغفره، ويصلي علي النبي وآله، ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا. وضرب عنقه وأتبع جسده رأسه (4)).

الخوارزمي: قال: فأصعد مسلم إلي أعلي القصر، وهو يسبح الله ويستغفره ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا. حتّي أتّي به إلي أعلي القصر، فتقدّم ذلك الشامي وضرب عنقه، ثم نزل الشامي وهو مذعورٌ مدهوش، فقال له ابن زياد: ما شأنك؟ أقتلته؟ قال: نعم، إلاّ إنّه عرض عارض، فأنا به مرعوب. قال: وما الذي عرض؟ قال: رأيت ساعة

ص: 323

- 1- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 71.
- 2- الإرشاد للمفيد: 2 / 64، بحار الأنوار: 44 / 357، روضة الواعظين للفتال: 152.
- 3- تجارب الأمم لمسكويه: 2 / 53.
- 4- إعلام الوري للطبرسي: 229.

قتله رجلاً بحدائني، أسود شديد السواد كرية المنظر، عاضاً علي إصبعه -- أو قال: شفته --، ففرعتُ منه فرعاً لم أفزع مثله قط. فتبسّم ابن زياد وقال: دهشت من شيءٍ لم تعتده قبل ذلك (1).

ابن شهر آشوب: وكان مسلم يدعو الله ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا. فقتله وهو علي موضع الحدائين (2).

ابن الأثير: فأصعد مسلم فوق القصر، وهو يستغفر ويسبح، وأشرف به علي موضع الحدائين، فضربت عنقه، وكان الذي قتله بكير بن حمران الذي ضربه مسلم، ثم أتبع رأسه جسده.

فلما نزل بكير قال له ابن زياد: ما كان يقول وأنتم تصعدون به؟ قال: كان يسبح ويستغفر، فلما قتلته قلت له: ادن مني، الحمد لله الذي أمكن منك وأفادني منك، فضربت ضربة لم تكن شيئاً، فقال: أما تري في خدش تخدمشنيه وفاء من دمك أيها العبد؟ فقال ابن زياد: وفخراً عند الموت! قال: ثم ضربه الثانية فقتلته (3).

ابن نما: فأصعد علي القصر، فضرب عنقه بكير بن حمران الأحمر، وألقي جسده إلي الناس (4).

ص: 324

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 213.

2- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 10 / 320.

3- الكامل لابن الأثير: 3 / 274، نفس المهموم للقمي: 117 - 118.

4- مشير الأحران لابن نما: 18.

سبط ابن الجوزي: فأمر به، فأصعد إلي أعلي القصر، فضربت عنقه، وألقي رأسه إلي الناس ...

ولمّا دخل ابن زياد الكوفة، طلب مسلم بن عقيل -- علي ما قدمناه -- وقتله (1).

ابن طاووس: فصعد به وهو يسبح الله تعالى ويستغفره ويصلي علي النبي (صلي الله عليه وآله)، فضرب عنقه، ونزل مذعوراً، فقال له ابن زياد: ما شأنك؟ فقال: أيها الأمير، رأيت ساعة قتلته رجلاً أسود سيء الوجه حذائي عاصباً علي أصبعه -- أو قال: علي شفته --، ففزعت منه فزعاً لم أفرعه قط. فقال ابن زياد (لعنه الله): لعلك دهشت (2).

ابن طقطقي: فضربت عنقه فوق القصر، فهوي رأسه وأتبع جثته رأسه (3).

النويري: ثم أمر به، فأصعد فوق القصر، وهو يستغفر الله تعالى ويسبح، وأشرف به علي موضع الحدادين، فضربت عنقه، وكان الذي قتله بكير بن حمران، ثم أتبع رأسه جسده (4).

ابن كثير: ثم أمر ابن زياد بمسلم بن عقيل، فأصعد إلي أعلا القصر، وهو يكبر ويهلل ويسبح ويستغفر ويصلي علي ملائكة الله، ويقول:
اللهم

ص: 325

1- تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي: 139 و140.

2- اللهوف لابن طاووس: 58.

3- كتاب الفخري لابن طقطقي: 105.

4- نهاية الإرب للنوري: 20 / 403.

احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا.

ثم ضرب عنقه رجل يقال له بكير بن حمران، ثم ألقى رأسه إلي أسفل القصر، وأتبع رأسه بجسده (1).

تاج الدين العاملي: فأمر به، فقتل، وألقى من أعلي القصر (2).

الطريحي: قال: ثم ألقى من أعلي القصر وعجل الله بروحه إلي الجنة (3).

أبو مخنف (المشهور): فلما صعد به، قال مسلم (عليه السلام): دعني أصلي ركعتين، وافعل ما بدا لك. فقال: ليس إلي ذلك سبيل. ثم بكى مسلم (عليه السلام)، وأنشأ يقول:

جزى الله عنّا قومنا شرّ ما جزى

شرار الموالى بل أعقّ وأظلما

همّ منعوننا حقّنا وتظاهروا

علينا وراموا أن نذلّ ونرغما

أغاروا علينا يسفكون دماءنا

ولم يرقبوا فينا ذماماً ولا دما

فنحن بنو المختار لا خلق مثلنا

نبيّ أبت أركائه أن تهدّما

فأقسم لولا جيشكم آل مذحج

وفرسانها والحرّ كان المقدّما

قال: فنادي ابن زياد (لعنه الله): يا ويلك، ألقه. فرموه علي أمّ رأسه، فقضي نحبه (4).

ص: 326

1- البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 157.

2- التتمة لتاج الدين العاملي: 78.

3- المنتخب للطريحي: 2 / 428.

4- مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: 37.

السيد المقرّم: فأصعده إلى أعلا القصر، وهو يسبح الله ويهلّله ويكبّره، ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا وكذبونا. وتوجّه نحو المدينة وسلّم علي الحسين (عليه السلام).

وأشرف به الشاميّ علي موضع الحدّائين، وضرب عنقه ورمي برأسه وجسده إلى الأرض، ونزل مدعوراً، فقال له ابن زياد: ما شأنك؟ قال: رأيت ساعة قتله رجلاً أسود سيء الوجه حدائني عاضاً علي إصبعه، ففزعت منه، فقال ابن زياد: لعلك دهشت (1).

من المباشر للقتل؟ هل هو بكر (بكير) بن حمران الأحمر؟

إشارة

ورد اسم بكر أو بكير بن حمران الأحمر في المصادر، وهو الذي تجرّأ علي المولي (عليه السلام) فضربه بالسيف علي فمه فقطع شفته العليا وأسرع في شفته السفلي فنصّلت ثنايا المولي الغريب (عليه السلام)، وقد أتينا علي تفصيل هذه الضربة وصفتها خلال بحثنا عن (الحرب الأخيرة).

واختلاف المصادر في الاسم الأول (بكر) أو (بكير) لا يضرب؛ لقوّة احتمال التصحيف الذي يكاد يورث الاطمئنان.

فلا خلاف في المصادر -- حسب فحصنا -- في الضربة وصفتها والضارب (عليه لعنة الله). لكنّ المصادر اختلفت في التصريح بقتله، منها ما اكتفي بذكر أنّ البطل

ص: 327

الهاشمي (عليه السلام) قد ردّ علي ضربته بضربتين قاصمتين مؤثرتين بليغتين:

القسم الأول: ذكرت الضربتين فقط

قال البلاذري: فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمر ضربتين، فضرب بكير فم مسلم، فقطع شفته العليا وأسرع في شفته السفلي فنصلت ثناياه، وضرب بكيراً ضربةً علي رأسه، وأخري علي حبل عاتقه (1).

لا يهمننا كثيراً اجتناب البلاذري وصف الضربتين، لأنّ تفصيل ذلك قد ورد في غيره من المصادر من جهة، ولأنّنا نعرف ضربات آل أبي طالب من جهة أخرى.

القسم الثاني: ذكرت الضربتين وأثرهما

اقتصر هذا القسم من المصادر علي ذكر ردّ المولي (عليه السلام) بضربتين قاصمتين نزلت عليه كالبرق الخاطف، أصابت إحداهما رأسه العفن وغاصت الأخرى في عاتقه، فعبروا عن ضربة الرأس أنّها منكرة، وعن ضربة العاتق كادت تطلع علي جوفه، أو تصل جوفه.. من دون التصريح بقتله.

قال الطبري وابن كثير: فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمر بضربتين، فضرب بكير فم مسلم، فقطع شفته العليا وأشرع السيف في السفلي ونصلت لها ثناياه، فضربه مسلم ضربةً في رأسه منكرة، وثني بأخري علي

ص: 328

1- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 339.

حبل العاتق كادت تطلع علي جوفه (1).

وقال ابن الأثير والنويري: وضرب بكير (2) بن حمران الأحمر فم مسلم، فقطع شفته العليا وسقط ثنيتاه، وضربه مسلم علي رأسه وثني بأخري علي حبل العاتق كادت تطلع علي جوفه (3).

وقال المسعودي: واختلف هو وبكير بن حمران الأحمر ضربتين: فضرب بكير فم مسلم، فقطع السيف شفته العليا وشرع في السفلي، وضربه مسلم ضربة منكرة في رأسه، ثم ضربة أخري علي حبل العاتق فكاد يصل إلي جوفه (4).

وقال المفيد والمجلسي والفتال: فاختلف هو وبكر بن حمران الأحمر، فضرب بكر فم مسلم، فقطع شفته العليا وأسرع السيف في السفلي وفصلت له ثنيتاه، وضربه مسلم في رأسه ضربة منكرة، وثناه بأخري علي حبل عاتقه كادت تطلع علي جوفه (5). الطبرسي: واختلف هو وبكر بن حمران الأحمر، فضرب بكر فم مسلم، فقطع شفته العليا وأسرع في السفلي، وضربه مسلم علي رأسه ضربةً منكرة،

ص: 329

1- تاريخ الطبري: 373 / 5، البداية والنهاية لابن كثير: 158 / 8، نفس المهموم للقمي: 113.

2- في نهاية الأرب: «بكر».

3- الكامل لابن الأثير: 272 / 3، نهاية الأرب للنوري: 400 / 2.

4- مروج الذهب للمسعودي: 68 / 3، نفس المهموم للقمي: 110.

5- الإرشاد للمفيد: 57 / 2، بحار الأنوار: 352 / 44، نفس المهموم للقمي: 112، روضة الواعظين للفتال: 150.

وثني بأخري علي جبل العاتق (1).

يلاحظ تقارب عبارات هذا القسم من المؤرخين واتفقهم علي توصيف الضربتين، وإتّما ذكرنا الشيخ الطبرسي في هذا القسم باعتباره وصف الضربة الأولى بالمنكرة، وقال: وثني بأخري، ممّا يشعر اتصافها بنفس الصفة.

القسم الثالث: التي صرّحت بقتله

إشارة

صرّحت قسم من المصادر بهلاك اللعين وقتله بسيف البطل الطالب (عليه السلام) علي أثر ضربة، وفي لفظ بعضهم: بلغت جوفه، وفي لفظ (المقتل) المشهور: علي أم رأسه.

قال ابن أعثم: فقصدته من أهل الكوفة رجلٌ يقال له بكير بن حمران الأحمر، فاختلفا بضربتين، فضربه بكير ضربةً علي شفته العليا، وضربه مسلم بن عقيل ضربةً فسقط إلي الأرض قتيلاً (2).

وقال الخوارزمي: وقصدته رجلٌ من أهل الكوفة يقال له بكير بنحمران الأحمر، فاختلفا بضربتين، ضربه بكير علي شفته العليا، وضربه مسلم، فبلغت الضربة جوفه فأسقطه قتيلاً (3).

وقال ابن شهر آشوب والمجلسي: فضربه بكير بن حمران الأحمر علي

ص: 330

1- إعلام الوري للطبرسي: 228.

2- الفتوح لابن أعثم: 5 / 96.

3- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 208.

شفتة العليا، وضربه مسلم في جوفه فقتله (1).

وفي (مقتل الحسين) لأبي مخنف (المشهور): فاختلف هو وبكر بن حمران بضربتين، فعاجله مسلم، فضربه علي أم رأسه فقتله (2).

يتضح مما سبق من التقسيم أن ابن أعثم والخوارزمي وابن شهر آشوب والمجسسي في إحدى رواياته و(المقتل) المشهور لأبي مخنف تصرّح بقتل هذا الوغد، وباقي المصادر التي ذكرناها قبل قليل تصرّح بأنه أُصيب إصاباتٍ بليغة منكرة في رأسه وعاتقه كادت تطلع علي جوفه أو تصل إلي جوفه..

وربما نقل الراوي في القسم الثاني ما شاهده من الضربة، ولم ينقل أكثر من ذلك لعدم مشاهدته، أو تركها مبهمة خوفاً من تعارضها مع ما سيروي من إكمال قتل المولي الغريب (عليه السلام) إليه.. فربما يستبعد أن يكون بكر أو بكير بن حمران هو الذي باشر قتل المولي الغريب (عليه السلام) لعدة أسباب:

السبب الأول: نقل المصادر التي صرّحت بقتله

إن المصادر التي نصّت علي قتله وهلاكه بسيف الحسين المسلول مسلم بن عقيل (عليهما السلام) لها ثقلها ووزنها وقدمها في مقابل تلك التي لم تصرّح بقتله، من قبيل ابن أعثم والخوارزمي وابن شهر آشوب.

ص: 331

1- المناقب لابن شهر آشوب: 1 / 320، بحار الأنوار: 44 / 354.

2- مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: 33.

إنَّ مَنْ يصاب بتلك الضربات المهلكة علي الرأس والعاتق يكاد لا يصدّق أنّه يقوي علي حمل سيفٍ ليضرب به عنق رجل فضلاً عن بطلٍ مثل مسلم بن عقيل (عليه السلام)!

السبب الثالث: عدم تصريح بعض المصادر بمباشرة

إنَّ بعض المصادر لم تصرّح أنّ الذي دعاه ابن زياد إنّما هو بكر أو بكير ابن حمران، وإنّما ذكرته بالصفة، كما ورد في (تاريخ الطبري): ثمّ قال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف وعاتقه؟ فدُعي، فقال: اصعد، فكن أنت الذي تضرب عنقه (1).

وبعضها ذكرته بالصفة، ثم طبق المؤلف علي الأحمر، كما فعل أبو الفرج، قال: ثمّ قال: ادعوا الذي ضربه ابن عقيل علي رأسه وعاتقه بالسيف، فجاءه، فقال: اصعد، وكن أنت الذي تضرب عنقه. وهو بكير بن حمران الأحمر (2) (لعنه الله).

لكنّ جماعةً -- منهم المسعودي والمفيد والفتال والطبرسي وابن طاووس -- نقلوا أنّ ابن زياد دعا الأحمر أو دُعي له بعد أن ذكره بالصفة:

قال المسعودي: فأصعد إلي أعلي القصر، ثمّ دعا الأحمر الذي ضربه

ص: 332

1- تاريخ الطبري: 378/5.

2- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 71.

مسلم، فقال: كن أنت الذي تضرب عنقه لتأخذ بثأرك من ضربته (1).

وقال المفيد والفتال والطبرسي: فقال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف؟ فدُعي بكر بن حمران الأحمر، فقال له: اصعد، فلتكن أنت الذي تضرب عنقه (2).

وقال ابن طاووس: فأمر ابن زياد بكر بن حمران أن يصعد به إلي أعلى القصر فيقتله (3).

السبب الرابع: احتمال أن يكون المباشر غيره

لقد صرّح ابن أعثم والخوارزمي أنّ المدعوّ هو غير الأحمر، وإنّما هو رجلٌ من الشام كان قد أُصيب بضربة منكّرة علي رأسه من سيف البطل الهاشمي (عليه السلام).

قال ابن أعثم والخوارزمي -- واللفظ للأوّل -- : قال: فأدخله ابن زياد القصر، ثمّ دعا رجلاً من أهل الشام قد كان مسلم بن عقيل ضربه علي رأسه ضربة منكّرة، فقال له: خُذ مسلماً واصعد به إلي أعلى القصر واضرب عنقه بيدك، ليكون ذلك أشفي لصدرك (4).

وقال ابن فندق: قتله راشد بن

صرد بن عتبة، وقيل: قتله ابن حمران

ص: 333

-
- 1- مروج الذهب للمسعودي: 69 / 3، نفّس المهموم للقّمّي: 117.
 - 2- الإرشاد للمفيد: 64 / 2، روضة الواعظين للفتال: 152، إعلام الوري للطبرسي: 229، بحار الأنوار: 357 / 44.
 - 3- اللهوف لابن طاووس: 58.
 - 4- الفتوح لابن أعثم: 103 / 5، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 213 / 1.

يلاحظ أن ابن فندق كأنه اعتمد القول الأول ونسب الثاني إلي القيل.

كيف كان، فإنّ الخبيث اللعين بكر أو بكير الأحمري إمّا أن يكون هو المباشر في قتل المولي الغريب (عليه السلام) أو شريك بدورٍ فاعلٍ في دمه، فلعنة الله عليه وعلي من أمره بذلك ومن يسّر له سبيل ذلك من الأولين.

وقد وقعت المصيبة التي أفجعت قلوب المؤمنين منذ ذلك اليوم إلي قيام يوم الدين بمقتل أخي الحسين (عليه السلام) وعلامة المؤمنين بالحزن وإجراء الدمع من العين عليه، فليكن الأحمري أو الشامي هو المباشر، وإمّا استطرادنا في تفصيل ذلك لأنّ المراجع للتاريخ تلوح له إشارات التعارض بين النصوص المصرّحة بقتل الأحمري بسيف البطل الهاشمي (عليه السلام) في الحرب الأخيرة والنصوص المصرّحة بمباشرته قتل المولي الغريب (عليه السلام) بأمر ابن زياد (لعنه الله).

دافع مشترك

سواء كان القاتل الأحمري أو الشامي، فإنّ الدافع لدعوتهما واحد عند ابن الأمة الفاجرة، وهو ما لوّحت به النصوص وصرّح به ابن أعثم والحوارزمي علي لسان الطاغوت الرجس ابن زياد: «فقال له: خُذ مسلماً

ص: 334

واصعد به إلي أعلي القصر واضرب عنقه بيدك، ليكون ذلك أشفي لصدرك» (1).

التشفي.. اختار موتوراً تغلي مراحل الحقد في أعماقه، وتلسعه نيران الضغينة والعداوة، ويشبّ فيه لهيب البغضاء والشماتة.. وهو أيضاً أشفي لصدر الدعيّ ابن الدعي أن يباشر القتل من يحمل شيئاً من مشاعره في التشفي والانتقام.. فقد أخزاهم وفضحهم وأوجعهم وقتل صناديدهم أخو الحسين وسفيره (عليه السلام)!

الموضع الذي قُتل فيه

إشارة

قال البلاذري: أشرف به علي موضع الحدّائين (2).

وقال الدينوري: فرقي به إلي ظهر القصر، فأشرف به علي الناس وهم علي باب القصر ممّا يلي الرحبة، حتّي إذا رأوه ضُربت عنقه هناك، فسقط رأسه إلي الرحبة، ثمّ أتبع الرأس بالجسد (3).

وقال الطبري: فصعد به ... وأشرف به علي موضع الجزارين اليوم (4).

وقال ابن أعثم والخوارزمي وسبط ابن الجوزي وابن كثير: فأصعد

ص: 335

1- الفتوح لابن أعثم: 103 / 5.

2- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 340 / 2.

3- الأخبار الطوال للدينوري: 242.

4- تاريخ الطبري: 378 / 5.

مسلم بن عقيل إلي أعلى القصر (1).

وقال ابن حبان: فضرب رقبة مسلم.. علي طرف الجدار (2).

وقال أبو الفرج وابن الأثير: فصعدوا به.. ثم أشرفوا به علي موضع الحدائين (3).

وقال المفيد والفتال: فصعد به.. وأشرفوا علي موضع الحدائين اليوم (4).

وقال مسكويه: فصعد.. وأشرف به علي موضع الحدائين اليوم (5).

وقال ابن شهر آشوب: فقتله وهو علي موضع الحدائين (6).

وقال النويري: فأصعد فوق القصر.. وأشرف به علي موضع الحدادين (7).

ص: 336

-
- 1- الفتوح لابن أعمش: 5 / 103، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 213، مروج الذهب للمسعودي: 3 / 69، تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي: 139، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 157.
 - 2- الثقات لابن حبان: 2 / 308.
 - 3- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 71، الكامل لابن الأثير: 3 / 274.
 - 4- الإرشاد للمفيد: 2 / 64، روضة الواعظين للفتال: 152.
 - 5- تجارب الأمم لمسكويه: 2 / 53.
 - 6- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 10 / 320.
 - 7- نهاية الإرب للنويري: 20 / 403.

يلاحظ أنّ المصادر كلّها اتفقت بلا خلافٍ علي أنّ القتل كان أعلي القصر أو فوق القصر.

أمّا الجهة التي كان يشرف عليها من أعلي القصر والموضع الذي كان يقابله، فقد وردت في المصادر أربع تسميات له:

الأول: موضع الحدّائين.

الثاني: ممّا يلي الرحبة. الثالث: الجزّارين.

الرابع: الحدّادين.

وربما أمكن الجمع بينها أو استكشافها من خلال بعض الاحتمالات:

الاحتمال الأول: التصحيف

يلاحظ أنّ (الحدّائين) و(الحدّادين) و(الجزّارين) كلمات متشابهة من حيث الرسم قريبة جدّاً من بعضها، وهو احتمالٌ وارد، فيبقي الجمع بينها جميعاً كموضع واحد ذكر بتسمياتٍ مختلفة تصحيفاً، وبين قول الدينوري: «ممّا يلي الرحبة»، وسيأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى.

الاحتمال الثاني: تقارب المواضع

ربما تكون هذه المواضع جميعاً متقاربة، إذ هي أسواق تحاذي بعضها بعضاً وتنتهي جميعاً بالرحبة، فنقل كلّ راوٍ لمؤرّخه الموضع الذي رصد منه الحدث، وهي جميعاً في جهة واحدة.

ص: 337

وبهذا تجتمع الأقوال جميعاً بما فيها قول الدينوري وتشير إلى موضع واحد، سيّما إذا لا حظنا أنّ المصيبة وقعت في أعلى القصر، فالجميع يمكن أن يراها علي حدّ سواء ما داموا من جهةٍ واحدة.

الاحتمال الثالث: اختلاف المواضع بمرور الزمان

يلاحظ أنّ الطبري عبّر بقوله: «موضع الجزّارين اليوم»، وعبّر الشيخالمفيد والفتال ومسكويه: «موضع الحدّائين اليوم»، وأطلق النويري: «الحدّادين»، كما أطلق البلاذري وجماعة: «الحدّائين»، فربما كان كلٌّ يحدّد الموضع حسب ما كان في زمانه، وربما اختلفت المواقع والمواضع من عصرٍ إلى آخر، فكان نفس الموضع في زمن وقوع المصيبة، أو في زمن البلاذري يقال له: موضع الحدّائين، وتغيّر في زمن الطبري، فنفس الموقع الذي كان فيه الحدّاؤون سابقاً صار للجزّارين في زمن الطبري، وللحدّادين في زمن النويري مثلاً.

لماذا سعد به إلي السطح؟

إشارة

اتّقت المصادر -- كما ذكرنا قبل قليل -- علي أنّ الرّجس الخبيث أمر أن يصعدوا بالمولي الغريب (عليه السلام) إلي أعلى القصر ليقتل ثمّ، فلماذا لم يقتله في القصر وأصرّ علي أن يقتل فوق القصر؟!

ربما يكون ذلك لغرضٍ من الأغراض التالية، أو لها جمعياً ولغيرها:

ص: 338

كان الخبيث في موقع يحتاج فيه إلي نشر الرعب بين الناس وتخويفهم وترهيبهم واستخفافهم ليطيعوه، وفي نفس الوقت يريد أن يورث اليأس في قلوب من كان لا يزال يتعلّق قلبه بسلامة المولي الغريب (عليه السلام).

وربما أشار إلي ذلك نصّ الدينوري: «فأشرف به علي الناس وهم علي باب القصر ممّا يلي الرحبة، حتّي إذا رأوه صرّبت عنقه هناك، فسقط رأسه إلي الرحبة، ثمّ أتبع الرأس بالجسد». حيث أكّد علي أنّه أشرف به علي الناس.. «حتّي إذا رأوه ضربت عنقه».. فكانّ الإشراف به كان لغرض أن يراه الناس.

وكذا في تعبير سبط ابن الجوزي: «فأصعد إلي أعلي القصر، فضربت عنقه وألقي رأسه إلي الناس» (1).. ما قد يفيد ذلك.

وكذا ما قاله الحائري المازندراني: ثمّ أدخل علي ابن زياد، وقد اجتمع الناس حول دار الإمارة، فمنهم من يقول بأنّ مسلماً مقتولاً لا محالة، ومنهم من يقول بأنّه يساق إلي الشام، ومنهم من يقول بأنّه يحبس حتّي يأتي الخبر من يزيد في أمره، فبينما هم كذلك إذا بجثته الشريفه قد أُلقيت من أعلي القصر بلا رأس، ثمّ أتبع برأسه الشريف (2).

ص: 339

1- تذكرة خواص الأئمة لسبط ابن الجوزي: 139.

2- معالي السبطين للمازندراني: 1 / 241.

المولي الغريب مسلم بن عقيل (عليهما السلام) مجمع الفضائل، وكتلة وضاء، ومنبع تير من المقدّسات، وموطن مقدّس للحرّات، فهو من قد عرفه الناس نسباً وحسباً وسلوكاً ومنبتاً وشهامةً وشجاعةً وتقويً وورعاً وإيماناً يقيناً وعبادةً وزهادةً..

تحوطه المقدّسات والحرّات من كلّ جوانبه؛ فهو من سلالة إبراهيم الخليل، وعترّة النبيّ الخاتم وسيدّ الأنبياء والمرسلين (صلي الله عليه و آله)، وحفيد أبي طالب (عليه السلام)، وابن عمّ أمير المؤمنين وسيدّ الوصيّين (عليه السلام)، وريب البيوت التي أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه، وأخو سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) وسفير خامس أصحاب الكساء الإمام الحسين (عليه السلام)..

تحفّه حرمة بيت الرسول، وتجلّله ظلال الكساء الملقى علي أصحاب الكساء.. وقد دأب القوم علي هتك حرّات الله، والتعدّي علي حرّات الرسول (صلي الله عليه و آله)، ليعلم الناس أن لا مقدّس عند قروود الشجرة الملعونة في القرآن، فيخاف الناس من جهة، ويتجرؤوا علي هتك الحرّات من جهةٍ أُخري..

وفي قتل المولي الغريب (عليه السلام) إعداداً للنفوس علي مشاهدة الرذيلة والتمرس عليها والتحفّز لها، لتفرغ القلوب الخاوية، وتستعدّ لمواجهة سيّد الشهداء (عليه السلام) والخروج عليه بوقاحةٍ وصلف زائدتين.

الغرض الثالث: التنكيل والتشفي والتشهير

ربما كان إصعاده إلي أعلي القصر فيه ما يحقق لحقده وغيضه من التشفي والتشهير والانتقام والإمعان في أذي المولي (عليه السلام) وتعذيبه، وقد سمعناه حينما دعا الأحمر ي يقول له: «خُذ مسلماً، واصعد به إلي أعلي القصر واضرب عنقه بيدك، ليكون ذلك أشفي لصدرك» (1)، وهو أشفي لصدرة الوغر، كما قلنا تحت عنوان (دافع مشترك).

الغرض الرابع: التفرد بالقتلة

سمعنا قبل قليل أن ابن الأمة الفاجرة قد هدد بقتلة لم يقتل بها أحد في الإسلام، فربما كان ما فعله ليتفرد بنوع القتلة بأن يقتل صبراً ويلقي من شاهقٍ أمام عيون الملاء وعلي رؤوس الأشهاد.

ذكر الله ودعاؤه عند القتل

قال البلاذري: وهو يسبح ويدعو علي من غره وخذله (2).

وقال الطبري: وهو يكبر ويستغفر ويصلي علي ملائكة الله ورسله، وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وأدّلّونا. وأضاف في حكاية القاتل لابن زياد: وقتلونا (3).

ص: 341

1- الفتوح لابن أعمش: 103 / 5.

2- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 340 / 2.

3- تاريخ الطبري: 378 / 5.

وقال المسعودي: كان يكبر ويسبح الله ويهلل ويستغفر الله، فلما أدنياه لنضرب عنقه قال: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا ثم خذلونا وقتلونا (1). وقال أبو الفرج: فصعدوا به وهو يستغفر الله ويصلي على النبي محمد (صلي الله عليه وآله) وعلي أنبيائه ورسله وملائكته، وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكادونا وخذلونا (2).

وقال المفيد والفتال ومسكويه: فصعد به وهو يكبر ويستغفر الله ويصلي على رسوله، ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا وخذلونا (3).

وقال الطبرسي: وجعل مسلم يكبر الله ويستغفره ويصلي على النبي وآله، ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا (4).

وفي (المقتل) المشهور: فلما صعدوا به قال مسلم: دعني أصلي ركعتين وأفعل ما بدا لك. فقال: ليس إلي ذلك سبيل (5).

اقتصرنا على ذكر نماذج مما ورد في المصادر ولم نحصيها جميعاً، وذلك

ص: 342

1- مروج الذهب للمسعودي: 70 / 3.

2- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 71.

3- الإرشاد للمفيد: 64 / 2، روضة الواعظين للفتال: 152، تجارب الأمم لمسكويه: 53 / 2 وفيه الدعاء فقط.

4- إعلام الوري للطبرسي: 229.

5- مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: 37.

لأننا ذكرناها قبل قليل من جهة، ولتقارب النصوص أو اتفاقها من جهةٍ أخرى، ونكتفي هنا بالإشارة إلي بعض الملاحظات:

ملاحظات:

الملاحظة الأولى: السكينة والوقار

إنَّ مَنْ يعيش في رحاب هذا المولي العظيم والعبء المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام)، ويسايره خلال فترة تشرف الكوفة بأقدامه المباركة، يقف بين يديه خاضعاً مخبتاً معجباً متعجباً، بل ربما يصاب بذهول، ويؤخذ بمجامع قلبه، ويختطف البصر والحواس والجوانح فيشدها إلي نموذج يعزّ له النظير في غير الأنبياء والأوصياء..

رجلٌ لا تزايله السكينة والوقار طرفة عين أبداً.. ثابت الجنان، مطمئن القلب بذكر الله في كل خطوة وفي كل موطن وموقف! حينما يكون الناس حوله.. حينما يخذلونه ويبقي وحده.. حينما يحارب ويقارع الصناديد ويواجه أنواع الأسلحة وشتى الأساليب الحربية والقتالية وحده.. حينما يُصرع إلي الأرض بعد أن أثنى بالجراح.. حينما يكصّه العطش ويفتت كبده الظماً.. حينما يؤخذ أسيراً.. حينما ابتلي بوقوفه في مجلس الطاغية الرعديد مكتوفاً، وجرت عليه الدواهي أن يصبر ل- (لؤم الغلبة).. والآن وقد سعدوا به إلي أعلي القصر ليقتل صبراً! مكتوف الأيدي.. ينظر إلي السيف

وهو مع ذلك لا زال مطمئن القلب بذكر الله، يسبح الله ويكبره ويستغفره.. لا يغفل عن ذكر الله!

عجباً والله لمن يقبل في مولاي حكايات التاريخ التي تتم عن شيء لا يعرفه العبد الصالح أبداً.. حكايات تحكي ما يخالف السكينة والوقار والاطمئنان والثبات والعزيمة علي لقاء الله والفوز بالشهادة في محبة الحسين (عليه السلام) !!

الملاحظة الثانية: الصلوات الكاملة

ذكر بعضهم أنه كان يصلي علي أنبياء الله ورسله وملائكته، أو أنه «يصلي علي رسوله» كما في عبارة الشيخ المفيد والفتال، واكتفوا بهذا المقدار من ذكر الصلوات، بيد أن الطبرسي قال: «ويصلي علي النبي وآله»، وهذا هو الصحيح، لأن الفقيه العالم مسلم بن عقيل (عليهما السلام) لا يصلي علي النبي (صلي الله عليه وآله) الصلاة البتراء التي نهى عنها النبي (صلي الله عليه وآله).

إلا أن تحمل عبارة الشيخ المفيد والفتال «يصلي علي رسوله» علي الاختصار، وكذا عبارة أبي الفرج: «ويصلي علي النبي محمد وعلي أنبيائه ورسله وملائكته»، وهو اختصارٌ مخلٌ في مثل هذه المواضع، خصوصاً في لفظ أبي الفرج الذي ذكر الجميع إلا الآل.

أما عبارة مثل الطبري: «يصلي علي ملائكة الله ورسله»، ولم يذكر

حتّى النبيّ محمّداً (صلي الله عليه وآله)، ففيها نقصٌ واضح وتعمية تستدعي التأمل!

الملاحظة الثالثة: أدلّونا!

ورد في لفظ الطبري -- ولم نجده عند غيره حسب فحصنا -- قوله فيالدعاء: «وأدلّونا»، ويبدو وفق المصادر الأخرى أنّه تصحيف، إذ أنّ الجميع روي: «خذلونا»، ولم يذكرها الطبري.

الملاحظة الرابعة: التسييح والتكبير والاستغفار..

ربما يكون تكبير المولي (عليه السلام) ليُفهم هؤلاء الطغاة العتاة المردة، والوجودات المشوّهة التي مسخها الغرور والتكبر والتجبر والطغيان والعتو علي ربّ الأرباب، أنّ الله أكبر وأعزّ، وهو المنتقم الجبار الذي لا يفوته هارب ولا يُعجزه غالبٌ لئيم.

وهو يسبّح الله وينزّهه؛ ليعلن عن رضاه بقضاء الله وقدره، ويُنبئ عن تسليمه للحكم العدل الذي لا يجور، وهو من أهل بيت موكل بهم البلاء..

وهو يستغفر الله، وقد كان النبيّ (صلي الله عليه وآله) يستغفر من دون ذنب ارتكبه، وها هو مسلم (عليه السلام) العبد الصالح المطيع لا يريد أن يُخرج نفسه من حدّ التقصير مع ربّه ومع إمامه الذي يريد أن يُقتل في محبّته، وهذا هو رسم العبوديّة الحقّة.

وهو يصلّي علي النبيّ وآله؛ لأنّها الذكر الأعظم الذي لا ترقى إليه الأذكار، وهو يتضمّن العقائد الحقّة كلّها، وبه يسهل الصعب ويتيسر

العسير، ويقرب العبد أيما تقرب من الله ورسوله والأئمة الميامين (عليهم السلام).

وهو بعد ذلك كله يستشعر اقتراب لحظة اللقاء بالله، فيقبل عليه حامداً ممجداً مسبحاً مكبراً.. ويستشعر قرب اللقاء بالأحبة، محمداً (صلي الله عليه وآله) وحزبه، فيقبل عليهم بالصلاة والسلام عليهم..

ولم نجد أحداً يذكر أنه استرجع، وهو ذكرٌ يكثر الالتجاء إليه عند المصيبة، فربما كان ذلك لثلاً يفترق وقتئذٍ أو فيما بعد أن البطل الهاشمي (عليه السلام) قد جزع -- والعياذ بالله -- من الموت، وهو الذي أقسم لا يقتل إلا حرّاً.. والله العالم!

الملاحظة الخامسة: الدعاء

دعا المولي الغريب (عليه السلام) عند قتله بدعوة علي أقوام بأعيانهم وصفاتهم، وجعل الله حكماً بينه وبينهم!

حقاً إن التعبير المروي عن المولي الغريب (عليه السلام) مذهلٌ ومدهش في الدقة.. «احكم بيننا وبين قوم..»، نسمع ضمير الجمع في حديثه عن نفسه.. ليس المولي (عليه السلام) ممن يستعمل ضمير الجمع لتعظيم نفسه، وإنما هو يخبر عن شيء آخر؛ إنه ضميرٌ يعود إلى الجماعة.. ليس هو وحده الذي قُتل؛ قتل هؤلاء الطغاة قبله من آل البيت (عليهم السلام) منذ يوم رسول الله (صلي الله عليه وآله)، بل يوم حمزة أسد الله وأسد رسوله، ويوم المحسن الشهيد، ويوم الصديقة الشهيدة (عليها السلام)، ثم أمير المؤمنين والحسن المجتبي (عليهما السلام)، ومن قتل بين كلِّ

شهادة وشهادة، وقبل ذلك، وما سيأتي بعد أيام حيث سيقتل سيّد الشهداء (عليه السلام) وأهل بيته وصحبه.. اللهم احكم بيننا!

ويمكن أن يكون إشارة إلي ما سيقع بعد أيام، بقرينة الصفات التي نعت بها هؤلاء القوم:

قوم غرّونا..

قوم كذبونا..

قوم خذلونا..

قوم قتلونا..

قوم كادونا..

قوم هذه صفاتهم: غرّونا.. وكذبونا.. وخذلونا.. وقتلونا.. وكادونا.. وهي مجموع الصفات الواردة في المصادر، وإن كان بعضهم اقتصر علي بعضها.

فبهذه القرينة هو يدعو علي قوم بأعيانهم، وهم الذين باشروا هذه الرذائل وفعلوا جميع تلك الأفاعيل مع مسلم بن عقيل (عليه السلام) ومع سيّد الشهداء (عليه السلام) وأهل بيته وصحبه الأبرار.

دعا الله أن يحكم بينهم وهو خير الحاكمين، وقد انتقم الله من هؤلاء الأوغاد بسيف آل أبي طالب (عليهم السلام) في طفّ كربلاء، وأرسل عليهم غلام ثقيف سقاهاهم كأساً مصبّرة، ولحقهم بلعنته ولعنة الملائكة والناس أجمعين إلي أبد الأبد، وسينتقم لدمه الزاكي المقدّس بسيف المنتقم الأعظم ووليّ

ص: 347

الدم صاحب الأمر والزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ، ولعذاب الآخرة أشدّ وأخزى!

وقد دعا بنفس هذا الدعاء ولداه الصغيران المظلومان الذبيحان علي شاطئ الفرات: «اللهم احكم بيننا وبين من قتلنا...».

كما ارتجز ابنه عبدُ الله في الطّف بنفس القافية والروي والوزن والكلمات..

الملاحظة السادسة: الصلاة ركعتين

في (المقتل) المشهور لأبي مخنف: فلما صعّدوا به قال مسلم (عليه السلام) : دعني أصلي ركعتين وافعل ما بدا لك. فقال: ليس إلي ذلك سبيل (1).

لا نريد أن نقف هنا طويلاً بين يدي المولي الغريب مسلم بن عقيل (عليهما السلام) وهو في ساعته الأخيرة، بيد أنّ صلاة ركعتين ما كانت لتؤخر قتله، فلماذا امتنع الخبيث الرجس من القبول؟! فالمولي (عليه السلام) يريد أن يختم حياته في هذه الدنيا بقاء الله والوقوف بين يديه قبل أن يلقاه في الآخرة بعد لحظات، ويريد أن يناجي ربّه، فلعلّ الخبيث النجس خاف أن يدعو عليه في الركعتين ويعجل الله نقمته..

الملاحظة السابعة: مسلم أول من زار الحسين علي مرتفع، واستجاب ذلك كما في الروايات

قال السيّد المقرّم (رحمة الله) -- وهو يروي شهادة المولي الغريب مسلمين

ص: 348

1- مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: 37.

عقيل (عليهما السلام) بعد أن ذكر أنّهم أضعده إلى أعلا القصر -- : وتوجّه نحو المدينة وسلّم علي الحسين (1).

وهكذا هو أدب السلام علي سيّد الشهداء (عليه السلام) من بُعد، فقد ورد في الأحاديث في كيفية زيارته (عليه السلام) لمن نأت داره وبعدت شقّته أن يصعد علي السطح أو علي مرتفع فيسلّم علي أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) (2)، فربّما كان

ص: 349

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للمقرم: 190.

2- في كامل الزيارات لابن قولويه: 286 الباب 96: مَنْ نأت داره وبعدت شقّته كيف يزوره: 1- حدّثني أبي (رحمة الله)، عن سعد ومحمّد بن يحيي، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن أبي عمير، عن عمّن رواه قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إذا بعُدت بأحدكم الشقّة ونأت به الدار، فليعلّ أعلي منزلٍ له فيصلي ركعتين وليوم بالسلام إلي قبورنا، فإنّ ذلك يصير إلينا». 2- حدّثني علي بن الحسين وعلي بن محمد بن قولويه (رحمة الله)، جميعاً عن محمد بن يحيي العطار، عن حمدان بن سليمان النيسابوري، عن عبد الله بن محمد اليماني، عن منيع بن الحجّاج، عن يونس بن عبد الرحمن، عن حنان بن سدير، عن أبيه - في حديثٍ طويل - قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «يا سدير، وما عليك أن تزور قبر الحسين (عليه السلام) في كلّ جمعةٍ خمس مرّات وفي كلّ يومٍ مرّة». قلت: جعلت فداك، إنّ بيننا وبينه فراخ كثيرة! فقال: «تصعد فوق سطحك، ثمّ تلتفت يمنةً ويسرة، ثمّ ترفع رأسك إلي السماء، ثمّ تتحرّي نحو قبر الحسين (عليه السلام)، ثمّ تقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك ورحمة الله وبركاته. يُكْتَبُ لك زورة، والزورة حجة وعمرة». قال سدير: فربّما فعلته في النهار أكثر من عشرين مرّة. 3- حدّثني حكيم بن داود، عن سلمة بن الخطاب، عن عبد الله بن الخطاب، عن عبد الله بن محمد بن سنان، عن منيع، عن يونس بن عبد الرحمن، عن حنان بن سدير، عن أبيه قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «يا سدير، تزور قبر الحسين (عليه السلام) في كلّ يوم؟». قلت: جعلت فداك، لا. قال: «ما أجفاكم، أفتروره في كلّ شهر؟». قلت: لا. قال: «فتروره في كلّ سنة؟». قلت: يكون ذلك. قال: «يا سدير، ما أجفاكم بالحسين (عليه السلام) [بذلك]، أما علمت أنّ لله ألف ملكاً [ملكاً] شعثاً ← → غيراً يبكون ويزورون لا يفترون، وما عليك يا سدير أن تزور قبر الحسين (عليه السلام) في كلّ جمعةٍ خمس مرّات» وذكر مثل الحديث الأوّل. 4- وروي سليمان بن عيسى، عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): كيف أزورك ولم أقدر علي ذلك؟ قال: قال لي: «يا عيسى، إذا لم تقدّر علي المجيء، فإذا كان يوم الجمعة فاغتسل أو توضّأ، واصعد إلي سطحك، وصلّ ركعتين، وتوجّه نحوي، فإنّه من زارني في حياتي فقد زارني في مماتي، ومن زارني في مماتي فقد زارني في حياتي». 5- حدّثني محمد بن جعفر الرزاز، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن عبد الله بن محمد الدهقان [الدهان]، عن منيع بن الحجّاج، عن حنان بن سدير، عن أبيه قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «يا سدير، تُكثّر من زيارة قبر أبي عبد الله الحسين؟». قلت: إنّهُ من الشغل. فقال: «ألا أعلمك شيئاً إذا أنت فعلته كتب الله لك بذلك الزيارة؟». فقلت: بلي، جعلت فداك. فقال لي: «اغتسل في منزلك، واصعد إلي سطح دارك، وأشِرْ إليه بالسلام، يُكْتَبُ لك بذلك الزيارة». 6- حدّثني محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن إسماعيل بن سهل، عن أبي أحمد، عن عمّن رواه قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «إذا بعُدت عليك الشقّة ونأت بك الدار، فلتعلّ علي أعلي منزلك، ولتصلّ ركعتين، فلتوم بالسلام إلي قبورنا، فإنّ ذلك يصل إلينا». 7- حدّثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه رفع الحديث إلي أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: دخل حنان بن سدير الصيرفي علي أبي عبد الله (عليه السلام) وعنده جماعة من أصحابه، فقال: «يا حنان بن سدير، تزور أبا عبد الله (عليه السلام) في كلّ شهرٍ مرّة؟». قال: لا. قال: «ففي كلّ شهرين مرّة؟». قال: لا. قال: «ففي كلّ سنةٍ مرّة؟». قال: لا. قال: «ما أجفاكم لسيّدكم!». فقال: يا ابن رسول الله، قلّة الزاد وبُعد المسافة. قال: «ألا أدلّكم علي زيارة مقبولة وإنّ بعُد النائي؟». قال: فكيف أزوره يا ابن رسول الله؟ قال: «اغتسل يوم الجمعة أو أيّ يومٍ شئت، والبس أظهر ثيابك،

واصعد إلي أعلي موضع في دارك أو الصحراء، واستقبل القبلة بوجهك بعد ما تبين أن القبر هناك، يقول الله (تبارك وتعالى): (فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثُمَّ وَجْهَ اللَّهِ)، ثم تقول: السلام عليك يا مولاي وابن مولاي، وسَيِّدي وابن سَيِّدي، السلام عليك يا مولاي ← → الشهيد ابن الشهيد، والقتيل ابن القتيل، السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أنا زائرُك يا ابن رسول الله بقلبي ولساني وجوارحي، وإن لم أزرُك بنفسي مشاهدةً لقبَّتِكَ، فعليك السلام يا وارث آدم صفوة الله، ووارث نوح نبيِّ الله، ووارث إبراهيم خليل الله، ووارث موسى كليم الله، ووارث عيسى روح الله، ووارث محمدٍ حبيب الله ونبيِّه ورسوله، ووارث عليٍّ أمير المؤمنين وصيِّ رسول الله وخليفته، ووارث الحسن بن عليٍّ وصيِّ أمير المؤمنين، لعن الله قاتليك، وجدد عليهم العذاب في هذه الساعة وفي كلِّ ساعة، أنا يا سَيِّدي متقرَّبٌ إلي الله (جلَّ وعزَّ)، وإلي جدِّك رسول الله، وإلي أبيك أمير المؤمنين، وإلي أخيك الحسن، وإليك يا مولاي، فعليك السلام ورحمة الله وبركاته بزيارتي لك بقلبي ولساني وجميع جوارحي، فكن لي يا سَيِّدي شفيعي لقبول ذلك مِنِّي، وأنا بالبراءة من أعدائك واللَّعنة لهم وعليهم أتقرَّب إلي الله وإليكم أجمعين، فعليك صلوات الله ورضوانه ورحمته. ثمَّ تحول علي يسارك قليلاً وتحوَّل [تحول] وجهك إلي قبر عليِّ بن الحسين، وهو عند رجل أبيه، وتسلم عليه مثل ذلك، ثمَّ ادعُ الله بما أحببتَ من أمر دينك ودنياك، ثمَّ تصلِّي أربع ركعات، فإنَّ صلاة الزيارة ثمان أو ستَّ أو أربع أو ركعتان، وأفضلها ثمان، ثمَّ تستقبل نحو قبر أبي عبد الله (عليه السلام) وتقول: أنا مودعك يا مولاي وابن مولاي، ويا سَيِّدي وابن سَيِّدي، ومودعك يا سَيِّدي وابن سَيِّدي يا عليِّ بن الحسين، ومودعكم يا ساداتي يا معاشر الشهداء، فعليكم سلام الله ورحمته ورضوانه وبركاته».

المولي العارف المقتول في محبة الحسين (عليه السلام) هو أول من زار سيّد الشهداء (عليه السلام) من مرتفع!

الملاحظة الثامنة: أبيات شعر قبل الشهادة

روي الطريحي أبياتاً أنشدها المولي الغريب (عليه السلام) عندما أمر اللّعين أن يصعد به إلي أعلي القصر، وقال: فعند ذلك بكى مسلم علي فراق الحسين (عليه السلام)، والظاهر أنّه اعتمد علي (المقتل) المشهور رغم ما فيه من بعض الاختلاف اليسير في ألفاظ الأبيات، وربما يرجع ذلك إلي اختلاف

ص: 351

وقد أشار الطريحيّ إلي أنّ المولي (عليه السلام) أنشد الأبيات عندما أمر أن يُصعد به، وفي نسخة المطبوع: أنشدها بعد أن استمهل لصلاة ركعتين فأبي اللّعين ذلك، ولذلك ذكرنا ما رواه الطريحي في موضع قبل هذا عند الكلام عن (الأمر بالقتل).

وكيف كان! فقد صرّح الطريحي -- وهو كما ذكرنا ينقل عن (المقتل) المشهور كما يبدو -- أنّ سبب بكاء المولي الغريب (عليه السلام) إنّما كان علي فراق الحسين (عليه السلام)، وهذا هو دأب المولي (عليه السلام) طيلة فترة سفره إلي الكوفة..

فقد بكى عند وداع الحسين (عليه السلام) في مكّة، وبكى عندما احتوشته الذئاب وابتلي بقوم لئام وتجرّع «لؤم الغلبة»، وهو الآن يبكي لفراق سيّد الشهداء (عليه السلام) .. صدق رسول الله (صلي الله عليه وآله) -- ومن أصدق منه قياً؟ -- حينما قال لأمير المؤمنين (عليه السلام) في حديثٍ علّل فيه حبّه لعقيل: «وإنّ ولده لمقتولٌ في محبّة ولدك» (1).

قال أبو مخنف: ثمّ بكى مسلم (عليه السلام)، وأنشأ يقول: ... (الأبيات) (2).

تتمّات

إشارة

ثمّة جملة من العناوين التي تحيط بلحظات الشهادة أو تليها مباشرة،

ص: 352

1- أنظر: الأمالي للصدوق: 129 المجلس 27 ح 3.

2- مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: 37.

ويمكن من خلالها استكمال الصورة:

التمة الأولى: قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام

ذكرنا تحت عنوان (الأمر بالقتل) أنّ الصورة المروّعة المهولة التي تخلع القلوب عن مستقرّها، وتشتتّ الذهن حتّى الذهول، التي رواها الطريحي عن (مقتل) أبي مخنف المشهور كما يبدو، هي أقرب إليّ تهديد ابن الأمة الفاجرة.. والحال أنّ المصادر الأخرى تكاد تتفق أنّ الخبيث قد أمر بضرب عنقه أولاً وإلقاء الرأس والجثمان المقدّس إليّ الأرض.

وكيف كان، فإننا نشعر أنّ صوراً مقرّزة ومفجعة ومروّعة أخفاها التاريخ، إذ إنّ تهديد ابن زياد كان ينصّ -- كما في نفس تلك المصادر -- عليّ أن يقتله قتلةً لم يكن لها مثيل في الإسلام، وأنها شرّ قتلة.. فلا بدّ أن تكون المصيبة أعظم ممّا نقله لنا التاريخ، فلهفي عليّ الموليّ الغريب (عليه السلام) وحرّ قلبي!!

التمة الثانية: حضور ابن زياد!

تقرّد كتاب (المقتل) لأبي مخنف بذكر عبارة تفيد حضور ابن زياد عند إلقاء الموليّ الغريب (عليه السلام) من أعليّ القصر، حيث يقول بعد أن يسرد الصعود به (عليه السلام) وما جري بين القاتل وبينه من كلام وإنشاده (عليه السلام) الأبيات: فنادي ابن زياد (لعنه الله): يا ويلك ألقه. فرموه عليّ أمّ رأسه، فقضيّ نحبه.

ص: 353

التّمّة الثالثة: لم يُقتل بأول ضربة

التّمّة الثالثة: لم يُقتل بأول ضربة

ذكر الطبري -- وهو يروي ما حكاه القاتل لابن زياد (لعنهما الله) -- أنّه قال: فضربته ضربة لم تُغن شيئاً... ثم ضربته الثانية فقتلته (1). وكذا قال المسعودي (2) وابن الأثير (3).

كان المولي الغريب (عليه السلام) قد أذبل العطش بدنه، وجفّف عروقه، وفَتّت كبده، وقد أثخنه الجراح، وجسمه ينزف دماً من هامته حتّى قدميه، ورغم ذلك لم يتمكّن الرّجس الخبيث من قتله بضربة واحدة.. فما أصلب البطل الهاشمي وأقواه، وما أضعف القاتل الذي أقدم علي أسدٍ مكتوفٍ جريحٍ نازفٍ إقدام الجبان الرعديد المرتجف الخائف الخائر القوي العاجز عن التركيز، ساهم الفكر، مشتّت القلب، مرتعش اليد.. ولا زال سيف الحسين (عليه السلام) الممشوق واقفاً متماسكاً صلباً مستجمع القوي، يصدّ الضربة بعنقه وينفّر السيف بجلده!

التّمّة الرابعة: الردّ إلي آخر لحظة

روي الطبري والمسعودي وابن الأثير وغيرهم أنّ الجرذ الخائر أراد أن يشمت بالمولي الغريب (عليه السلام)، فقال له: أدن منّي، الحمد لله الذي أمكن منك وأقادني منك!! وظنّها تمرّ وأنّ المولي (عليه السلام) يواجه القتل.. وكأنّه نسي

ص: 354

1- تاريخ الطبري: 378 / 5.

2- مروج الذهب للمسعودي: 69 / 3 وفيه: «لم تعمل شيئاً».

3- الكامل لابن الأثير: 274 / 3.

رجز المولي (عليه السلام) وقسمه أن لا يُقتل إلا حراً، وأن القتل في محبة الحسين (عليه السلام) وعد ينتظره غريب كوفان، وأنه عنده أحلي من العسل..

وأقسم بالله يمينا برة أن سكينه المولي مسلم بن عقيل (عليه السلام) واطمئنانه وثباته وصلابته في محبة الحسين يعز لها النظير، وتدهل العاقل اللبيب.. إذ لم يفوت للدعي كلمته تلك وردّها بالفور ردّاً قاصماً مزلزلاً مدمراً مهلكاً شامخاً بالفخر والتعالي علي الأراذل بالتحقير والإهانة والإذلال لهم، كما سنسمع بعد قليل.

إنه الإباء الطالبي.. ردّ به حفيد أبي طالب وسليل إبراهيم الخليل (عليه السلام) علي كلّ كلمة تجرّأ بها عدوّه ابن زياد، فما قدر القاتل الوضع الضئيل المتهالك؟!

التمة الخامسة: الفخر عند الموت

روي الطبري والمسعودي وابن الأثير أن القاتل الدعي حدّث ابن زياد بما سمعه من البطل الهاشمي (عليه السلام) عندما أقدم علي قتله، فلم تُغن الضربة الأولى، فقال المولي الأبي (عليه السلام): أما تري في خدشٍ تخدشنيه وفاءً من دمك أيها العبد!

وفي لفظ المسعودي: أو ما يكفيك! وفي خدشٍ مني وفاء بدمك أيها العبد!

ما أعظمك يا سيدي وحيبي مسلم! ما أعظمك! ما أعظم عزيمتك

وثباتك وسكينتك ووقارك ورباطة جأشك؟! ما أعظم إباءك؟! ما أسمى شموخك وأسمق قمتك!

إنه مسلم بن عقيل (عليهما السلام)! يتعامل بهذا الهدوء والسكينة والوقار.. ضربه العبد ضربةً كان يظنُّ أنه سيقتل بها مسلماً (عليه السلام) ويفصل بها رأسه عن جسده.. يلزم إنَّه قد وضع فيها كلَّ قوَّته، وجمع فيها شتات نفسه.. والمولي مسلم (عليه السلام) يسمِّيها «خدشاً»! والخدش هو تفرَّق في الجلد أو الظفر أو مزق في الجلد وإن لم يُدم (1)، يعني أقلُّ ما يسمِّي جرحاً!

في ساعة الموت يهجم الضرغام الجريح علي عدوّه فيهزمه ويفرغ قلبه وينخر أعماقه، يحتقره ويهينه ويذلّه، ويتركه جذعاً منحوباً خاوياً متهرّجاً..

لقد كانت ضربتا المولي (عليه السلام) مؤثّرة كادت تبلغ جوف الخبيث.. ضربات فاعلة في منطقتين حساستين لا تخطئ في القضاء عليه؛ ضربة علي رأسه والأخري علي عاتقه.. فهو ميّت منهما وهو لما به.. وقد أخبره بذلك مسلم بن عقيل (عليه السلام) حينما قال له: «وفاءً من دمك»، فهو ميت عمّا قريب، وضربة المولي (عليه السلام) ستأتي عليه، فليكن هذا الخدش! مقابل دمه العفن!

وقد ردّ المولي (عليه السلام) عليه قولته قبل قليل: «الحمد لله الذي أقادني منك»، فإن كان الرعيدي يريد قوداً ففي الخدش وفاءً وزيادة، «أو ما يكفيك وفي خدش منّي وفاء بدمك؟».. فهو يخبره أنّه هالك من ضربة

ص: 356

1- أنظر: مجمع البحرين ولسان العرب: مادّة (خدش).

البطل الهاشمي (عليه السلام) ..

ثم أمعن المولي العزيز الأبيّ (عليه السلام) في تحقير الذليل الوضيع، وحدّ له حدّه، فخاطبه قائلاً: «أيّها العبد!» إنّه عبدٌ ذليلٌ كثير عليه الخدش قوداً من العظيم الكبير.. إنّه عبدٌ لا يرقى إلي قتل الأبطال الشجعان والفرسان الصناديد، فلا يظنّ أنّ ما ناله يرجع بالأصالة إليه، إنّه عبدٌ ليس إلّا! «أيّها العبد»!

فلمّا سمع ابن زياد موقف الأبيّ الصابر، قال: أو فخرأ عند الموت؟!

ولا- نريد أن نعلّق علي كلام ابن الأمة الفاجرة؛ لأنّه أقلّ وأحقّر من أن يُفتخر بشهادته للأبرار الأخيار.. إنّ في موقف ثقة الحسين (عليه السلام) وسفيره مفتخرٌ يغني عن التفات إلي تصرّيح أولاد البغايا.

التّمّة السادسة: السؤال عن قتله

روي الطبريّ وابن أعثم والخوارزمي والسيد ابن طاووس سؤال ابن زياد من القاتل بعد أن نزل: قتلتّه؟ وروي آخرون سؤالاً آخر: ما كان يقول وأنتم تصعدون به؟

ويبدو من سياق الأحداث أنّ ابن زياد كان لا زال خائفاً من ظلّ البطل الطالبي (عليه السلام)، حيث سأل القاتل: قتلتّه؟ وفي لفظ ابن أعثم حينما رآه مدهوشاً: ما شأنك؟ أقتلتّه؟

يريد أن يتأكّد ليطمئن أنّ الصاعقة النازلة عليه من سماء الحسين (عليه السلام)

قد سكنت.. إنه يعيش رعباً يمزق الكيان، وخوفاً يخرس المنطق عن الكلام، وتهديداً يلاحقه في اليقظة والمنام، ودواماً تُغرقه كل لحظة في ألف كابوس..

اسمه يقصُّ عليه مضجعه، وبريق سيفه يززع وجوده، ولسعات لسانه تختطف لُبه.. فهو يعيش منذ أن دخل الكوفة مرتعشاً مرتجفاً، يقرض ذيله في أقبية قصر الخبال، ملتصقاً بالجدار لانداً بأغصان الشجرة الملعونة التي ما لها من قرار، لا يدري ماذا يخبئ له البطل الهاشمي (عليه السلام) من مفاجأة، وهو يعرف شجاعة آل أبي طالب (عليهم السلام)، ويعلم جيداً أن مسلماً (عليه السلام) كفوءٌ لكل صناديده، يقاتلهم وحده ولا يخشي في الله لومة لائم، وقد أثبتت الأحداث ذلك، وتابع الخبيث بنفسه مجريات الحرب الأخيرة، وذاق الذل والهوان التي جرعتها إياه مسلم (عليه السلام) في مناظرته معه..

يريد أن يطمئن أنه قُتل! يريد أن يسكن خوفه ويهدأ روعه، ويستريح قليلاً إذا علم أن التهديد المر الذي كان يلاحقه قد قضى نحبه! وأن الشجي الذي قد اعترضه والقذي الذي أعمى عينه قد مضى!

التمة السابعة: ما رآه القاتل عند قتله وتعليل ابن زياد

روي الطبري عن أبي مخنف، قال: نزل الأحمري.. فقال له ابن زياد: قتلته؟ قال: نعم (1).

ص: 358

إلي هنا انتهى الكلام بين الأحمرّي وابن زياد عند الطبري، بيد أن ابن أعثم والخوارزمي والسيد ابن طاووس ذكروا الحدث بعبارة مفصّلة، وعند الأولين القاتل رجلٌ من الشام -- كما ذكرنا فيما سبق --، قالوا -- واللفظ للخوارزمي -- :

ثم نزل الشامي وهو مدعورٌ مدهوش، فقال له ابن زياد: ما شأنك؟ أقتلته؟ قال: نعم، إلا أنه عرض عارضٌ فأنا به مرعوب. قال: وما الذي عرض؟ قال: رأيتُ ساعة قتلتَه رجلاً بحذائي أسود شديد السواد كرية المنظر، عاصباً علي إصبغه، أو قال: شفته، ففرعتُ منه فزعاً لم أفزع مثله قط. فتبسّم ابن زياد وقال: دُهِشْتَ من شيءٍ لم تعتده قبل ذلك (1).

ما أكثر ما رأي وسمع ابن الأمة الفاجرة من عذاب الله الذي يتربّص به، وما أبين الحجج التي سمعها وشاهدها بأُم عينه من النار التي اعرضته، وسيلان جدار القصر دماً، والمعاجز التي أبداها له سيّد الشهداء (عليه السلام) ورأسه المقدّس وأهل بيته الأطهار، (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين وما أنت بمسمع من في القبور).

أراد الجلف الجافي أن يهوّن الخطب، ويمحو العار، ويغطي الحقّ بعبارة باردة مهلهلة بائسة، «فتبسّم» ليخفي الهزيمة والرعب، ويغطي الخواء والخيبة في داخله، وقال: دُهِشْتَ من شيءٍ لم تعتده قبل ذلك.. ما الذي

ص: 359

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 213، الفتوح لابن أعثم: 5 / 103، اللّهُوف لابن طاووس: 58.

كان لم يعتده من قبل؟! القتل؟! أو ليس هو الذي واجه بطل الأبطال في الكوفة وناوشه بسيفه؟! وقد اشترك في الحرب الضروس التي أدار رحاها بجدارية وثقة سيف الحسين مسلم بن عقيل (عليه السلام)، وهو رجل معروف عند ابن الأمة الفاجرة، بحيث يدعو لينتقم به من البطل الهاشمي (عليه السلام)!

التتمة الثامنة: يبست يد القاتل ورأي النبي (صلي الله عليه وآله)

في (جلاء العيون): وفي روايةٍ أُخرى: إنّه لمّا شاهد ذلك قبل أن يقتله يبست يده، فلمّا أخبر ابن زياد (لعنه الله) بذلك دعاه واستعلم منه ذلك، فتبسّم وقال: لما أردت أن تفعل خلاف عادتك دُهِشْتَ وتخيّل لك ذلك. فأرسل ابن زياد رجلاً غيره إليّ أعلّي القصر، فلمّا أراد قتله رأي النبي (صلي الله عليه وآله) قد تصوّر له، فدُهِشَ ومات من ساعته، فأرسل ابن زياد الشامي الملعون، فقتله (1).

وفي هذا النصّ تصرّيحٌ أنّ ثلاثة تقدّموا لقتل المولي (عليه السلام)، بيد أنّ الأول يبست يده، والثاني رأي النبي (صلي الله عليه وآله) فدهش وهلك، والثالث هو الشامي الملعون..

ساعد الله قلبك يا رسول الله! وأنت تري ما يحلّ بعترتك الذي بكيته قبل أن يُقتل، ودمعت عينك عليه حتّى جرت دموعك عليّ صدرك، ثمّ قلت: «إليّ الله أشكو ما تلقي عترتي من بعدي» (2).

ص: 360

1- جلاء العيون للمجلسي: 622، جلاء العيون للسيد عبد الله شير: 2 / 168.

2- أنظر: الأمالي للصدوق: 129 المجلس 27 ح 3.

إشارة

يلاحظ خمسة أنماط من التعبيرات في كيفية رمي المولي الغريب (عليه السلام) من أعلي القصر:

النمط الأول: أتبع رأسه جسده

قال البلاذري: فضرب عنقه، ثم أتبع رأسه جسده (1).

وقال أبو الفرج وابن الأثير: فضرب عنقه، ثم أتبع رأسه جسده (2).

وقال المفيد والفتال ومسكويه: فضربت عنقه، وأتبع جسده رأسه (3).

وهذه العبارات تفيد الوجهين، والظاهر أنه ألقى الرأس أولاً ثم ألقى الجثمان المقدّس.

وهي تفيد أيضاً أنّ الإلقاء كان متعمّداً، وقد نسب إلي فاعلٍ -- كما هو صريح عبارة ابن كثير -- : ثم ألقى رأسه إلي أسفل القصر وأتبع رأسه جسده (4).

النمط الثاني: هوي الرأس أولاً

قال الدينوري: ضربت عنقه هناك، فسقط رأسه إلي الرحبة، ثم أتبع

ص: 361

1- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 83 / 2.

2- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 71، الكامل لابن الأثير: 274 / 3.

3- الإرشاد للمفيد: 64 / 2، روضة الواعظين للفتال: 152، تجارب الأمم لمسكويه: 53 / 2.

4- البداية والنهاية لابن كثير: 157 / 8.

الرأس بالجسد (1).

والمسعودي: فأهوي رأسه إلي الأرض، ثم أتبعوا رأسه جسده (2).

وابن الطقطقي: فهو رأسه، وأتبع جثته رأسه (3).

ويبدو من هذه الأقوال أنّ الرأس المقدّس هوي (حسب تعبير المؤرّخ) إلي الأرض علي أثر الضربة، ثم أتبع بالجسد المقدّس.

النمط الثالث: ألقى الرأس

قال سبط ابن الجوزي: وألقى رأسه إلي الناس (4).

والظاهر من عبارته أنّ الرّجس النّجس ألقى رأس المولي الغريب (عليه السلام) إلي الناس، من دون التصريح بإلقاء البدن المقدّس أيضاً، وربّما ترك ذلك اعتماداً علي المرتكز المتبادر من أمر ابن الأمة الفاجرة.

النمط الرابع: سقطت الجثة أولاً

أفاد ابن حبان أنّ الجسد المقدّس سقط إلي الأرض أولاً، ثم ألقى الرأس المقدّس.

قال ابن حبان: فضرب رقبة مسلم بن عقيل ... علي طرف الجدار،

ص: 362

1- الأخبار الطوال للدينوري: 243.

2- مروج الذهب للمسعودي: 69 / 3.

3- كتاب الفخري لابن الطقطقي: 105.

4- تذكرة خواصّ الأمة لسبط ابن الجوزي: 139.

فسقطت جثته، ثم أتبع رأسه جسده (1).

وقد أوهم ابن حبان في عبارته وصاغها صياغةً خبيثة، كأنه يريد أن يمّوه جريمة رمي الجثمان المقدّس، فنسب السقوط إلي المولي (عليه السلام) بعد أن قُتل، لأنه قُتل علي طرف الجدار..

النمط الخامس: رُمي حيّاً

مرّ معنا سابقاً عن (المقتل) المشهور لأبي مخنف والطريحيّ في (المنتخب) أنّهما قالوا أنّ المولي الغريب (عليه السلام) رُمي من أعلي القصر وهو حيّ، كما فعل ابن الأمة الفاجرة مع قيس بن مسهر الصيداوي سفير سيّد الشهداء (عليه السلام).

تشويهاً

يمكن أن ينساق الراوي أو المؤرّخ خلف أطماعه أو عقائده أو أيّ غرضٍ آخر أو هويّ متّبِع، فيغيّر شيئاً من الواقع أو يروي رواية تحقّق له ما يصبو إليه وتُنبئه ما يروم الوصول إليه، أمّا أن يبلغ بالراوي أو المؤرّخ حدّاً يكذب كذباً فجّاً بارداً قبيحاً مفضوحاً يُركم الأنوف ويقرّز النفوس وتقشعرّ منه الجلود ويقفّ له الشعر..

كذبةٌ مقرّفة تننة عفنة، لو كانت في غير مصيبةٍ لأضحكت كلّ حزين..

ص: 363

كذبة يخال القارئ لها أن راويها إما أن يكون مختلاً مخلطاً أو ثملاً أطرته خمرة الدينار حتى ما عاد يميز ولا يعقل ما يكتب..

جميل أن يحترم الإنسان عقله، أو يغطّي خلله بتحريّ المواقع التي لا تكشف خطله.. وكيف يسع من تشبّه بالعقلاء وتلون بلون العلم أن يفضح نفسه بنقل ما يتهمه فيه من لا حظ له بالعلم فضلاً عن العلماء؟!

أيقال ما رواه البلاذري في (الأخبار الطوال) في حقّ بطل الأبطال مسلم بن عقيل (عليه السلام)؟ وإثماً نقله هنا بعد الاستغفار والتنصّل منه والبراءة إلي الله من القول، وتقديم الاعتذار لساحة مولانا الحبيب والعظيم الطاهر والقويّ الصابر والشجاع الثابت والعبء الصالح سيّدنا ومولانا المكرّم المعظّم مسلم (عليه السلام)، لنقدّم صورةً عن جنائيات المؤرّخ، وتجاسره علي ساحة المقدّسين، وتطاوله علي أولياء الله المقربّين:

قال البلاذري: وبعث إلي مسلم بن عقيل فجيء به، فأمر به فدفع بينشرفتين من شرف القصر، فقال له ناد: أنا مسلم بن عقيل أمير العاصين، فنادي!!! ثمّ ضرب رأسه فسقط! (1)

ولا تحتاج هذه الفرية الفاقعة والفقاعة الزائلة إلي مناقشة، فإنّ من لا يعرف مسلم بن عقيل (عليه السلام) حقّ المعرفة، ومن لا يعرف إباء الطالبين وشمم الهاشميين وشجاعة سيوف الحسين (عليه السلام)، لا يقبل هذا الكلام الممجوج والنقل المحجوج..

ص: 364

لكنّ ما رواه البلاذري تتمةً لصور سابقة رسمها المؤرّخ البائس عن هذا المولي الغريب (عليه السلام) خلال فترة سفره من مكّة إلي الكوفة وصولاً إلي هذه السقطّة التافهة..

تطير!! تردّد.. والتردّد سمة واضحة في كلّ مراحل هذه الحركة!! تخوّف!!

استغفل!! اخترق من حيث لا- يعلم ولا- يتوقّع ولا- يتوجّس ولا- يتحسّب!! صابحه الجاسوس وماساه وهو في مقرّ قيادته، والتفت القاصي والداني وعرفه إلا هو (عليه السلام)!!

تردّد مرّةً أُخري.. رضي بالغدر والخيانة والاعتتيال.. ثم رجع وذكر!! اختفي في الخزانة!! في بيت النساء!! ارتعد وارتعشت يده، فلم يقوَ علي حمل السيف!! سقط السيف من يده! استجاب لاعتتيال ابن زياد.. ونسيالحدِيث المزعوم.. ثم ذكره فتلكاً.. أخذ بقلبه! أخذته كبوة! خرج من الخزانة أو من بيت النساء.. فلأمه أصحابه وويّخوه!! لم يعذره عاذر منذ تلك الساعة إلي يوم الناس هذا علي ترك قتل من عرفه العالمين أنّه لو قتله لقتل فاسقاً فاجراً كافراً!!

فشل في تعبنة الجماهير!! أخذ علي حين غرّة.. أخطأ في حساب الثورة.. فخرج مبكراً قبل أن يحين موعد القطاف! خذله الناس وفوجئ..

خرج ولم يخطّط! بقي وحيداً ليس له من يدلّه علي الطريق! خرج وهو لم يجهّز حتّي نفسه بأن يجعل له خطّاً يرجع منه إذا آب إلي داره.. فبقي

حائراً، لأنّه لم يجد من يدله علي الطريق!!

طردته المرأة الصالحة عن بابها.. حرّمت عليه الجلوس وهو يتوسّل إليها أن تؤويه سواد الليلة!

خرج يقاتل وعرض نفسه للموت، وبعد أن شئت جمعهم وأباد عسكرهم عاد ليقبل الأمان ويمكن من نفسه.. يمكن من يده!!

استسلم بعد أن شارف علي المنية! طلب العفو ممّن أرسلهم ابن زياد ليأخذوه فيقول لهما: العفو! فيقولان: لا نملك لك عفواً!!

توسّل إلي النغل الأموي أن يستبقه، فإن استبقاه ليكثرن السلام عليه.. بمعنى أنّه سيلازمه ويكون من ندمائه ويدخل عليه كلّ حين!!

ثمّ الآن.. وقد رُفِع إلي أعلي القصر ليقتل، ينادي بهذا النداء.. ثمّ يقتل!!!

ومواقف أخرى كثيرة، ومشاهد محتشدة تكرّس هذه الصورة البائسة للوجه المشرق بنور ربّه، والشعاع البازغ من شمس سيّد الشهداء (عليه السلام).. وقد أتينا علي مناقشتها بالتفصيل في خضمّ الأبحاث والدراسات المتتالية عن هذه الفترة من حياة مولانا المعظم مسلم بن عقيل (عليه السلام)!

حاشاه وألف حاشاه! ووالله لا نرضي أن تجلّل قداسات الرجال مهما كانوا عظماء ولا تنكر جلالتهم وسموّ مراتبهم، ونحن نعلم أنّهم استقوا من التاريخ.. لا نرضي أن تتحرّز عن مناقشة أقوال التاريخ لنلّا تكون بنا جرأة علي تخطّي أقوال الرجال، ثمّ نرضي أن تمتهن كرامة الدين بقبول ما لا

يرضاه الله ورسوله (صلي الله عليه وآله) والمؤمنون في رجال سيّد الشهداء الحسين (عليه السلام) ..

ومناقشة التاريخ لا تعني التعدي علي أحدٍ من العلماء، مع حفظ المقام والاعتراف بالخضوع والاحترام والتعامل معهم كالتلميذ الحقير إذا ناقش الأستاذ التحرير.. هذا في العلماء الصالحين والموالي المؤمنين من أهل السابقة والفضل والمقام السامي..

أمّا المؤرّخ المأجور والناصيّ المشبور بسيف فضائل آل الله (عليهم السلام) وأتباعهم، فلا والله لا نقيم لقوله وزناً في اتّهام الطيّبين الأبرار، ولا كرامة! فهو ينطلق من حقه وضغينته، فيعبّر بما يريح كوامنه، ويسكّن كواينالنيان الملتهبة في جوفه المحشوّ ببغض الطيّبين الأطهار، فيسيل في صديد أقلامهم وقبح دواتهم المشبوهة التي تأتي أن يحسن القارئ بها ظناً، كما تسمع نموذجاً من ذلك في تعبير أبي الفداء حيث يقول:

فانهزم واستتر!!! ونادي منادي عبيد الله بن زياد: من أتى بمسلم بن عقيل فله ديتة. فأمسك مسلم وأحضر إليه، ولمّا حضر مسلم بين يدي عبيد الله، شتمه وشمّ الحسين وعلياً، وضرب عنقه في تلك الساعة، ورميت جيفته!!!! من القصر. ثمّ أحضر هاني بن عروة، وكان ممّن أخذ البيعة للحسين، فضرب عنقه أيضاً، وبعث برأسيهما إلي يزيد بن معاوية ... (1).

أسمعت التصوير البائس والتعبير الهابط؟! «فانهزم»، «استتر»، «شتم

ص: 367

1- تاريخ أبي الفداء: 1 / 264.

الحسين وعلياً»، «ضرب عنقه في تلك الساعة»، «رمى جيفته»!!!!!! كلُّها تشفّ وشماتة وفرح بما فعله ابن الأمة الفاجرة!

ص: 368

إكتفي جملةً من المؤرّخين بذكر الصَّلب إجمالاً، واقتصر علي قوله: «وصلبهما» (1)، يعني مسلماً وهانئاً (عليهما السلام) ، ومنهم من قال: «وصلبه» (2)، يعني مسلماً (عليه السلام) .

ومنهم من تعرّض لذكر بعض الخصوصيّات المتعلّقة بالمكان أو بالصلب بشكل مقتضب جدّاً:

فقال ابن حبيب: وصلب عبید الله ابن مرجانة هانئ بن عروة المرادي بسوق الكوفة، ومسلم بن عقيل أيضاً (3).

ص: 369

-
- 1- الطبقات لابن سعد: 4 / 42، الإصابة لابن حجر: 1 / 332، ابن بدران في ما استدركه علي ابن عساكر: 4 / 337.
 - 2- شرح الأخبار للقاضي النعمان: 3 / 147.
 - 3- المحبر لابن حبيب: 480.

وقال ابن أعثم: ثم أمر عبيد الله بن زياد بمسلم بن عقيل وهانئ بن عروة (رحمهما الله)، فصُلِّبا جميعاً منكسين (1).

المسعودي: ثم أمر ابن زياد بجثة مسلم فصُلِّبت، وهذا أول قتيلٍ صُلِّبت جثته من بني هاشم (2).

الخوارزمي: ثم أمر ابن زياد بمسلم وبهانئ فصُلِّبا منكسين (3).

سبط ابن الجوزي: وصلب جثته بالكناسة، ثم فعل بهانئ بن عروة كذلك... وجثة مسلم أول جثة صُلِّبت منهم (4)، (من بني هاشم).

موضع الصِّلب

ذكروا في النصوص المشار إليها موضعين للصِّلب: أحدهما سوق الكوفة، والآخر الكناسة.

والكناسة -- كما في (معجم ما استعجم) للبكري -- : بضمَّ أوّله، معروفة بالكوفة، كان بنو أسد وبنو تميم يطرحون فيها كناساتهم، فكتب خالد بن عبد الله إلي هشام يسأله أن يقطعه إياها، فسأل ابن سعيد عنها، فقال: ما بالكوفة مثلها. فلم يعطه إياها، واتَّخذها لنفسه (5).

ص: 370

1- الفتوح لابن أعثم: 105 / 5.

2- مروج الذهب للمسعودي: 70 / 3، نفس المهموم للقمي: 120.

3- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 214 / 1.

4- تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي: 139.

5- معجم ما استعجم للبكري: 1136 / 4.

وهي موضع كبير مسكون في الكوفة، كان يسكنه السنّة، كما قال المقدسيّ في (أحسن التقاسيم): وبالكوفة الشيعة، إلا الكناسة فإنّها سنّة (1). وفيها قتل الشهيد السعيد المظلوم زيد بن عليّ بن الحسين (عليهم السلام).

ويبدو أنّ ثمة سوقاً في الكناسة كما يستفاد من عبارة المسعودي، حيث يقول: «وذلك أنّ أبا حميد الطوسي دخل ذات يوم من العسكر إلى الكوفة، فلقي سابقاً الخوارزمي في سوق الكناسة..» (2). وقول ابن الجوزي: «وأمر بهائي فقتل في السوق، وسحب إلى الكناسة فصلب هناك (3). وكذا قول ابن الأثير: «ودخلوا الكناسة في آثارهم حتّى دخلوا السوق والمسجد» (4).

وعلي التقدير الأبعد يمكن الإفادة من عبارة المسعودي وابن الأثير أنّ السوق ينتهي بالكناسة إن لم يكن في نفس المحلّة، وبهذا يجتمع القولان؛ بأن يكون الصلب في السوق الواقع في الكناسة، وهو أبلغ في التشهير والتخويف والترجيع!

قال السيّد المقرم (رحمة الله) في حديثه عن موضع المرقد المطهر وموقع الكناسة الذي صُلب فيه الشهيد المظلوم زيد بن علي بن الحسين (عليهم السلام):

ص: 371

1- أحسن التقاسيم للمقدسي: 126.

2- مروج الذهب للمسعودي: 3 / 255.

3- المنتظم لابن الجوزي: 5 / 326.

4- الكامل لابن الأثير: 4 / 224.

ليس بالهين معرفة هذين الموضوعين علي سبيل القطع، خصوصاً موقع الكناسة، مع ما لها من الشهرة وتكرّر الذكر في صفحات التاريخ بمناسبة الحوادث الواقعة فيها، إذ لم تكن خارطة تخطّط أرجائها، ولا بقيت من آثارها ما يتعرّف بها الأحوال، إلا أعلام دارسة وصور مجهولة، كما هو الشأن في آثار الأمم البائدة والديار الخاوية، فليس في وسع المنقّب الجزم بشيء منها إلا بالتقريب بالوقوف علي الرسوم والأطلال أو الحفريات، أو الركون إلي كلمات مستطردة خلال السير، وحتى الآن لم يتسنّ لنا شيء من تلك القرائن سوي ما وجدناه في (فلك النجاة) للعلامة الحجة السيّد مهدي القزويني (قدس سره): إنّ المشهد المعروف لزيد بن علي (عليه السلام) الذي يُزار ويُتبرّك به محلّ صلبه وحرّقه. وهذه الكلمة من سيّدنا البحّثة يجب الاحتفاظ بها، لما هو المعهود من غزارة علمه وسعة إحاطته، وقد وثق بها وأرسلها إرسال المسلّمات أخذاً عن أوثق المصادر المتوقّرة عليه، لذلك لم تترك لنا منتدحاً عن الإذعان بها بأنّ هذا المشهد القائم في شرقي قرية ذي الكفل واقع في محلّ الكناسة!

ويشهد له أنّ الصلب وأشباهه ممّا يقصد فيه الإرهاب وتمثيل قوّة البأس وشدّة السلطان، لا يكون إلا في المحتشّدات العامّة ومختلف زرافات الناس، وهذا الموضع قريب من النخيلة، وهي العباسيّة في كلام ابن نما، والعباسيّات اليوم، ولا شك أنّ النخيلة كانت باب الكوفة للخارج إلي الشام والمدائن وكربلاء، ومن هنا عسكر فيها علي (عليه السلام) لمّا خرج إلي

صفيين، وعسكر الحسن (عليه السلام) لَمَّا خرج إلي معاوية، وعسكر ابن زياد لَمَّا جهَّز الجيوش لحرب الحسين (عليه السلام)، فناسب أن يكون الصلب في الموضوع العام أو بالقرب منه، علي ألا يفوت الغرض المقصود من الإرهاب وإراءة الغلبة وقوة السلطان، وهذا الاعتبار يؤيد ما أرسله السيّد المتتبع ... (1).

وقال السيّد البراقي:

كانت أولاً تُعرَف بكناسة أسد، ثم صارت محلّة أو سوقاً أو محطةً تجاريّةً كبرى للكوفة، وفيها تمركزت الأشغال التجارية مع البلاد العربيّة، فكانت موضعاً للحمولة توضع فيها الأحمال وترفع منها، وكان في ناحيةٍ من نواحي الكناسة أسواق البراذين، تجري فيها المعاملات علي الماشية من بغال وحمير وإبل بيعاً واكتراءً من قبل النخّاسين، وهناك يباع الرقيق، وكان في الكناسة محلّ للشنق، وفيه عرض جثمان زيد بن علي (عليه السلام)، واليوم توجد بناية قائمة بين مسجد سهيل (السهلة) وقريبة منه وبين مسجد الكوفة، يؤمّها الناس وتُعرَف باسم زيد بن علي (عليه السلام)، ويعتقدون أنّها المحلّ الذي عُرض فيه جثمانه شنقاً، فيكون موقع الكناسة اليوم بين مسجد السهلة ومسجد الكوفة.

هذا كلام الأستاذ الشرقيّ حول الكناسة وتعيين موقعها، ومن الغريب جداً صدور ذلك منه، فإنّ [والكلام للسيّد البراقي] لم نعهد اليوم ولا قبل

ص: 373

اليوم بناية قائمة بين مسجد السهلة والكوفة يؤمها الناس وتُعرف عندهم باسم زيد بن علي (عليه السلام) ، كي يعقد أحد أنها المحلّ الذي عرض فيه جثمانه شتقاً، فيحكم الأستاذ أنه موقع الكناسة!

وإنما البناية التي توجد اليوم هناك هي مسجد زيد بن صوحان صاحب الإمام علي (عليه السلام) ، وهي التي يؤمها الناس وتُعرف عندهم بمسجد زيد بن صوحان، يؤدّون فيه من الوظائف الشرعيّة ما هو مدوّن في كتب الأدعية، ولم يزد الحموي في (المعجم) علي قوله: الكناسة -- بالضم -- محلّة بالكوفة، عندها أوقع يوسف بن عمر الثقفي يزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) (1)..

ثم نقل كلام السيّد المقرم (رحمة الله) المذكور قبل قليل.

ويمكن -- ولو علي نحو الاحتمال -- أن يكون المقصود بالكناسة هنا ليس هو الموضع المعروف، وإنما هي موضع الكناسة بالمعني اللّغوي، أي مطامر النفايات، ولا نطبق التعليق علي ذلك، ونكتفي بهذه الإشارة رغماً عنّا، لإمكان صدور ذلك من أمثال ابن الأمة الفاجرة.

الصّلب منكوساً

أفاد ابن أعثم والخوارزمي أنّهم صلبوا الجثة المقدّسة منكّسة، والمتبادر من العبارة أنّهم صلبوه معلقاً من قدميه الشريفتين وكان عنقه ويديه إلي

ص: 374

1- تاريخ الكوفة للبراقبي: 168.

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! أبلغ الانحطاط والتردي إلي هذا الحدِّ بمخلوقاتٍ عَجَّت الأرض وضجَّت السماء من جرائمهم وتفنَّنهم بالتنكيل بأولياء الله!؟

والله إنَّ البيانَ لعاجز، والبنان منكمش، والعيون عبري، والقلوب حرِّي، والأكباد محترقة لهذه الصورة المرؤعة والتنكيل المهول والاعتداء الوقح، فماذا يقول القائل سوي أن يجري دمعه الهطول ويسلِّم أمره لله، ولا حول ولا قوَّة إلا به.. وسيأتي اليوم الَّذي يصلب فيه المنتقم الأعظم (عجل الله تعالي فرجه الشريف) أعداء عترته وأهل بيته والظالمين لهم، ويأخذ بثأر المظلوم الغريب مسلم بن عقيل (عليهما السلام)، وستشرق شمسُه عمَّا قريب إن شاء الله، (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)؟!

أَوَّلُ جَنَّةٍ صَلَّبَتْ لِبَنِي هَاشِمٍ

صرَّح المسعوديُّ في (المروج) وسبط ابن الجوزي في (التذكرة) أنَّ جَنَّةَ المولي الغريب (عليه السلام) أوَّلُ جَنَّةٍ لِبَنِي هَاشِمٍ صَلَّبَتْ، وهو يفيد أنَّ هذه الجناية العظمي لم تحصل في أحدٍ من آل أبي طالب (عليهم السلام) قبل ذلك اليوم، وربما كان هو أوَّل مَنْ صَلَّبَ مِنْكَسًا، هو والشيخ الشهيد بطل مذبح وناصر سفير الحسين (عليه السلام) هانيء بن عروة.. لا ندري بالضبط، لأنَّنا لم نسبر التاريخ بحثاً عن ذلك، بيد أنَّنا نستفيده من تهديد النذل الهابط ابن زياد

حينما توعد أن يقتله قتلةً لم يقتل بها أحدٌ في الإسلام، وأنها ستكون شرّ قتلة.. وقد صلب من بعدها آل أبي طالب (عليهم السلام) وأنصارهم الأوفياء علي جذوع النخيل، حتّى بقي بعضهم سنين علي تلك الحال، كما حصل مع جدّنا وسيدنا الشهيد المظلوم زيد بن عليّ بن الحسين (عليهم السلام).

مدّة الصّلب

ربّما يستفاد من كلام ابن فندق أنّه صُلب علي الأقلّ ثلاثة أيّام، إذ يقول: صلّي عليه ... بعد ثلاثة أيّام من قتله (1).

فيلزم أن يكون قد أنزل من الصلب بعد ثلاث، فأقيمت عليه الصلاة ليُدْفَن، والله العالم!

ص: 376

قال الدينوري: قالوا: ولما رحل الحسين من زرود، تلقاه رجلٌ من بني أسد، فسأله عن الخبر، فقال: لم أخرج من الكوفة حتى قُتِلَ مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، ورأيتُ الصبيان يجرون بأرجلهم. فقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون» (1).

وقال اليعقوبي: وجرت برجله [مسلم (عليه السلام)] في السوق (2).

وقال الشيخ المفيد: وإنه حدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قُتِلَ مسلم وهانئ، ورأهما يُجران في السوق بأرجلهم. فقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون» (3).

ص: 377

1- الأخبار الطوال للدينوري: 247.

2- تاريخ اليعقوبي: 2 / 216.

3- الإرشاد للمفيد: 2 / 73.

وفي (المنتخب) للطريحي: ثم إنهم أخذوا مسلماً وهائناً يسحبونهما في الأسواق ... (1).

وفي (المقتل) المشهور لأبي مخنف: فبلغ ذلك مذحج، فركبوا جميعاً، وقتلوا ابن زياد (لعنه الله) قتالاً شديداً، وكانوا يسحبون مسلماً وهائناً في الشوارع ... (2).

وقال الدربندي: فبلغ ذلك مذحج شعره وذكره لهم، فركبوا عن آخرهم، واقتتلوا قتالاً شديداً ثلاثة أيام بلياليها، وما كان يسحبون هائناً ومسلماً في الأسواق، فغلبت عليهم مذحج، فأخذوهما، وغسلوهما، وكفّوهما، وصلّوا عليهما، ودفنوهما في الجامع (3).

وقال بحر العلوم: سحبوهما بالحبال من أرجلهما في الأسواق طوال ذلك النهار (4).

وقال أسد حيدر: ثم أمر ابن زياد بسحبه [هائناً] في الأسواق أمام أعين عشيرته وأحلافه، تحدياً للكرامة العربية!!!! وسحقاً للقيم (5).

ص: 378

1- المنتخب للطريحي: 2 / 428، أسرار الشهادة للدربندي: 228، نفس المهموم للقمي: 120 و121.

2- مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: 37 و38.

3- أسرار الشهادة للدربندي: 228.

4- مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 246.

5- مع الحسين (عليه السلام) في نهضته لأسد حيدر: 125.

إنّه مشهدٌ بشع، مروع، مهول، يصدّع الفؤاد ويهدّد القلوب، ويستحقّ أن تجري له من الآماق بدل الدموع دماً.. أيّ فعل هذا بالعترة الطيّبة؟! حقّ لرسول الله (صلي الله عليه وآله) أن تجري دموعه علي مسلم (عليه السلام) حتّى تبلّ لحيته الكريمة، ويشكو إلي الله ما ستلقي عترته من بعده، كما في خبر (الأمالى) للصدوق..

أريد ابن الأمة الفاجرة الدعيّ ابن الدعيّ أن ينكّل بالبطل الهاشمي (عليه السلام) بهذه الفعلة المستنكرة؟! إنّه ينكّل بالجثمان المقدّس حسب ظنّه، وأتّى له ذلك؟! وقد أشبعه المولي (عليه السلام) إذلالاً وتنكياً وتحقيراً، وعزاه وفضحه ودمره تدميراً، ويأبى الله إلا أن يرفع من يشاء ويضع من يشاء، فلا رافع لمن وضع ولا واضع لمن رفع الله.. وما جري علي مسلم بن عقيل (عليه السلام) في محبّة الحسين (عليه السلام) حبيب الله كان رفعةً وتسامياً في الدرجات، فقد نالها فوزاً عظيماً خاصّاً به، وتركها فخراً لكلّ الشيعة إلي يوم القيامة.. وقد أصحح الوحش الأموي عن كوامنه مع سيّد الشهداء (عليه السلام) أيضاً يوم أمر برضّ جسد الحسين (عليه السلام) وصحبه بعد قتلهم في كربلاء!

ولا نقول إلا ما قال سيّد الشهداء أبو عبد الله الحسين (عليه السلام)، الذي عجبت من صبره ملائكة السماء! حينما سمع خبر مقتل أخيه وابن عمّه وجزّهما بالأسواق: «إنا لله وإنا إليه راجعون»!

ونكتفي هنا بالإشارة إلي بعض المشاهد والصور التي تشعل القلب

وتحرق الأكباد وتسجر اللوعة في الأعماق:

اللوعة الأولى: السحب بالحبال

جثمانٌ مقطَّعٌ أراباً قبل أن يُقتل، مزقته الجراح، وسالت منه الدماء كالفؤارة من كلِّ أنحائه، أذبله العطش، وغسّلمته دماء النحر، مهشَّم العظام من أثر الارتطام بالأرض حين رُمي من أعلي القصر.. وهم مع ذلك يشدّون الحبال برجليه ورجلي الشيخ الكبير هاني بن عروة، ويجرّونه في السوق.. يسحلونه علي الأرض.. الأرض الوعرة.. فيها التراب والرمل والحصي والشوك، الناتئة في موضع والمنخفضة في آخر، تغطّيها الأحجار أحياناً ومخلفات المازة والسوق أحياناً أخرى.. وفي خشونة الأرض وقساوة التراب كفاية إذا بردت جسماً لطيفاً وبدناً منهكاً وقشّرت جلده فأبدت اللّحم الممزّق..

إنّهم شدّوا الحبال برجليه! لأنّ رأسه مقطوع! وسحلوه منكساً أيضاً.. جرّوه في السوق علي مرأى ومسمع من هذه الأمة المنكوسة المتعوسة المتخاذلة البائسة، التي أخذت إلي القاع اللزج، والتصقت بصمغ الشجرة الملعونة العفن..

ما أبشعه من منظر! ما أعظمها من مصيبة.. جثّة مقدّسة يعلوها نور العترة النبويّة، وتحيط بها هالة القدس الإيمانية، وتحفّها هيبة رجال آل أبي طالب (عليهم السلام) في سيماء الفرسان والشجعان والأبطال.. تجرّ في الأسواق..

ص: 380

فيتناثر اللحم المخدّد من أثر الاحتكاك بالأرض القاسية والتراب الخشن والحجارة وغيرها من الأشياء الحادّة، وتبقي آثار الدم السائل بهدوء وصمت خيوطاً تتسحب وراءها وترسم تفاصيل عار آل زياد وبني أميّة وشنارها إلي أبد الأبدين.. فلعنة الله عليهم لعناً يغدو أوّله ولا يروح آخره..

ليت كان ثمة من يتبع الجثمان المقدّس وهو يُسحّل علي الأرض، ليلتقط نثار الجلد واللحم المتشظّي منه ويجمعه ويدفنه..

جلّت حكمة أبي الشهداء (عليه السلام) وسيّدهم، إذ أرسل مسلماً (عليه السلام) وحده إلي الكوفة، فلم يصحب معه أحداً من أهله وعياله.. فماذا لو كانت بنت أمير المؤمنين وزوجه رقية وأولاده وبناته حميدة وعاتكة قد حضروا المشهد هذا؟!!

اللّوعة الثانية: جزّ الصبيان

روي الدينوري علي لسان الأسدي الذي أخبر سيّد الشهداء (عليه السلام) بما شاهده أنّه قال: ورأيتُ الصبيان يجرون بأرجلهم..

سلّطوا الصبيان علي الجثمان؟! إمعان في التنكيل.. لا بدّ أن تكون جماعة من الصبيان غير قليلة؛ لأنّهم يسحبون طودين شامخين نبا السيف عن عنقيهما، وضعف القاتل ونكل عن قتلها في أوّل ضربة.. جثمان مسلم المهيب الضخم، لأنّه من رجال بني هاشم، وكان أشبه بني عبد المطلب برسول الله (صلي الله عليه وآله)، كما ورد في (التاريخ الكبير) للبخاري في صفته..

بدن مقاتلٍ بطلٍ فارسٍ شجاعٍ، ثقيلٍ الوزنِ عظيمٍ التقاسيمِ..

ولابدَّ أن تكون ثمّة فاصلة بين الجثمان المقدّس وبين جماعة الصبيان بمقدار امتداد الحبل بين رجليه وبين أيديهم الآثمة.. ويلزم أن يكون الرجال والصبيان وغيرهم يتراكمون حول الجثمان وأمامه وخلفه.. والصخب والضجيج يملأ الأرجاء، والشماتة تعلو الوجوه الكالحة التي جاءت تشقّي من بطلٍ قتل صناديدهم وأدخل النائحة في بيوتهم، فلا تهدأ لهم رنة بعد أن صبغ بدمائهم الأرض، وترك لحومهم نقوشاً مرعبة لهم ولصبيانهم علي الجدران، وكدّس رؤوسهم بعضها فوق بعض في حربه الأخيرة..

لا يحدثنا التاريخ عن الصرخات والزعقات والأراجز وما جري وهم يسحلون ويقشرون جلد المولي الغريب (عليه السلام) بجرّه علي الأرض، وما أحدثوه من ضجّة واحتفال، وما حدث في الكوفة يومها!

اللوعة الثالثة: بلوغ الخبر لسيد الشهداء (عليه السلام)

في زرود بلغ خبر شهادة مسلم وشدّ الحبال برجله وجرّه في السوق لركب سيّد الشهداء (عليه السلام)، كما ذكر الدينوري والمفيد وغيرهما.. هكذا شاء الإمام أن يخبر بما يسمع لا بما يري ويعلم بمقتضيات الإمامة.. «فارتجّ الموضع بالبكاء والعيول، وسالت الدموع كلّ مسيل»..

إنّه خبرٌ مفرّج.. قتل مسلم (عليه السلام).. ويزيد اللوعة ويُدكي المصاب

ويحرق الفؤاد أن يقترن خبر الشهادة بخبر ربط رجليه بحبل وجزه في السوق، بسحل جلده عن لحمه ببرده بالتراب، بشماتة الأعداء!

وهو أول شهيد من آل أبي طالب بين يدي الحسين سيّد الشهداء (عليه السلام)، أو خبر مفتح يبلغ بنات أمير المؤمنين (عليه السلام)..
أول يتم يدخل علي ركب الحسين (عليه السلام).. بدت مصائب كربلاء تلوح في أفق ركب المنايا.. فجيعة لا كالفجائع، ومصيبة فيها
أحزان كربلاء، وقارحة فادحة كاظة فيها سمات الطف.. يقتل شر قتلة لم يقتل أحد في الإسلام مثلها، ثم يجزّ بالحبال في السوق!!

أي هول ونياحة قامت في سرادق الرسالة وخيام الخدر العلوي في الركب الحسيني؟! كيف تلقت الخبر بنات أمير المؤمنين (عليه السلام)،
بنات مسلم ابن عقيل، أولاد مسلم بن عقيل، إخوة مسلم وآل عقيل، بقية الطالبين؟!

ساعد الله قلب أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، وقد استرجع -- بأبي هو وأمي -- وسالت دموعه كسيلان دموع جدّه المصطفي
(صلي الله عليه وآله) علي أخيه مسلم ابن عقيل..

عينيّ

سيلي بالمدماع سيلي

حزناً

لغربة مسلم بن عقيل

لا غرو

إن أدميتُ جفني بالبكا

وله أطلتُ نياحتي وعويلي

فمصابه

أبكي عيون المصطفي

طوبي لمن يبكيه خير رسول (1)

ص: 383

1- الأبيات من قصيدة لأخيना الطيّب خادم الحسين (عليه السلام) الشيخ أحمد الدر (حفظه الله).

قال الدربندي: فبلغ ذلك مذحج ... فركبوا عن آخرهم، واقتتلوا قتالاً شديداً ثلاثة أيّام بلياليها، وما كان يسحبون هائناً و مسلماً في الأسواق، فغلبت عليهم مذحج، فأخذوهما، وغسلوهما، وكفنوهما، وصلّوا عليهما، ودفنوهما في الجامع (1).

وقال السيّد بحر العلوم: سحبهما بالحبال من أرجلهما في الأسواق طوال ذلك النهار (2).

تفيد عبارة الملاً الدربندي أنّ مذحج قاتلت ثلاثة أيّام بلياليها قتالاً شديداً لاستتقاذ الجثث الزواكي، وتفيد عبارة السيّد بحر العلوم أنّهم سحّبوا الجثث الطواهر طيلة ذلك النهار.

والمحصّل من عبارة الملاً الدربندي أنّ جرّ الجثث في الأسواق كان بعد الصلب، لأنّه يفيد أنّ مذحج جهّزتها ودفنتها بعد الاستتقاذ، والحال أنّ عبارة السيّد لا تفيد ذلك، بل ربما يستفاد منها أنّهم جرّوها في الأسواق طيلة ذلك النهار ثمّ صلّبت، وهو الأوفق بمجريات الأحداث، ويشهد له تعبير الطبري: «وأمر بهائى فسُحب إلى الكناسة فصُلب هنالك»، والله العالم.

ص: 384

1- أسرار الشهادة للدربندي: 228.

2- مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 246.

توجد ثلاث طوائف من الأخبار تتحدّث عن تجهيز الجثث الطواهر الزواكي:

الطائفة الأولى: تجهيز ابن سعد

في خضمّ الحديث عن تنفيذ وصيّة المولي الغريب (عليه السلام)، قال ابن سعد: وقضي عمر بن سعد دين مسلم بن عقيل، وأخذ جثته فكفّنه ودفنه (1).

وقال الذهبي نقلاً عن ابن سعد: ثمّ قضي عمر بن سعد دين مسلم، وكفّنه ودفنه (2).

ص: 385

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 67.

2- تاريخ الإسلام للذهبي: 2 / 269 - عن: ابن سعد.

ومن البعيد جداً أن يكون القدر المتعلق بذييل الجرو الأموي عمر بن سعد قد أقدم علي انتشارال الجثة من براثن الأندال وقد أمر اللعين بصلبها وجرّها في السوق، سيّما إذا لاحظنا أن ابن زياد قد أبي أن يقبل بتنفيذ هذا البند من الوصيّة من أول الأمر، فقال: «أما جثته فإنّا لن نشفعك فيها، إنّه ليس بأهل ممّا لذلك، قد جاهدنا وخالفنا وجهد علي هلاكنا» (1).. وابن سعد أحقر وأقلّ من أن يفعل شيئاً يتجاوز فيه سائسه ومولاه.

ثم إنّ المولي الغريب (عليه السلام) إنّما أوصاه لئلا يمثّل بجثته بعد قتله، كما صرّح الدينوري في نقله لكلام المولي الغريب (عليه السلام) عن سبب ذلك، فقال: وإذا أنا قُتلتُ فاستوهب من ابن زياد جثتي؛ لئلا يمثّل بها (2). وها هو قد مثّل به وصلبه وجرّه في الأسواق. فهو علي كلّ تقدير لم ينفذ الوصيّة في هذا البند.

الطائفة الثانية: تجهيز مذبح

ورد في مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف المشهور: فحملت عليهم مذبح، ففرّقوهم وأخذوا مسلماً وهانئاً، وغسلوهما وكفّوهما وصلّوا عليهما ودفنوهما (3). وقريباً منه قاله الطريحي في (المنتخب) والقمي في (نفس

ص: 386

- 1- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: 70.
- 2- الأخبار الطوال للدينوري: 241.
- 3- مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: 37 و38.

المهموم) والدرينديّ في (أسرار الشهادة) والحائريّ في (معالي السبطين) (1).

والظاهر من عبائر الأطياب المتأخرين أنهم اعتمدوا نقل (المقتل) المشهور، فقوة كلامهم بقوة النسخة المتداولة من (مقتل) أبي مخنف، وربّما تحركت في مدحج شيء من النخوة العشائريّة عليّ زعيمهم الذي خذلوه وأسلموه وباعوه ودينهم بدنيا الأندال والقروء، والله العالم!

الطائفة الثالثة: تجهيز زوجة ميثم

روي المتتبع المتبحر في المصادر العربيّة والفارسيّة خادم الحسين (عليه السلام) الشيخ الحائري في (معالي السبطين)، قال:

فقال الشعبي: فبقيت تلك الجثة الطاهرة علي وجه الأرض من غير غسل ولا كفن، ولما دجي الليل ونامت كل عين، شدت زوجة ميثم التمار علي نفسها، وخرجت إلي الكناس، وحملت مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وحنظلة بن مرة إلي دارها، ولما انتصف الليل ونامت كل عين، حملتهم إلي جنب المسجد الأعظم، ودفنتهم بدمائهم، ولم يعلم بها أحد إلا زوجة هانئ بن عروة، لأنها كانت في جوارها (رحمة الله عليهم ورضوانه) (2).

ص: 387

1- المنتخب للطريحي: 2 / 428، نفس المهموم للقمي: 120، أسرار الشهادة للدريندي: 228، معالي السبطين للحائري: 1 / 244. وقد أضاف الدريندي: «ودفنوهما في الجامع».

2- معالي السبطين للمازندراني الحائري: 1 / 245.

ونحن وإن لم نقف علي مصدره، لكننا نثق من خلال معرفتنا باطلاعه علي المصادر الفارسيّة والعربيّة في أنّ له مصدراً لم نعثر عليه إلي اليوم، وفي مكتبتنا عشرات المصوّرات والمطبوعات حجرياً منذ أكثر من مئة عام لم نُوفّق بعد لمراجعتها، فربما كان قد اعتمد عليها الشيخ الحائري ونقل عنها.

وربما كان إقدام هذه الحرّة العفيفة الشجاعة أوفق وأكثر انسجاماً مع ظروف الكوفة يومها، وتخاذل القوم، والرعب المسيطر علي الموقف وانهازم مذحج وغير مذحج وإعلانها الطاعة، وشماتة الأعداء وتحاملهم علي الطيبين الذين أشبعوهم قتلاً وتنكيلاً قبل أن يقتلوا، والله العالم!

الطائفة الرابعة: الصلاة عليه!

تقرّد ابن فندق -- حسب فحوصنا -- بذكر من صلّي عليه، فقال: ... صلّي عليه عمر بن سعد بعد ثلاثة أيام من قتله (1).

فإن صحّ ما قاله ابن فندق -- وهو بعيد -- فباعبار أنّ ابن سعد يعدّ نفسه من الرحم وهو الأقرب إليه، لما ذكرناه في سبب اختياره للوصيّة، ولطالما فعل الطواغيت ذلك مع أهل البيت (عليهم السلام) في الظاهر والذي يتولّي ذلك منهم في الباطن من هو أولي بهم في الله!

ص: 388

روي العلامة الحائري المازندراني في كتاب (معالي السبطين) موقف ناصر الجثمان المقدّس حنظلة بن مرّة الهمداني، وقد تحدّثنا عن نقولات خادم الحسين الحائري قبل قليل، وسوف نذكر ما رواه ونعلّق عليه لعدم وجود ما ينافيه، ونترك الإثبات والنفي للعلماء والمتخصّصين وأهل التحقيق.

قال: في بعض مؤلّفات أصحابنا، عن (قبسات) الشيخ درويش علي البغدادي: لمّا قُتل مسلم وجري عليه ما جري، ربطوا برجله حبلاً وجزّوه في أسواق الكوفة.

قال الشعبي: فمرّ به رجلٌ أعرابي من أهل واقصة يقال له: حنظلة بن مرّة الهمداني، وكان من شيعة عليّ بن أبي طالب، وهو راكبٌ علي مطية، فقال: ويلكم يا أهل الكوفة، ما فعل هذا الرجل الذي تفعلون به هذا

فقالوا: هذا خارجي، خرج علي الأمير يزيد بن معاوية.

فقال: يا قوم، بالله عليكم ما يُقال له؟ وما اسمه؟

قالوا: هذا مسلم بن عقيل ابن عمّ الحسين (عليه السلام).

فقال: ويلكم، إذا علمتم أنّ ابن عمّ الحسين فلم قتلتموه وسحبتموه علي وجهه؟!!

ثم نزل عن مطيته، وردّ يده إلي سيفه وسلّ من غمده، وحمل عليهم، وجعل يقاتل وهو يقول: لا خير في الحياة بعدك يا سيدي.

ولم يزل يقاتل حتّي قتل أربعة عشر رجلاً، فتكاثروا عليه حتّي قُتل وعجّل الله بروحه إلي الجنّة، وربطوا برجله حبلاً وسحبوه علي وجهه، حتّي رُمي علي كناسة الكوفة بجانب مسلم بن عقيل (1).

فوائد

أفاد هذا النصّ عدّة فوائد:

الأولي: أنّ الرجل الغيور كان من أهل واقصة.

الثانية: أنّه كان من شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).

الثالثة: أنّ المشهد كان غاية في البشاعة بحيث أثار هذا الغيور العابر.الرابعة: أنّ القوم غاية في الانحطاط والسقوط، وقد أقدموا علي فعالهم

ص: 390

عن علمٍ وعمد، فهم يعرفونه تماماً ويعرفون علاقته وقربه من سيّد شباب أهل الجنّة وريحانة النبيّ (صلي الله عليه وآله) ، وقد قرّعهم البطل الغيور بقوله: ويلكم، إذا علمتم أنّه ابن عمّ الحسين فلمّ قتلتموه وسحبتموه علي وجهه؟

الخامسة: صرّح القوم بخضوعهم وخنوعهم وتبعيتهم البغيضة للقرّد الأموي وتعبيرهم المقيت عن المولي الغريب سفير الحسين (عليه السلام) بأنّه خارجي.

السادسة: يبدو من قوله: «وسحبتموه علي وجهه» أنّ الجثمان كان يُسحب مكبواً علي وجهه! أو أنّهم كانوا يقلّبونه وهم يسحبونه مرّة علي ظهره ومرّة علي وجهه، أو أنّهم يسحبونه سحباً عنيفاً فتقلّب الجنّة علي جوانبها! هنيئاً لك يا أخا الحسين وابن عمّه وثقته وسفيره، لقد واسيت سيّد الشهداء (عليه السلام)!

السابعة: ما أعظم مواساته ودفاعه وغيرته وحميّه علي رجال الحقّ وسيوف الحسين وبقية الطيّبين الأبرار؛ «لا خير في الحياة بعدك يا سيّدي»!

كان عابراً، فمرّ من السوق إلي جنان الخلد عن طريق المولي الغريب (عليه السلام) .. لقد ردّ شيئاً من غربة مسلم بن عقيل ولو بعد شهادته، وانتصر لجنّته، وأذاقهم الخوف في لحظة زهولهم وطغيانهم، وقتل منهم، ورحل إلي الله مع سيّده، وأبي إلا أن يواسيه، فجرّوه بالحبال مع مَنْ لم يجد للحياة خيراً ولا طعماً ولا معنيّ بعده..

الثامنة: أنّ القوم فعلوا فعلتهم بعد الصلب، كما يظهر من قوله: «حتّي رُمي علي كنانة الكوفة بجانب مسلم».. إذ أنّهم ختموا جنائتهم بالكناسة برمي الجثث الزواكي الطواهر هناك.

التاسعة: أنّ مذحجاً لم تتقدّم بشيءٍ ولم تقاتل من أجل إنقاذ الجثث الطاهرة، وإنّما ظلّ الغوغاء السفلة يتمادون في غيِّهم وجنائتهم، حتّي وصلوا إلي الموضوع الأخير الذي كانوا يقصدونه.

العاشرة: وما أدراك ما العاشرة! ولا يطاوع القلب ذكرها ولا- يجرؤ المرء علي بيانها، ولكن نشير إليها إشارة الخائف الوجل المرتعش المرتجف المتصلّ، ونكتفي بذكر نصّ العبارة، ولا نظنّ أنّ ثمة حاجة إلي كثير تأمل حتّي يبلغ المعني إلي المتلقّي سوي أن يعرف معني (الكناسة).. «حتّي رُمي علي كنانة!!! الكوفة»..

إنا لله وإنا إليه راجعون!

وبعث عبيد الله برأس مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة إلي يزيد بن معاوية (1).

وبعث برأسه [عمارة بن صلح] مع رأس مسلم وهانئ إلي يزيد بن معاوية، وكان رسوله بهذه الرؤوس هانئ بن أبي حية الوادعي من همدان (2).

ثم بعث عبيد الله برؤوسهما إلي يزيد، وكتب إليه بالنبأ فيهما.

وكان أنفذ الرأسين إليه مع هانئ بن أبي حية الهمداني والزيير بن الأرواح التميمي (3).

قال أبو مخنف: عن أبي جناب يحيي بن أبي حية الكلبي قال: ثم إنَّ

ص: 393

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات: 67، تاريخ الإسلام للذهبي: 270 / 2.

2- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 342 / 2.

3- الأخبار الطوال للدينوري: 242.

عبيد الله بن زياد لمّا قتل مسلماً وهائناً، بعث برؤوسهما مع هانئ بن أبي حية الوادعي والزبير بن الأرواح التميمي إلي يزيد بن معاوية، وأمر كاتبه عمرو بن نافع أن يكتب إلي يزيد بن معاوية بما كان من مسلم وهانئ، فكتب إليه كتاباً أطال فيه -- وكان أول من أطال في الكتب --، فلما نظر فيه عبید الله بن زياد كرهه وقال: ما هذا التطويل وهذه الفضول؟ أكتب: أما بعد، فالحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه، وكفاه مؤونة عدوه، أخبر أمير المؤمنين -- أكرمه الله -- أن مسلم بن عقيل لجأ إلي دار هانئ بن عروة المرادي، وأني جعلت عليهما العيون، ودست إليهما الرجال، وكدتهما حتى استخرجهما، وأمكن الله منهما، فقدمتهما فضربت أعناقهما، وقد بعثت إليك برؤوسهما مع هانئ بن أبي حية الهمداني والزبير بن الأرواح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسالهما أمير المؤمنين عمّا أحب من أمر، فإنّ عندهما علماً وصدقاً وفهماً وورعاً، والسلام (1).

وعزم أن يوجه برأسيهما إلي يزيد بن معاوية.

قال: [ثم] كتب ابن زياد إلي يزيد بن معاوية: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين، من عبید الله بن زياد، الحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه، وكفاه مؤونة عدوه، أخبر أمير المؤمنين -- أيده الله -- أن مسلم بن عقيل الشاق للعصا قدم إلي الكوفة، ونزل في دار هانئ بن عروة المدحجي، وأني جعلت عليهما العيون حتى استخرجهما، فأمكنني الله منهما بعد حربٍ ومناقشة، فقدمتهما فضربت

ص: 394

أعناقهما، وقد بعثت برأسيهما مع هانئ بن [أبي] حية الوادعي والزبير بن الأرواح التميمي، وهما من أهل الطاعة والسنة والجماعة، فليسألها
أمير المؤمنين عما يحب، فإنهما ذو عقل وفهم وصدق (1).

وحمل رأسه [مسلم] إلي دمشق، و[هذا] أول رأسٍ حُمِل من رؤوسهم [رؤوس بني هاشم] إلي دمشق (2).

ثم بعث عبيد الله بن زياد برأسي مسلم بن عقيل بن أبي طالب وهانئ بن عروة مع هانئ بن [أبي] حية الوادعي والزبير بن الأرواح التميمي
إلي يزيد بن معاوية (3).

ولمّا قُتل مسلم وهانئ (رحمة الله عليهما)، بعث عبيد الله بن زياد برأسيهما مع هانئ بن أبي حية الوادعي والزبير بن الأرواح التميمي إلي
يزيد ابن معاوية، وأمر كاتبه أن يكتب إلي يزيد بما كان من أمر مسلم وهانئ، فكتب الكاتب -- وهو عمرو بن نافع -- فأطال فيه، وكان أول
من أطال في الكتب، فلما نظر فيه عبيد الله كرهه، فقال: ما هذا التطويل وما هذه الفضول؟ أكتب: أما بعد، فالحمد لله الذي أخذ لأمير
المؤمنين بحقه، وكفاه مؤونة عدوه، أخبر أمير المؤمنين أن مسلم بن عقيل لجأ إلي دار هانئ بن عروة المرادي، وأتي جعلت عليهما المراصد
والعيون، ودرست إليهما

ص: 395

1- الفتوح لابن أعمش: 105 / 5 وما بعدها.

2- مروج الذهب للمسعودي: 70 / 3، نفس المهموم للقمي: 120.

3- الثقات لابن حبان: 309 / 2.

الرجال، وكدتُهما حتّي استخرجتُهما، وأمكن الله منهما، فقدمتهما وضربت أعناقهما، وقد بعثتُ إليك برأسيهما مع هانئ بن أبي حية الوادعي والزبير بن الأروح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسألُهما أمير المؤمنين عمّا أحبّ من أمرهما، فإنّ عندهما علماً وصدقاً وورعاً، والسلام (1).

وأمر بكلّ من عرفه ممّن خرج مع مسلم، فأتي به إلي قومه، فضربت عنقه فيهم، وبُعث برؤوس من قُتل منهم إلي يزيد وكتب بالقصة (2).

وبعث ابن زياد برأسهما إلي يزيد بن معاوية (3).

قال: ثمّ كتب ابن زياد إلي يزيد: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله يزيد أمير المؤمنين من عبيد الله بن زياد، الحمد لله الذي أخذ لأمر المؤمنين بحقّه، وكفاه مؤونة عدوّه.. ثمّ ذكر قدوم مسلم بن عقيل وذكر هانئ ابن عروة، وكيف أخذهما وكيف قتلهما، ثم قال: وقد بعثتُ برأسيهما مع هانئ بن [أبي] حية الوادعي والزبير بن الأروح التميمي، وهما من أهل الطاعة والسنة والجماعة، فليسألُهما أمير المؤمنين عمّا أحبّ، فإنّ عندهما علماً وفهماً وصدقاً وورعاً (4).

ص: 396

1- الإرشاد للمفيد: 2 / 66، بحار الأنوار: 44 / 359.

2- تجارب الأمم لمسكويه: 2 / 53.

3- إعلام الوري للطبرسي: 229.

4- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 215.

وأنفذ رأسهما إلي يزيد في صحبة هانئ بن حيوة الوداعي (1).

وكتب عبيد الله إلي يزيد: أمّا بعد، فالحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه، وكفاه مؤونة عدوه، إنّ مسلم بن عقيل لجأ إلي دار هانئ بن عروة، فكدتُهما حتّي استخرجتهما، وضربتُ أعناقهما، وقد بعثت برأسيهما (2).

وبعث ابن زياد برأسيهما إلي يزيد (3).

وبعث عبيد الله بن زياد برأس مسلم وهانئ إلي يزيد بن معاوية مع الزبير بن الأروح التميمي -- أحد بني مالك بن سعد -- ومع هانئ بن أبي حية الوداعي، وأخبره بأمرهما (4).

وبعث ابن زياد برأس مسلم بن عقيل إلي دمشق إلي يزيد، وهو أول رأس حُمل من رؤوس بني هاشم.

وبعث برأسه ورأس هانئ بن عروة إلي يزيد، وكتب إليه: الحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه، وكفاه مؤونة عدوه (5).

قال الراوي: وكتب عبيد الله بن زياد بخبر مسلم وهانئ إلي يزيد بن معاوية (6).

ص: 397

1- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 321 / 10، نفس المهموم للقمي: 120.

2- المنتظم لابن الجوزي: 329 / 5.

3- الكامل لابن الأثير: 275 / 3، نفس المهموم للقمي: 120، نهاية الإرب للنويري: 403 / 20.

4- مثير الأحزان لابن نما: 18.

5- تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي: 139 و140.

6- اللّهُوف لابن طاووس: 60.

ثم بعث برؤوسهما إلي يزيد بن معاوية إلي الشام، وكتب له كتاباً صورة ما وقع من أمرهما (1).

وأرسل برأسه إليه (2).

ثم إن ابن زياد (لعنه الله) بعث كتاباً إلي يزيد (لعنه الله)، يخبره بقصتهما (3).

ثم إن ابن زياد (لعنه الله) لما قتل هائناً ومسلماً، أنفذ برأسهما إلي يزيد (لعنه الله)، وكتب: الحمد لله الذي أخذ للخليفة حقّه، وكفاه عدوّه، واعلم أيّها الخليفة أنّ مسلم بن عقيل (عليه السلام) ورد إلي هانئ بن عروة، فعرضتُ عليهما المرصيد، فضربتُ أعناقهما، وأنفذتُ إليك برأسهما (4).

عدد الرؤوس المبعوثة

ذكر ابن سعد في (الترجمة) والذهبي في (التاريخ) والطبري وابن أعثم وابن حبان والمفيد والطبرسي والخوارزمي وابن شهر آشوب وابن الجوزي وابن الأثير والنويري وابن نما وسبط ابن الجوزي وابن كثير، أنّ ابن الأمة الفاجرة بعث برأس مسلم وهانئ إلي القرد الأموي المجذور، فيما ذكر

ص: 398

1- البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 157.

2- الصواعق المحرقة لابن حجر: 117.

3- المنتخب للطبري: 2 / 428.

4- مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: 38.

المسعودي وابن حجر مسلماً فقط.

وثمّة رأسٌ ثالث ذكره البلاذري في (الجمل)، وهو رأس عمارة بن صلخب الأزدي، وأفاد نصّ مسكويه أنه بعث برؤوس من قتل من الشيعة وأنصار المولي الغريب مسلم بن عقيل (عليهما السلام).

وربما اقتصر المسعودي وابن حجر علي ذكر مسلم بن عقيل (عليه السلام) بالخصوص باعتباره الأصل وأنهما في معرض الحديث عنه.

ولا يبعد قول البلاذري ومسكويه باعتبار الأغراض المتوخاة من بعث الرؤوس لدي الطغاة من التخويف والترهيب والإرعاب والتبجح، وقد أمر الخبيث أن يقتل الشهيد السعيد عمارة بن صلخب في الأزدي (1)، زيادةً في استخفاف القوم وتخويفهم وترويعهم وتذليلهم كما لا يخفي.

ويبقى العدد الذي ذكره مسكويه غير محدد!

حاملو الرؤوس إلي الشام

قال البلاذري وابن شهر آشوب (2): «هاني بن أبي حية الوادعي من همذان»، وذكر الدينوري والطبري وابن أعثم وابن حبان والمفيد والخوارزمي وابن نما (3): «هاني بن أبي حية الهمداني والزبير بن الأرواح تميمي».

ص: 399

1- أنظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 341 / 2، تاريخ الطبري: 379 / 5.

2- ذكره ابن شهر آشوب باسم (هاني بن حيوة الوادعي)، ولعله تصحيف.

3- قال ابن نما: «الزبير بن الأرواح التميمي، أحد بني مالك بن سعد».

وربما اقتصر البلاذري وابن شهر آشوب علي ذكر الأول باعتباره المكلف الرئيسي والثاني تبع ومعين له، فاكتمل بذكر المأمور الأصلي.

ما أقسى قلوب هؤلاء الأجلاف وأغلظ أكبادهم! يطوي الصحاري والفيافي، ويقطع الليل والنهار، ويأكل ويشرب، وينام ويسترخي، ويضحك ويلهو ويلعب.. وهو يحمل معه رؤوساً مقطوعة! رؤوساً يسطع منها النور وتعلوها المهابة والجلالة.. رأس مفصول محزوز عن البدن! ووجه وضّاء مغسل بالدماء.. محاسن مخضبة مرملة.. جباه فيها سيماء السجود لله الواحد الأحد.. عيون شابحة إلي الله أحكم الحاكمين.. كيف كانوا يسرون بها؟! وحوش كاسرة وذئاب مسعورة! يقطعون المنازل والمسافات، ويطوون الفيافي والمفاوز، ويعلون الجبال ويهبطون الوديان، جذلانين مسرورين مبتهجين فرحين، يحملون معهم رؤوساً! رؤوساً مقطوعة ليُدخلوا بها السرور علي قلب القرد المتوحش القابع في قصور الشام وأقبية السقيفة! وينالوا الجائزة! ألا لعنة الله علي الظالمين!

ويكفي في تعريفهما ما ذكره ابن زياد في حقهما وهو يقدمها ليزيد، فشهد لهما أنّهما من أهل السنة والجماعة والسمع والطاعة والنصيحة، كما هو محصل كلام الطبري وابن أئثم والشيخ المفيد والخوارزمي، وعتتهما بالعقل والعلم والورع والفهم والصدق..

ولكي يُعرف من هذان الوحشان من خلال شهادة الدعويّ ابن الدعوي، لا بدّ أن نعرف ما وصف به الخبيث المولي العالم العارف والعبد

الصالح مسلم بن عقيل (عليه السلام) كلّما ذكره، وما وصف به سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) والطّيّين الأبرار من أنصاره وأهل بيته.. فإذا كان هؤلاء الذين طهّهم الله واختصّهم وانتجهم واصطفاهم عنده بتلك الصفات، فيُعرّف حينئذٍ معني العقل والعلم والصدق والورع الذي نعت به جردانه وأدعياءه..

وويلٌ لمن شهد له ابن الأمة الفاجرة عند يزيد الفاجر الزاني السكّير بأنّه من أهل السمع والطاعة والنصيحة.. النصيحة لأولاد البغايا وأعداء الله ورسوله! وويلٌ له وقد صدّق يزيد مقال ابن زياد بهما واستوصي بهما خيراً (1).

أول رأس هاشميّ يحمّل

صرّح المسعودي وسبط ابن الجوزي أنّ رأس الموليّ الغريب مسلم بن عقيل (عليهما السلام) هو أول رأس هاشميّ يحمّل، والظاهر أنّه الأول في التاريخ؛ لإطلاق العبارة، وعدم تسجيل واقعة من هذا القبيل قبل يوم سفير الحسين (عليه السلام)، فيما شهد به المسعودي في إطلاق عبارته.

وقد حاز البطل الهاشميّ سابقة الفخر هذه ونال الرتبة السامية، وواسي سيّده سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) وصحبه وأهل بيته، ورافقهم في بقيّة الطريق من الشام.

ص: 401

1- أنظر: تاريخ الطبري: 4 / 285، وغيره.

اختصر السيّد ابن طاووس وابن كثير الكلام في الكتاب، واكتفيا بالقول أنّ ابن زياد كتب كتاباً إليّ يزيد يخبره بما جري (1).

وذكر الطبري وابن أعثم نصّ الكتاب، وبينهما اختلاف يسير، بيد إنّ له دلالاته، ولذا سنكتفي بذكرهما:

قال الطبري والشيخ المفيد: ... أمر كاتبه عمرو بن نافع أن يكتب إليّ يزيد بن معاوية بما كان من مسلم وهانئ، فكتب إليه كتاباً أطال فيه، وكان أوّل من أطال في الكتاب، فلما نظر فيه عبيد الله بن زياد كرهه وقال: ما هذا التطويل وهذه الفضول؟ أكتب: أمّا بعد، فالحمد لله الذي أخذ لأمر المؤمنين بحقّه، وكفاه مؤونة عدوّه، أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أنّ مسلم بن عقيل لجأ إليّ دار هانئ بن عروة المرادي، وأنّي جعلتُ عليهما العيون، ودسستُ إليهما الرجال، وكدّتهما حتّي استخرجهما، وأمکن الله منهما، فقدّمتهما فضربتُ أعناقهما، وقد بعثتُ إليك برأسيهما مع هانئ بن أبي حية الهمداني والزبير بن الأرواح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسألهما أمير المؤمنين عمّا أحبّ من أمر، فإنّ عندهما علماً وصدقاً وفهماً وورعاً، والسلام (2).

وقال ابن أعثم: [ثمّ] كتب ابن زياد إليّ يزيد بن معاوية: بسم الله

ص: 402

1- أنظر: اللهوف لابن طاووس: 60، البداية والنهاية لابن كثير: 157 / 8.

2- تاريخ الطبري: 380 / 5، الإرشاد للمفيد: 66 / 2، بحار الأنوار: 359 / 44.

الرحمن الرحيم، لعبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين، من عبيد الله بن زياد، الحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه، وكفاه مؤونة عدوه، أخبر أمير المؤمنين أيده الله أن مسلم بن عقيل الشاق للعصا قدم إلي الكوفة، ونزل في دار هانئ بن عروة المذحجي، وأني جعلت عليهما العيون، حتى استخرجتهما، فأمكنني الله منهما بعد حربٍ ومناقشة، فقدمتهما فضربت أعناقهما، وقد بعثت برأسيهما مع هانئ بن [أبي] حية الوادعي والزبير بن الأرواح التميمي، وهما من أهل الطاعة والسنة والجماعة، فليسألها أمير المؤمنين عما يحب، فإنهما ذو عقلٍ وفهمٍ وصدق (1).

وقد احتوي الكتاب -- حسب النصين -- علي جملة من المعلومات، نشير إليها باختصار شديد:

المعلومة الأولى: التصريح بأسماء حاملي الرؤوس.

المعلومة الثانية: أن كاتب ابن زياد هو عمرو بن نافع، وقد أطل، وكان أول من أطل في الكتب، ويبدو أن هذه المعلومة التي زرقها الطبري هنا غير دقيقة، فإن أمير المؤمنين وسيد الموحدين (عليه السلام) كتب كتاباً طويلة منها عهده لمالك الأشر.

المعلومة الثالثة: أن الكتاب من ألفاظ ابن زياد، لأنه يصرح أنه كره التطويل وأمره أن يكتب ما يمليه عليه.

المعلومة الرابعة: احتوي الكتاب علي حزمة معلوماتية امتازت بتشويه

ص: 403

1- الفتوح لابن أعم: 5 / 105 وما بعدها.

الحقائق، واحتشد فيها الكذب، وحشيت بالمبالغات الفجّة التي شاء ابن زياد أن يعظم فيها دوره ويتمطي علي يزيد ويفتل أمامه شاربه المدنس.

المعلومة الخامسة: بعث إلي يزيد بعبدین من عبیده المخلصین، اللّذين يعتمد عليهما ويطمئنّ لقولهما وخبرتهما في الكذب والتزويق والتنميق وعرض الصورة المطلوبة له أمام سائسه.

وسنسمع في الإشارات التالية بعض كذباته المقصودة:

الكذبة الأولى: حمد الله علي شيء يبغضه الله ويسخط عليه، في محاولةٍ بائسةٍ منه للتّمويه والانتساب إلي الله، جلّ وعلا وتبارك سبحانه وتعالی عمّا يقول الظالمون.

الكذبة الثانية: خطابه ليزيد الخمر والفسق والزنا بالمحرمات والفجور واللعب بمثله من إخوانه من القروذ بأقدس خطاب (أمير المؤمنين)!

الكذبة الثالثة: زعمه أنّ الله أخذ ليزيد الفاجر حقّه من مسلم بنعقيل، وأيّ حقّ كان لهذا الدعي؟! وكيف أخذه الله له؟!!

الكذبة الرابعة: زعمه أنّ الله كفي يزيداً مؤونة عدوّه، ولا زالت مؤونة عدوّ يزيد تلاحقه وستبقي «حتّي يبعث الله قائماً»!

الكذبة الخامسة: أنّ مسلماً (عليه السلام) لجأ إلي بيت هانئ في نصّ الطبري، في إشارة إلي ما يريد أن يروّجه المؤرّخ عن المولي الغريب (عليه السلام) ويرسمه لابن زياد من دور فاعل فيما يأتي من كلامه.. وهذا ما فرضه ابن زياد علي التاريخ، فجري قلم المؤرّخ بما أراد وسري في الصفحات حتّي اقتنع به

يلاحظ الخبث في تعبير: «لجأ»، فيما عبّر ابن أعثم: «نزل»، ولفظ أبي مخنف في (المقتل المشهور): «ورد».

إنّ الفتي الطالبي دخل بيت هاني قاصداً غير مضطراً ولا مُكره ولا لاجئ، بل دخل ضمن خطته التي رسمها له سيّد الشهداء (عليه السلام) الذي أوصاه أن ينزل عند أوثق أهلها، وقد بايعه في تلك الدار ثمانية عشر ألفاً!

الكذبة السادسة: رسم الخبيث لنفسه دوراً عرضة أمام يزيد، ليعلن علي رؤوس الأشهاد ويسجّله له التاريخ، وكأنّه قد بادر واستقصي وكاد واحتال واستعمل أساليبه الفريدة فاستخرج مسلماً وهانياً.. ومن هنا نفهم اللّغز في تسخير قصّة معقل وما شاكلها المنسوجة علي نفس هذا المنوال والطامحة لتأكيد هذا المقال.. جعلت عليهما العيون؟! ودرست إليهما الرجال؟! وكأنّه يريد أن يمتطي أكتاف يزيد ويركب عنق التاريخ، ليسيره كيف يشاء ويملي عليه ما يسجله.. أيّ عيون جعلها عليهما وقد فتحا باب دار هاني لاستقبال أفواج المبايعين؟! وأيّ رجل استطاع أن يخترقهما ويخدعهما؟! إنها كذبة فجّة وقيحة تدنّس ساحة القدس الطاهرة لأصحاب الحسين وسيوف سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وقد أتينا علي مناقشتها مفصّلاً تحت عنوان (قصّة معقل) وغيرها من الدراسات..

الكذبة السابعة: ساق الدعيّ قصته باقتضاب مقصود؛ «استخرجتهما

وأمكن الله منهما فقدّمتهما فضربت أعناقهما..»، هكذا بسهولة وبتفريع بالفاء المستعجلة، وكأنّهما لقمة سائغة لآكل متنزه.. وكأن لم تتزلزل الكوفة، ولم يخنس منكوساً في أقبية السقيفة، ولم ينجر في ظلمات قصر الخبال، ولم يقتل رجاله وصناديده، ولم يحدث أكثر من أن يكون رجل التجأ إلي رجل واختبأ معاً واختفيا، فجعل عليهما العيون ودس إليهما الرجال.. دس خفية فالتقطتهما، فقدّمهما علي عجل وضرب أعناقهما وبعث برأسيهما! جعل العيون ودس الرجال.. وكأن لم تكن كتائب القوم تُسحق ورؤوسهم تطير بسيف البطل الهاشمي!!

وقد جاءت زيادة في نصّ ابن أعثم تتسجم أكثر مع مجريات الأحداث، حيث قال: «فأمكنني الله منهما بعد حربٍ ومناقشة».

جواب يزيد علي كتاب ابن زياد

إشارة

البلاذري: كتب إليه (يزيد): أنك لم تعد ان كنت كما أحبّ، عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع، وحققت ظنّي بك. وقد بلغني أنّ حسيناً توجه إلي العراق، فضع المناظر والمسالح وأذك العيون، واحترس كلّ الاحتراس، فاحبس علي الظنّه، وخذ بالتهمة، غير أن لا تقا تل إلا من قاتلك، واكتب إليّ في كلّ يوم بما يحدث من خير إن شاء الله (1).

الدينوري: فكتب إليه يزيد: لم نعد الظنّ بك، وقد فعلت فعل الحازم

ص: 406

الجليد، وقد سألتُ رسولك عن الأمر، ففرشاه لي، وهما كما ذكرتَ في النصح وفضل الرأي، فاستوص بهما. وقد بلغني أن الحسين بن علي قد فصل من مكة متوجّهاً إلي ما قبلك، فأدرك العيون عليه، وضع الأرصاء علي الطرق، وقم أفضل القيام، غير ألا تقاتل إلا من قاتلك، واكتب إلي بالخبر في كل يوم (1).

الطبري: فكتب إليه يزيد: أما بعد، فإنك لم تعد أن كنت كما أحبّ، عملتَ عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، فقد أغنيتَ وكفيت وصدقتَ ظني بك ورأيي فيك، وقد دعوت رسولك فسألتُهما وناجيتُهما، فوجدتُهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيراً. وإته قد بلغني أن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس علي الظنّ وخذ علي التهمة، غير ألا تقتل إلا من قاتلك، واكتب إلي في كل ما يحدث من الخبر، والسلام عليك ورحمة الله (2).

ابن أعمش: ثم كتب إلي ابن زياد: أما بعد، فإنك لم تعد إذا كنتَ كما أحبّ، عملتَ عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابض، فقد كفيت ووقيت ظني ورأيي فيك، وقد دعوت رسولك فسألتُهما عن الذي ذكرت، فقد وجدتهما في رأيهما وعقلهما وفهمهما وفضلهما ومذهبهما كما ذكرت،

ص: 407

1- الأخبار الطوال للدينوري: 240.

2- تاريخ الطبري: 4 / 285.

وقد أمرتُ لكلِّ واحدٍ منهما بعشرة آلاف درهم، وسرّحتهما إليك، فاستوصِ بهما خيراً. وقد بلغني أنّ الحسين بن علي قد عزم علي المسير إلى العراق، فضع المراصد والمناظر واحترس، واحبس علي الظنّ، واكتب إليّ في كلِّ يوم بما يتجدّد لك من خير أو شرّ، والسلام (1).

المفيد: فكتب إليه يزيد: أمّا بعد، فإنّك لم تعد أن كنت كما أحبّ، عملتَ عملَ الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجاش، وقد أغنيتوكفيتَ وصدقت ظنّي بك ورأيي فيك، وقد دعوتُ رسوليك فسألتهما وناجيتهما، فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوصِ بهما خيراً. وإنّه قد بلغني أنّ حسيناً قد توجّه إلى العراق، فضع المناظر والمسالح واحترس، واحبس علي الظنّة واقتل علي التهمة، واكتب إليّ فيما يحدث من خبر إن شاء الله (2).

الخوارزمي: ثمّ كتب لابن زياد: أمّا بعد، فإنّك عملتَ عملَ الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجاش، فكفيت ووفيت، وقد سألتُ رسوليك فوجدتهما كما زعمت، وقد أمرتُ لكلِّ واحدٍ منهما بعشرة آلاف درهم، وسرّحتهما إليك، فاستوصِ بهما خيراً. وقد بلغني أنّ الحسين بن علي قد عزم علي المصير إلى العراق، فضع المراصد والمناظر والمسالح واحترس، واحبس علي الظنّ واقتل علي التهمة، واكتب في ذلك إليّ كلّ

ص: 408

1- الفتوح لابن أعمش الكوفي: 5 / 61.

2- الإرشاد للمفيد: 2 / 64.

يوم بما يحدث من خبر (1).

ابن شهر آشوب: كتب: قد بلغني أنّ الحسين قد عزم إليّ المسير إليّ العراق، فضع المراصد، واحبس عليّ الظنّ واقتل عليّ التهمة حتّى تكفي أمره (2).

ابن الأثير: فكتب إليه يزيد يشكره ويقول له: وقد بلغني أنّ الحسين قد توجّه نحو العراق، فضع المراصد والمسالح واحترس، واحبس عليّ التهمة وخذ عليّ الظنة، غير أنّ لا تقتل إلاّ من قاتلك (3).

ابن طاووس: فأعاد الجواب إليه يشكره فيه عليّ فعالة وسطوته، ويعرفه أنّ قد بلغه توجّه الحسين (عليه السلام) إليّ جهته، ويأمره عند ذلك بالمؤاخاة والانتقام والحبس عليّ الظنون والأوهام (4).

ابن نما: وكتب يزيد بن معاوية إليّ عبيد الله بن زياد: قد بلغني أنّ حسيناً قد سار إليّ الكوفة، وقد ابتلي به زمانك من بين الأزمان وبلدك من بين البلدان وابتليت به من بين العمال، وعندها تعتق أو تعود عبداً كما تعبد العبيد (5).

النويري: فكتب إليه يزيد يشكره ويقول له: قد بلغني أنّ الحسين بن

ص: 409

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 214 وما بعدها.

2- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 10 / 319 وما بعدها - بتحقيق: السيّد عليّ أشرف.

3- الكامل في التاريخ لابن الأثير: 4 / 36.

4- اللهوف للسيّد ابن طاووس: 37.

5- مشير الأحزان لابن نما: 40.

عليّ توجّه نحو العراق، فضع المراصد والمسالح واحترس، واحبس عليّ التهمة وخذ بالظنّة، غير إلّا تقتل إلّا من قاتلك (1).

الطريحي: فكتب إليه الجواب يقول: كنت كما أردتُ وفعلت ما أحببتُ وصدقت ظنيّ فيك، وقد بلغني أنّ الحسين متوجّه إلى العراق، فضع عليه المراصيد، واكتب إليّ بما يحدث من الأمور، والسلام (2). أبو مخنف: قال: فلمّا وصل الكتاب إلى يزيد فرح واسترّ، ثمّ كتب جوابه: أمّا بعد، فقد علمت أنّك أحبّ الناس إليّ، ولعمري لقد نصحت وأغنيت وكفيت وصلت صولة الأسد، ولقد دعوتُ رسوليك وسألتهما عمّا شرح، فوجدتهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيراً. وقد بلغني أنّ الحسين توجّه إلى العراق، فضع المراصد واكتب إليّ كلّ يوم بخبره (3).

مقاطع الكتاب:

إشارة

احتوي الكتاب الموجّه من القرد الأموي إلى جروه المسعود ابن زياد عليّ مقاطع أصلية:

المقطع الأوّل: ذكر ابن زياد وشكره

إشارة

شكر اللعين فعلة ابن زياد من خلال وصفه ونعت فعله، فوصفه:

ص: 410

1- نهاية الأرب للنويري: 20 / 403.

2- المنتخب للطريحي: 417 وما بعدها.

3- مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: 55 وما بعدها.

الوصف الأول: إنَّ ابن زياد كما يحبَّ يزيد

إنَّه كما يحبُّ وكما كان يظنُّ فيه ويتوقَّعه وينتظره، إذ إنَّه يعرف من قبل ابن زياد وأبيه، فإنَّهما منذ أن دتَّسا الأرض بأقدامهما، نشأ تحت أغصان الشجرة الملعونة يرعيان في بستان القروذ الأموية، حتَّى نسب معاوية زياداً إلي أبيه!

وتاريخ ابن زياد البطاش المجرم الآذي يسفك الدم الحرام ولا يمتنعن ارتكاب جميع الآثام وهو يلهو ويلعب وكأنَّه لم يفعل شيئاً، كما شهد به المولي العارف العالم ابن عقيل!

ولا يخفي أنَّ يزيداً الخبيث إنَّما شكره علي قتل البطل الهاشمي وأنصاره وشيعة أمير المؤمنين، وفق ما حدَّث به ابن زياد نفسه وأخبره به الرسولان.. وهو قد سوَّه الأحداث وغير الحقائق بالشكل الذي يبدو فيه بطلاً شجاعاً وذكياً حاذقاً ماهراً، ولم ينقل له الحقيقة كما وقعت في الكوفة، ولم يفصّل ما فعله الفتى الطالبى، والخرج والمأزق الذي تورط به، والأيام الصعبة العسيرة المكفهرة التي أظلم نهاره عليه بظلِّ مسلم بن عقيل الآذي سدَّ عليه الفروج وجحره حتَّى أوصد عليه أبواب القصر وبقي يتمنّى اللحظة التي تنقذه من هذا الوجود المهيمن علي سير الأحداث والموجّه لمجرياتة..

وقد عرفنا يزيد بما وصفه لنا التاريخ وما شهد به سيّد الشهداء وخامس أصحاب الكساء الحسين (عليه السلام)، وبه نعرف من يكون رضاً له ومحبوياً لديه!

الوصف الثاني: وصفه بالحزم

الحزم: ضبط الرجل أمره والحذر من فواته، وفي الحديث: أَنْ تَنْتَظِرَ فُرْصَةَ تَكَّ وَتُعَاجِلَ مَا أَمَكَّنَكَ، وكذا ورد في الحديث أيضاً في الحزم: الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتحسين الأسرار. فالحزم أن تقدم العمل للحوادث الممكنة قبل وقوعها (1). وهذا الوصف أبعد ما يكون عن ابن زياد، غير إنّه وصف ليزيد ما فعله، فكان وصف يزيد تكرار لما نسبه ابن زياد لنفسه، فقد زعم أنّه استقبل الأمور مع مسلم بن عقيل استقبالاً وجعل عليه العيون ودسّ إليه الرجال، وغيرها من الفعال التي تفيد أنّه قد عرف بالضبط ما يدور حوله وأخذ زمام المبادرة بيده.. والحال أنّ سفير الحسين (عليه السلام) كان هو المبادر طيلة فترة وجوده في الكوفة حتّى وقع أسيراً بعد أن صرعتة الجراحات الثقيلة وبلغ به العطش، بل حتّى بعد أن وقع في الأسر كان هو المهيمن علي الموقف بلسانه ومواقفه وشجاعته، بحيث أخرج الطاغية وألقمه الأثلب والكثكث ملاً فمه.

الوصف الثالث: وصفه بالشجاع

وصفه بقوله: صلت صولة الشجاع.. الرابض ...

لابدّ ليزيد أن يشجّع جروه ويشدّ قلبه وأزره ويلقنه أنّه كفؤ لما أمر به؛ لأنّه يحتاجه فيما يستقبل من الأيام، ومضطرّ لعرضه كسلطان متسلّط

ص: 412

1- أنظر: مجمع البحرين للطريحي: مادة (حزم).

صاحب سطوة وبطش ليخيف به ويرعب الناس..

أي شجاعةٍ بدت من الدعي؟ في أي موقفٍ من مواقفه بين يدي البطل الطالبِيّ ثبت؟

أحين دخل النظارة وهم ينادون: جاء ابن عقيل، فانسَلَّ عن المنبر وترك جموع المحتشدين في المسجد يسمعون خطابه وانجحر في القصر وأوصد الأبواب؟!

أم حين تفرَّق عسكره في الكوفة بعد أن نودي بالشعار، فبقي يقرض ذيله ويتشبَّث بالرجال حوله استيحاشاً؟!

أم حين انفصَّ الجمع وولّوا الدبر ليلة أحاطوا بالقصر، فأبي أن يخرج إلا أن تنزل شعل نيران المشاعل وتمسح ما تحت التختاج؟!

أم حين أراد أن يصلّي بالناس وقد أحاط به الحرس والشرطة وجعل الحرس الخاص حوله وكلف أمير شرطته أن يبقى واقفاً مراقباً؟!

لم يظهر في المسجد للناس إلا بعد أن كان يطمئن من تأمين الحماية الكافية، فيخرج والسيوف تلمع بين يديه وتحيطه من كلّ حدب كالحلقة.. وهو مع ذلك يتلدد يميناً وشمالاً؟!

لم يسجّل له أيّ مواجهةٍ مع البطل الطالبِيّ قبل أن يقع في الأسر.. وبعد الأسر كان يرتجف رغم سطوة السلطان، ولم يمثل بين يدي سفير الحسين إلا بعد أن توثق من وثاق الأسد الهصور وأنه قد كُتِف، ومع ذلك فقد أدخل إلي المجلس والجلالوزة تحيط به.. خوفاً وفرقاً من سطوة سليل

ص: 413

لقد شهد التاريخ والنسب والحسب والسيره الذاتية كل صور البطولة والشجاعة لمسلم بن عقيل (عليه السلام)، ولا زالت ذكريات بسالته وشجاعته وسطوته ترنّ في أسماع الزمن وتتجاوب بها جدران المسجد الأعظم وقصر الإمارة.. كما قد شهد التاريخ بجبن ابن الأمة الفاجرة رغم بطشه إذا كان معه أحد، وقد أتينا علي تفصيل ذلك في دراساتٍ سابقة.

الوصف الرابع: رباط الجأش

وصفه بأنّه رباط الجأش، والجأش: القلب، والنفس، والجنان. يقال: فلان رباط الجأش: أي ثابت القلب، لا يرتاع ولا ينزعج للعظام والشدائد (1). والقلب وهو روعة إذا اضطرب عند الفزع، يقال: فلان رباط الجأش: أي ربط نفسه عن الفرار لشجاعته (2).

والكلام هنا تماماً كالكلام في وصفه بالشجاعة، وأيّ قلب كان لابن زياد وأيّ ثبات ورباطة جأش وهو يتفرقع كالشعيرة علي حديدية محماة، ولا يهدأ له روع مع كلّ ما يحيط به من جند وشرطة وغوغاء؟! وقد سلبه مسلم بن عقيل قراره وأفرغ قلبه وجعله خاوياً مضطرباً، وهو وحده لا ناصر له ولا معين!

لقد كانت صورة مسلم بن عقيل وشجاعته وصولته تجيش في أعماق

ص: 414

1- أنظر: النهاية في غريب الحديث: مادة (جاش).

2- أنظر: مجمع البحرين للطريحي: مادة (جيش)، ولسان العرب: مادة (جاش).

ابن زياد الرعب والخوف، فكان يجيئس لها الذئاب التي تحوطه لتمزق أوصاله، أمّا هو نفسه فقد التصق بجدران القصر العالي الأسوار المنيع المحصّن بالأبراج كأنه القلعة المنيعة.. وقد ملأ الكوفة خيلاً ورجالاً، وحشد الغوغاء وشيوخ العشائر والعرفاء، ومسلم وحده يدير الميدان كما يحلو لسيفه، ويستحثّ ملك الموت ومالك خازن النيران ويوجههما حيث يشاء!

أجل، لابن زياد قدم راسخ وجأش رابط في الإقدام علي حرّمات الله وارتكاب كلّ ما حرّمه الله، إرضاءً لعبدة الشيطان واتباعاً لمردة عفاريت السقيفة والمجرمين بحقّ البشريّة طول الزمان.

وهكذا قس بقيّة ما وصف به القرد المجدور جروه المسعور في باقي الكتاب..

المقطع الثاني: ذكر الرسولين ومدحهما

إشارة

أفادت جملة النصوص الواردة فيما ذكره القرد المجدور يزيد حول الرسولين ورأيه فيهما عدّة نقاط:

النقطة الأولى: دعوتهما من قبل يزيد

المفروض أنّهما رسولان لقرد هند ويحملان معهما كنزاً ثميناً وبشري لابن آكلة الأكباد، فلا بدّ أن يستقبلهما ويستلم منهما الكتاب والرؤوس.

بيد إنّه عبّر عن ذلك بالدعوة، أو إنّه خصّهما بدعوة وأقام لهما مأدبة

ص: 415

وخلي بهما لتكون لهما ميزة وزلفة خاصة، ويُشعرهما وغيرهما أنّهما مقربان، كما تفيد لفظ «وناجيتهما»، والإقبال عليهما بالسؤال منهما والاهتمام بشأنهما.

النقطة الثانية: شرح ما ذكره ابن زياد

إنّهما شرحا له ما ذكره ابن زياد وفرشاه له وأطالا فيما اختصره الكتاب، وقد شهد يزيد أنّهما تحدّثا تماما كما ذكر ابن زياد، فهما رسولان من عنده ومكلفان من قبله أن يرسمان للقرد المجدور الصورة التي يريدّها هو وفق مشتبهاته، فهما لم يحدثاه بما جري كما جري وإنّما كما أراد ابن زياد أن يخبر به ويرسمه.

النقطة الثالثة: تأكيد يزيد علي نذالتهما

لقد شهد ابن زياد لهذين العلجين بالنصيحة والإخلاص والرسوخ في مذهبهما، فلمّا خالطا القرد المخمور واستروح منهما قيأه شهد لهما بجميع ما شهد لهما به جروه، وفي هذا كفاية لمعرفة لهما والاطلاع علي مدي انصهارهما في الولاء لأولاد البغايا.

النقطة الرابعة: الجائزة والوصية بهما

أمر يزيد لكل واحدٍ منهما بعشرة آلاف، كما في نصّ ابن أعثم والخوارزمي، واستوصي بهما ابن زياد! فأَيّ بشري أدخلاه علي قلب هذا القرد المنحط، وأيّ شيء وجد فيهما وعرفه في خلالهما وخصالهما وخلوصهما ونصيحتهما، بحيث نالا عنده الحظوة وتقربا إليه بهذه الخطوة؟

أشار القرد الأبقع في ذيل كتابه إلي خبر مهم بلغه، وهو توجه سيّد شباب أهل الجنّة إلي العراق! والحال أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) توجه إلي العراقي الثامن من ذي الحجة، وهو يوم النداء بالشعار، فكان خروجه من مكّة بعد أن استتبّ الوضع وأعلنت الكوفة إذعانها وخنوعها وخصوعها الكامل للسلطة، وقد استبق الأحداث باتخاذ كلّ التدابير لملاحقة سيّد الشهداء ومحاصرته واستئصال آل محمّد وذرية الطاهرة البتول فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وهو اليوم الذي كان يسعى إليه الثائرون لقتلي بدر وأحد والأحزاب ويتمناه جردان السقيفة ورؤوسها ويخطّط له ذراري القروود والوزغ.. ليتسنيّ لهم ترويح جمرة الانتقام التي لا تخمد في قلوبهم الوغرة علي النبيّ وأمير المؤمنين علي (عليه السلام) ..

فقد حاصره الرجس النجس في مدينة جدّه رسول الله (صلي الله عليه وآله) ومسقط رأسه حتّي خرج منها تحت جُنح اللّيل البهيم، وأمر أن تؤخذ منه البيعة وإلّا فهو ينتظر علي عجل رأسه مع جواب الكتاب.. ثمّ حاصره في مكّة حرم الله الآمن، ودسّ شياطينه ليقتل ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة.. فخرج الإمام الغريب المظلوم مشرّداً مطارداً، متوجّهاً إلي الأرض الموعودة ميمّماً كربلاء، وإن كانت وجهته المعلنة الكوفة التي وعدته النصر والوفاء.. بيد أنّه سمع في الطريق -- بغضّ النظر عن علم الإمامة -- بنأ شهادة مسلم (عليه السلام) ومَن معه، وارتداد الناس هناك وفقدان الناصر، وأن ليس له فيها سيف ولا

كسر سيف، وأنّ الصحراء قد نظمت خيلاً ورجالاً، وأطبق علي الكوفة ومداخلها ومخارجها إطباقاً لا يسمح أن يتسلل إليها أحدٌ إلا إذا فُتس، ومع ذلك استمرّ في المسير..

قد أصدر ابن آكلة الأكباد حزمةً من الأوامر لجروحه المتوحّش في ذيل الكتاب تخصّ مستقبل الأحداث المترقبة القريبة:

الأمر الأوّل: وضع المناظر والمسالح، ووضع الإرصاء علي الطرق.

الأمر الثاني: إذكاء العيون.

الأمر الثالث: الاحتراس كلّ الاحتراس.

الأمر الرابع: الحبس علي الظنّة.

الأمر الخامس: الأخذ بالتهمة والقتل علي التهمة حتّي يكفي أمر سيّد الشهداء (عليه السلام).

الأمر السادس: أن لا يقاتل من لا يقاتله.

الأمر السابع: أن يكتب إليه في كلّ يوم بما يحدث من خبر ويتجدّد من خير أو شرّ. ولا ندري ما إذا كان البريد يصله كلّ يوم أو خلال أيام قليلة جداً بحيث يصدق عليه أنّه يكون مطلعاً علي كلّ ما يحدث ويتجدّد..

هذه الأوامر الصارمة تكشف عن أجواء الرعب التي خيّم علي المنطقة الممتدة في الصحراء التي يتحرّك فيها الركب الحسيني الفاتح، وتنبئ عن الارتجاج والزلازل الهائل الذي ضرب الكوفة وضواحيها ومخارجها

ص: 418

ومواجهها، فالعيون حادة محدقة تحصي الأنفاس في جميع الأرجاء، وتمتدّ إلي أقصى الخصوصيات، وتخرق حريم العشائر والقبائل والدور والبيوت والقوافل، والحركة مرصودة ولو كانت ديباً في رمال المفاز والصحاري والقفار، والمسالح والمناظر والمراصد مزروعة في كلّ اتجاه، والربايا تجعل الطرق تحت الإشراف المباشر لملاحظات العساكر.. العساكر التي كانت تجوب الصحراء تبحث عن الصيد السماويّ الأعظم، المتعطّشة للولوغ في الدماء الزاكية، المتألّبة علي انتهاك حرم الله وحرم رسوله.. وقد أعدّت مخالباها وأنيابها لتقطيع أوصال العترة الطاهرة، واشتدّ ولعها وتجيّش توحشها لاستخراج العلقة من جوف سيّد الشهداء (عليه السلام) ..

وقد أطلقت الوحوش الكاسرة علي كلّ ما هبّ ودبّ في الكوفة، لتكون مجرد التهمة كافية لاستباحة الحريم، والظنّة موجبةً لسفك الدم..

لقد التهبت شوارع الكوفة وأزقتها، وانتشرت النار إلي أطرافها وأكنافها والمنازل والطرق المؤدية إليها.. واستسلم الناس فيها للطاغية حينما استخفّهم فأطاعوه.. فازدحمت المناهج والسكك بالرجال، يتكالبون علي التقرب إلي ابن الأمة الفاجرة، فارتفع الضجيج وتعالى الصخب، وانبثت الضوضاء تلفّ الأجواء، وتداخلت أصوات قعقة السلاح وصهيل الخيل ودبك حوافرها وسنابكها وأزيز شحد السيوف وبري الرماح وقدهح النبال، وزعقات الرجال يخبطون الأرض ويثيرون رمال الفيافي والصحراء يستعدّون لارتكاب الجريمة العظمي..

فأغضبت

الله في قتله

وأرضت

بذلك شيطانها

عشيّة

أنهضها بغيتها

فجاءته

تركب طغيانها

بجمع من

الأرض سدّ الفروج

وغطّي

النجود وغيطانها (1)

وأما أمره أن لا يقاتل من لا يقاتله -- كما ورد في بعض المصادر --، فلئلا يتورّط في حربٍ جانيّةٍ ويتشاغل بصراعاتٍ تفرّق عسكره وتبدّد قوّته وتضعف جانبه في الحرب التي يسعى لها حفيد أبي سفيان، فلا يحقّق له ما يروم من قتل سيّد الشهداء (عليه السلام).

المقطع الرابع: تهديد ابن زياد

ذكر الشيخ ابن نما الكتاب محتويّاً علي تهديدٍ غليظ، قال: وقد ابْتُلي به زمانك من بين الأزمان وبلدك من بين البلدان وابتليت به من بين العمال، وعندها تعتق أو تعود عبداً كما تعبد العبيد (2).

ربما كان هذا في ذيل تلك المقدّمة والأوامر الصادرة من ابن آكلة الأكباد، ليذكّره بماضيه ويحسسه بمزايا الوضع الذي هو يعيشه الآن، ويجعل له حافزاً إضافياً في قتاله مع سيّد الشهداء (عليه السلام).. فالقضيّة لا تتوقّف بعدئذٍ عند أحقاد ابن زياد وحوافزه الخاصّة ومنطلقاته وعقائده الأصليّة.. وإتّما تحولت إلي وجود أو عدم؛ أن يكون أو لا يكون.. سلطنة وتفرعن

ص: 420

وإمارة وحظوة وعود خاص يتميّز به من فروع الشجرة الملعونة وحشر مع قرودها المتدلّية من أغصانها في الجحيم، أو عبودية ورقية وطرد
من حظيرة القروء!!

ومن هنا يمكن أن تلوح أحقاد يزيد واستعجاله في قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) وتربصه لهذا ليوم الثأر، وقوّة نهمه لشرب الدماء الزواكي
والتشقي واستنهاض المشايخ الذين أطاح رؤوسهم أمير المؤمنين في بدر..

ص: 421

قال ابن أعمش: فلمّا ورد الكتاب والرأسان جميعاً إلي يزيد بن معاوية، قرأ الكتاب، وأمر بالرأسين فنُصِبَا علي باب مدينة دمشق (1).

وقال ابن شهر آشوب: فنصب الرأسين في دربٍ من دمشق (2).

وقال ابن نما: فلمّا بلغه الكتاب مع الرأسين فرح فرحاً شديداً، وأمر أن يُصلبَا علي باب دمشق (3).

لقد فرح الطاغية القرد المجذور، وأمر بنصب الرأسين المقدسين علي باب دمشق، كما نصب رأس سيّد الشهداء (عليه السلام) وأصحابه الأبرار الأوفياء، وما أشوق مسلم بن عقيل لرؤية وجه الحسين! وقد التقيا..

ص: 423

-
- 1- الفتوح لابن أعمش: 5 / 108، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 215. وانظر أيضاً: المحبّر لابن حبيب: 490، تسليّة المجالس لابن أبي طالب: 2 / 204.
 - 2- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 10 / 321.
 - 3- مثير الأحزان للجواهري: 28.

فمن بعض المقاتل أن رأس مسلم كان معلقاً علي باب دمشق إلي ورود الرؤوس وأهل البيت إلي الشام، فلمّا وصلوا في الباب انحنى رأس الحسين (عليه السلام)، وكذلك رأس مسلم انحنى، وتعانقا، وجرت الدموع علي خديهما.. (1).

لفتة

إنّ بقاء الرؤوس المقدّسة كلّ هذه الممدّد الطويلة حيّة كأنّها بعد لم تُفصل عن أبدانها حتّي يميّزها الناظر فيعرف الرأس وينسبه إلي صاحبه، لمن المعاجز التي لا يُلتفت إليها غالباً.. الرأس محزوز، قطع مفصول عن البدن، معرض للهواء والشمس وعوامل التأثير الأخرى التي تؤثر في البشرة الحيّة التي يسري فيها الدم وهي لا تزال علي حالها.. إنّها لمن كرامة الله ومعاجز الأولياء المقربين.

بيد أنّنا نقرأ الخبر غالباً ونمرّ عليه مروراً سريعاً، كما يذكره المؤرّخ ويمرّ بسرعة علي عاداته في هذه المواضع.. وربما علّل ذلك بتعليل من عند نفسه، فيغفل القارئ عن النظر في غير ما يعلّله المؤرّخ باعتباره قد وفرّ له سابقة يقرأ الخبر من خلالها.. كما فعل الطبريّ وابن حجر حينما رويَا جناية خالد بن الوليد مع رأس الشهيد مالك بن نويرة. قال ابن حجر: أنّ مالك بن نويرة كان كثير شعر الرأس، فلمّا قُتل أمر

ص: 424

1- مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) للشيخ محمّد رضا الطبسي: 250.

خالد برأسه فنصب أثقبة لقدر، فنضج ما فيها قبل أن يخلص النار إلى شؤون رأسه (1).

وفي لفظ الطبري: فإنّ القدر نضجت وما نضج رأسه من كثرة شعره، وقي الشعر البشره حرّها أن يبلغ منه ذلك (2).

فجاء من روي عنه ونقله مع التعليل البارد، ولم يسأل نفسه أن لو كان الشعر جبلاً لا حترق بأول شرارة نار تصل إليه في لحظات، فكيف بشعر رأس واحد؟! فهو مهما كان كثيراً وكثيفاً فإنه لا يبقى هذه المدّة بتاتاً في الحالة العادية..

لم لا يقال: إنّها كرامة من الله لهذا الرجل المطيع لله في وليّه والمقتفي أثر وصيّيه، وإعلاءً لشأنه وتنويهاً بحفظ الله له من شماتة الأعداء وتشفيهم، ودحضاً للقوم وكسراً لحجّتهم التافهة!!

وكذا هو رأس مولانا المظلوم ورؤوس الأطياب الأطهار، وقد نقلوا رأس المولي الغريب (عليه السلام) من الكوفة إلى الشام ونُصب هناك وهو لا زال مسلماً، يراه الناس فيعرفونه بوجهه الوضاء المضرّج بالدماء حيّاً مشرقاً يشعّ علي الكون بأنواره..

ص: 425

1- الإصابة لابن حجر: 5 / 561.

2- تاريخ الطبري: 3 / 279.

إنّ ما مرّ من دراسة وبحث احتوي علي نصوصٍ تكرر توظيفها أحياناً بحكم الحاجة إليها في مواضع متعدّدة، أو لحاظاتٍ شتّى متعدّدة.

وثمّة نصوصٍ أخرى استفدنا منها مرّةً واحدة بحكم الحاجة إليها.

وسنذكر هنا النصوص الأ-كثر استخداماً، لتكون في متناول القارئ الكريم، فربما قرأها وفهم منها غير ما فهمنا، أو تلقّف ما فاتنا وكان بالإمكان الاستفادة منه في بحثنا فلم نثبته، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى ربما فاتنا في موضع من مواضع البحث أن نُرجع إلي المصدر، فإنّه سيجدّه هنا، إن شاء الله تعالى.

الطبقات الكبرى لابن سعد (ت 230):

ومسلم بن عقيل، وهو الذي بعثه الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهما السلام) من مكّة يبيع له الناس، فنزل بالكوفة علي هانئ بن عروة المرادي، فأخذ عبيد

الله بن زياد مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة فقتلها جميعاً وصلبهما، فلذلك قول الشاعر:

فإن كنتِ

لا تدرين ما الموت فانظري

إلي

هانئ في السوق وابن عقيلِ

تري

جسداً قد غيّر الموتُ لونه

ونضح

دمٍ قد سأل كلَّ مسيلٍ (1)

ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) (من طبقات ابن سعد)، تاريخ الاسلام للذهبي:

وجاء الليل، فهرب مسلم حتّي دخل علي امرأةٍ من كِنْدَةَ يقال لها: طوعة، فاستجار بها، وعلم بذلك محمّد بن الأشعث بن قيس، فأخبر به عبيد الله بن زياد، فبعث إلي مسلم فجيء به، فأثبه ويكّته وأمر بقتله.

فقال: دعني أوصي. قال: نعم.

فنظر إلي عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال: إن لي إليك حاجة، وبينني وبينك رحم.

فقال عبيد الله: أنظر في حاجة ابن عمّك. فقام إليه فقال: يا هذا، إنّه ليس هاهنا رجلٌ من قريش غيرك، وهذا الحسين بن عليّ قد أظلك، فأرسل إلي رسولاً فلينصرف، فإنّ القوم قد غرّوه وخدعوه وكذبوه، وأنّه إن قُتِل لم يكن لبني هاشم بعده نظام، وعليّ دينٌ أخذته منذ قدمت الكوفة فاقضه عني،

ص: 428

واطلب جثتي من ابن زياد فوارها.

فقال له ابن زياد: ما قال لك؟ فأخبره بما قال، فقال: قل له: أمّا مالك فهو لك لا نمنعك منه، وأمّا حسين فإن تركنا لم نرده، وأمّا جثته فإذا قتلناه لم نُبالِ ما صنّع به. ثم أمر به فقتل، فقال عبد الله بن الزبير الأسدي في ذلك:

إن كنت

لا تدرين ما الموت فانظري

إلي

هانئ في السوق وابن عقيل

تري

جسداً قد غيّر الموت لونه

ونضح دم

قد سال كلّ مسيل

أصابهما

أمر الإمام فأصبحا

أحاديث

من يهوي بكلّ سبيل

تري

بطلاً قد هشّم السيفُ رأسه

وآخر

يهوي من طمار قتيل

أيركب

أسماء الهماليج آمناً

وقد

طلبته مذحج بقتيلٍ

فإن

أنتم لم تتأروا بأخيكم

فكونوا

بغايا أرضيت بقليلٍ

يعني بأسماء ابن خارجة الفزاري، كان عبيد الله بن زياد بعثه وعمرو بن الحجاج الزبيدي إلي هانئ بن عروة، فأعطياه العهود والمواثيق، فأقبل معهما حتّي دخل علي عبيد الله بن زياد فقتله.

قال: وقضي عمر بن سعد دين مسلم بن عقيل، وأخذ جثته فكفّنه ودفنه، وأرسل رجلاً إلي الحسين فحمله علي ناقيةٍ وأعطاه نفقة وأمره أن يبلغه ما قال مسلم بن عقيل، فلقيه علي أربع مراحل فأخبره، وبعث عبيد الله برأس مسلم ابن عقيل وهانئ بن عروة إلي يزيد بن معاوية.

ص: 429

وبلغ الحسينُ قتلَ مسلم وهانئ، فقال له ابنه عليُّ الأكبر: يا أبة، إرجع، فإنَّهم أهل (كدر) وغدر وقلة وفائهم، ولا يفون لك بشيء. فقالت بنو عقيل لحسين: ليس هذا بحين رجوع. وحرَّضوه علي المضي.

فقال حسين لأصحابه: قد ترون ما يأتينا، وما أرى القوم إلا سيخذلوننا، فمن أحب أن يرجع فليرجع. فانصرف عنه [الذين] صاروا إليه في طريقه، وبقي في أصحابه الذين خرجوا معه من مكة ونفير قليل [من] من صحبه في الطريق (1).

المحبر لمحمد بن حبيب (ت 245):

وصلب عبيد الله ابن مرجانة هاني بن عروة المرادي بسوق الكوفة، ومسلم بن عقيل أيضاً ... (2).

الإمامة والسياسة لابن قتيبة (ت 276):

قال: وأرسل جماعة إلي مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتى أُخرج وأسر.

فلما أسر بعث الرجال، فقال: اسقوني ماء.

قال: ومعه رجلٌ من بني أبي معيط ورجلٌ من بني سليم يقال له: شهر بن حوشب، فقال له شهر بن حوشب: لا أسقيك إلا من البئر. فقال المعيطي: والله لا نسقيه إلا من الفرات.

ص: 430

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) (من طبقات ابن سعد): 66، تاريخ الإسلام للذهبي: 269 / 2.

2- المحبر لمحمد بن حبيب: 480.

قال: فأمر غلاماً له، فأتاه بإبريق من ماء وقدح قوارير ومنديل.

قال: فسقاه، فتمضمض مسلم فخرج الدم، فما زال يمسح الدم ولا يسيغ شيئاً منه حتّى قال: أخروه عنيّ.

قال: فلمّا أصبح دعا به عبيد الله بن زياد وهو قصير، فقدمه لتضرب عنقه، فقال: دعني حتّى أوصي. فقال: أوص.

فنظر مسلم في وجوه الناس، فقال لعمر بن سعيد: ما أري هاهنا من قريش غيرك، فادنّ منّي حتّى أكلمك. فدنا منه، فقال له: هل لك أن تكون سيّد قريش ما كانت قريش؟ إنّ الحسينَ ومن معه وهم تسعون بين رجلٍ وامرأة في الطريق، فارددهم واكتب إليهم بما أصابني.

قال: فضرب عنقه، وألقاه عمرو لعبيد الله وقال: أتدري ما قال؟ فقال عبيد الله: أكتّم علي ابن عمّك.

فقال عمرو: هو أعظم من ذلك. فقال ابن زياد: فأيّ شيء هو؟

قال: أخبرني أنّ الحسين ومن معه قد أقبل، وهم تسعون إنساناً بين رجلٍ وامرأة.

فقال: أما والله إذ دلت عليه لا يقاتلهم أحدٌ غيرك (1).

أنساب الأشراف للبلاذري (ت 279):

(وأخذ مسلم) فأتى به ابن زياد، وقد آمنه (محمّد) ابن الأشعث فلم ينفذ أمانه، فلمّا وقف مسلم بين يديه نظر إلي جلسائه فقال لعمر بن سعد بن أبي وقاص: إنّ بيني وبينك قرابة أنت تعلمها، فقم معي حتّى أوصي إليك.

ص: 431

فامتنع!! فقال ابن زياد: قم إلي ابن عمك.

فقام (إليه) فقال (له مسلم): إن علي بالكوفة (ديناً) سبعمائة درهم (أخذته) مذ قدمتها فاقضها عني، وانظر (إذا ما قُتلتُ) جثتي فاطلبها من ابن زياد فوارها، وابعث إلي الحسين من يردّه.

فأخبر عمر بن سعد ابن زياد بما قال له! فقال: أمّا مالك فهو لك تصنع فيه ما شئت، وأمّا حسين فإنه إن لم يردنا لم نرده، وأمّا جثته فإنّا لا نشفعك (فيها) لأنّه قد جهد أن يهلكنا، ثم قال: وما نصنع بجثته بعد قتلنا إياه.

وقال الهيثم بن عدي: حدّثني ابن عياش، عن مجالد، عن الشعبي قال: أدخل مسلم بن عقيل (رحمه الله تعالى) علي ابن زياد وقد ضرب علي فمه، فقال: يا ابن عقيل، أتيت لتشتيت الكلمة؟ فقال: ما لذلك أتيت، ولكن أهل المصر كتبوا أن أباك سفك دماءهم وانتهاك أعراضهم، فجبنا لنامر بالمعروف وننهي عن المنكر. فقال: وما أنت وذاك؟ وجري بينهما كلام، فقتله.

وقال هشام ابن الكلبي: قال أبو مخنف في إسناده: قال ابن زياد لابن عقيل: أردت أن تشتت أمر الناس بعد اتفاقه، وتفرّق ألفتهم بعد اجتماعهما (كذا). وجري بينهما كلام حتّى قال له: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام. فقال له مسلم: أما أنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه من سوء القتل وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة.

ثم قال ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر واضربوا عنقه، فأتبعوا رأسه جسده.

فقال (مسلم): يا ابن الأشعث، فوالله لولا أمانك ما استسلمت.

فكان الذي تولّى ذلك منه بكير بن حمران الأحمر، أشرف به علي موضع الحدّائين، وهو يسبح ويدعو علي من غرّه وخذله، فضرب عنقه ثم أتبع رأسه

جسده.

وطلب ابن الأشعث إلي ابن زياد في هانئ بن عروة، فأبى أن يشفعه، فأمر به فأخرج من محبسه إلي السوق وهو مكشوف الرأس يقول: وا مذحجاه ولا مذحج (لي) اليوم!! فضرب عنقه مولياً لعبيد الله بن زياد تركي يقال له: رشيد. (و) هذا يوم الخارز بالموصل قتله عبد الرحمان بن الحصين المرادي، وفي يوم الخارز قتل (أيضاً) عبید الله بن زياد.

وقال عبد الرحمان (في ذلك اليوم):

إني قتلتُ راشد

التركيا

وليته أبيض

مشرقياً

أرضي بذاك الله والنبيا

وقال عبد الله بن الزبير (الأسدي)، ويقال (بل قاله): الفرزدق بن غالب:

إن كنت لا تدرين بالموت فانظري

إلي

هانئ في السوق وابن عقيل

إلي

بطل قد هشمَّ السيفُ وجهه

وآخر

يهوي من طمار قتيل

تري

جسداً قد غيّر الموتُ لونه

ونضح

دمٍ قد سال كلَّ مسيلٍ

أصابهما

أمرُ الإله فأصبحا

أحاديث

يهوي بكلِّ سبيلٍ

وقال الأخطل بن زياد:

ولم يكُ

عن يوم ابن عروة غائباً

كما لم

يغب عن ليلة ابن عقيلٍ

أخو

الحرب صرّاهما فليس بناكل

جبار

ولا وجب الفؤاد ثقيلٍ

وقال أبو الأسود الدؤلي:

أقول

وذاك من جزع ووجد

أزال

الله ملك بني زيادٍ

هم

جدؤوا الأنوف وكنّ شمّا

بقتلهم

الكريم أخوا مراد

قتيل

السوق يا لك من قتييل

به نضح

من احمر كالجساد

ص: 433

وأهل مكارم بعدوا وكانوا

ذوي كرم

وروساً في البلاد

قالوا: وخرج عمارة بن صلحب الأزدي (كذا)، وكان ممن أراد نصرته مسلم، فأخذه أصحاب ابن زياد، فأتوه به، فأمر به فضربته عنقه في الأزد، وبعث برأسه مع رأس مسلم وهانئ (بن عروة) إلي يزيد بن معاوية، وكان رسوله بهذه الرؤوس هانئ بن أبي حية الوادعي من همدان.

ووجه محمد بن الأشعث إلي الحسين من الحيرة بنخبر ابن عقيل وسأله الانصراف، فلم يلتفت إلي قوله وأبي إلا القدوم إلي العراق، وقد كان مسلم كتب إليه يُعلمه كثرة من بايعه من الناس وإظهار أهل الكوفة السرور بمقدمه ويسأله تعجيل القدوم.

قالوا: ولما كتب ابن زياد إلي يزيد بقتل مسلم وبعثته إليه برأسه ورأس هانئ ابن عروة ورأس ابن صلحب وما فعل بهم، كتب إليه (يزيد): إنك لم تعد ان كنت كما أحب، عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع وحققت ظني بك، وقد بلغني أن حسيناً توجه إلي العراق، فضع المناظر والمسالخ وأذك العيون واحترس كل الاحتراس، فاحبس علي الظنّه وخذ بالتهمة، غير أن لا تقاتل إلا من قاتلك، واكتب إلي في كل يوم بما يحدث من خير إن شاء الله. وقال عبيدة بن عمرو البدي (في غدر) محمد بن الأشعث:

وقتل

وافد آل أحمد غيلة

وسلبت

أسيافاً له ودروعا (1)

وكان الحسين قدّم مسلم بن عقيل بين يديه، فنزل علي هانئ بن عروة المرادي، وجعل يبائع أهل الكوفة، فبعث ابن زياد إلي هانئ فقال: اتتني

ص: 434

بمسلم. فقال: ما لي به علم. قال: فاحلف بالطلاق والعتاق. قال: إنكم يا بني زياد لا ترضون إلا بهذه الأيمان الخبيثة!! فأمر مكانه فضرب رأسه ثم رمي به إلي الناس.

وبعث إلي مسلم بن عقيل فجيء به، فأمر به فدفع بين شرفتين من شرف القصر، فقال له: ناد: أنا مسلم ابن عقيل أمير العصيين، فنادي!!! ثم ضرب رأسه فسقط!!

وأقبل الحسين حتى نزل نهر كربلاء، وقد بلغه خبر الكوفة. وقال القائل (كذا):

(و) إن كنت لا

تدرين ما الموت فانظري

إلي هانئ في

السوق وابن عقيل

تري رجلاً قد

جدع السيف أنه

ونضح دمٍ قد سال

كلّ مسيل

أصابهما أمر

الإله فأصبحا

أحاديث من بهوي

بكلّ سبيل

قال خلف: وسمعت من يزيد في هذا الشعر:

أركب أسماء الهمالج آمنًا

وقد طلبته مذحج بقتيل (1)

حدّثني حفص بن عمر، عن الهيثم بن عدي، عن عوانة قال: جري بين ابن عقيل وابن زياد كلام، فقال له (ابن زياد): ايه يا ابن حلية. فقال له (ابن)

ص: 435

1- أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 86.

عقيل: حلية خير من سمية وأعف (1).

ولجأ (مسلم) إلي دارٍ من دور كندة، فجاء رجلٌ إلي محمّد بن الأشعث وهو جالس عند ابن زياد فأخبره بذلك، فقال (ابن الأشعث) لابن زياد: إنّه قال لي: إنّ مسلماً في دار فلان. فقال: انتوني به.

فدخل (ابن الأشعث) عليه وهو عند امرأة قد أوقدت ناراً فهي تغسل عنه الدم، فقالوا له: إنطلق إلي الأمير. فقال: عفواً. قالوا: ما نملك ذلك. فانطلق معهم، فلما رآه أمر به فكُتِف، وقال: أجبّت يا ابن حلية لتتزع سلطاني؟ وأمر به فضربت عنقه.

قال: وحلية أمّ مسلم بن عقيل، وهي أمّ ولد (2).

الأخبار الطّوال للدينوري (ت 282):

فأقبلوا حتّي أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل، ففتحوها، فقاتلهم، فرمي، فكسر فوه، وأخذ، فأتي ببغلة فركبها، وصاروا به إلي ابن زياد، فلما أدخل عليه وقد اكتنفه الجلاوزة قالوا له: سلّم علي الأمير. قال: إن كان الأمير يريد قتلي فما أنتفع بسلام عليه، وإن كان لم يرد فسيكثر عليه سلامي.

قال ابن زياد: كأنك ترجو البقاء. فقال له مسلم: فإن كنت مزماً علي قتلي، فدعني أوص إلي بعض من هاهنا من قومي. قال له: أوص بما شئت.

فنظر إلي عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال له: أخلّ معي في طرف هذا البيت

ص: 436

1- أنساب الأشراف للبلاذري: 2 / 87.

2- أنساب الأشراف للبلاذري: 3 / 224.

حتي أوصي إليك، فليس في القوم أقرب إلي ولا أولي بي منك. فتنحّي معه ناحية، فقال له: أتقبل وصيتي؟ قال: نعم. قال مسلم: إن عليّ هاهنا ديناً مقدار ألف درهم فاقض عني، وإذا أنا قتلتُ فاستوهب من ابن زياد جثتي لئلا يمتل بها، وابعث إلي الحسين بن علي رسولاً قاصداً من قبلك، يُعلمه حالي وما صرتُ إليه من غدر هؤلاء الذين يزعمون أنّهم شيعة، وأخبره بما كان من نكثهم بعد أن بايعني منهم ثمانية عشر ألف رجل، لينصرف إلي حرم الله فيقيم به ولا يغتر بأهل الكوفة. وقد كان مسلم كتب إلي الحسين أن يقدم ولا يلبث، فقال له عمر بن سعد: لك علي ذلك كله، وأنا به زعيم.

فانصرف إلي ابن زياد، فأخبره بكلّ ما أوصي به إليه مسلم، فقال له ابن زياد: قد أسأت في إفشائك ما أسره إليك، وقد قيل: (إنّه لا يخونك إلا الأمين، وربما اتّمنك الخائن).

وأمر ابن زياد بمسلم فرقي به إلي ظهر القصر، فأشرف به علي الناس وهم علي باب القصر ممّا يلي الرحبة، حتّي إذا رأوه ضربت عنقه هناك، فسقط رأسه إلي الرحبة، ثم أتبع الرأس بالجسد، وكان الذي تولّى ضرب عنقه أحمر بن بكير. وفي ذلك يقول عبد الرحمان بن الزبير الأسدي:

فإن كنت لا

تدرين ما الموت فانظري

إلي هانني في

السوق وابن عقيل

إلي بطلٍ قد

هشمّ السيف أنفه

وأخر يهوي من

طمار قتيلٍ

أصابهما ريب

الزمان فأصبحا

أحاديث من يسعي

بكلّ سبيلٍ

ص: 437

كلّ مسيلثمّ بعث عبيد الله برؤوسهما إليّ يزيد، وكتب إليه بالنبأ فيهما، فكتب إليه يزيد: لم نعد الظنّ بك، وقد فعلتَ فعل الحازم الجليد، وقد سألتُ رسوليك عن الأمر ففرشاه لي، وهما كما ذكرتَ في النصح وفضل الرأي، فاستوصِ بهما. وقد بلغني أنّ الحسين بن عليّ قد فصل من مكة متوجهاً إليّ ما قبلك، فأدرك العيون عليه، وضع الأرصاد عليّ الطرق، وقم أفضل القيام، غير إلّا نقاتل إلّا من قاتلك، واكتب إليّ بالخبر في كلّ يوم.

وكان أنفذ الرّاسين إليه مع هانئ بن أبي حية الهمداني، والزبير بن الأروج التميمي (1).

قالوا: ولما رحل الحسين من زرود، تلقاه رجلٌ من بني أسد، فسأله عن الخبر، فقال: لم أخرج من الكوفة حتّي قُتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، ورأيت الصبيان يجرون بأرجلهم. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، عند الله نحتسب أنفسنا. فقال له: أنشدك الله يا ابن رسول الله في نفسك وأنفس أهل بيتك هؤلاء الذين نراهم معك، إنصرف إليّ موضعك ودع المسير إليّ الكوفة، فوالله ما لك بها ناصر. فقال بنو عقيل -- وكانوا معه -- : ما لنا في العيش بعد أخينا مسلم حاجة، ولسنا براجعين حتّي نموت. فقال الحسين: فما خير في العيش بعد هؤلاء. وسار، فلما وافى زباله وافاه بها رسول محمّد بن الأشعث وعمر بن سعد بما كان سأله مسلم أن يكتب به إليه من أمره وخذلان أهل الكوفة إياه

بعد أن بايعوه، وقد كان مسلم سأل محمّد بن الأشعث ذلك، فلمّا قرأ الكتاب استيقن بصحّة الخبر، وأفضعه مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، ثمّ أخبره الرسول بقتل قيس بن مسهر رسوله الذي وجّهه من بطن الرمة، وقد كان صحبه قومٌ من منازل الطريق، فلمّا سمعوا خبر مسلم وقد كانوا ظنوا أنّه يقدم علي أنصار وعضد تفرقوا عنه، ولم يبق معه إلا خاصته (1).

تاريخ اليعقوبي (ت 292):

فأخذوه، فقتله عبيد الله، وجرّ برجله في السوق، وقتل هانئ بن عروة لنزول مسلم منزله وإعانتته إياه (2).

تاريخ الطبري (ت 310):

وأقبل محمّد بن الأشعث بابن عقيل إلي باب القصر، فاستأذن فأذن له، فأخبر عبيد الله خبر ابن عقيل وضرب بكبير إياه، فقال: بُعداً له. فأخبره محمّد بن الأشعث بما كان منه وما كان من أمانه إيّاه، فقال عبيد الله: ما أنت والأمان؟ كأنّا أرسلناك تؤمنه! إنّما أرسلناك تأتينا به. فسكت.

وانتهي ابن عقيل إلي باب القصر وهو عطشان، وعلي باب القصر ناسٌ جلوس ينتظرون الإذن، منهم عمارة بن عقبة بن أبي معيط وعمرو بن حريث ومسلم ابن عمرو وكثير بن شهاب.

(قال أبو مخنف): فحدّثني قدامة بن سعد أنّ مسلم بن عقيل حين انتهى إلي باب القصر فإذا قلّة باردة موضوعة علي الباب، فقال ابن عقيل: اسقوني من

ص: 439

1- الأخبار الطوال للدينوري: 247.

2- تاريخ اليعقوبي: 2 / 243.

هذا الماء. فقال له مسلم بن عمرو: أتراها ما أبردها، لا والله لا تذوق منها قطرة أبداً حتّى تذوق الحميم في نار جهنّم. قال له ابن عقيل: ويحك! من أنت؟ قال: أنا ابن من عرف الحقّ إذا أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفت، أنا مسلم بن عمرو الباهلي. فقال ابن عقيل: لأُمك الثكل، ما أجفاك وما أفظك وأقسى قلبك وأغلظك، أنت يا ابن باهلة أولي بالحميم والخلود في نار جهنّم متي. ثمّ جلس متسانداً إلي حائط.

(قال أبو مخنف): فحدّثني قدامة بن سعد أنّ عمرو بن حريث بعث غلاماً له يُدعي سليمان، فجاءه بماءٍ في قلة فسقاه.

(قال أبو مخنف): وحدّثني سعيد بن مدرك بن عمارة أنّ عمارة بن عقبة بعث غلاماً له يُدعي قيساً، فجاءه بقلة عليها منديل ومعه قدح، فصبّ فيه ماء ثمّ سقاه، فأخذ كلّما شرب امتلأ القدح دمًا، فلمّا ملأ القدح المرة الثالثة ذهب ليشرب فسقطت ثنيتاه فيه، فقال: الحمد لله، لو كان لي من الرزق المقسوم شربته.

وأدخل مسلم علي ابن زياد، فلم يسلم عليه بالإمرة، فقال له الحرسى: ألا تسلم علي الأمير؟ فقال له: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لا يريد قتلي فلعمري ليكثرن سلامي عليه. فقال له ابن زياد: لعمري لتقتلن. قال: كذلك؟ قال: نعم. قال: فدعني أوص إلي بعض قومي. فنظر إلي جلساء عبيد الله وفيهم عمر بن سعد، فقال: يا عمر، إنّ بيني وبينك قرابة ولي إليك حاجة، وقد يجب لي عليك نصح حاجتي، وهو سرّ. فأبى أن يمكنه من ذكرها، فقال له عبيد الله: لا تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك. فقام معه، فجلس حيث ينظر إليه ابن زياد، فقال له: إنّ عليّ بالكوفة ديناً استدنته منذ قدمت الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عني، وانظر جثتي فاستوهبها من ابن زياد

فوارها، وابعث إلي حسين من يردّه، فإنّي قد كتبتُ إليه أعلمه أنّ الناس معه ولا أراه إلاّ مقبلاً. فقال عمر لابن زياد: أتدري ما قال لي؟ إنّه ذكر كذا وكذا. قال له ابن زياد: إنّه لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن، أمّا مالك فهو لك ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت، وأمّا حسين فإنّه إن لم يردنا لم نرده وإن أرادنا لم نكفّ عنه، وأمّا جثته فإنّا لن نشفعك فيها، إنّه ليس بأهلٍ منّا لذلك، قد جاهدنا وخالفنا وجهه علي هلاكنا. وزعموا أنّه قال: أمّا جثته فإنّا لا نبالي إذا قتلناه ما صنع بها. ثمّ إنّ ابن زياد قال: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة، لتشتتهم وتفرّق كلمتهم وتحمل بعضهم علي بعض؟ قال: كلاً، لستُ أتيت، ولكنّ أهل المصير زعموا أنّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسري وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلي حكم الكتاب. قال: وما أنت وذاك يا فاسق؟ أو لم تكن نعمل بذاك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟ قال: أنا أشرب الخمر؟! والله إنّ الله ليعلم أنّك غير صادق وأنّك قلتَ بغير علم، وأنّي لستُ كما ذكرت، وإنّ أحقّ بشرب الخمر منّي وأولي بها من يبلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرّم الله قتلها ويقتل النفس بغير النفس ويسفك الدم الحرام ويقتل علي الغضب والعداوة وسوء الظنّ وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً. فقال له ابن زياد: يا فاسق، إنّ نفسك تمنيك ما حال الله دونه ولم يرك أهله. قال: فمن أهله يا ابن زياد؟! قال: أمير المؤمنين يزيد. فقال: الحمد لله علي كلّ حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. قال: كأنك تظنّ أنّ لكم في الأمر شيئاً. قال: والله ما هو بالظنّ، ولكنّه اليقين. قال: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحدٌ في الإسلام. قال: أما أنّك أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما أنّك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة، ولا أحد من

الناس أحقُّ بها منك. وأقبل ابن سمية يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً وعقيلاً، وأخذ مسلم لا يكلمه.

وزعم أهل العلم أنّ عبيد الله أمر له بماء، فسقي بخزفة، ثم قال له: إنّه لم يمنعنا أن نسقيك فيها إلا كراهة أن تحرم بالشرب فيها ثم نقتلك، ولذلك سقيناك في هذا.

ثم قال: اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه، ثم اتبعوا جسده رأسه. فقال: يا ابن الأشعث، أما والله لولا أنك آمنتني ما استسلمت، قم بسيفك دوني، فقد أخفرت ذمتك. ثم قال: يا ابن زياد، أما والله لو كانت بيني وبينك قرابة ما قتلتني. ثم قال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف وعاتقه؟ فدعي، فقال: اصعد فكن أنت الذي تضرب عنقه. فصعد به وهو يكبر ويستغفر ويصلي علي ملائكة الله ورسله، وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وأذلّونا. وأشرف به علي موضع الجزارين اليوم، فضربت عنقه وأتبع جسده رأسه (1).

(قال أبو مخنف): حدّثني الصقعب بن زهير، عن عوف بن أبي جحيفة قال: نزل الأحمر بن بكير بن حمران الذي قتل مسلماً، فقال له ابن زياد: قتلته؟ قال: نعم. قال: فما كان يقول وأنتم تصعدون به؟ قال: كان يكبر ويسبح ويستغفر، فلما أدنيتّه لأقتله قال: اللهم احكم بيننا وبين قوم كذبونا وغرّونا وخذلونا وقتلونا. فقلت له: أدن منّي، الحمد لله الذي أقادني منك. فضربتّه ضربةً لم تُغن شيئاً، فقال: أما تري في خدشٍ تخذشنيه وفاءً من دمك أيها العبد؟ فقال

ص: 442

ابن زياد: وفخراً عند الموت؟ قال: ثم ضربته الثانية فقتلته (1).

قال: وقام محمد بن الأشعث إلي عبيد الله بن زياد، فكلمه في هانئ بن عروة وقال: إنك قد عرفت منزلة هانئ بن عروة في المصر وبيته في العشيرة، وقد علم قومه أنني وصاحبي سقناه إليك، فأنشدك الله لما وهبته لي، فإني أكره عداوة قومه، هم أعز أهل المصر وعدد أهل اليمن.

قال: فوعده أن يفعل، فلما كان من أمر مسلم بن عقيل ما كان بدا له فيه وأبي أن يفي له بما قال. قال: فأمر بهانئ بن عروة حين قتل مسلم بن عقيل، فقال: أخرجوه إلي السوق فاضربوا عنقه (2).

فقال عبد الله بن الزبير الأسدي في قتلة مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة المرادي، ويقال: قاله الفرزدق:

إن كنت

لا تدرين ما الموت فانظري

إلي

هانئ في السوق وابن عقيل

إلي بطل

قد هشم السيف وجهه

وآخر

يهوي من طمار قتيل

أصابهما

أمر الأمير فأصبحا

أحاديث

من يسري بكل سبيل

تري

جسداً قد غيّر الموت لونه

ونضح دم

قد سال كلّ مسيل

ص: 443

1- تاريخ الطبري: 283 / 4.

2- تاريخ الطبري: 284 / 4.

فتي هو

أحيي من فتاة حيية

وأقطع من

ذي شفرتين صقيلاً يركب

أسماء الهماليج آمناً

وقد

طلبتة مذحجٌ بذحولٍ

تطيف

حواليه مراد وكلهم

علي رقبة

من سائل ومسول

فإن

أنتم لم تتأروا بأخيكم

فكونوا

بغايا أرضيت بقليل (1)

(قال أبو مخنف): عن أبي جناب يحيي بن أبي حية الكلبي قال: ثم إن عبيد الله بن زياد لما قتل مسلماً وهانئاً، بعث برؤوسهما مع هانئ بن أبي حية الوادعي والزبير بن الأرواح التميمي إلي يزيد بن معاوية، وأمر كاتبه عمرو بن نافع أن يكتب إلي يزيد بن معاوية بما كان من مسلم وهانئ، فكتب إليه كتاباً أطال فيه، وكان أول من أطال في الكتب، فلما نظر فيه عبيد الله بن زياد كرهه وقال: ما هذا التطويل وهذه الفضول؟ أكتب: أما بعد، فالحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه وكفاه مؤونة عدوه، أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن مسلم ابن عقيل لجأ إلي دار هانئ بن عروة المرادي، وأتي جعلت عليهما العيون ودسست إليهما الرجال، وكدتهما حتى استخرجتهما وأمكن الله منهما، فقدّمتهما فضرب أعناقهما، وقد بعثت إليك برؤوسهما مع هانئ بن أبي حية الهمداني والزبير بن الأرواح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسألهما أمير المؤمنين عمّا أحب من أمر، فإن عندهما علماً وصدقاً وفهماً

وورعاً، والسلام. فكتب إليه يزيد: أما بعد، فإنك لم تعد أن كنت كما أحب، عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، فقد أغنيت وكفيت وصدقت ظني بك ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك فسألتهم وناجيتهم، فوجدتُهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيراً. وإنه قد بلغني أن الحسين بن عليّ قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس علي الظنّ وخذ علي التهمة، غير إلا تقتل إلا من قاتلك، واكتب إليّ في كل ما يحدث من الخبر، والسلام عليك ورحمة الله (1).

فأعطاه عبد الرحمان الأمان، فأمكن من يده، فجاء به إلي عبيد الله، فأمر به فأصعد إلي أعلي القصر، فضربت عنقه وألقي جثته إلي الناس، وأمر بهاني فسحب إلي الكناسة فصُلب هنالك.

وقال شاعرهم في ذلك:

فإن كنت لا تدرين

ما الموت فانظري

إلي هاني في

السوق وابن عقيل

أصابهما أمر

الامام فأصبحا

أحاديث من يسعي

بكلّ سبيل

أيركب أسماء

الهماليج آمناً

وقد طلبته مذحج

بذحول (2)

ص: 445

فجاء رجلٌ إلي محمد بن الأشعث وهو جالسٌ إلي ابن زياد، فسأزه، فقال له: إنَّ مسلماً في دار فلان، فقال ابن زياد: ما قال لك؟ قال: قال: إنَّ مسلماً في دار فلان. قال ابن زياد لرجلين: انطلقا فأتياني به. فدخلا عليه وهو عند امرأةٍ قد أوقدت له النار فهو يغسل عنه الدماء، فقالا له: انطلق، الأمير يدعوك. فقال: اعقدا لي عقداً. فقالا: ما نملك ذلك. فانطلق معهما حتَّى أتاه، فأمر به فكُتِف، ثم قال: هيه هيه يا ابن خلية. قال الحسين في حديثه: يا ابن كذا، جئت لتتزع سلطاني؟ ثم أمر به فضرِبَتْ عنقه (1).

الفتوح لابن أعمش الكوفي (ت 314):

قال: ثم دنا منه ابن الأشعث حتَّى وقف قبالته وقال: ويلك يا ابن عقيل! لا تقتل نفسك، أنت آمنٌ ودمك في عنقي. فقال له مسلم: أتظنُّ يا ابن الأشعث أنّي أعطي بيدي أبداً وأنا أقدر علي القتال! لا والله لا كان ذلك أبداً. ثم حمل عليه حتَّى ألحقه بأصحابه، ثم رجع موضعه فوقف وقال: اللهم إنَّ العطش قد بلغ منِّي. قال: فلم يجسر أحدٌ أن يسقيه الماء ولا قرب منه. فأقبل ابن الأشعث علي أصحابه وقال: ويلكم! إنَّ هذا لهو العار والفشل أن تجزعوا من رجلٍ واحدٍ هذا الجزع، احملوا عليه بأجمعكم حملةً واحدة. قال: فحملوا عليه وحمل عليهم، فقصدته من أهل الكوفة رجلٌ يقال له بكير بن حمران الأحمر، فاختلفا بضربتين، فضربه بكير ضربةً علي شفته العليا، وضربه مسلم بن عقيل ضربةً فسقط إلي الأرض قتيلاً، قال: فطعن من ورائه طعنةً فسقط إلي الأرض،

ص: 446

فأخذ أسيراً، ثم أخذ فرسه وسلاحه.

وتقدّم رجلٌ من بني سليمان يقال له: عبيد الله بن العباس، فأخذ عمامته، فجعل يقول: اسقوني شربةً من الماء! فقال له مسلم بن عمرو الباهلي: والله لا تذوق الماء يا ابن عقيل أو تذوق الموت! فقال له مسلم بن عقيل: ويلك يا هذا! ما أجفأك وأفظك وأغلظك! أشهد عليك أنّك إن كنت من قريش فأذّك مصلق، وإن كنت من غير قريش فأثّك مدّع إلي غير أبيك، من أنت يا عدوّ الله؟ فقال: أنا من عرف الحقّ إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي! فقال له مسلم بن عقيل: أنت أولي بالخلود والحميم، إذ آثرت طاعة بني سفيان علي طاعة الرسول محمّد (صلى الله عليه وآله وسلّم). ثم قال مسلم بن عقيل (رحمة الله): ويحكم يا أهل الكوفة! اسقوني شربةً من ماء! فأناه غلامٌ لعمرو بن حريث الباهلي بقلّة فيها ماء وقدح فيها، فناوله القلّة، فكلّمها أراد أن يشرب امتلاءً القدح دماً، فلم يقدر أن يشرب من كثرة الدم، وسقطت ثيبتاه في القدح، فامتنع مسلم بن عقيل (رحمة الله) من شرب الماء. قال: وأتي به حتّي أدخل علي عبيد الله بن زياد (L).

ذكر دخول مسلم بن عقيل علي عبيد الله بن زياد وما كان من كلامه وكيف قُتل.

قال: فأدخل مسلم بن عقيل علي عبيد الله بن زياد، فقال له الحرسي: سلّم علي الأمير! فقال له مسلم: أسكت لا أمّ لك! مالك وللكلام؟ والله ليس هو لي بأمر فأسلّم عليه! وأخري فما ينفعني السلام عليه وهو يريد قتلي؟! فإن استبقاني فسيكثر عليه سلامي. فقال له عبيد الله بن زياد: لا عليك، سلّمّت

ص: 447

1- الفتوح لابن أعمش الكوفي: 5 / 54.

أم لم تسلّم فإنك مقتول. فقال مسلم بن عقيل: إن قتلتنني فقد قتل شرّ منك من كان خيراً منّي. فقال له ابن زياد: يا شاقّ يا عاق! خرجت علي إمامك وشققت عصا المسلمين وألححت الفتنة. فقال مسلم: كذبت يا ابن زياد! والله ما كان [معاوية] خليفةً بإجماع الأمة، بل تغلب علي وصيّ النبي بالحيلة، وأخذ عنه الخلافة بالغصب، [و] كذلك ابنه يزيد، وأما الفتنة فإنك ألحقتها أنت وأبوك زياد بن علاج من بني ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة علي يدي شرّ بريته، فوالله ما خالفت ولا كفرت ولا بدّلت! وإنّما أنا في طاعة أمير المؤمنين الحسين بن عليّ ابن فاطمة بنت رسول الله (صليّ الله عليه وآله وسلّم)، ونحن أولي بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد. فقال له ابن زياد: يا فاسق! ألم تكن تشرب الخمر في المدينة؟ فقال مسلم بن عقيل: أحقّ والله بشرب الخمر منّي من يقتل النفس الحرام وهو في ذلك يلهو ويلعب كأنه لم يسمع شيئاً. فقال له ابن زياد: يا فاسق! متتك نفسك أمراً أحالك الله دونه وجعله لأهله. فقال مسلم بن عقيل: ومن أهله يا ابن مرجانة؟ فقال: أهله يزيد ومعاوية. فقال مسلم بن عقيل: الحمد لله، كفي بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال ابن زياد (لعنه الله): أتظنّ أنّ لك من الأمر شيئاً؟ فقال مسلم بن عقيل: لا والله ما هو الظنّ، ولكنّه اليقين. فقال ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك! فقال مسلم: أنّك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث السريرة، والله لو كان معي عشرة ممّن أثق بهم وقدرت علي شربةٍ من ماءٍ لطال عليك أن تراني في هذا القصر، ولكن إن كنت عزمت علي قتلي ولا بدّ لك من ذلك فأقم إليّ رجلاً من قريش أوصي إليه بما أريد. فوثب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص فقال: أوص إليّ بما تريد يا ابن عقيل! فقال: أوصيك ونفسي بتقوي الله، فإنّ التقوي فيها الدرك لكلّ خير، وقد علمت ما بيني وبينك من القرابة، ولي إليك

حاجة وقد يجب عليك لقرابتي أن تقضي حاجتي. قال: فقال ابن زياد: لا يجب يا ابن عمر أن تقضي حاجة ابن عمك وإن كان مسرفاً علي نفسه، فإنه مقتولٌ لا- محالة. فقال عمر بن سعد: قل ما أحببتَ يا ابن عقيل! فقال مسلم (رحمة الله): حاجتي إليك أن تشتري فرسي وسلاحي من هؤلاء القوم، فتبيعه وتقضي عني سبعمائة درهم استدنتها في مصركم، وأن تستوهب جثتي إذا قتلني هذا وتواريني في التراب، وأن تكتب إلي الحسين بن علي أن لا يقدم فينزل به ما نزل بي. قال: فالتفت عمر بن سعد إلي عبيد الله بن زياد فقال: أيها الأمير! إنه يقول كذا وكذا. فقال ابن زياد: أمّا ما ذكرت يا ابن عقيل من أمر دينك فإنّما هو مالك يقضي به دينك، ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت، وأمّا جسدك إذا نحن قتلناك فالخيار في ذلك لنا، ولسنا نبالي ما صنع الله بجثتك، وأمّا الحسين فإن لم يردنا لم نرده وإن أردنا لم نكف عنه، ولكنني أريد أن تخبرني يا ابن عقيل بماذا أتيت إلي هذا البلد؟ شئت أمرهم وفرقت كلمتهم ورميت بعضهم علي بعض! فقال مسلم بن عقيل: لست لذلك أتيت هذا البلد، ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف، وتأمّرتم علي الناس من غير رضي، وحملتموهم علي غير ما أمركم الله به، وعملتم فيهم بأعمال كسري وقيصر، فأثيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر، وندعوهم إلي حكم الكتاب والسنة، وكذبنا أهل ذلك، ولم تزل الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولا تزال الخلافة لنا، فإنّا فُهرنا عليها، لأنكم أوّل من خرج علي إمام هديّ، وشق عصا المسلمين، وأخذ هذا الأمر غصباً، ونازع أهله بالظلم والعدوان، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله (تبارك وتعالى): (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ).

قال: فجعل ابن زياد يشتم عليّ والحسن والحسين (رضي الله عنهم)، فقال له

مسلم: أنت وأبوك أحقُّ بالثَّيْمَة منهم، فاقضِ ما أنت قاضٍ، فنحن أهل بيتٍ موكل بنا بالبلاء. فقال عبيد الله بن زياد: الحقوا به إلي أعلي القصر فاضربوا عنقه وألحقوا رأسه جسده. فقال مسلم (رحمة الله): أما والله يا ابن زياد! لو كنت من قريشٍ أو كان بيني وبينك رحمٌ أو قرابة لما قتلتنِي، ولكنتك ابن أبيك. قال: فأدخله ابن زياد القصر، ثم دعا رجلاً من أهل الشام قد كان مسلم بن عقيل ضربه علي رأسه ضربة منكراً، فقال له: خذ مسلماً واصعد به إلي أعلي القصر، واضرب عنقه بيدك ليكون ذلك أشفي لصدرك.

قال: فأصعد مسلم بن عقيل (رحمة الله) إلي أعلي القصر، وهو في ذلك يسبح الله تعالي ويستغفره وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا. فلم يزل كذلك حتّي أتى به إلي أعلي القصر، وتقدّم ذلك الشامي فضرب عنقه (رحمة الله). ثم نزل الشامي إلي عبيد الله بن زياد وهو مدهوش، فقال له ابن زياد: ما شأنك؟ أقتلته؟ قال: نعم، أصلح الله الأمير! إلا إنّه عرض لي عارضٌ فأنا له فزعٌ مرعوب. فقال: ما الذي عرض لك؟ قال: رأيتُ ساعة قتلته رجلاً حذاي أسود كثير السواد كرية المنظر وهو عاض علي إصبعيه -- أو قال: شفّتيه --، ففزعت منه فرعاً لم أفزع قطّ مثله. قال: فتبسّم [ابن] زياد وقال له: لعلك دهشت، وهذه عادةٌ لم تعتدها قبل ذلك (1).

قال: ثم أمر عبيد الله بن زياد بمسلم بن عقيل وهانئ بن عروة (رحمهما الله)، فصّلبا جميعاً منكسين، وعزم أن يوجه برأسيهما إلي يزيد بن معاوية، فأنشأ رجلٌ من بني أسد يقول:

ص: 450

1- الفتوح لابن أعمش الكوفي: 5 / 55.

إذا كنتِ

لا تدرين ما الموت فانظري

إلي

هانئٍ في السوق وابن عقيلِ

إلي بطلِ

قد فلقَ السيفُ رأسه

وآخر

يهوي من جدار قتيلِ

أصابهما

أمر الإله فأصبحا

أحاديث

من يسعي بكلّ سبيلِ

تري

جسداً قد غيّر الموتُ لونه

ونضح دمٍ

قد سال كلّ مسيلِ

فتيَّ كان

أحيي من فتاةٍ حيّةٍ

وأقطع من

ذي شفرتين صقيلِ

فإن

أنتم لم تشاروا بأخيكم

فكونوا

بغايا أرضيت بقليل

ذكر كتاب عبید الله بن زياد إلی يزيد بن معاوية.

قال: ثم كتب ابن زياد إلی يزيد بن معاوية: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين، من عبید الله بن زياد، الحمد الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه وكفاه مؤونة عدوه، أخبر أمير المؤمنين أيده الله أن مسلم بن عقيل الشاق للعصا قدم إلی الكوفة ونزل في دار هانئ بن عروة المذحجي، وأتي جعلت عليهما العيون حتي استخرجتهما، فأمكنني الله منهما بعد حربٍ ومناقشة، فقد متهما فضرب أعناقهما، وقد بعثت برأسيهما مع هانئ بن [أبي] حية الوادعي والزبير بن الأروح التميمي، وهما من أهل الطاعة والسنة والجماعة، فليسألهما أمير المؤمنين عما تحب، فإنهما ذو عقلٍ وفهم وصدق. قال: فلما ورد الكتاب والرأسان جميعاً إلی يزيد بن معاوية، قرأ الكتاب، وأمر

ص: 451

بالرأسين فُنصِبَا علي باب مدينة دمشق، ثم كتب إلي ابن زياد: أمّا بعد، فإنّك لم تعد إذا كنت كما أحبّ، عملتَ عمل الحازم وصلت صولة الشجاع الرابض، فقد كفيت ووقيت ظنّي ورأيي فيك، وقد دعوتُ رسوليك فسألتهما عن الآذي ذكرت، فقد وجدتهما في رأيهما وعقلهما وفههما وفضلهما ومذهبهما كما ذكرت، وقد أمرتُ لكلّ واحدٍ منهما بعشرة آلاف درهم وسرّحتهما إليك، فاستوص بهما خيراً، وقد بلغني أنّ الحسين بن علي (رضي الله عنهما) قد عزم علي المسير إلي العراق، فضع المراصد والمناظر واحترس واحبس علي الظنّ، واكتب إليّ في كلّ يوم بما يتجدّد لك من خيرٍ أو شرٍّ، والسلام (1).

ابتداء أخبار الحسين بن علي (عليهما السلام) .

قال: وبلغ الحسين بن عليّ بأنّ مسلم بن عقيل قد قُتل (رحمة الله)، وذلك أنّه قدم عليه رجلٌ من أهل الكوفة، فقال له الحسين: من أين أقبلت؟ فقال: من الكوفة، وما خرجتُ منها حتّي نظرت مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة المذحجي (رحمهما الله) قتيّلين مصلوبين منكسين في سوق القصابين، وقد وجّه برأسيهما إلي يزيد بن معاوية. قال: فاستعبر الحسين باكياً، ثمّ قال: إنّنا لله وإنا إليه راجعون. ثمّ إنّه عزم علي المسير إلي العراق، فدخل عليه عمر بن عبد الرحمان [بن الحارث] بن هشام المخزومي، فقال: يا ابن بنت رسول الله! إنّني أتيتُ إليك بحاجةٍ أريد أن أذكرها لك، فأنا غير غاش لك فيها، فهل لك أن تسمعها؟ فقال الحسين: هات، فوالله ما أنت عندي بمسيء الرأي، فقل ما أحببت. فقال: قد بلغني أنّك تريد العراق، وإنّي مشفق عليك من ذلك، أنّك

ص: 452

1- الفتوح لابن أعمش الكوفي: 5 / 61.

ترد إلي قوم فيهم الأمراء ومعهم بيوت الأموال، ولا آمن عليك أن يقاتلك من أنت أحب إليه من أبيه وأمه ميلاً إلي الدنيا والدرهم، فاتق الله ولا تخرج من هذا الحرم. فقال له الحسين: جزاك الله خيراً يا ابن عم! فقد علمت أنك أمرت بنصح، ومهما يقضي الله من أمر فهو كائن، أخذت برأيك أم تركته. قال: فانصرف عنه عمر بن عبد الرحمان وهو يقول:

رُبَّ

مستنصحٍ سيعصي ويؤذي

ونصيح

بالغيب يلقي نصيحاً (1)

العقد الفريد لابن عبد ربه (ت 328)، جواهر المطالب للباعوني:

وأُتي به ابن زياد، فقدّمه ليضرب عنقه، فقال له: دعني حتّي أوصي. فقال له:

أوص. فنظر في وجوه الناس، فقال لعمر بن سعد: ما أري قريشاً هنا غيرك، فادنّ منّي حتّي أكلمك. فدنا منه، فقال له: هل لك أن تكون سيّد قريش ما كانت قريش؟ إنّ حسيناً ومن معه -- وهم تسعون إنساناً ما بين رجل وامرأة -- في الطريق، فارددهم واكتب لهم بما أصابني. ثمّ ضرب عنقه، فقال عمر لابن زياد: أتدري ما قال لي؟ قال: اكتب علي ابن عمك! قال: هو أعظم من ذلك. قال: وما هو؟ قال: قال لي: إنّ حسيناً أقبل [ومن معه] وهم تسعون إنساناً ما بين رجل وامرأة، فارددهم واكتب إليه بما أصابني. فقال له ابن زياد: أما والله إذ دلت عليه لا يقاتله أحدٌ غيرك (2).

ص: 453

1- الفتوح لابن أعمش الكوفي: 64 / 5.

2- العقد الفريد لابن عبد ربه: 128 / 5، جواهر المطالب للباعوني: 268 / 2.

مروج الذهب للمسعودي (ت 346):

فأمكنهم من نفسه، وحملوه علي بغلةٍ وأتوا به ابن زياد، وقد سلبه ابن الأشعث حين أعطاه الأمان سيفه وسلاحه، وفي ذلك يقول بعض الشعراء في كلمةٍ يهجو فيها ابن الأشعث:

وتركتَ عمَّك أن

تقاتل دونه

فشلاً، ولولا

أنت كان منيعا

وقتلَ وافدَ آل

بيت محمَّدٍ

وسلبتَ أسياً

له ودروعا

مقتل هاني بن عروة:

فلما صار مسلم الي باب القصر نظر الي قدّة مبردة، فاستسقاها منها، فمنعهم مسلم بن عمرو الباهلي -- وهو أبو قتيبة بن مسلم -- أن يسقوه، فوجّه عمرو بن حريث فأتاه بماء في قدح، فلما رفعه الي فيه امتلأ القدح دماً، فصبّه وملاه له الثانية، فما رفعه الي فيه سقطت ثناياه فيه وامتلاً دماً، فقال: الحمد لله، لو كان من الرزق المقسوم لشربته. ثم أدخل إلي ابن زياد، فلما انقضي كلامه ومسلم يغلظ له في الجواب، أمر به فأصعد إلي أعلي القصر، ثم دعا الأحمر الذي ضربه مسلم، فقال: كن أنت الذي تضرب عنقه، لتأخذ بثأرك من ضربته.

فأصعدوه الي أعلي القصر، فضرب بكبير الأحمر عنقه، فأهوي رأسه إلي الأرض، ثم أتبعوا رأسه جسده. ثم أمر بهاني بن عروة فأخرج الي السوق، فضرب عنقه صبراً، وهو يصيح: يا آل مراد، وهو شيخها وزعيمها، وهو يومئذ يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، وإذا إجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع، فلم يجد زعيمهم منهم أحداً؛ فشلاً وخذلاناً، فقال الشاعر وهو يرثي هاني بن عروة ومسلم بن عقيل ويذكر ما نالهما: إذا كنتِ

لا تدرين ما الموت فانظري

إلي

هاني في السوق وابن عقيل

إلي بطلٍ

قد هشم السيفُ وجهه

وآخر

يهوي في طمار قتييلٍ

أصابهما

أمرُ الأمير فأصبحا

أحاديثٌ

من يسعي بكلِّ سبيلٍ

تري

جسداً قد غيّر الموتُ لونه

ونضحَ

دمٍ قد سال كلَّ مسيلٍ

أترك

أسماء المهاليجِ أمناً

وقد

طلبتَه مذحجِ بذحولٍ

فتيِّ هو

أحيي من فتاةٍ حييَّةٍ

وأقطع من

ذي شفرتينِ صقييلٍ

ثمّ دعا ابن زياد بيكير بن حمران الآذي ضرب عنق مسلم، فقال: أقتلته؟ قال: نعم. قال: فما كان يقول وأنتم تصعدون به لتقتلوه؟ قال: كان

يَكْبُرُ وَيَسْبِحُ اللَّهَ وَيَهْتَلِلُ وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فَلَمَّا أُدْنِيَاهُ لِنَضْرِبَ عُنُقَهُ قَالَ: اللَّهُمَّ احْكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِ غَرَّوْنَا وَكَذَبْنَا ثُمَّ خَذَلْنَا وَقَتَلْنَا. فَقُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَقَادَنِي مِنْكَ، وَضَرْبَتُهُ ضَرْبَةً لَمْ تَعْمَلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَوْ مَا يَكْفِيكَ وَفِي خَدَشٍ مَنِّي وَفَاءَ بَدْمِكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ؟ قَالَ ابْنُ زِيَادٍ: أَوْ فخرًا عِنْدَ الْمَوْتِ؟ قَالَ: وَضَرْبَتُهُ الثَّانِيَةَ فَقَتَلْتَهُ، ثُمَّ أَتَبَعْنَا رَأْسَهُ جَسَدَهُ.

وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليالٍ مضيين من ذي الحجة سنة ستين، وهو اليوم الذي ارتحل فيه الحسين من مكة إلى الكوفة، وقيل: يوم الأربعاء يوم عرفة لتسع ماضين من ذي الحجة سنة ستين.

ثم أمر ابن زياد بجثة مسلم فضُلبت، وحُمل رأسه إلى دمشق، وهذا أول قتييلٍ

صُلبت جثته من بني هاشم، وأول رأسٍ حُمِل من رؤوسهم إلي دمشق (1).

الثقات لابن حبان (ت 354):

فجعل مسلم يحاربهم عن نفسه حتّى كلّ ومل، فأمّنه، فأخذه وأدخلوه علي عبيد الله، فأصعد القصر وهو يقرأ ويسبح ويكبر ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غزونا وكذبونا ثمّ خذلونا حتّى دفعنا إلي ما دفعنا إليه. ثمّ أمر عبيد الله بضرب رقبة مسلم بن عقيل، فضرب رقبة مسلم بن عقيل بكير بن حمران الأحمر علي طرف الجدار، فسقطت جثته ثمّ أتبع رأسه جسده.

ثمّ أمر عبيد الله بإخراج هانئ بن عروة إلي السوق، وأمر بضرب رقبة في السوق.

ثمّ بعث عبيد الله بن زياد برأس سي مسلم بن عقيل بن أبي طالب وهانئ بن عروة مع هانئ بن أبي حية الوداعي والزبير بن الأرواح التميمي إلي يزيد بن معاوية، فلمّا بلغ الحسين بن علي الخبر بمصاب الناس بمسلم بن عقيل خرج بنفسه يريد الكوفة (2).

مقاتل الطالبين للأصفهاني (ت 356):

ثمّ أقبل علي ابن الأشعث، فقال: إنّي والله أظنّك ستعجز عن أماني. وسأله أن يبعث رسولاً إلي الحسين بن علي يعلمه الخبر ويسأله الرجوع، فقال له ابن الأشعث: والله لأفعلن.

ص: 456

1- مروج الذهب للمسعودي: 3 / 59.

2- الثقات لابن حبان: 2 / 308.

قال أبو مخنف: فحدثني قدامة بن سعد: إنَّ مسلم بن عقيل حين انتهى به إلى القصر رأى قلّة مبردة موضوعة علي الباب، فقال: إسقوني من هذا الماء. فقال له مسلم بن عمر وأبو قتيبة بن مسلم الباهلي: أتراها ما أبردها؟ فوالله لا تذوق منها قطرةً واحدة حتّى تذوق الحميم في نار جهنّم. فقال له مسلم بن عقيل: ويحك ولأُمك الشكّل، ما أجفأك وأفظك وأقسي قلبك، أنت يا ابن باهلة أولي بالحميم والخلود في نار جهنّم. ثمّ جلس وتساند إلي الحائط.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو قدامة بن سعدان عمرو بن حريث بعث غلاماً له يدعي سليماً، فأتاه بماء في قلّة فسقاه.

قال: وحدثني مدرك بن عمارة أنّ عمارة بن عقبة بعث غلاماً يدعي نسيماً، فأتاه بماء في قلّة عليها منديل وقدح معه، فصبّ فيه الماء ثمّ سقاه، فأخذ كلّما شرب امتلأ القدح دماً، فأخذ لا يشرب من كثرة الدم، فلمّا ملأ القدح ثانية ذهب يشرب فسقطت ثنيتاه في القدح، فقال: الحمد لله، لو كان لي من الرزق المقسوم لشربته.

قال: ثمّ أدخل علي عبيد الله بن زياد (لعنه الله)، فلم يسلم عليه، فقال له الحرس: ألا تسلّم علي الأمير؟ فقال: إن كان الأمير يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لا يريد قتلي فليكثرن سلامي عليه. فقال له عبيد الله (لعنه الله): لتقتلن. قال: أكذلك؟ قال: نعم. قال: دعني إذاً أوصي إلي بعض القوم. قال: أوصِ إلي مَنْ أحببت. فنظر ابن عقيل إلي القوم وهم جلساء ابن زياد وفيهم عمر بن سعد، فقال: يا عمر، إنّ بيني وبينك قرابة دون هؤلاء، ولي إليك حاجة، وقد يجب عليك لقرابتي نجح حاجتي، وهي سرّ. فأبي أن يمكنه من ذكرها، فقال له عبيد الله بن زياد: لا تمتنع من أن تنظر في حاجة ابن عمك. فقام معه وجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد (لعنه الله)، فقال له ابن عقيل:

إِنَّ عَلِيَّ بِالْكَوْفَةِ دَيْنًا اسْتَدْنَتْهُ مَذْقَمَتُهَا تَقْضِيهِ عَنِّي حَتَّى يَأْتِيكَ مِنْ غَلَّتِي بِالْمَدِينَةِ، وَجِئْتِي فَاطِلْبُهَا مِنْ ابْنِ زِيَادٍ فَوَارَهَا، وَابْعَثْ إِلَى الْحُسَيْنِ مَنْ يَرِدُهُ. فَقَالَ عُمَرُ لِبْنِ زِيَادٍ: أَتَدْرِي مَا قَالَ؟ قَالَ: اكَتَمَ مَا قَالَ لَكَ. قَالَ: أَتَدْرِي مَا قَالَ لِي؟ قَالَ: هَاتِ، فَإِنَّهُ لَا يَخُونُ الْأَمِينَ وَلَا يُؤْتِمَنُ الْخَائِنَ. قَالَ: كَذَا وَكَذَا. قَالَ: أَمَّا مَالِكُ فَهُوَ لَكَ وَلَسْنَا نَمْنَعُكَ مِنْهُ فَاصْنَعْ فِيهِ مَا أَحْبَبْتَ، وَأَمَّا حُسَيْنٌ فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَرِدْنَا لَمْ نَرُدْهُ وَإِنْ أَرَادْنَا لَمْ نَكْفَعْ عَنْهُ، وَإِنَّمَا جِئْتَهُ فَإِنَّا لَا نَشْفَعُكَ فِيهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ لِدَلِّكَ مَتًّا بِأَهْلٍ وَقَدْ خَالَفْنَا وَحَرَصْنَا عَلَيَّ هَلَاكُنَا. ثُمَّ قَالَ ابْنُ زِيَادٍ لِمُسْلِمٍ: قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ قَتْلَةً لَمْ يَقْتُلْهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ. قَالَ: أَمَّا أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ أَحْدَثَ فِي الْإِسْلَامِ مَا لَيْسَ فِيهِ، أَمَّا أَنْتَ لَمْ تَدْعُ سِوَاءَ الْقَتْلَةِ وَقَبْحِ الْمِثْلَةِ وَخَبْثِ السَّيْرِ وَلُؤْمِ الْغَيْلَةِ لِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ. ثُمَّ قَالَ ابْنُ زِيَادٍ: اصْعَدُوا بِهِ فَوْقَ الْقَصْرِ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ. ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا الَّذِي ضَرَبَهُ ابْنُ عَقِيلٍ عَلَيَّ رَأْسَهُ وَعَاتَقَهُ بِالسَّيْفِ. فَجَاءَهُ، فَقَالَ: اصْعَدْ وَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَضْرِبُ عُنُقَهُ. وَهُوَ بَكِيرُ بْنُ حَمْرَانَ الْأَحْمَرِيُّ (لَعْنَهُ اللَّهُ).

فصعدوا به وهو يستغفر الله ويصلي على النبي محمد (صلي الله عليه وآله) وعلي أنبيائه ورسوله وملائكته، وهو يقول: اللَّهُمَّ احْكُم بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِ غَرَّوْنَا وَكَادَوْنَا وَخَذَلَوْنَا. ثُمَّ أَشْرَفُوا بِهِ عَلَيَّ مَوْضِعَ الْحَدَائِنِ، فَضْرَبَ عُنُقَهُ ثُمَّ اتَّبَعَ رَأْسَهُ جَسَدَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَرَحِمَهُ (1).

وقال المدائني: عن أبي مخنف، عن يوسف بن يزيد قال: فقال عبد الله بن الزبير الأسدي:

ص: 458

1- مقاتل الطالبين للأصفهاني: 66.

إذا كنتِ

لا تدرين ما الموت فانظري

إلي

هانئٍ في السوق وابن عقيلٍ

إلي بطلٍ

قد هشمّ السيف وجهه

وآخر

يهوي من طمار قتييلٍ

تري

جسداً قد غيّر الموت لونه

ونضح دمٍ

قد سال كلّ مسيلٍ

أصابهما

أمر الأمير فأصبحا

أحاديث

من يسعي بكلّ سبيلٍ

أيركب

أسماء الهماليج آمناً

وقد

طلبتّه مذحج بذحولٍ

تطيف

حواليه مراد وكلهم

علي رقة

من سائلٍ ومسولٍ

فإن

أنتم لم تتأروا بأخيكم

فكونوا

بغايا أرضيت بقليل (1)

قال أبو مخنف في حديثه خاصة عن رجاله: إنَّ عبيد الله بن زياد وجّه الحرّ ابن يزيد ليأخذ الطريق علي الحسين (عليه السلام)، فلما صار في بعض الطريق لقيه أعرابيان من بني أسد، فسألهما عن الخبر، فقالا له: يا ابن رسول الله، إنَّ قلوب الناس معك وسيوفهم عليك، فارجع. وأخبراه بقتل ابن عقيل وأصحابه، فاسترجع الحسين (عليه السلام)، فقال له بنو عقيل: لا نرجع والله أبداً أو

ص: 459

ندرك ثأرنا أو نقتل بأجمعنا. فقال لمن كان لحق به من الأعراب: مَنْ كان منكم يريد الانصراف عَنَّا فهو في حلٍّ من بيعتنا. فانصرفوا عنه وبقي في أهل بيته ونفر من أصحابه (1).

الإرشاد للشيخ المفيد (ت 413):

وأقبل ابن الأشعث بابن عقيل إلي باب القصر، فاستأذن فأذن له، فدخل علي ابن زياد فأخبره خبر ابن عقيل وضرب بكر إياه وما كان من أمانه له، فقال له عبيد الله: وما أنت والأمان؟ كأننا أرسلناك لتؤمنه! إنما أرسلناك لتأتينا به. فسكت ابن الأشعث، وأنتهي بابن عقيل إلي باب القصر، وقد اشتد به العطش، وعلي باب القصر ناسٌ جلوس ينتظرون الإذن، فيهم عمارة بن عقبة ابن أبي معيط وعمرو بن حريث ومسلم بن عمرو وكثير بن شهاب، وإذا قلّة باردة موضوعة علي الباب، فقال مسلم: اسقوني من هذا الماء. فقال له مسلم ابن عمرو: أتراها؟ ما أبردها! لا والله لا تذوق منها قطرةً أبداً حتّي تذوق الحميم في نار جهنّم. فقال له ابن عقيل (رضي الله عنه): ويلك، مَنْ أنت؟ قال: أنا مَنْ عرف الحقّ إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وأطاعه إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي. فقال له مسلم بن عقيل: لأُمك الثكل، ما أجفأك وأفظك وأقسي قلبك! أنت يا ابن باهلة أولي بالحميم والخلود في نار جهنّم منّي. ثمّ جلس فتساند إلي حائط. وبعث عمرو بن حريث غلاماً له فجاءه بقلّة عليها منديل وقدح، فصبّ فيه ماء، فقال له: اشرب، فأخذ كلّما شرب امتلأ القدح دماً منفيّه فلا يقدر أن يشرب، ففعل ذلك مرّة ومرّتين، فلما ذهب في الثالثة

ص: 460

ليشرب سقطت ثنيتاه في القدح، فقال: الحمد لله، لو كان لي من الرزق المقسوم شربته.

وخرج رسول ابن زياد فأمر بإدخاله إليه، فلمّا دخل لم يسلم عليه بالإمرة، فقال له الحرسى: ألا تسلّم علي الأمير؟ فقال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لا يريد قتلي ليكثرن سلامي عليه. فقال له ابن زياد: لعمرى لتقتلن. قال: كذلك؟ قال: نعم. قال: فدعني أوص إلي بعض قومي. قال: افعل. فنظر مسلم إلي جلسائه وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال: يا عمر، إن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب لي عليك نجح حاجتي، وهي سرّ. فامتنع عمر أن يسمع منه، فقال له عبيد الله: لم تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك؟ فقام معه فجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد، فقال له: إن عليّ ديناً بالكوفة استدنته منذ قدمت الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عني، وإذا قُتلْت فاستوهب جثتي من ابن زياد فوارها، وابعث إلي الحسين من يردّه، فإنّي قد كتبتُ إليه أعلمه أنّ الناس معه ولا أراه إلا مقبلاً. فقال عمر لابن زياد: أتدري أيها الأمير ما قال لي؟ إنّه ذكر كذا وكذا. فقال له ابن زياد: إنّه لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن! أمّا مالك فهو لك ولسنا نمنعك أن تصنع به ما أحببت، وأمّا جثته فإنّا لا نبالي إذا قتلناه ما صنع بها، وأمّا حسين فإن هو لم يردنا لم نرده. ثم قال ابن زياد: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وهم جميع، فشئت بينهم وفرقت كلمتهم وحملت بعضهم علي بعض. قال: كلاً، لستُ لذلك أتيت، ولكنّ أهل المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسري وقيصر، فأتيناها لنامر بالعدل وندعو إلي حكم الكتاب. فقال له ابن زياد: وما أنت وذاك يا فاسق؟ لمّ لم تعمل فيهم بذاك إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟ قال: أنا أشرب الخمر؟! أم والله إنّ الله

ليعلم أنّك تعلم أنّك غير صادق، وأنّك قد قلت بغير علم، وأنّي لستُ كما ذكرت، وأنّك أحقّ بشرب الخمر منّي، وأولي بها من يبلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها، ويسفك الدم الحرام علي الغضب والعداوة وسوء الظنّ، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً. فقال له ابن زياد: يا فاسق، إنّ نفسك تمنّيك ما حال الله دونه ولم يرك الله له أهلاً. فقال مسلم: فمن أهله إذا لم نكن نحن أهله؟! فقال ابن زياد: أمير المؤمنين يزيد. فقال مسلم: الحمد لله علي كلّ حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال له ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك قتلةً لم يقتلها أحدٌ في الإسلام من الناس. قال له مسلم: أما أنّك أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن، وأنّك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة. فأقبل ابن زياد يشتمه ويشتم الحسين وعلياً وعقبلاً (عليهم الصلاة والسلام)، وأخذ مسلم لا يكلمه.

ثمّ قال ابن زياد: إصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه، ثم أتبعوه جسده. فقال مسلم بن عقيل (رحمة الله عليه): لو كان بيني وبينك قرابة ما قتلتي. فقال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف؟ فدعي بكر بن حمران الأحمر، فقال له: اصعد فلتكن أنت الذي تضرب عنقه. فصعد به وهو يكبر ويستغفر الله ويصلّي علي رسوله ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وخذلونا. وأشرفوا به علي موضع الحدّائين اليوم، فضربت عنقه وأتبع (جسده رأسه) (1). * * * *

وفي مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة (رحمة الله عليهما) يقول عبد الله بن

ص: 462

الزبير الأسدي:

إن كنت

لا تدرين ما الموت فانظري

إلي

هانئ في السوق وابن عقيل

إلي بطل

قد هشم السيف وجهه

وآخر

يهوي من طمار قتيل

أصابهما

أمر الأمير فأصبحا

أحاديث

من يسري بكل سبيل

تري

جسداً قد غير الموت وجهه

ونضح دم

قد سال كل مسيل

فتي هو

أحيا من فتاة حبيبة

وأقطع من

ذي شفرتين صقيل

أيركب

أسماء الهماليج آمناً

وقد

طلبتَه مذحجٌ بذحولٍ

تطيف

حواليه مراد وكلهم

علي رقبة

من سائل ومسول

فإن

أنتم لم تثاروا بأخيكم

فكونوا

بغايا أرضيت بقليل

ولمّا قُتل مسلم وهانئ (رحمة الله عليهما) بعث عبيد الله بن زياد برؤوسهما مع هانئ بن أبي حية الوادعي والزبير بن الأرواح التميمي إلي يزيد بن معاوية، وأمر كاتبه أن يكتب إلي يزيد بما كان من أمر مسلم وهانئ، فكتب الكاتب -- وهو عمرو بن نافع -- فأطال، وكان أول من أطال في الكتب، فلمّا نظر فيه عبيد الله تكرهه وقال: ما هذا التطويل وما هذه الفصول؟ أكتب: أمّا بعد، فالحمد لله

ص: 463

الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه وكفاه مؤونة عدوه، أخبر أمير المؤمنين أن مسلم ابن عقيل لجأ إلي دار هاني بن عروة المرادي، وأني جعلت عليهما العيون ودسست إليهما الرجال، وكدتهما حتى استخرجتهما، وأمكن الله منهما، فقدّمتهما وضربت أعناقهما، وقد بعثت إليك برؤوسهما مع هاني بن أبي حية والزيير بن الأروح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسألها أمير المؤمنين عما أحب من أمرهما، فإنّ عندهما علماً وصدقاً وورعاً، والسلام. فكتب إليه يزيد: أمّا بعد، فإنّك لم تعد أن كنت كما أحبّ، عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، وقد أغنيت وكفيت وصدقت ظني بك ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك فسألتهما وناجيتهما، فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيراً، وإنّه قد بلغني أنّ حسيناً قد توجه إلي العراق، فضع المناظر والمسالح واحترس، واحبس علي الظنّة واقتل علي التهمة، واكتب إليّ فيما يحدث من خبر إن شاء الله (1).

وروي عبد الله بن سليمان والمنذر بن المشمعل الأسديان، قالوا: لما قضينا حجنا لم تكن لنا همّة إلاّ اللحاق بالحسين (عليه السلام) في الطريق لننظر ما يكون من أمره، فأقبلنا ترقل بنا نياقنا مسرعين حتى لحقنا بزروود، فلما دنونا منه إذا نحن برجلٍ من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأي الحسين (عليه السلام)، فوقف الحسين كأنّه يريد، ثم تركه ومضي، ومضينا نحوه، فقال أحدهما لصاحبه: إذهب بنا إلي هذا لسأله، فإنّ عنده خبر الكوفة. فمضينا حتى انتهينا إليه، فقلنا: السلام عليك. فقال: وعليكم السلام. قلنا: ممّن الرجل؟ قال: أسدي.

ص: 464

قلت: ونحن أسديان، فمن أنت؟ قال: أنا بكر ابن فلان. وانتسبنا له، ثم قلنا له: أخبرنا عن الناس وراءك. قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتى قُتِلَ مسلم ابن عقيل وهانئ بن عروة، ورأيتُهما يُجرَّان بأرجلهما في السوق. فأقبلنا حتى لحقنا الحسين (صلوات الله عليه)، فسأيرناه حتى نزل الثعلبية ممسياً، فجنناه حين نزل، فسلمنا عليه فردَّ علينا السلام، فقلنا له: رحمك الله، إنَّ عندنا خبراً، إن شئتَ حدِّثناك علانيةً وإن شئتَ سراً. فنظر إلينا وإلي أصحابه، ثم قال: ما دون هؤلاء ستر. فقلنا له: رأيتَ الراكبَ الذي استقبلته عشيَّ أمس؟ قال: نعم، وقد أردتُ مسألته. فقلنا: قد والله استبرأنا لك خبره وكفيناك مسألته، وهو امرؤٌ مَنَّا ذو رأيٍ وصدقٍ وعقل، وإنَّه حدَّثنا أنَّه لم يخرج من الكوفة حتى قُتِلَ مسلم وهانئ، ورأهما يُجرَّان في السوق بأرجلهما. فقال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، رحمة الله عليهما. يكرَّر ذلك مراراً، فقلنا له: ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفتَ من مكانك هذا، فإنَّه ليس لك بالكوفة ناصرٌ ولا شيعة، بل نتخوَّف أن يكونوا عليك. فنظر إلي بني عقيل فقال: ما ترون؟ فقد قُتِلَ مسلم. فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق. فأقبل علينا الحسين (عليه السلام) وقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء. فعلمتُ أنَّه قد عزم رأيه علي المسير، فقلنا له: خار الله لك. فقال: رحمكما الله. فقال له أصحابه: إنَّك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمتَ الكوفة لكان الناس إليك أسرع. فسكت، ثم انتظر حتى إذا كان السحر قال لفتيانهِ وغلماهُ: أكثرُوا من الماء فاستقُوا وأكثرُوا ثم ارتحلوا. فسار حتى انتهى إلي زباله، فأتاه خبر عبد الله بن يقطر، فأخرج إلي الناس كتاباً قرأه عليهم (1).

ص: 465

فلَمَّا دخل به علي بن زياد قال: -- إني آمنته. قال: -- وما أنت والأمان؟ كأنما أرسلناك لتؤمنا! إنما أرسلناك لتأتينا به. فسكت، وانتهى بمسلم إليه، فقال: -- إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة، لتشتت بينهم وتحمل بعضهم علي بعض. قال: -- كلاً! لستُ لذلك أتيت، لكنّ أهل المصر زعموا أنّ أبك قتل خيارهم، وعمل فيهم أعمال كسري وقيصر، فأتيناهم لنامر بالمعروف والعدل، وندعو إلي حكم الكتاب. وتراجعا الكلام إلي أن قال له ابن زياد: -- قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام. قال: -- أما أنّك أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، وأنك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة، لا أحد من الناس أحقّ بها منك. وأخذ ابن زياد يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً، وأمسك مسلم لا يكلمه، ثمّ قال: -- اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه، ثمّ أتبعوا جسده رأسه. فصعد وهو يقول: -- اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا. وأشرف به علي موضع الحدّين اليوم، فضربت عنقه وأتبع جسده رأسه (1).

وأمر بكلّ من عرفه ممّن خرج مع مسلم، فأتي به إلي قومه، فضربت عنقه فيهم، وبُعث برؤوس من قُتل منهم إلي يزيد، وكتب بالقصة، ولحق رسول مسلمان الذي أشخصه محمد بن الأشعث الحسين، وهو بزبالة لأربع ليال، فأخبره الخبر وبلغه الرسالة، فقال له الحسين: كلّ ما حمّ نازل، وعند الله

ص: 466

إعلام الوري للطبرسي (ت 548):

وأقبل ابن الأشعث بابن عقيل إلي باب القصر، ودخل علي عبيد الله فأخبره خبره وما كان من أمانه، فقال ابن زياد: ما أنت والأمان؟ كأننا أرسلناك لتؤمنه، وإنما أرسلناك لتأتينا به! فسكت ابن الأشعث، وخرج رسول ابن زياد فأمر بإدخال مسلم، فلمّا دخل لم يسلم عليه بالإمرة، فقال الحرسي: ألا تسلم علي الأمير؟ قال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه، وإن كان لا يريد قتلي ليعثرنّ سلامي عليه. فقال ابن زياد: لعمرى لتقتلنّ قتلةً لم يقتلها أحدٌ من الناس في الإسلام. فقال له مسلم: أنت أحقّ من أحدث في الإسلام، وأنتك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة. وأخذ ابن زياد (لعنة الله عليه) يشتمه ويشتم الحسين وعليّاً وعقبلاً، وأخذ مسلم لا يكلمه. ثم قال ابن زياد: إصعدوا به فوق القصر واضربوا عنقه ثم أتبعوه جسده. فقال مسلم: لو كان بيني وبينك قرابة ما قتلتني. فقال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف؟ فدعي بكر بن حمران الأحمر، فقال له: إصعد فكن أنت الذي تضرب عنقه. فصعد، وجعل مسلم يكبّر الله ويستغفره ويصلي علي النبي وآله، ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا. وضربت عنقه واتبع جسده رأسه، وأمر بهاني بن عروة فأخرج إلي السوق وضربت عنقه، وهو يقول: إيا الله المعاد، اللهم إلي رحمتك ورضوانك.

وفي قتلها يقول عبد الله بن الزبير الأسدي:

ص: 467

إن كنت لا تدرين

ما الموت فانظري

إلي هاني في

السوق وابن عقيل

إلي بطلٍ قد

هشم السيف وجهه

وآخر يهوي من

طمار قتيلٍ

في أبيات.. وبعث ابن زياد (لعنه الله) برأسيهما إلي يزيد بن معاوية (لعنه الله) (1).

مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي (ت 568):

ضربه بكبير علي شفته العليا، وضربه مسلم فبلغت الضربة جوفه فأسقطه قتيلاً، وطعن من ورائه فسقط إلي الأرض، فأخذ أسيراً، ثم أخذ فرسه وسلاحه.

وتقدّم رجلٌ من بني سليم يقال له: عبيد الله بن العباس، فأخذ عمامته، فجعل يقول: اسقوني شربةً من الماء. فقال له مسلم بن عمرو بن عمرو الباهلي: لا والله لا تذوق الماء يا ابن عقيل حتّي تذوق الموت. فقال له مسلم: ويلك، ما أجفأك وأفظك وأقسي قلبك، أشهد عليك إن كنت من قريشٍ فإنّك ملصق، وإن كنت من غير قريش فأنت دعي، من أنت يا عدوّ الله؟ قال: أنا من عرف الحقّ إذ أنكرته، ونصح الإمام إن غششته، وأطاع إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي. فقال له مسلم: لأُمّك الهبل يا ابن باهلة، أنت أولي بالجحيم والخلود في نار الجحيم، إذ أثرت طاعة آل أبي سفيان علي طاعة آل محمّد. ثمّ قال: ويحكم يا أهل الكوفة! اسقوني شربة من ماء. فأتاه غلامٌ لعمرو

ص: 468

ابن حريث المخزومي بقلدة فيها ماء وقدح من قوارير، فصب القلدة في القدح وناوله، فأخذ مسلم القدح بيده، فكلمه أراد أن يشرب امتلاً القدح دماً، فلم يقدر أن يشرب من كثرة الدم، وسقطت ثنيته في القدح، فامتنع من شرب ذلك الماء.

ثم أتى به فدخل علي ابن زياد فأوقف، ولم يسلم عليه، فقال له الحرسي: سلم علي الأمير. فقال مسلم: أسكت لا أم لك، مالك والكلام، ما هو لي بأمر فأسلم عليه، وأخري ما ينفعني سلامي وهو يريد قتلي؟ فإن استبقاني فسيكثر. فقال ابن زياد: لا عليك، سلمت أو لم تسلم فإنك مقتول. فقال مسلم: إن قتلتي فلقد قتل من هو شر منك من هو خيراً مني.

ثم قال له: إن القوم قد آمنوني. فقال محمد بن الأشعث: أتني قد آمنته. فقال ابن زياد: وما أنت وذاك؟ كأتي إنما أرسلتك لتؤمته!

ثم قال لمسلم: يا شاق، يا عاق! خرجت علي إمامك وشققت عصا المسلمين وألححت الفتنة. فقال: كذبت يا ابن زياد! إنما شق عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وإنما ألححت الفتنة أنت وابوك زياد ابن عبيد بن علاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة علي يدي شر بريته، فوالله ما خلعت وما غيرت، وإنما أنا في طاعة الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله، فهو أولي بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد.

فقال له ابن زياد: يا فاسق، ألم تكن تشرب الخمر بالمدينة؟ فقال مسلم: الله يعلم أتني ما شربتها قط، وأحق مني بشرب الخمر من يقتل النفس الحرام، ويقتل علي الغضب والعداوة والظن، وهو في ذلك يلهو ويعلب كأنه لم يصنع شيئاً.

فقال له ابن زياد: يا فاسق! متت نفسك أمراً حال الله دونه وجعله لأهله.

فقال مسلم: ومَن أهله يا ابن مرجانة؟ فقال له: يزيد بن معاوية. فقال مسلم: الحمد لله، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال ابن زياد: أنظرن أن لك من الأمر شيئاً؟ فقال: لا والله ما هو بالظنّ، ولكنّه اليقين. فقال ابن زياد له: قتلني الله إن لم أقتلك شرّ قتلة. فقال له مسلم: أما أنّك لا تدع سوء القتلّة وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الفعلة لأحدٍ غيرك أولي منك، والله لو كان معي عشرة ممّن أثق بهم وقدرت علي شربة ماء لطال عليك أن تراني في هذا القصر، ولكن إن كنت قد عزمت علي قتلي فأقم لي رجلاً من قريش حتّي أوصي إليه بما أريد.

ثمّ نظر مسلم إلي عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال له: إنّ بيني وبينك قرابة، فاسمع منّي. فامتنع، فقال له ابن زياد: ما يمنعك من الاستماع لابن عمّك؟ فقام عمر إليه، فقال له مسلم: أوصيك بتقوي الله، فإنّ التقوي درك كلّ خير، ولي إليك حاجة. فقال عمر: قل ما أحببت. فقال: حاجتي إليك أن تستردّ فرسي وسلاحي من هؤلاء القوم فتبيعه وتقضي عني سبعمائة درهم استدنتّها في مصركم هذا، وأن تستوهب جثتي إن قتلني هذا الفاسق فتواريني في التراب، وأن تكتب للحسين أن لا يقدم فينزل به ما نزل بي. فقال عمر بن سعد: أيّها الأمير! إنّه يقول كذا وكذا. فقال ابن زياد: يا ابن عقيل! أما ما ذكرت من دينك فإنّما هو مالك تقضي به دينك ولسنا نمنعك أن تصنع به ما أحببت، وأمّا جسدك فإنّنا إذا قتلناك فالخيار لنا ولسنا نبالي ما صنع الله بجثّتك، وأمّا الحسين فإنّه إن لم يردنا لم نرده وإن أرادنا لم نكفّ عنه.

وفي رواية أنّه قال: وأمّا الحسين فلا ولا كرامة، ولكن أريد أن تخبرني يا ابنعقيل لماذا أتيت أهل هذا البلد وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة، فأردت أن تفرّق عليهم أمرهم وتحمل بعضهم علي بعض؟ فقال له مسلم: ليس لذلك أتيت،

ولكنّ أهل هذا المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وأنّ معاوية حكم فيهم ظلماً بغير رضیّ منهم، وغلبهم عليّ ثغورهم التي أفاء الله بها عليهم، وأنّ عاملهم يتجبر ويعمل أعمال كسري وقيصر، فأتينا لنامر بالعدل، وندعو إليّ الحكم بكتاب الله إذ كنّا أهله، ولم تزل الخلافة لنا وإن قهرنا عليها، رضيتم بذلك أم كرهتم، لأنّكم أول من خرج عليّ إمام هديّ وشقّ عصا المسلمين، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله تعالى: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ).

قال: فجعل ابن زياد يشتمه ويشتم علياً والحسن والحسين، فقال مسلم: أنت وأبوك أحقّ بالثتم والسبّ، فاقض ما أنت قاضٍ يا عدوّ الله، فنحن أهل بيتٍ موكل بنا البلاء. فقال ابن زياد: إصعدوا به إليّ أعليّ القصر واضربوا عنقه واتبعوا رأسه جسده. فقال مسلم: أم والله يا ابن زياد! لو كنت من قريشٍ أو كان بيني وبينك رحمٌ لما قتلتني، ولكنك ابن أبيك.

فازداد ابن زياد غضباً، ودعا برجلٍ من أهل الشام قد كان مسلم ضربه عليّ رأسه ضربة منكرة، فقال له: خذ مسلماً إليك وأصعده إليّ أعليّ القصر واضرب أنت عنقه بيدك ليكون ذلك أشفي لصدرك.

قال: فأصعد مسلم إليّ أعليّ القصر، وهو يسبح الله ويستغفره ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا. حتّيّ أتّي به إليّ أعليّ القصر، فتقدّم ذلك الشامي وضرب عنقه، ثم نزل الشامي وهو مذعورٌ مدهوش، فقال له ابن زياد: ماشأنك؟ أقتلته؟ قال: نعم، إلا إنّ عرض عارضٌ فأنا به مرعوب. قال: وما الذي عرض؟ قال: رأيت ساعة قتلته رجلاً بحذائي أسود شديد السواد كربه المنظر، عاصباً عليّ إصبعة -- أو قال: شفته --، ففزعتُ منه فزعاً لم أفزع مثله قطّ.

فتبسّم ابن زياد وقال: دهشت من شيءٍ لم تعتده قبل ذلك (1).

ثم أمر ابن زياد بمسلم وبهاني فصلبا منكسين ...

قال الإمام أحمد بن أعثم الكوفي في تاريخه: ولما صلب مسلم بن عقيل وهاني ابن عروة، قال فيهما عبد الله بن الزبير الأسدي:

إذا كنتِ

لا تدرين ما الموت فانظري

إلي

هانيء بالسوق وابن عقيلِ

إلي بطلِ

قد هشم السيفُ وجهه

وآخر

يهوي من طمار قنيلِ

تري

جسداً قد غيّر الموت لونه

ونضح دمِ

قد سال كلّ مسيلِ

فتيّ كان

أحيي من فتاةٍ حيّةٍ

وأقطع من

ذي شفرتين صقيلِ

وأشجع من

ليث بخفان مصحر

وأجرء من

ضار بغاية غيل

أصابهما

أمر الأمير فأصبحا

أحاديث

من يسري بكلّ سيل

أيركب

أسماء الهماليج آمنأوقد

طلبته مذحجٌ بذحول

تطوف

حواليه مراد وكلّهم

علي رقبة

من سائل ومسول

ص: 472

أنتم لم تتأروا لأخيكم

فكونوا

بغايا أرضيت بقليل

قال: ثم كتب ابن زياد إلي يزيد:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله يزيد أمير المؤمنين من عبيد الله بن زياد، الحمد لله الذي أخذ لأمر المؤمنين بحقه، وكفاه مؤونة عدوه.. ثم ذكر قدوم مسلم بن عقيل وذكر هاني بن عروة، وكيف أخذهما وكيف قتلهما، ثم قال: وقد بعثت برأسيهما مع هاني بن حية الوداعي والزبير بن الأروح التميمي، وهما من أهل الطاعة والسنة والجماعة، فليسألها أمير المؤمنين عما أحب، فإن عندهما علماً وفهماً وصدقاً وورعاً.

فلما ورد الكتاب والرأسان جميعاً، نصبهما علي باب دمشق، ثم كتب لابن زياد: أما بعد، فإنك عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع الرابط الجاش، فكفيت ووفيت، وقد سألت رسولك فوجدتهما كما زعمت، وقد أمرت لكل واحدٍ منهما بعشرة آلاف درهم وسرحتهما إليك، فاستوص بهما خيراً، وقد بلغني أن الحسين بن علي قد عزم علي المصير إلي العراق، فضع المراصد والمناظر والمسالح واحترس، واحبس علي الظن واقتل علي التهمة، واكتب في ذلك إلي كل يوم بما يحدث من خبر.

قال: وبلغ الحسين أن مسلم بن عقيل قد قتل، وذلك إنه قدم عليه رجلٌ من أهل الكوفة، فسأله عن مسلم، فقال: والله يا ابن رسول الله ما خرجت من الكوفة حتى نظرت إلي مسلم بن عقيل وهاني بن عروة المذحجي قتيلين جميعاً، مصلوبين منكسين في سوق القصابين، وقد وجه برأسيهما إلي يزيد. فاستعبر الحسين باكياً، ثم قال: إننا لله وإننا إليه راجعون. وعزم علي المسير إلي

روضة الواعظين للفتال النيسابوري (ت 508):

ثمّ أقبل بـابن عقيل إلى باب القصر، فاستأذن فأذن له، فدخل علي عبيد الله، فأخبره خبر ابن عقيل وذكر ما كان من أمانه له، فقال له عبيد الله: وما أنت والأمان؟ كأنما أرسلناك لتأتينا به! فسكت ابن الأشعث.

وانتهي بـابن عقيل إلى باب القصر، وقد اشتدّ به العطش، فقال: اسقوني من هذا الماء. وتساند إلي حايط، وبعث عمرو بن حريث غلاماً فجاءه بقلّة عليها منديل وقدح، فصبّ فيه ماءً فقال له: اشرب، فأخذ كلّما شرب امتلأ القدح دماً من فمه فلا يقدر أن يشرب، ففعل ذلك مرّةً أو مرّتين، فلمّا ذهب في الثالثة ليشربه سقطت ثنيتاه في القدح، فقال: الحمد لله، لو كان لي من الرزق المقسوم شربته.

وخرج رسول ابن زياد وأمر بإدخاله، فلمّا دخل لم يسلم عليه بالإمرة، فقال له الحرس: ألا تسلم علي الأمير؟ فقال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لا يريد قتلي ليكثرنّ سلامي عليه. فقال له ابن زياد: لعمري لتقتلن. قال: كذلك؟ قال: نعم. قال: دعني أوصي إلي بعض قومي. قال: افعل. فنظر مسلم إلي جلساء ابن زياد وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال: يا عمر، إنّ بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة وقد يجب عليك نجح حاجتي، وهو سرّ. فامتنع عمر أن يسمع منه، فقال عبيد الله: لم تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمّك؟ قال: فجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد، فقال: إنّ عليّ ديناً استدنته مذ وقت قدمت الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عني، وإذا قُتلت فاستوهب

ص: 474

جثتي من ابن زياد فوارها، وأبعث إلي الحسين من يردّه، فإنّي قد كنتُ أعلمتُهُ أنّ الناس ليسوا إلّا معه ولا أراه إلّا مقبلاً. فقال عمر لابن زياد: أتدري أيّها الأمير ما قال؟ إنّه ذكر كذا وكذا. فقال ابن زياد: لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن، أمّا مالك فهو لك ولسنا نمنعك أن تصنع به ما أحببت، وأمّا جثته فإنّا لا نبالي إذا قتلناه ما صدّنع بها، وأمّا الحسين فهو إن لم يردنا لم نرده، اصعدوا به فوق القصر واضروا عنقه، ثمّ أتبعوا جسده، أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف؟ فدعي بكر بن حمران الأحمرى، فقال له: اصعد، فلتكن أنت الذي تضرب عنقه.

فصعد به، وهو يكبر ويستغفر الله ويصليّ علي رسول الله (صلي الله عليه وآله) ويقول: اللّهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وخذلونا. فأشرفوا به علي موضع الحراس اليوم فُضرب عنقه واتبع جسده رأسه (1).

ووقع الخبر عند الحسين بقتل مسلم بن عقيل وهاني، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمة الله عليهما. يردّد ذلك مراراً، فقيل له: نشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلّا انصرفت من مكانك هذا، فإنّه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوّف أن يكونوا عليك. فنظر إلي بني عقيل وقال: ما ترون؟ فقد قُتل مسلم بن عقيل! قالوا: والله لا نرجع حتّي نصيب ثارنا أو نذوق ما ذاق (2).

ص: 475

1- روضة الواعظين للفتال النيسابوري: 176.

2- روضة الواعظين للفتال النيسابوري: 178.

لباب الأنساب لابن فندق (ت 565):

قتله راشد بن صرد بن عتبة، وقيل: قتله ابن حمران الأحمر، قُتل بالكوفة علي سطح قصر الإمارة، قبره بمقبرة الكوفة، صلّي عليه عمر بن سعد بعد ثلاثة أيام من قتله (1).

مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (ت 588):

فقال ابن الأشعث: لا تقتل نفسك وأنت في ذمّتي. قال: أوسر وبي طاقة؟! لا والله لا يكون ذلك أبداً. وحمل عليه فهرب منه، فقال مسلم: اللهم إنّ العطش قد بلغ ممّي. فحملوا عليه من كلّ جانب، فضربه بكبير بن حمران الأحمر علي شفته العليا، وضربه مسلم في جوفه فقتله، وطعن من خلفه فسقط من فرسه فأسر، فقال مسلم: اسقوني شربةً من ماء. فأتاه غلام عمرو بن حريث بشربة زجاج، وكانت تملي دماً وسقطت فيه ثنّيته.

فأتي به إلي ابن زياد فتجاوبا، وكان ابن زياد يسبّ حسيناً وعلياً (عليه السلام)، فقال مسلم: فاقض ما أنت قاضٍ يا عدوّ الله. فقال ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر واضربوا عنقه. وكان مسلم يدعو الله ويقول: اللهم احكّم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا. فقتله وهو علي موضع الحدّائين، ثمّ أمر بقتل هاني بن عروة في محلّة يباع فيها الغنم، ثمّ أمر بصلبه منكوساً.

وأنشد أسدي:

فإن كنتِ

لا تدرين ما الموتُ فانظري

إلي

هانيّ في السوق وابن عقيل

ص: 476

وأنفذ رأسهما إلي يزيد في صحبة هاني بن حياة الوادعي، فنصب الرأسين في دربٍ من دمشق، وكتب: قد بلغني أنّ الحسين قد عزم إلي المسير إلي العراق، فضع المرصد، واحبس علي الظنّ واقتل علي التهمة حتّى تكفي أمره (1).

المنتظم لابن الجوزي (ت 597):

ولمّا جيء بمسلم إلي عبيد الله بن زياد، أخبره عبد الرحمان أنّه قد آمنه، فقال: ما أنت والأمان؟ إنّما بعثناك لتجيء به لا لتؤمنه. فأمر به، فأصعد إلي أعلي القصر، فضربت عنقه، وألقي جثته إلي الناس، وأمر بهاني فقتل في السوق، وسُحب إلي الكناسة فصُلب هناك.

وقال شاعرهم في ذلك:

فإن كنتِ

لا تدرين ما الموت فانظري

إلي هاني

في السوق وابن عقيل

تري

جسداً قد غير الموتُ لونه

ونضح دم

قد سال كلّ مسيل

أصابهما

أمر الإمام فأصبحا

أحاديث

من يسعي بكلّ سبيل (2)

الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت 630):

وأما مسلم، فإنّ محمداً قدم به القصر، ودخل محمّد علي عبيد الله فأخبره الخبر وأمانه له، فقال له عبيد الله: ما أنت والأمان؟ ما أرسلناك لتؤمنه، إنّما أرسلناك

-
- 1- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 10 / 319 وما بعدها - بتحقيق: السيّد عليّ أشرف.
- 2- المنتظم لابن الجوزي: 5 / 326.

ولمّا جلس مسلم علي باب القصر رأي جرة فيها ماء بارد، فقال: اسقوني من هذا الماء. فقال له مسلم بن عمرو الباهلي: أتراها ما أبردها؟ والله لا تذوق منها قطرةً حتّى تذوق الحميم في نار جهنّم. فقال له ابن عقيل: من أنت؟ قال: أنا من عرف الحقّ إذ تركته، ونصح الأُمّة والإمام إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته، أنا مسلم بن عمرو. فقال له ابن عقيل: لأُمك الثكل، ما أجفاك وأفطك وأقسي قلبك وأغلظك، أنت يا ابن باهلة أولي بالحميم والخلود في نار جهنّم منّي. قال: فدعا عمارة بن عقبة بماء بارد، فصبّ له في قدح، فأخذ ليشرب فامتلاً القدح دماً، ففعل ذلك ثلاثاً، فقال: لو كان من الرزق المقسوم شربته.

وأدخل علي ابن زياد، فلم يسلم عليه بالإمارة، فقال له الحرسى: ألا تسلّم علي الأمير؟ فقال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لا- يريد قتلي فليكرن تسليمي عليه. فقال له ابن زياد: لعمرى لتقتلن. فقال: كذلك؟ قال: نعم. قال: فدعني أوص إلي بعض قومي. قال: افعل. فقال لعمر بن سعد: إن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وهي سرّ. فلم يمكّنه من ذكرها، فقال له ابن زياد: لا تمتنع من حاجة ابن عمك. فقام معه، فقال: إن علي بالكوفة ديناً استدنته [منذ قدمت الكوفة] سبعمائة درهم فاقضها عنّي، وانظر جثتي فاستوهبها فوارها، وابعث إلي الحسين من يردّه. فقال عمر لابن زياد: إنّه قال كذا وكذا، فقال ابن زياد: لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن، أمّا مالك فهو لك تصنع به ما شئت، وأمّا الحسين فإن لم يردنا لم نردّه وإن أرادنا لم نكفّ عنه، وأمّا جثته فإننا لن نشفعك فيها. وقيل: إنّه قال: أمّا جثته فإننا إذا قتلناه لا نبالي ما صنّع بها.

ثم قال لمسلم: يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة، لتشتت بينهم وتفرق كلمتهم. فقال: كلاً، ولكن أهل هذا المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسري وقيصر، فأتيانهم لأمر بالعدل وندعو إلي حكم الكتاب والسنة. فقال: وما أنت وذاك يا فاسق؟! ألم يكن يعمل بذلك فيهم إذ أنت تشرب الخمر بالمدينة؟ قال: أنا أشرب الخمر؟! والله إن الله يعلم أنك تعلم أنك غير صادق، وأنتي لست كما ذكرت، وأن أحق الناس بشرب الخمر مني من بلغ في دماء المسلمين، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها علي الغضب والعداوة، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً. فقال له ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام. قال: أما أنك أحق من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أما أنك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث السيرة ولوم الغلبة، ولا أحد من الناس أحق بها منك. فشتمه ابن زياد وشتم الحسين وعلياً وعقيلاً، فلم يكلمه مسلم.

ثم أمر به فأصعد فوق القصر لتضرب رقبتة ويتبعوا رأسه جسده، فقال مسلم لابن الأشعث: والله لولا أمانك ما استسلمت، قم بسيفك دوني، قد أخفرت ذمتك.

فأصعد مسلم فوق القصر وهو يستغفر ويسبح، وأشرف به علي موضع الحدائين، فضربت عنقه، وكان الذي قتله بكير بن حمران الذي ضربه مسلم، ثم أتبع رأسه جسده.

فلما نزل بكير قال له زياد: ما كان يقول وأنتم تصعدون به؟ قال: كان يسبح الله ويستغفر، فلما قتله قلت له: أدن مني، الحمد لله الذي أمكن منك وأقادني منك، فضربته ضربة لم تغن شيئاً، فقال: أما تري في خدش تخذشني

وفاء من دمك أيها العبد؟ فقال ابن زياد: وفخراً عند الموت! قال: ثم ضربته الثانية فقتلته (1).

فقال عبد الله بن الزبير الأسدي في قتل هانئ ومسلم، وقيل: قاله الفرزدق. (الزبير: بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة):

فإن كنت لا

تدرين ما الموت فانظري

إلي هانئ في

السوق وابن عقيل

إلي بطل قد

هشم السيف وجهه

وآخر يهوي من

طمار قتييل

وهي أبيات.

وبعث ابن زياد برأسيهما إلي يزيد، فكتب إليه يزيد يشكره ويقول له: وقد بلغني أنّ الحسين قد توجه نحو العراق، فضع المراصد والمسالح واحترس، واحبس علي التهمة وخذ علي الظنة، غير أن لا تقتل إلا من قاتلك (2).

وأناه خبر قتل مسلم بن عقيل بالثعلبية، فقال له بعض أصحابه: نشدك الله إلا رجعت من مكانك، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوف عليك أن يكونوا عليك. فوثب بنو عقيل وقالوا: والله لا نبرح حتى يدرك ثأرنا أو نذوق كما ذاق مسلم. فقال الحسين: لا خير في العيش بعد هؤلاء. فقال له بعض أصحابه: إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة

ص: 480

1- الكامل في التاريخ لابن الأثير: 4 / 33.

2- الكامل في التاريخ لابن الأثير: 4 / 36.

فلما أتى الحسين خبر قتل أخيه من الرضاعة ومسلم بن عقيل، أعلم الناس ذلك، وقال: قد خذلنا شيعتنا، فمن أحب أن ينصرف فلينصرف، ليس عليه مَنّا ذمام. فتفرقوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من مكة، وإنما فعل ذلك لأنه علم أن الأعراب ظنّوا أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فأراد أن يعلموا علي مَ يقدمون عليه (1).

الحدائق الوردية للمحلي (ت 652):

فجاء به إلي عبيد الله بن زياد، فأمر به، فأصعد إلي أعلي القصر، فضربت عنقه، وألقي جثته إلي الناس (2).

مطالب السؤل لابن طلحة (ت 652)، كشف الغمة للأربلي (ت 693):

فلما دخل قصر الإمارة وأصبح، جمع الناس وقال، وأرعد وأبرق، وقتل وفتك، وسفك وانتهك، وعمله وما اعتمده مشهور في تحيِّله، حتى ظفر بمسلم بن عقيل وقتله (3).

ص: 481

1- الكامل في التاريخ لابن الأثير: 4 / 42.

2- الإمام الحسين (عليه السلام) من كتاب الحدائق الوردية للمحلي: 80 - بتحقيق: السيّد علي أشرف.

3- مطالب السؤل لابن طلحة: 74، كشف الغمة للأربلي: 2 / 43.

تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي (ت 654):

فآمنه ابن الاشعث وجاء به إلي ابن زياد، فأمر به فأصعد الي أعلي القصر، فضربت عنقه وألقي رأسه الي الناس، وُصِّلت جثته بالكناسة، ثم فعل بهاني ابن عروة كذلك، فقال الشاعر:

فإن كنتِ

لا تدرين بالموت فانظري

إلي هاني

بالسوق وابن عقيل

أصابهما

ريب المنون فأصبحا

أحاديث

من يسعي بكل سبيل

وقال آخر في ممالاة ابن الاشعث علي مسلم بن عقيل:

وتركت

عمك لم تقاتل دونه

فشلاً،

ولو لا أنت كان منيعا

وقتلت

وافد حزب آل محمد

وسلبت

أسيافاً له ودروعا

وكان ابن الأشعث قد سلبه قبل أن يأتي به ابن زياد، وكان قتل مسلم لثمان مضمين من ذي الحجّة بعد رحيل الحسين من مكة بيوم، وقيل:

يوم رحيله ولم يعلم الحسين بما جري في الكوفة.

وبعث ابن زياد برأس مسلم بن عقيل إلى دمشق الي يزيد، وهو أول رأسٍ حُمِل من رؤوس بني هاشم، وجثة مسلم أول جثةٍ صلبت منهم (1).

اللَّهُوف في قتلي الطفوف للسيد ابن طاووس (ت 664):

فنادوا إليه أنه لا يكذب ولا يغر، فلم يلتفت إلي ذلك، وتكاثروا عليه بعد أن

ص: 482

1- تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي: 219.

أثخن بالجراح، فطعنه رجلٌ من خلفه، فخرّ إلي الأرض، فأخِذ أسيراً. فلَمَّا أدخل علي عبيد الله لم يسلم عليه، فقال له الحرس: سلّم علي الأمير. فقال له: أسكت، ويحك، والله ما هو لي بأمرير. فقال ابن زياد: لا عليك، سلّمَت أم لم تسلّم فإنّك مقتول. فقال له مسلم: إن قتلتني فلقد قتل من هو شرُّ منك من هو خيرٌ منّي، وبعد فإنّك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولوم الغلبة، لا أحد أولي بها منك.

فقال ابن زياد: يا عاق يا شاق، خرجت علي إمامك وشققت عصا المسلمين وألحقت الفتنة. فقال مسلم: كذبت يا ابن زياد! إنّما شقّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وأمّا الفتنة فإنّما ألحقها أنت وأبوك زياد بن عبيد عبد بني علاج من تقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة علي يدي شرّ بريّته.

فقال ابن زياد: متّك نفسك أمراً حال الله دونه وجعله لأهله. فقال له مسلم: ومن يا ابن مرجانة؟ فقال: أهله يزيد بن معاوية. فقال مسلم: الحمد لله، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال له ابن زياد: أتظنّ أنّ لك في الأمر شيئاً؟ فقال له مسلم: والله ما هو الظنّ، ولكنّه اليقين. فقال ابن زياد: أخبرني يا مسلم بماذا أتيت هذا البلد وأمرهم ملتئم، فشتّت أمرهم بينهم وفرقت كلمتهم؟ فقال مسلم: ما لهذا أتيت، ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف، وتأمروا علي الناس بغير رضيّ منهم، وحملتموهم علي غير ما أمركم الله به، وعملتم فيهم بأعمال كسري وقيصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهي عن المنكر، وندعوهم إلي حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل ذلك.

فجعل زياد يشتمه ويشتم علياً والحسن والحسين (عليهم السلام). فقال له مسلم: أنت وأبوك أحقّ بالشتيمة، فاقض ما أنت قاض يا عدوّ الله. فأمر ابن زياد بكبير بن حمران أن يصعد به إلي أعلي القصر فيقتله، فصعد به وهو يسبح الله تعالي ويستغفره ويصلي علي النبيّ (صلي الله عليه وآله)، فضرب عنقه، فنزل مذعوراً، فقال له ابن

زياد: ما شأنك؟ فقال: أيها الأمير، رأيتُ ساعة قتله رجلاً أسود سيء الوجه حذا منّي، عاضاً علي إصبعه -- أو قال: علي شفتيه --، ففزعتُ منه فرعاً لم أزرعه قطّ. فقال له ابن زياد (لعنه الله): لعلك دُهِشت (1).

وفي قتل مسلم وهانئ يقول عبد الله بن زبير الأسدي، ويقال: إنَّها للفرزدق، وقال بعضهم: إنَّها لسليمان الحنفي:

فإن كنتِ

لا تدرين ما الموت فانظري

إلي

هانئٍ في السوق وابن عقيلِ

إلي بطلِ

قد هشم السيفُ وجهه

وآخر

يهوي من طمار قتيلِ

أصابهما

فرخ البغي فأصبحا

أحاديث

من يسري بكلّ سبيلِ

تري

جسداً قد غيّر الموت لونه

ونضح دمِ

قد سال كلّ مسيلِ

فتيِّ كان

أحيي من فتاة حيية

وأقطع من

ذي شفرتين صقيل

أيركب

أسماء الهماليج آمناً

وقد

طلبتة مذحجٌ بذحول

تطوف

حفافيه مراد وكلهم

علي رقبة

من سائل ومسول

ص: 484

1- اللّهُوف في قتلي الطفوف للسيد ابن طاووس: 35.

أنتم لم تتأروا بأخيكم

فكونا

بغايا أرغمت ببعولقال الراوي: وكتب عبيد الله بن زياد بخبر مسلم وهاني إلي يزيد بن معاوية، فأعاد الجواب إليه يشكره فيه علي فعاله وسطوته، ويعرفه أن قد بلغه توجه الحسين (عليه السلام) إلي جهته، ويأمره عند ذلك بالمؤاخذه والانتقام والحبس علي الظنون والأوهام (1).

تاريخ أبي الفداء (ت 732):

فانهزم واستتر، ونادي منادي عبيد الله بن زياد: من أتي بمسلم بن عقيل فله ديته. فأمسك مسلم وأحضر إليه، ولما حضر مسلم بين يدي عبيد الله، شتمه وشم الحسين وعلياً، وضرب عنقه في تلك الساعة، ورميت جيفته!!!! من القصر، ثم أحضر هاني بن عروة، وكان ممن أخذ البيعة للحسين، فضرب عنقه أيضاً، وبعث برأسيهما إلي يزيد بن معاوية ... (2).

نهاية الأرب للنويري (ت 733):

قال: وجاء محمد بن مسلم إلي القصر، فأجلسه علي بابه ودخل هو إلي ابن زياد فأخبره بأمانه، فقال له: ما أنت والأمان؟ ما أرسلناك لتؤمنه، إنما أرسلناك لتأتينا به!

قال: ولما جلس مسلم علي باب القصر رأي جرّة فيها ماء بارد، فقال: استقوني

ص: 485

1- اللهوف للسيّد ابن طاووس: 37.

2- تاريخ أبي الفداء: 1 / 264.

من هذا الماء. فقال له مسلم بن عمرو الباهلي: أتراها ما أبردها! والله لا تذوق منها قطرةً حتّى تذوق الحميم في نار جهنّم! فقال له ابن عقيل: من أنت؟ قال: أنا من عرف الحقّ إذ أنكرته، ونصح الأُمّة وإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته، أنا مسلم بن عمرو. فقال له ابن عقيل: لأُمك الثكل، ما أجفأك وأفظك وأقسى قلبك وأغلظك! أنت يا ابن باهلة أولي بالحميم والخلود في نار جهنم منّي! قال: فدعا عمارة بن عقبة بماء بارد فصبّ له في قدح، فأخذ يشرب فامتلاً القدح دماً، فعل ذلك ثلاثاً، ثمّ قال: لو كان من الرزق المقسوم لشربته.

وأدخل علي ابن زياد فلم يسلم عليه بالإمرة، فقال له الحرسي: ألا تسلّم علي الأمير؟ فقال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لا يريد فليكثرنّ تسليمي عليه. فقال ابن زياد: لعمرى لتقتلنّ. قال: فدعني أوصي إلي بعض قومي. قال: افعل. فقال لعمر بن سعد بن أبي وقاص: إن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وهي سرّ. فلم يمكّنه من ذكرها، فقال له ابن زياد: لا تمتنع من حاجة ابن عمّك. فقام معه، فقال: إنّ عليّ بالكوفة ديناً استدنته أنفقته سبعمائة درهم فاقضها عنّي، وانظر جثتي فاستوهبها فوارها، وابعث إلي الحسين فارده. فقال عمر لابن زياد: أتدري ما ساّرني؟ فقال: أكثرتم علي ابن عمّك. فقال: الأمر أكبر من هذا. قال: اكنم علي ابن عمّك: قال: الأمر أكبر من هذا. وأخبره بما قال، فقال ابن زياد: لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن، أمّا مالك فهو لك تصنع به ما شئت، وأمّا حسين فإن لم يردنا لم نرده وإن أرادنا لم نكفّ عنه، وأمّا جثته فإنّ لا نشفعك فيها. وقيل: إنّه قال: وأمّا جثته فإذا قتلناه لا نبالي ما صنع بها.

ثمّ قال: يا ابن عقيل، أتيتّ الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتيت

بينهم وتفريق كلمتهم. قال: كلاً، ولكنّ أهل هذا المصر زعموا أنّ أبك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسري وقيصر، فأثيناهم لناًمر بالعدل وندعو إلي حكم الكتاب. فقال: وما أنت وذاك؟

ثمّ كانت بينهما مقاوله، قال له ابن زياد في آخرتها: قتلني الله إن لم أقتلك قتلةً لم يقتلها أحدٌ في الإسلام. فقال: أما أنّك أحقّ من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أما أنّك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة لأحدٍ من الناس أحقّ بها منك! فشتمه ابن زياد وشتّم حسيناً وعليّاً وعقيلاً، ولم يكلمه مسلم.

ثمّ أمر به، فأصعد فوق القصر وهو يستغفر الله تعالي ويسبّح، وأشرف به علي موضع الحدادين فضربت عنقه، وكان الذي قتله بكير بن حمران، ثمّ أتبع رأسه جسده (1).

وبعث عبيد الله بن زياد برأسيهما إلي يزيد، فكتب إليه يزيد يشكره، ويقول له: قد بلغني أنّ الحسين بن عليّ توجّه نحو العراق، فضع المراصد والمسالح واحترس، واحبس علي التّهمة وخذ بالظنّة، غير إلّا تقتل إلّا من قاتلك (2).

تهذيب الكمال للمزي (ت 742):

فأعطاه محمّد بن الأشعث الأمان، فأمكن من يده، فجاء به إلي عبيد الله فأمر به، فأصعد إلي أعلي القصر فضرب عنقه وألقي جثته إلي الناس، وأمر بهانئ فسحب إلي الكناسة فصلب هناك، فقال شاعرهم:

ص: 487

1- نهاية الأرب للنويري: 20 / 401.

2- نهاية الأرب للنويري: 20 / 403.

فإن كنتِ

لا تدرين ما الموت فانظري

إلي

هانئٍ في السوق وابن عقيلأصابهما

أمر الأمير فأصبحا

أحاديث

من يسعي بكلّ سبيلٍ

أيركب

أسماء الهماليج آمنأ

وقد

طلبتّه مذحجٌ بقتيلٍ (1)

سير أعلام النبلاء للذهبي (ت 748):

فأعطاه ابن الأشعث أماناً فسلم نفسه، فجاء به إلي عبيد الله، فضرب عنقه وألقاه إلي الناس، وقتل هانئاً، فقال الشاعر:

فإن كنتِ لا

تدرين ما الموت فانظري

إلي هانئٍ في

السوق وابن عقيلٍ

أصابهما أمر

الأمير فأصبحا

أحاديث من يسعي

بكلّ سبيلٍ

أيركب أسماء

الهماليج آمناً

وقد طلبته مذحج

بقتيل

يعني: أسماء بن خارجة (2).

وجاء الليل، فهرب مسلم، فاستجار بامرأة من كندة، ثم جيء به إلى عبيد

ص: 488

1- تهذيب الكمال للمزي: 6 / 426.

2- سير أعلام النبلاء للذهبي: 3 / 308.

الله، فقتله، فقال: دعني أوصي. قال: نعم. فقال لعمر بن سعد: يا هذا! إن لي إليك حاجة، وليس هنا قرشي غيرك، وهذا الحسين قد أظلك، فأرسل إليهم نصرف، فإن القوم قد غروه وكذبوه، وعليّ دين فاقضه عني، ووار جثتي. ففعل ذلك، وبعث رجلاً علي ناقة إلى الحسين، فلقية علي أربع مراحل، فقال له ابنه عليّ الأكبر: إرجع يا أبا، فإنهم أهل العراق وغدرهم وقلة وفائهم. فقالت بنو عقيل: ليس بحين رجوع. وحرّضوه، فقال حسين لأصحابه: قد ترون ما أتانا، وما أرى القوم إلا سيخذلوننا، فمن أحبّ أن يرجع فليرجع. فانصرف عنه قوم (1).

البداية والنهاية لابن كثير (ت 774):

قالوا: ولمّا انتهى مسلم بن عقيل إلى باب القصر، إذا عليّ بابه جماعة من الأمراء من أبناء الصحابة ممّن يعرفهم ويعرفونه، ينتظرون أن يؤدّن لهم علي ابن زياد، ومسلم مخضّب بالدماء في وجهه وثيابه وهو مشخن بالجراح، وهو في غاية العطش، وإذا قلّة من ماء بارد هنالك، فأراد أن يتناولها ليشرب منها، فقال له رجلٌ من أولئك: والله لا تشرب منها حتّى تشرب من الحميم. فقال له: ويلك يا ابن ناهلة، أنت أولي بالحميم والخلود في نار الجحيم منّي. ثمّ جلس فتساند إلى الحائط من التعب والكلال والعطش، فبعث عمارة بن عقبة بن أبي معيط موليّ له إلى داره، فجاء بقلّة عليها منديل ومعه قدح، فجعل يفرغ له في القدح ويعطيه فيشرب، فلا يستطيع أن يسيغه من كثرة الدماء التي تعلق علي الماء مرّتين أو ثلاثاً، فلمّا شرب سقطت ثناياه مع الماء، فقال: الحمد لله، لقد كان بقي لي من الرزق المقسوم شربة ماء.

ص: 489

ثم أدخل علي ابن زياد، فلما وقف بين يديه لم يسلم عليه، فقال له الحرسى: ألا تسلم علي الأمير؟! فقال: لا! إن كان يريد قتلي فلا حاجة لي بالسلام عليه، وإن لم يرد قتلي فسأسلم عليه كثيراً. فأقبل ابن زياد عليه فقال: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتتهم وتفرق كلمتهم وتحمل بعضهم علي قتل بعض؟ قال: كلاً، لستُ لذلك أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسري وقيصر، فأتيانهم لأمر بالعدل وندعو إلي حكم الكتاب. قال: وما أنت وذاك يا فاسق؟ لم لا كنت تعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟ فقال: أنا أشرب الخمر؟! والله إن الله ليعلم أنك غير صادق وأنت قلتَ بغير علم، وأنت أحقّ بذلك مني، فإني لستُ كما ذكرت، وإن أولي بها مني من يبلغ في دماء المسلمين ولعاً، ويقتل النفس التي حرم الله بغير نفس، ويقتل علي الغضب والظن، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً. فقال له ابن زياد: يا فاسق، إن نفسك تمنيك ما حال الله دونك ودونه ولم يرك أهله. قال: فمن أهله يا ابن زياد؟ قال: أمير المؤمنين يزيد. قال: الحمد لله علي كل حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. قال: كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئاً؟ قال: لا والله ما هو بالظن، ولكنّه اليقين. قال له: قتلني الله إن لم أقتلك قتلةً لم يقتلها أحدٌ في الإسلام من الناس. قال: أما أنك أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما أنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة المكتسبة عن كتابكم وجهالكم. وأقبل ابن زياد يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً، ومسلم ساكت لا يكلمه. رواه ابن جرير عن أبي مخنف وغيره من رواة الشيعة.

ثم قال له ابن زياد: إنني قاتلك. قال: كذلك؟ قال: نعم. قال: فدعني أوصي إلي بعض قومي. قال: أوص. فنظر في جلسائه وفيهم عمر بن سعد بن أبي

وقاص، فقال: يا عمر، إن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وهي سرّ، فقممعي إلي ناحية القصر حتّي أقولها لك. فأبي أن يقوم معه حتّي أذن له ابن زياد، فقام فتنحّي قريباً من ابن زياد، فقال له مسلم: إن عليّ ديناً في الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عني، واستوهب جثتي من ابن زياد فوارها، وابعث إلي الحسين، فأبّي كنت قد كتبت إليه أنّ الناس معه، ولا أراه إلاّ مقبلاً. فقام عمر فعرض علي ابن زياد ما قال له، فأجاز ذلك له كلّهُ، وقال: أمّا الحسين فإن لم يردنا لا نرده، وإن أرادنا لم نكفّ عنه.

ثمّ أمر ابن زياد بمسلم بن عقيل فأصعد إلي أعلا القصر، وهو يكبر ويهلل ويستح ويستغفر ويصلي علي ملائكة الله، ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا. ثمّ ضرب عنقه رجلٌ يقال له بكير بن حمران، ثمّ ألقي رأسه إلي أسفل القصر، وأتبع رأسه بجسده.

ثمّ أمر بهانئ بن عروة المذحجي فضربت عنقه بسوق الغنم، وُصَلب بمكان من الكوفة يقال له الكناسة، فقال رجل شاعرٌ في ذلك قصيدة:

فإن كنتِ

لا تدرين ما الموت فانظري

إلي

هانئٍ في السوق وابن عقيلٍ

أصابهما

أمر الإمام فأصبحا

أحاديث

من يغشي بكلّ سبيلٍ

إلي بطلٍ

قد هشمّ السيف وجهه

وآخر

يهوي في طماره قتيلٍ

تري

جسداً قد غيّر الموت لونه

ونضح دمٍ

قد سال كلّ مسيل

ص: 491

أنتم لم تتأروا بأخيكُم

فكونوا

بغياً أرضيت بقليل

ثم إن ابن زياد قتل معهما أناساً آخرين، ثم بعث برؤوسهما إلي يزيد بن معاوية إلي الشام، وكتب له كتاباً صورة ما وقع من أمرهما (1).

ولما انتهى مسلم إلي باب القصر وأراد شرب الماء، قال له مسلم بن عمرو الباهلي: أتراها ما أبردها؟ والله لا تذوقها أبداً حتى تذوق الحميم في نار جهنم. فقال له ابن عقيل: ويحك، من أنت؟ قال: أنا من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيت، أنا مسلم بن عمرو الباهلي. فقال له مسلم: لأئك الويل! ما أجفاك وأفظك وأغلظك يا ابن ناهلة!! أنت والله أولي بالحميم ونار الجحيم (2).

مثير الأحران لابن ذما (ت 841):

فأقبلوا به أسيراً حتى دخل علي عبيد الله، فلم يسلم عليه، فقال له بعض الحرس: سلّم علي الأمير. فقال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لا يريد قتلي ليكثرن سلامي عليه. وقيل: إنّه قال: أسكت، ويحك، ما هو لي بأمر. فقال عبيد الله: لا عليك، سلّمتم أم لم تسلّم فإنك مقتول. قال: إن تقتلني فلقد قتل من هو شرّ منك من هو خير منّي، فإنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة، لا أحد أولي بها منك.

ص: 492

1- البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 168.

2- البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 171.

فقال ابن زياد: يا عاق يا شاق، خرجت علي إمامك وشققت عصا المسلمين وألحقت الفتنة. فقال مسلم: كذبت يا ابن زياد، إنما شق عصا المسلمين أنت وأبوك زياد عبد بني علاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة عليأيدي شرّ البرية. فقال ابن زياد: منتك نفسك أمراً حال الله دونه وجعله لأهله. فقال مسلم: ومن أهله يا ابن مرجانة؟ قال: يزيد بن معاوية. فقال مسلم: الحمد لله، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال ابن زياد: أتظن أن لك شيئاً من الأمر؟ قال: والله ما هو الظن، وإنما هو اليقين. فقال ابن زياد: ما كان في قيان المدينة ما يشغلك عن السعي في فساد أمة محمّداً؟ أتيتهم وكلمتهم واحدة ففرقتهم. فقال: ما للفساد أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وأن معاوية ظلمهم وحمل فيهم إليه، فجنّت لأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأقوم بالقسط وأدعو إلي حكم الكتاب، وإن كنت لا بدّ قاتلي دعني أوصي. فنظر إلي عمر بن سعد، فقال: لي إليك حاجة، وبينني وبينك رحم. قال عبيد الله: انظر إلي حاجة ابن عمك. فتنحياً بحيث لا يراهما أحد، فقال: إن عليّ ديناً مذ دخلت الكوفة فاقضه عني، واطلب جثتي من ابن زياد ووارها، وابعث إلي الحسين من يردّه ويحذره من أهل الكوفة، فأني لا أراه إلا مقبلاً. فأخبر عمر بن سعد لعبيد الله بن زياد ما قال، فقال: ماله له لا نمنعه أن يصنع به ما شاء، وأما الحسين إن تركنا لم نرده، وأما جثته فإذا قتلناه لا نبالي ما صنع بها.

وأمر بقتله، فاغلاظ له مسلم في الكلام والسب، فأصعد علي القصر فضرب عنقه بكبير بن حمران الأحمر، ألقى جسده إلي الناس، وأمر بهاني بن عروة فسحب إلي الكناسة، فقتل وصلب هناك، وقيل: ضرب عنقه في السوق غلاماً لعبيد الله اسمه رشيد.

ورويت هذه الأبيات عن عبد الله بن الزبير الأسدي:

إذا كنتِ

لا تدرين بالموت فانظري

إلي هاني

بالسوق وابن عقيلِ

إلي بطلِ

قد هشم السيفُ وجههواخر

يهوي من طمار قتييلِ

أصابهما

أمر الأمير فأصبحا

أحاديث

من يسعي بكلّ سبيلِ

أيركب

أسماء الهماليج آمنأ

وقد طلبته

مذحجٌ بذحولِ

تري

جسداً قد غير الموت لونه

ونضخ دمٍ

قد سال كلّ مسيلِ

تطيف

حفافيه مراد وكلهم

علي رقبة

من سائل ومسول

فإن

أنتم لم تتأروا بأخيكُم

فكونوا

بغايا أرضيت بقتيل

وبعث عبيد الله بن زياد برأس مسلم وهاني إلي يزيد بن معاوية مع الزبير بن الاروح التميمي أحد بني مالك بن سعد ومع هاني بن أبي حية الوداعي، وأخبره بأمرهما (1).

وكتب يزيد بن معاوية إلي عبيد الله بن زياد: قد بلغني أنّ حسيناً قد سار إلي الكوفة، وقد ابتلي به زمانك من بين الأزمان وبلدك من بين البلدان، وابتليت

ص: 494

به من بين العمال، وعندها تعتق أو تعود عبداً كما تعبد العبيد (1).

تهذيب التهذيب لابن حجر (ت 852):

فأعطاه محمّد بن الأشعث الأمان، فأمكن من يده، فجاء به إلي عبيد الله، فأمر به فأصعد إلي أعلي القصر، فضرب عنقه وألقي جسّته إلي الناس، وأمر بهاني فسُحب إلي الكناسة فُصِّلب هناك، فقال شاعرهم في ذلك:

فإن كنتِ

لا تدرين ما الموت فانظري

إلي

هانئ في السوق وابن عقيل

الآيات (2).

الفصول المهمة لابن الصبّاغ (ت 855)، نور الأبصار للشبلنجي:

فلما أصبح [ابن زياد ليلة دخوله الكوفة] جمع الناس، فصال وجال، وقال فطال، وأرعد وأبرق، مسك جماعة من أهل الكوفة فقتلهم في الساعة، ثم إنّه تحيّل عليهم حتّي ظفر بمسلم بن عقيل! فمسكه وقتله (3).

الجوهرة للبرّي (ق 7):

وكان مسلم بن عقيل لما قدم ليقتل بين يدي عبيد الله بن زياد، وقد أثنى

ص: 495

1- مثير الأحزان لابن نما: 40.

2- تهذيب التهذيب لابن حجر: 2 / 303.

3- الفصول المهمة لابن الصبّاغ: 185، نور الأبصار للشبلنجي: 257.

جراحاً، نظر هل يري أحداً من قريش؟ فرأى عمر بن سعد، فقال: أدن مني. فدنا منه عمر، فقال: أنت أقرب الناس إلي في السبب، فإن أردت أن تفوز بشرفالدارين فابعث إلي حسين ليرجع من الطريق، فإني تركته ومن معه وهم تسعون إنساناً علي الخروج من مكة، وإنهم الآن في الطريق، واكتب إليه بما أصابني. فلما انصرف عنه عمر بن سعد قال لابن زياد: أتدري ما قال لي مسلم؟ قال: أكنتم علي ابن عمك. قال: الأمر أعظم من ذلك. قال: أكنتم علي ابن عمك. فلما أكثر علي ابن زياد فيها قال له مسلم، قال له: قل. قال: أخبرني أن حسيناً خرج في أهله وقرابته ومن اتبعه من الناس إلي الكوفة. قال له ابن زياد: أما إذ أخبرتني فوالله لا - خرج لقتاله غيرك، أما والله لو أسر إلي كما أسر إليك لرددتهم، ويحك ما حفظت وصية ابن عمك حين رآك لها أهلاً (1).

المنتخب للشيخ الطريحي (ت 1085):

فأوثقوه وأخذوه إلي ابن زياد، فنظر مسلم إلي برادة هناك فيها ماء، وكان له يومان ما شرب الماء، فقال لمن يليها: اسقني ماءً والجزاء علي الله تعالي وعلي رسوله. فرفع إليه البرادة، فلما تناولها منه ردّها إليه وقال: خذها، لا حاجة لي فيها.

ثم أدخلوه إلي ابن زياد، فقال له القوم: سلّم علي الأمير. فقال: السلام علي من اتبع الهدى وخشي عواقب الردي وأطاع الملك الأعلى. فضحك ابن زياد، فقال له بعض الحجة: أما تري الأمير يضحك في وجهك، فلم لا تسلّم عليه بالإمارة؟ فقال مسلم: والله ما لي أمير غير الحسين بن عليّ (عليه السلام)، وإنما يسلم

ص: 496

عليه بالإمارة من يخاف منه الموت.

ولله درّ من قال من الرجال: إصبر

لكلّ مصيبةٍ وتجلّد

واعلم

بأنّ المرء غير مخلّد

وإذا

ذكرت مصيبةً تشجي بها

فاذكر

مصيبة آل بيت محمّد

واصبر

كما صبر الكرام فإنّها

نوب

تنوب اليوم تكشف في غد

ثمّ إنّ ابن زياد قال له: سواء عليك سلّمت أم لم تسلّم فإنّك مقتول. فقال: إذا كان لا بدّ من قتلي فلي إليكم حاجة. قالوا: وما هي؟ قال: أريد رجلاً قرشياً أو صيه. فنهض عمر بن سعد (لعنه الله)، فقال له: ما وصيتك؟ فقال له: إدن منّي. فدني منه. فقال له: أوّل وصيتي: فأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وأنّ علياً وليّ الله ووصيّ رسوله وخليفته في أمّته، وثانياً: تأخذ درعي تبيعه وتقضي عني سبعمائة درهم استقرضتها منذ دخلت إلي مصركم هذا، [و]ثالثاً: أن تكتب إلي سيدي الحسين يرجع ولا يأتي إلي بلدكم فيصيبه ما أصابني، فقد بلغني أنّه توجّه بأهله وأولاده إلي الكوفة. فقال عمر بن سعد: أمّا ما ذكرت من الشهادة فكلّنا نشهدها، وأمّا ما ذكرت من بيع الدرع وقضاء الدّين فذلك إلينا إن شئنا قضيناها وإن شئنا لم نقض، وأمّا ما ذكرت من أمر الحسين فلا بدّ أن يقدم علينا ونذيقه الموت غصّةً بعد غصّة. ثمّ إنّ ابن زياد سمع بذلك، فقال: قبّحك الله من مستودع سرّاً، وحيث أنّك أفشيت سرّه فلا يخرج إلي حرب الحسين غيرك.

ثمّ أمر بمُسلم أن يُصعد به إلي القصر ويُرْمي منه منكساً علي رأسه، فعند ذلك بكى مسلم علي فراق الحسين (عليه السلام)، وقال:

جزى الله عنّا قومنا شرّ ما جزى

شرار الموالى بل أعقّ وأظلم

همّ منعونا حقنًا وتظاهروا

علينا ورامونا نذلّ و نرغم

وغاروا علينا يسفكون دماءنا

فحسبهم الله العظيم المعظم

ونحن بنو المختار لا شيء مثلنا

نبيّ صدوق مكرم ومكرم

قال: ثمّ ألقى من أعلي القصر وعجلّ الله بروحه إلي الجنة. ثمّ إنهم أخذوا مسلماً وهانئاً يسحبونهما في الأسواق، فبلغ خبرهما إلي مذحج، فركبوا خيولهم وقتلوا القوم، وأخذوهما ودفنوهما، رحمة الله عليهما، وعذبّ قاتليهما بالعذاب الشديد يوم الوعيد.

ولله درّ من قال من الرجال:

فإن كنت لا

تدرين بالموت فانظري

إلي هانئ في

السوق وابن عقيل

إلي بطلٍ قد

هشمّ السيف وجهه

وأخر يهوي من

طمار قتييل

أصابهما أمر

الأمير فأصبحا

أحاديث من يسري

بكلّ سبيل

تري جسداً قد

غَيَّرَ الموت لونه

ونضيج دم قد سال

كلّ مسيلٍ

فتيٍّ كان أحيي

من فتاةٍ حيّية

وأقطع من ذي

شفتين صقيلٍ

وأشج من ليث

ببطن مسبلٍ

وأجراً من ليث

بغابة غيلٍ

ثم إن ابن زياد (لعنه الله) بعث كتاباً إلي يزيد (لعنه الله) يخبره بقصتهما،

ص: 498

فكتب إليه الجواب يقول: كنتَ كما أردتُ وفعلتَ ما أحببتُ وصدقتَ ظنِّي فيك، وقد بلغني أنَّ الحسينَ متوجَّهٌ إليَّ العراق، فضع عليه المرصيدَ واكتبالي بما يحدث من الأمور، والسلام (1).

بحار الأنوار للعلامة المجلسي (ت 1111):

رجعنا إلي كلام المفيد (رحمة الله)، قال: وأقبل ابن الأشعث بابن عقيل إلي باب القصر، واستأذن فأذن له، فدخل علي عبيد الله بن زياد، فأخبره خبر ابن عقيل وضرب بكر إياه وما كان من أمانه له، فقال له عبيد الله: وما أنت والأمان؟ كأننا أرسلناك لتؤمنه، إنما أرسلناك لتأتينا به! فسكت ابن الأشعث.

وانتهي بابن عقيل إلي باب القصر، وقد اشتدَّ به العطش، وعلي باب القصر ناس جلوس ينتظرون الإذن، فيهم عمارة بن عقبة بن أبي معيط وعمرو بن حريث ومسلم بن عمرو وكثير بن شهاب، وإذا قلَّة باردة موضوعة علي الباب، فقال مسلم: اسقوني من هذا الماء! فقال له مسلم بن عمرو: أتراها ما أبردها؟ لا والله لا تذوق منها قطرةً أبداً حتَّى تذوق الحميم في نار جهنم. فقال له ابن عقيل: ويحك، مَنْ أنت؟ فقال: أنا الَّذي عرف الحقَّ إذا أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وأطاعه إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي. فقال له ابن عقيل: لأُمك الثكل، ما أجفاك وأقطعك وأقسي قلبك، أنت يا ابن باهلة أولي بالحميم والخلود في نار جهنم مني. ثمَّ جلس فتساند إلي حائط، وبعث عمرو ابن حريث غلاماً له فأتاه بقلَّة عليها منديل وقدح فصبَّ فيه ماء، فقال له: اشرب. فأخذ كلَّما شرب امتلأ القدح دماً من فمه ولا يقدر أن يشرب، ففعل

ص: 499

ذلك مرّتين، فلمّا ذهب في الثالثة ليشرّب سقطت ثنياه في القدح، فقال: الحمد لله، لو كان لي من الرزق المقسوم لشرّبته. وخرج رسول ابن زياد فأمر بإدخاله إليه، فلمّا دخل لم يسلم عليه بالإمرة، فقال له الحرسي: ألا تسلّم علي الأمير؟ فقال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لا يريد قتلي فليكثر سلامي عليه. فقال له ابن زياد: لعمرى لتقتلن. قال: كذلك؟ قال: نعم. قال: فدعني أوصي إلي بعض قومي. قال: افعل. فنظر مسلم إلي جلساء عبيد الله بن زياد، وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال: يا عمر، إن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب لي عليك نَجَحَ حاجتي، وهي سرّ. فامتنع عمر أن يسمع منه، فقال له عبيد الله بن زياد: لم تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك؟ فقام معه، فجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد، فقال له: إن عليّ بالكوفة ديناً استدنته منذ قدمت الكوفة سبع مائة درهم، فبع سيفي ودرعي فاقضها عني، وإذا قتلت فاستوهب جثتي من ابن زياد فوارها، وابعث إلي الحسين (عليه السلام) من يردّه، فإنّي قد كتبتُ إليه أعلمه أنّ الناس معه ولا أراه إلّا مقبلاً. فقال عمر لابن زياد: أتدري أيّها الأمير ما قال لي؟ إنّه ذكر كذا وكذا. فقال ابن زياد: إنّه لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن، أمّا ماله فهو له ولسنا نمنعك أن تصنع به ما أحب، وأمّا جثته فإنّا لا نبالي إذا قتلناه ما صنّع بها، وأمّا حسين فإنّه إن لم يردنا لم نرده.

ثمّ قال ابن زياد: إيه ابن عقيل، أتيت الناس وهم جمع فشتت بينهم وفرقت كلمتهم وحملت بعضهم علي بعض. قال: كلاً، لستُ لذلك أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أنّ أبك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسري وقيصر، فأتيناهم لنامر بالعدل وندعو إلي الكتاب. فقال له ابن زياد: وما أنت وذاك يا فاسق؟ لمّ لم تعمل فيهم بذلك إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟ قال

مسلم: أنا أشرب الخمر؟ أما والله إن الله ليعلم أنك غير صادق، وأنتك قد قلتبغير علم، وأني لست كما ذكرت، وأنتك أحقّ بشرب الخمر مني، وأولي بها من يلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها ويسفك الدم الذي حرم الله علي الغصب والعداوة وسوء الظن، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً. فقال له ابن زياد: يا فاسق، إن نفسك مننتك ما حال الله دونه ولم يرك الله له أهلاً. فقال مسلم: فمن أهله إذا لم نكن نحن أهله؟ فقال ابن زياد: أمير المؤمنين يزيد. فقال مسلم: الحمد لله علي كل حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال له ابن زياد: قتلي الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام من الناس. فقال له مسلم: أما أنتك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن، وأنتك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة، لا أحد أولي بها منك.

فأقبل ابن زياد يشتمه ويشتم الحسين وعلياً وعقيلاً، وأخذ مسلم لا يكلمه. ثم قال ابن زياد: إصعدوا به فوق القصر، فاضربوا عنقه ثم أتبعوه جسده. فقال مسلم (رحمة الله): والله لو كان بيني وبينك قرابة ما قتلتي. فقال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف؟ فدعا بكر بن حمران الأحمر، فقال له: اصعد، فليكن أنت الذي تضرب عنقه. فصعد به، وهو يكبر ويستغفر الله ويصلي علي رسول الله (صلي الله عليه وآله)، ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وخذلونا. وأشرفوا به علي موضع الحدّائين اليوم، فضرب عنقه وأتبع رأسه جثته.

وقال السيد: ولما قتل مسلم منهم جماعة، نادي إليه محمد بن الأشعث: يا مسلم لك الأمان. فقال مسلم: وأي أمان للغدرة الفجرة؟ ثم أقبل يقاتلهم، ويرتجز بأبيات حمران بن مالك الخثعمي يوم القرن: أقسمت لا أقتل إلا حراً. إلي آخر الأبيات، فنادي إليه أنتك لا تكذب ولا تغر، فلم يلتفت إلي ذلك،

وتكاثروا عليه بعد أن أئخن بالجراح، فطعنه رجلٌ من خلفه فخرَّ إلي الأرض، فأخذ أسيراً.

فلما دخل علي عبيد الله لم يسلم عليه، فقال له الحرسي: سلم علي الأمير. فقال له: اسكت يا ويحك، والله ما هو لي بأمرير. فقال ابن زياد: لا عليك، سلمت أم لم تسلم فإنك مقتول. فقال له مسلم: إن قتلتي فلقد قتل من هو شرُّ منك من هو خيرٌ مني. ثم قال ابن زياد: يا عاقق ويا شاقق، خرجت علي إمامك وشققت عصا المسلمين وألقحت الفتنة. فقال مسلم: كذبت يا ابن زياد، إنما شق عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وأما الفتنة فإتما ألقحها أنت وأبوك زياد بن عبيد عبد بني علاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة علي يدي شرّ بريته.

ثم قال السيّد بعدما ذكر بعض ما مر: فضرب عنقه، ونزل مذعوراً، فقال له ابن زياد: ما شأنك؟ فقال: أيها الأمير، رأيت ساعة قتلته رجلاً أسود سيء الوجه حدائي، عاضاً علي إصبعة -- أو قال: شفتيه --، ففرعت فزعاً لم أفرعه قط! فقال ابن زياد: لعلك دهشت.

وقال المسعودي: دعا ابن زياد بكير بن حمران الذي قتل مسلماً، فقال: أقتلته؟ قال: نعم. قال: فما كان يقول وأنتم تصعدون به لتقتلوه؟ قال: كان يكبر ويسبّح ويهلل ويستغفر الله، فلما أدنينا له لنضرب عنقه قال: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا ثم خذلونا وقتلونا، فقلت له: الحمد لله الذي أقادني منك، وضربته ضربةً لم تعمل شيئاً، فقال لي: أو ما يكفيك في خدش مني وفاء بدمك أيها العبد؟ قال ابن زياد: وفخراً عند الموت؟! قال: وضربته الثانية فقتلته (1).

ص: 502

وفي مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة (رحمهما الله) يقول عبد الله بن الزبير الأسدي:

فإن كنتِ

لا تدرين ما الموت فانظري

إلي

هانئ في السوق وابن عقيلِ

إلي بطلِ

قد هشم السيفُ وجهه

وآخر

يهوي من طمار قتيلِ

أصابهما

أمر اللعين فأصبحا

أحاديث

من يسري بكلّ سبيلِ

تري

جسداً قد غيّر الموت لونه

ونضح دمِ

قد سال كلّ مسيلِ

فتيِّ كان

أحيا من فتاةٍ حييَّةِ

وأقطع من

ذي شفرتين صقيلٍ

أيركب

أسماء الهماليج أمنأ

وقد

طالبته مذحجٌ بذحولٍ

تطيف

حواليه مراد وكلهم

علي

رقبةٍ من سائلٍ ومسولٍ

فإن

أنتم لم تتأروا بأخيكم

فكونوا

بغايا أرضيت بقليلٍ

ولمّا قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة (رحمة الله عليهما)، بعث ابن زيادٍ برأسيهما مع هانئ بن أبي حية الوادعي والزبير بن الأرواح التميمي إلي يزيد بن

ص: 503

معاوية، وأمر كاتبه أن يكتب إلي يزيد بما كان من أمر مسلم وهانئ، فكتب الكاتب وهو عمرو بن نافع فأطال فيه، وكان أول من أطال في الكتب، فلمّا نظر فيه عبيد الله كرهه وقال: ما هذا التطويل وهذه الفضول؟ أكتب: أمّا بعد، فالحمد لله الذي أخذ لأمر المؤمنين بحقه وكفاه مؤونة عدوّه، أخبر أمير المؤمنين أنّ مسلم بن عقيل لجأ إلي دار هانئ بن عروة المرادي، وأني جعلتُ عليهما المرصد والعيون ودسست إليهما الرجال، وكدتُهما حتّي أخرجتهما وأمكن الله منهما، فقدّمتهما وضربت أعناقهما، وقد بعثت إليك برأسيهما مع هانئ بن أبي حية الوادعي والزبير بن الأرواح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسألهما أمير المؤمنين عما أحبّ من أمرهما، فإنّ عندهما علماً وورعاً وصدقاً والسلام. فكتب إليه يزيد: أمّا بعد، فإنّك لم تعد أن كنت كما أحبّ، عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، وقد أغنيت وكفيت، وصدقت ظني بك ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك وسألتهما وناجيتهما، فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيراً، وإنّك قد بلغني أنّ حسيناً قد توجّه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح واحترس، واحبس علي الظنّة واقتل علي التهمة، واكتب إليّ في كلّ يوم ما يحدث من خبر إن شاء الله.

وقال ابن نما: كتب يزيد إلي ابن زياد: قد بلغني أنّ حسيناً قد سار إلي الكوفة، وقد ابتلي به زمانك من بين الأزمان وبلدك من بين البلدان، وابتليت به من بين العمال، وعندها تعتق أو تعود عبداً كما تعبد العبيد (1).

ص: 504

وفي رواية أُخري: إنّه لما شاهد ذلك قبل أن يقتله يبست يده، فلمّا أخبر ابن زياد (لعنه الله) بذلك دعاه واستعلم منه ذلك، فتبسّم وقال: لمّا أردت أن تفعل خلاف عادتك دهشت وتخيّل لك ذلك، فأرسل ابن زياد رجلاً غيره إليّ أعلّي القصر، فلمّا أراد قتله رأي النبيّ (صلي الله عليه وآله) قد تصوّر له، فدهش ومات من ساعته، فأرسل ابن زياد الشاميّ الملعون فقتله (1).

ينابيع المودة للقندوزي (ت 1294):

فأوثقوه وآتوه إليّ ابن زياد، فقيل له: سلّم عليّ الأمير. فقال مسلم: والله ما لي أمير غير الحسين (عليه السلام). ثمّ أشد:

إصبر

لكلّ مصيبةٍ وتجلّد

واعلم بأنّ المرء غير مخلّد

وإذا

ذكرت مصيبةً تشجي لها

فاذكر مصيبة آل بيت محمّد

واصبر

كما صبر الكرام فإنّها

نوب تنوب اليوم تكشف في غد

فقال ابن زياد: يا مسلم، سواء عليك سلّمت أو لم تسلّم أنّك مقتولٌ لا محالة.

قال مسلم: أريد رجلاً قرشياً أوصيه. فقام عمر بن سعد إليه وقال له: ما وصيتك؟ فقال له: أوّل وصيتي: فأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وأنّ عليّاً وليّ الله ووصيّ رسوله وخليفته في أمّته، والثانية: تبيع درعيّ وتقضي عنيّ سبعمائة درهم استقرضتها، والثالثة: أن تكتب إليّ سيّدي الحسين يرجع ولا يأتي إليّ بلدكم. فقال ابن سعد: أما ما ذكرت من الشهادة فكلّنا نشهد بها، وأما بيع الدرع وقضاء الدّين إن شئنا قضيناها وإلاّ لا، وأما من

ص: 505

أمر الحسين فلا بدّ أن يقدم إلينا ونذيقه الموت.

ثمّ أمر ابن زياد أن يصعد بمسلم إلي أعلي القصر ويرمي منه، فبكي مسلم علي فراق الحسين (رضي الله عنهما) وجعل يقول:

جزى

الله عنّا شرّ ما قد جزى

شرار

الموالي بل أعقّ وأظلما

هم

منعونا حقّنا وتظاهروا

علينا

وراموا أن نذلّ ونرغما

وغاروا

علينا يسفكون دماءنا

فحسبهم

الله العظيم المعظّما

ونحن

بنو المختار لا شيء مثلنا

وفينا

نبي مكرم ومكرما

ثمّ ألقوه من أعلي القصر، وعجّل الله بروحه إلي الجتّة.

ثمّ أخذوا مسلماً وهانياً فألقوهما في الأسواق، فبلغ خبر مسلم وهانئ إلي قبائل مذحج، فقاتلوا القوم، فغسلوهما ودفنوهما (رحمهما الله)

(1).

مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف المشهور:

وأخذه أسيراً إلي ابن زياد، فلما أتوا به إلي قصر الإمارة نظر إلي برادة فيها ماء، وكان له يومان ما شرب الماء، لأنه كان نهاره يجاهد وليه ساجداً، فقال للساقى: يا شيخ، اسقني شربةً من ماء، فإن عشتُ كافيتك، وإن متّ كان المكافي رسول الله. فدفع إليه برادة، فلما أخذها ووضعها في فيه سقطت أضراسه في الإناء، فردّها مسلم وقال: لا حاجة لي بالماء.

ثم أدخلوه علي ابن زياد (لعنه الله)، فلما نظر مسلم إلي تجبّره قال: السلام علي من أتبع الهدى وخشي عواقب الردي وأطاع الملك الأعلى. فتبسّم ابن زياد (لعنه الله)، فقال بعض حجّابه: يا مسلم، أما تري الأمير ضاحكاً عليك،

ص: 506

1- ينابيع المودة للقندوزي: 3 / 58 - بتحقيق: السيّد علي أشرف.

لو قلت: السلام عليك أيها الأمير. فقال مسلم: والله ما علمت أنّ لي أميراً غير الحسين (عليه السلام) ، وإتّما يسلم عليه بالإمارة من يخاف منه. فقال ابن زياد (لعنه الله): سواء عليك سلّمت أو لم تسلّم فإنّك مقتول في هذا اليوم.

فقال مسلم: إذا كان لا بدّ من قتلي فإنّي أريد رجلاً قرشياً أو صيبه بوصيّة. فقام إليه ابن سعد، فقال (عليه السلام) : أوّل وصيّتي: شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ علياً وليّ الله، والثانية: أن تكتبوا إلي سيدي الحسين (عليه السلام) أن يرجع عنكم، فقد بلغني أنّه خرج بنسائه وأولاده وأخاف أن يصيبه ما أصابني. فقال عمر بن سعد: أمّا ما ذكرت من الشهادة فكلّنا نقرّ بها، وأمّا ما ذكرت من بيع درعك وقضاء دينك فنحن أولي، إن شئنا قضينا وإن شئنا لمن نقضه، وأمّا الحسين (عليه السلام) فلا بدّ أن يقدم علينا ونذيقه الموت غصّةً بعد غصّة. ثمّ التفت إلي ابن زياد (لعنه الله) وأخبره بما أوصاه، فقال ابن زياد (لعنه الله): قبحك الله من مستودع سرّاً، والله لو أنّه باح إليّ سرّه لكتمت عليه وقصيت حاجته، ولكن من حيث أفشيت سرّه فلا يخرج إلي حرب الحسين (عليه السلام) غيرك.

ثمّ أمر ابن زياد أن يصعد بمسلم إليّ أعلى القصر وينكسه عليّ أمّ رأسه، فلمّا صعد به قال مسلم (عليه السلام) : دعني أصلي ركعتين وافعل ما بدا لك. فقال: ليس إليّ ذلك سبيل. ثم بكى مسلم (عليه السلام) وأنشأ يقول:

جزى الله عنّا قومنا شرّ ما جزى

شرار الموالى بل أعتق وأظلمنا

همّ منعونا حقّنا وتظاهروا

علينا وراموا أن نذلّ ونرغما

أغاروا علينا يسفكون دماننا

ولم يرقبوا فينا ذماماً ولا دماً

فنحن بنو المختار لا خلق مثلنا

نبيّ أبت أركانه أن تهدّما

فأقسم لولا جيشكم آل مذحج

وفرسانها والحرّ كان المقدّما

قال: فنادي ابن زياد (لعنه الله): يا ويلك، ألقه. فرموه علي أم رأسه فقضي نحيبه.

ثم أمر بهاني بن عروة فأخرجوه وضربت عنقه، فبلغ ذلك مذحج، فركبوا جميعاً وقاتلوا ابن زياد قتالاً شديداً، وكانوا يسحبون مسلماً وهانياً في الشوارع، فحملت عليهم مذحج ففرقوهم، وأخذوا مسلماً وهانياً وغسلوهما وكفنوهما وصلوا عليهما ودفنوهما.

وذكر عبد الله بن الزبير أن الفرزدق رثاهما بقوله:

إذا كنتِ لا

تدرين بالموت فانظري

إلي هاني بالسوق

وابن عقيل

إلي بطلٍ قد

هشم السيف وجهه

وأخر يهوي من

جدار قتيل

أصابهما أمر

اللعين فأصبحا

أحاديث من يسري

بكلّ قبيل

تري جسداً قد

غير الموت لونه

ونضح دمٍ قد سال

أيّ مسيل

فتيّ كان أحيا

من فتاةٍ حيّةٍ

وأقطع من ذي

شفتين صقيّلٍ

تطوف حوالبه

مراد وكلّهم

علي رفقةٍ من

سائلٍ ومسولٍ

أيركب أسماء

الهماليج أمّا وقد طالبتّه مذحج

بقتيلٍ

ص: 508

فإن

أنتم لم تطلبوا بأخيكم

فكونوا بغايا

أرضيت بقليل

قال: فبلغ ذلك مذحج، فقالوا: والله إن إسماء بن خارجة أجلّ عندنا من صاحبنا، ولو كنّا طالبين بدمه لأخذناه من ابن الأشعث، ولكنّ ذلك من أمر السلطان.

ثم إن ابن زياد لمّا قتل هانياً ومسلماً أنفذ برأسيهما إليّ يزيد، وكتب: الحمد لله الذي أخذ للخليفة حقّه وكفاه عدوّه، واعلم أيّها الخليفة أنّ مسلم بن عقيل ورد إليّ هاني بن عروة، فعرضت عليهما المراصد، فضربتُ أعناقهما وأنفذت إليّ برأسيهما. قال: فلمّا وصل الكتاب إليّ يزيد فرح واسترّ، ثم كتب جوابه: أمّا بعد، فقد علمت أنّك أحبّ الناس إليّ، ولعمري لقد نصحت وأغنيت وكفيت، وصلت صولة الأسد، ولقد دعوتُ رسوليك وسألتهما عمّا شرحرت، فوجدتهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيراً، وقد بلغني أنّ الحسين توجه إليّ العراق، فضع المراصد واكتب إليّ كلّ يوم بخبره.

قال أبو مخنف: وكان محمّد بن الأشعث قد أخذ سيف مسلم (عليه السلام) ودرعه، فأنشد عبد الله في ذلك:

أتركت مسلم لا تقاتل دونه

حذر

المنيّة أن تكون صريعاً

وقتلّ

وافد آل بيت محمّدٍ

وسلبت

أسيافاً له ودروعا

لو كنت

من أسد عرفت مكانه

ورجوت

أحمد في المعاد شفيحاً (1)

1- مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: 55 وما بعدها.

قال أبو مخنف: ثم أقبل محمد بن الأشعث بمسلم إلي باب القصر، فاستأذن فأذن له، فأخبر عبيد الله بخبر مسلم وضرب بكير إياه، فقال: بُعداً له. فأخبره بأمانه، فقال: ما أرسلناك لتؤمنه، إنما أرسلناك لتأتي به. فسكت.

وانتهي مسلم إلي باب القصر وهو عطشان، وعلي باب القصر أناس ينتظرون الإذن، منهم عمارة بن عقبة بن أبي معيط وعمرو بن حريث ومسلم بن عمرو الباهلي وكثير بن شهاب، فاستسقى مسلم وقد رأي قلةً موضوعة علي الباب، فقال مسلم الباهلي: أتراها ما أبردها! لا والله لا تذوق منها فطرةً حتى تذوق الحميم في نار جهنم! فقال له: ويحك، من أنت؟ قال: أنا ابن من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفته، أنا مسلم ابن عمرو الباهلي. فقال: لأمك الشكل! ما أجفأك وما أفطأك وأقسى قلبك وأغلظك! أنت يا ابن باهلة أولي بالحميم والخلود في نار جهنم مني. ثم تساند وجلس إلي الحائط، فبعث عمرو بن حريث مولاه سليمان فجاءه بقدة، وبعث عمارة غلامه قيساً فجاءه بقدة عليها منديل، فصب له ماء بقدح، فأخذ كلماً شرب امتلاً القدح دماً من فمه، حتى إذا كانت الثالثة سقطت ثيابه في القدح، فقال: الحمد لله، لو كان من الرزق المقسوم لي لشربته.

ثم أدخل مسلم، فلم يسلم بالإمرة علي عبيد الله، فاعترضه الحرسي بذلك، فقال عبيد الله: دعه فإنه مقتول. فقال له مسلم: أأذكلك؟ قال: نعم. قال: فدعني أوصي إلي بعض قومي. فنظر إلي جلساء عبيد الله، فإذا عمر بن سعد فيهم، فقال: يا عمر، إن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب عليك نصح حاجتي، وهو سر. فأبي أن يمكنه من ذكرها، فقال له عبيد الله: لا تمتنع أن

تنظر في حاجة ابن عمك. فقام معه وجلس بحيث ينظر إليه ابن زياد، فقال: إن علي بالكوفة ديناً استدنته منذ قدمت الكوفة سبعمائة درهم، فاقضها عني ببيع لامتي، واستوهب جثتي من ابن زياد فوارها، وابعث إلي الحسين (عليه السلام) من يردّه، فأني كتبتُ إليه أعلمه أن الناس معه ولا أراه إلا مقبلاً. فقال عمر لابن زياد: أتدري ما قال لي؟ إنه قال كذا وكذا. فقال ابن زياد: ما خانك الأمين، ولكن ائتمنت الخائن، أما ماله فهو لك فاصنع به ما شئت، وأما جثته فلن نبالي إذا قتلناه ما يصنع بها، أو قال: فلن نشفعك فيها، فإنه ليس بأهلٍ منا لذلك، قد جاهدنا وجهد علي هلاكنا، وأما حسينٌ فإن لم يردنا لم نردّه وإن أردنا فلن نكفّ عنه.

ثم قال: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة، لتشتتهم وتحمل بعضهم علي بعض؟ قال: كلاً، ما أتيتُ لذلك، ولكن أهل المصر زعموا أن أبك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسري وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلي حكم الكتاب. قال: وما أنت وذاك يا فاسق، أولم تكن تعمل بذاك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟ قال: أنا أشرب الخمر؟! والله إن الله يعلم أنك غير صادق، وأنت قلتَ بغير علم، وأني لست كما ذكرت، وإن أحقّ بشرب الخمر مني من يبلغ في دماء المسلمين ولعاً، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها، ويقتل النفس بغير النفس ويسفك الدم الحرام، ويقتل علي الغضب والعداوة وسوء الظنّ، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً. فقال ابن زياد: يا فاسق، إن نفسك تمتك ما حال الله دونه ولم يرك أهله. قال: فمن أهله يا ابن زياد؟ قال: أمير المؤمنين يزيد. قال: الحمد لله، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. قال: كأنك تظنّ أن لكم في الأمر شيئاً؟ قال: ما هو الظنّ، ولكنّه اليقين. قال: قتلي الله إن لم أقتلك قتلةً لم يقتلها أحدٌ في

الإسلام! قال: أما أنك أحق من أحدث في الإسلام حدثاً لم يكن منه، أما أنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة، وخبث السريرة ولؤم الغلبة لأحدٍ أحق بها منك.

فأخذ ابن زيادٍ يشتمه ويشتم علياً وحسيناً وعقبلاً، وأخذ مسلم بالسكوت والإعراض عنه، فقال ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر، وادعوا بكبير بن حمران الأحمر الذي ضربه مسلم. فصعدوا به، وأحضر بكبير فأمره أن يضرب عنقه ويتبع برأسه جسده من أعلي القصر، فصاح مسلم بمحمد بن الأشعث: قم بسيفك دوني، فقد أخفرت ذمتك، أما والله لولا أمانك ما استسلمت. فأعرض محمد، وجعل مسلم يسبح الله ويقدسه ويكبره ويستغفره ويصلي علي أنبياء الله وملائكته، ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وأذلّونا. فأشرف به من علي القصر، فضربت عنقه واتبع جسده رأسه، ونزل بكبير، فقال له ابن زياد: وما كان يقول؟ قال: إنه كان يسبح ويستغفر، فلما أدنيته قلت: الحمد لله الذي أقادني منك. وضربته ضربةً لم تغن شيئاً، فقال لي: أما تري في خدشٍ تخذشنيهِ وفاء من دمك أيّها العبد؟ فقال ابن زياد: أو فخرأ عند الموت؟ ثم قال: إيه، قال: وضربته الثانية فقتلته.

ثم أمر ابن زياد فقتل هاني وجملة من المحبوسين، وجرت جثتا مسلم وهاني بحبلين في الأسواق.

وقتل مسلم في اليوم الثامن من ذي الحجّة يوم خروج الحسين (عليه السلام) من مكّة.

قال أبو مخنف: وحدّث عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسدّيّ، قالوا: لمّا قضينا حجّنا لم يكن لنا همة إلاّ اللحاق بالحسين في الطريق لننظر ما يكون من أمره وشأنه، فأقبلنا ترقل بنا ناقتانا مسرعين حتّي لحقناه بزرود، فلما دنونا منه إذا نحن برجلٍ من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأي

الحسين، قال: فوقف الحسين كأنه يريد، ثم تركه ومضى، فقال أحدنا لصاحبه: إمض بنا إليه لنسأله عن خبر الكوفة. فانتبهنا إليه وسلمنا وانتسبنا، فإذا هو بكبير بن المثعب الأسدي، فاستخبرناه عن الكوفة، فقال: ما خرجتُ حتّى رأيت مسلماً وهانياً قتيلين يجران بأرجلهما في السوق. ففارقناه ولحقنا بالحسين، فسلمنا عليه وسأله عن خبره وسأله عن نزل الثعلبية ممسياً، فدخلنا عليه وقلنا له: يرحمك الله، إن عندنا خبراً إن شئتُ حدّثناك به علانيةً وإن شئتُ سراً. فنظر إلي أصحابه وقال: ما دون هؤلاء سرّ. فقلنا: أرايتَ الراكب الذي استقبلك عشاء أمس؟ قال: نعم، وقد أردتُ مسألته. فقلنا: قد استبرأنا لك خبره وكفيناك مسألته، وهو امرؤٌ من أسدٍ منّا ذورأيٍ وصدقٍ وفضلٍ وعقلٍ، وإنه حدّثنا بكيت وكيت. فاسترجع وقال: رحمة الله عليهما. وكثرها مراراً، فقلنا: نشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر، بل نتخوّف أن يكونوا عليك. فاعترضته بنو عقيل بأننا لا نترك ثأرنا، فالتفت إلينا الحسين وقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء. فعلمنا أنه عزم علي المسير، فقلنا له: خار الله لك. فدعا لنا، فقال له أصحابه: إنك والله ما أنت مثل مسلم، ولو قدمت الكوفة كان الناس إليك أسرع.

قال أهل السير: ولما ورد الحسين زبالة أخرج كتاباً لأصحابه فقراء عليهم، وفيه: أمّا بعد، فقد أتانا خبرٌ فظيع، إنّه قتل مسلم وهاني وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف ليس عليه منّا ذمام. فتفرّق الناس عنه يميناً وشمالاً إلا صفوته.

وروي بعض المؤرّخين: أنّ الحسين لما قام من مجلسه بالثعلبية، توجه نحو النساء وانعطف علي ابنة لمسلم صغيرة، فجعل يمسح علي رأسها، فكانت أحسّت، فقالت: ما فعل أبي؟ فقال: يا بُنّيّة، أنا أبوك. ودمعت عينه، فبكت

البنبت وبكت النساء لذلك (1).

قال أهل السير: ثم إن ابن زياد بعث برأسي مسلم وهاني إلي يزيد مع هاني بن أبي حية الوادعي والزبير بن الأروح التميمي، واستوهبت الناس الجثث، فدفنوها عند القصر حيث تزار اليوم، وقبراهما كل علي حدة.

وإني لأستحسن كثيراً قول السيد الباقر بن السيد محمد الهندي فيه:

سقتك

دماً يا ابن عمّ الحسين

مدامع

شيعتك السافحة

ولا

برحت هاطلات الدموع

تحريك

غادية رانحة

لأنك لم

ترو من شربة

ثنايك

فيها غدت طائحة

رموك من

القصر إذ أوثقوك

فهل

سلمت فيك من جارحة

تُجَرِّ

بأسواقهم في الحبال

أَلَسْتَ

أميرهم البارحة

أَتَقْضِي

ولم تبكك الباقيات

أما لك

في المصر من نائحة

لئن

تقضِ نجباً فكم في زرود

عليك

العشيّة من صائحة

ولي في ذلك:

نزفت

دموعي ثمّ أسلمني الجوي

لقارعةٍ

ما كان فيها بمسلمٍ

أجيل

وجوه الفكر كيف تخاذلت

بنو مضر

الحمراء عن نصر مسلمٍ

أما كان

في الأرباع شخصٌ بمؤمنٍ

وما كان

في الأحياء حيٌّ بمسلمٍ (2)

ص: 514

1- إِبصار العين للشيخ محمد السماوي: 83.

2- إِبصار العين للشيخ محمد السماوي: 87.

ثم أدخل علي ابن زياد، وقد اجتمع الناس حول دار الإمارة، فمنهم من يقول بأن مسلماً مقتول لا محالة، ومنهم من يقول بأنه يساق إلي الشام، ومنهم من يقول بأنه يحبس حتى يأتي الخبر من يزيد في أمره، فبينما هم كذلك إذا بجثته الشريفة قد أُلقيت من أعلي القصر بلا رأس، ثم أتبع برأسه الشريف (1).

ثم إنهم أخذوا مسلماً وهانياً يسحبونهما في الأسواق، فبلغ خبرهما إلي بني مذحج، فركبوا خيولهم وقاتلوا القوم، وأخذوا مسلماً وهانياً فغسلوهما ودفنوهما.

وفي بعض مؤلفات أصحابنا عن (قبسات) الشيخ درويش علي البغدادي: لما قُتل مسلم وجري ما جري، ربطوا برجله حبلاً وجروه في أسواق الكوفة.

قال الشعبي: فمرّ به رجلٌ أعرابي من أهل واقصة يقال له: حنظلة بن مرّة الهمداني، وكان من شيعة علي بن أبي طالب، وهو راكبٌ علي مطيته، فقال: ويلكم يا أهل الكوفة، ما فعل هذا الرجل الذي تفعلون به هذا الفعال؟! فقالوا: هذا خارجيٌّ خرج علي الأمير يزيد بن معاوية. فقال: يا قوم، بالله عليكم ما يقال له؟ وما اسمه؟ قالوا: مسلم بن عقيل ابن عمّ الحسين (عليه السلام). فقال: ويلكم، إذا علمتم أنه ابن عمّ الحسين فلم تقتلوه وسحبتموه علي وجهه؟!

ثم نزل يقاتل حتى قتل أربعة عشر رجلاً، فتكاثروا عليه حتى قُتل وعجل الله بروحه إلي الجنة، وربطوا برجله حبلاً وسحبوه علي وجهه حتى رمي علي كناسة الكوفة بجانب مسلم بن عقيل.

ص: 515

فقال الشعبي: فبقيت تلك الجثة الطاهرة علي وجه الأرض من غير غسل ولا كفن.

ولمّا دجي الليل ونامت كلّ عين، شدّت زوجة ميثم التمار علي نفسها وخرجت إلي الكناس، وحملت مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وحنظلة بن مرة إلي دارها، ولمّا انتصف الليل ونامت كلّ عين حملتهم إلي جانب المسجد الأعظم ودفنتهم بدمائهم، ولم يعلم بها أحدٌ إلا زوجة هاني بن عروة، لأنّها كانت في جوارها (رحمة الله عليهم ورضوانه) (1).

مقتل الحسين (عليه السلام) للمقرّم (ت 1391):

... فأمر ابن زياد رجلاً شامياً أن يصعد به إلي أعلي القصر ويضرب عنقه ويرمي رأسه وجسده إلي الأرض (2).

الأمالى للشجري:

فلمّا أتى بمسلم وقد عرس عبيد الله بن زياد بأُم أيّوب بنت عتبة، قال: فأُتي بهاني بن عروة المرادي، فلمّا أُدخل علي عبيد الله قال: استأثر علي الأمير بالعرس. قال: وهل ردت العرس يا هاني؟ ورماه بمحجنٍ كان في يده، فارتجّ في الحائط، وأمر به إلي السوق فُضرت عنقه.

ثمّ أمر بمسلم بن عقيل، فقال: انذن لي في الوصيّة، فقال: أوصي. فدعا عمرو ابن سعد للقرابة بينه وبين الحسين، فقال له: إنّ الحسين قد أُقبل في سيافة وتراسه وأناسٍ من ولده وأهل بيته، فأبعث إليه من يحدّره وينذره فيرجع، فقد

ص: 516

1- معالي السبطين للمازندراني: 1 / 247، وسيلة الدارين للزنجاني: 209.

2- مقتل الحسين (عليه السلام) للمقرّم: 189.

رأيت من خذلان أهل الكوفة ما قد رأيت. فقال له عبيد الله: ما قال لك هذا؟ قال: قال لي كذا وكذا، فأخبره الخبر، فقال عبيد الله: إنه لا يخون الأمين، ولكنّه قد يؤتمن الخائن (1).

ص: 517

1- الأمالي للشجري: 1 / 167.

محتويات الكتاب

تقديم.. 5

الديباجة. 9

المقدمة. 21

أقسام الأخبار. 45

القسم الأول: المختصرة. 46

القسم الثاني: المفصلة. 46

الأسر. 49

الأسر بعد أن بذل غاية المجهود. 49

متي انتهت الحرب؟. 51

الوقت الأول: في الليل.. 52

الوقت الثاني: في الصباح.. 53

هل أوثقوه كتافاً؟. 54

ص: 519

الطائفة الأولى: في مجلس ابن مرجانة. 54

الطائفة الثانية: بعد أن وقع صريعاً 55

وقفه مواساة مع البطل الهاشمي الجريح.. 57

حركته (عليه السلام) من الميدان إلى القصر. 61

المجموعة الأولى: من دار طوعة مباشرة دون حرب... 61

المجموعة الثانية: من ميدان القتال. 62

بين ميدان القتال وقصر الخبال. 63

نقل علي بغلة. 64

الفائدة الأولى: الذهاب راكباً 65

الفائدة الثانية: ركوب المولي بنفسه. 65

الفائدة الثالثة: اختيار البغلة. 66

لماذا اختيار البغلة؟. 66

نقل فوراً 68

باب قصر الخبال... 69

إحدهما: دخول السبايا والرؤوس... 71

الثانية: وقوف مسلم (عليه السلام). 72

هل أوقف المولي مسلم (عليه السلام) علي باب القصر؟. 72

جلوسه علي باب القصر. 75

المتواجدون علي باب القصر. 75

عطشه (عليه السلام). 79

تنبيهات... 79

التنبية الأول: الاستسقاء. 79

التنبية الثاني: العطش وطبيعة الحرب... 81

التنبية الثالث: الإباء الطالبي.. 81

التنبية الرابع: مواساة سيّد الشهداء (عليه السلام). 82

التنبية الخامس: شكا عطشه إلي الله أولاً.. 84

التنبية السادس: امتناعه عن شرب الماء. 84

التنبية السابع: سقيه وهو مكتوف... 85

التنبية الثامن: سقوط ثنياه. 86

التنبية التاسع: خسة العدو ونذالته. 87

متي استسقي المولي الغريب (عليه السلام)؟. 87

الأول: أثناء الحرب... 88

الثاني: بعد الأسر. 89

الثالث: علي باب القصر. 89

مَن الذي ردّ علي المولي الغريب (عليه السلام)؟. 90

مَن الذي أمر له بالماء؟. 91

أحدهما: عمارة بن عقبة بن أبي معيط.. 91

الآخر: عمرو بن حريث الباهلي.. 91

مَن الذي باشر بسقيه؟. 92

من أين جاؤوا بالماء؟. 93

المحصّلة. 93

استمرار عطشه من الحرب إلي الشهادة. 94

دخول الأسد الهاشمي علي الجرو الأموي.. 97

التفاته: مواساة عيال سيّد الشهداء (عليه السلام). 99

رفض السلام علي ابن زياد. 99

القسم الأول: لم تذكر السلام. 99

القسم الثاني: رفض السلام. 101

القسم الثالث: لم يسلم بشرط الاستبقاء. 102

فرية تمّي الاستبقاء. 104

تنكر ابن زياد للأمان الذي أمر به. 109

الوصية. 113

الوصية الأصل.. 113

طلب الوصية وقبول ابن زياد. 115

طلب المولي (عليه السلام) وإجابة اللعين.. 115

مبادرة المولي بعد الطلب دون انتظار الإذن. 117

قول ابن أعثم.. 118

مبادرة المولي إلي الوصية دون طلب ذلك من اللعين.. 119

لم يذكر الوصية. 120

موقف عمر بن سعد. 120

الصف الأول: مبادرة ابن زياد. 120

الصف الثاني: مبادرة ابن سعد. 121

الصف الثالث: قبول ابن سعد دون انتظار الإذن. 123

الصف الرابع: امتناع ابن سعد إلا بعد الإذن. 123

دواعي اختيار عمر بن سعد. 125

النكته الأولى: عمل أهل البيت (عليهم السلام) بظاهر الأنساب... 125

النكته الثانية: تمسك أهل البيت (عليهم السلام) بالقرابة وإن بعدت... 128

النكته الثالثة: ما هي القرابة بين المولي الغريب (عليه السلام) وابن سعد؟. 129

النكته الرابعة: تشكيك البعض.... 130

الداعي المنصوص عليه. 130

الدواعي غير المنصوص عليها 131

دواعي قبول الوصيّة من قبل ابن سعد. 143

الداعي الأوّل: الداعي المنصوص... 143

الداعي الثاني: التفاخر والمباهات... 144

الداعي الثالث: الإحراج أمام الملاء.. 145

الداعي الرابع: الطمع في تكذيب الصادقين.. 146

الداعي الخامس: أن تكون له يدٌ عند الهاشميين.. 146

هل كانت الوصيّة سرّاً؟. 147

أولاً: خبث ابن سعد. 149

ثانياً: عزّة مسلم (عليه السلام). 149

ثالثاً: رعاية لمقام سيّد الشهداء (عليه السلام). 150

موادّ الوصيّة. 150

الوصيّة في نقاط.. 153

نذالة ابن سعد وإفشائه السرّ. 171

الإفشاء بعد طلب من ابن زياد. 172

ص: 523

مبادرة ابن سعد. 173

موقف ابن زياد من الإفشاء. 176

الإشارة الأولى: تملق ابن زياد وتوثبه. 177

الإشارة الثانية: تنكّر الطاغية للأخلاق.. 179

الإشارة الثالثة: رياء الطواغيت... 181

الإشارة الرابعة: تحقير ابن سعد. 182

الإشارة الخامسة: معرفة ابن زياد بالمولي الغريب (عليه السلام). 183

الإشارة السادسة: لا يخونك الأمين.. 183

إفشاء السرّ بعد الشهادة. 187

دواعي الإصرار علي الإفشاء. 188

أثر إفشاء السرّ. 190

الجواب علي الوصيّة. 192

القسم الأول: ردّ ابن زياد علي ابن سعد. 193

القسم الثاني: الردّ علي المولي ابن عقيل (عليه السلام). 205

القسم الثالث: جواب عمر بن سعد. 208

تنفيذ الوصيّة. 210

المحاججة والمناظرة. 213

القسم الأول: المقتضية. 217

القسم الثاني: المفصّلة. 220

وجود اختصار في النصوص المفصّلة. 232

فقرات المحاججة. 233

قوة المولي في محاجة ابن زياد. 307

الأولي: الدقة في الجواب وتحديد موضع الرد. 308

الثانية: قوة الردود. 308

الثالثة: شدة الصمود. 308

الرابعة: قوة السكينة والوقار. 308

الخامسة: عدم الاستجابة للاستفزات 308

السادسة: العمق الذي لا يدرك من الولاء الخالص.... 308

السابعة: المعرفة -- التي لا توصف -- بالولاية. 308

الثامنة: المعرفة العميقة التي لا توصف بالعدو المواجه له. 308

التاسعة: القوة والدقة والبلاغة والقدرة الفائقة علي فضح العدو. 308

العاشرة: القوة الخارقة في الدفاع عن الإمامة. 309

الحادية عشر: المعرفة التي لا تدرك بالدين وأحكامه. 309

الثانية عشر: المعرفة الدقيقة بتفاصيل تاريخ الأمويين وابن زياد وأبيه. 309

الثالثة عشر: المعرفة الدقيقة بأساليب العدو وأسلافه. 309

الرابعة عشر: المعرفة الدقيقة بتفاصيل المجتمع الذي أرسل إليه. 309

الخامسة عشر: المعرفة الدقيقة الشاملة الكاملة بالمهمة المكلف بها 309

السادسة عشر: الدقة الفائقة في توظيف الكلمات والتعبير. 309

السابعة عشرة: الدقة العالية في تحري الحق ومتابعته. 309

الثامنة عشر: الدقة المرهفة في تجنّب أي موقف أو تعبير يفيد ادعاء شيء أو حق شخصي له يدافع عنه في السلطان أو أي مقام دنيوي أو

منصب من مناصب الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) ومقاماتهم.. 309

التاسعة عشر: الوثوق المطلق بالله والثقة الكاملة غير المنقوصة أبداً بصلاح

الموقف وصحّته، والإيمان الكامل به ما دام في طاعة إمام زمانه. 309

العشرون: الرضا الكامل والتسليم المطلق لمؤدّيات الموقف... 310

الحادية والعشرون: الثقة الكاملة بحسن العاقبة. 310

الثانية والعشرون: الشجاعة في الردّ. 310

الثالثة والعشرون: الصبر والصلابة والتغافل عن الجراح والنزف... 310

الرابعة والعشرون: تجاهل العدو واحتقاره وسحق كبريائه وغروره. 310

الأمر بالقتل... 311

البند الأوّل: أن يُصعدَ به فوق القصر. 313

البند الثاني: أن يُضربَ عنقه. 313

البند الثالث: أن يُتبعَ رأسه جسده، أو يتبع جسده رأسه، حسب اختلاف النصوص... 313

الشهادة. 317

القسم الأوّل: المقتضية جدّاً 317

القسم الثاني: فيها شيءٌ من التفصيل.. 320

من المباشر للقتل؟ هل هو بكر (بكير) بن حمران الأحمرى؟. 327

الموضع الذي قُتل فيه. 335

الاحتمال الأوّل: التصحيف... 337

الاحتمال الثاني: تقارب المواضع. 337

الاحتمال الثالث: اختلاف المواضع بمرور الزمان. 338

لماذا صعد به إلي السطح؟. 338

ذكر الله ودعاؤه عند القتل.. 341

ملاحظات... 343

تتمّات... 352

التّمّة الأولى: قتلة لم يقتلها أحدٌ في الإسلام. 353

التّمّة الثانية: حضور ابن زياد! 353

التّمّة الثالثة: لم يُقتل بأول ضربة. 354

التّمّة الرابعة: الردّ إلي آخر لحظة. 354

التّمّة الخامسة: الفخر عند الموت... 355

التّمّة السادسة: السؤال عن قتله. 357

التّمّة السابعة: ما رآه القاتل عند قتله وتعليل ابن زياد. 358

التّمّة الثامنة: يبست يد القاتل ورأى النبيّ (صلي الله عليه وآله). 360

التّمّة التاسعة: كيف رُمي (عليه السلام) من فوق القصر. 361

تشويهاً... 363

الصَّلب... 369

موضع الصَّلب... 370

الصَّلب منكوساً 374

أول جثّة صُلبت لبني هاشم... 375

مدّة الصَّلب... 376

جرّه في الأسواق... 377

اللّوعة الأولى: السحب بالحبال. 380

اللّوعة الثانية: جرّ الصبيان. 381

اللّوعة الثالثة: بلوغ الخبر لسيد الشهداء (عليه السلام). 382

اللّوعة الرابعة: مدّة السحب... 384

تجهيز الأجساد الطاهرة. 385

الطائفة الأولى: تجهيز ابن سعد. 385

الطائفة الثانية: تجهيز مذحج.. 386

الطائفة الثالثة: تجهيز زوجة ميثم.. 387

الطائفة الرابعة: الصلاة عليه! 388

ناصر الجثمان المقدس حنظلة بن مرّة. 389

فوائد. 390

الأولي: أنّ الرجل الغيور كان من أهل واقصة. 390

الثانية: أنّه كان من شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام). 390

الثالثة: أنّ المشهد كان غاية في البشاعة بحيث أثار هذا الغيور العابر. 390

الرابعة: أنّ القوم غاية في الانحطاط والسقوط.. 390

الخامسة: صرّح القوم بخضوعهم وخنوعهم وتبعيتهم للقرد الأموي.. 391

السادسة: يبدو من قوله: «وسحبتموه علي وجهه» أنّ الجثمان كان يُسحب مكبواً علي وجهه! 391

السابعة: ما أعظم مواساته ودفاعه وغيرته وحميته. 391

الثامنة: أنّ القوم فعلوا فعلتهم بعد الصلب... 392

التاسعة: أنّ مذحجاً لم تتقدّم بشيء ولم تقاتل من أجل إنقاذ الجثث... 392

العاشر: وما أدراك ما العاشرة! 392

بعث الرؤوس إلي الشام.. 393

عدد الرؤوس المبعوثة. 398

حاملو الرؤوس إلي الشام. 399

أول رأس هاشمي يُحمّل.. 401

كتاب ابن زياد ليزيد. 402

المعلومة الأولى: التصريح بأسماء حاملي الرؤوس... 403

المعلومة الثانية: أنّ كاتب ابن زياد هو عمرو بن نافع. 403

المعلومة الثالثة: أنّ الكتاب من ألفاظ ابن زياد. 403

المعلومة الرابعة: احتوي الكتاب علي حزمة معلوماتية امتازت بتشويه الحقائق، واحتشد فيها الكذب 403

المعلومة الخامسة: بعث إلي يزيد بعبدن من عبيده المخلصين.. 404

جواب يزيد علي كتاب ابن زياد. 406

مقاطع الكتاب... 410

صلب الرؤوس في الشام. 423

لفتة. 424

موادّ البحث.... 427

الطبقات الكبرى لابن سعد (ت 230) 427

ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) (من طبقات ابن سعد)، تاريخ الاسلام للذهبي.. 428

المحبّر لمحمد بن حبيب (ت 245) 430

الإمامة والسياسة لابن قتيبة (ت 276) 430

أنساب الأشراف للبلاذري (ت 279) 431

الأخبار الطوال للدينوري (ت 282) 436

تاريخ اليعقوبي (ت 292) 439

- تاريخ الطبري (ت 310) 439
- الفتوح لابن أعمش الكوفي (ت 314) 446
- العقد الفريد لابن عبد ربّه (ت 328)، جواهر المطالب للباعوني.. 453
- مروج الذهب للمسعودي (ت 346) 454
- الثقات لابن حبان (ت 354) 456
- مقاتل الطالبين للأصفهاني (ت 356) 456
- الإرشاد للشيخ المفيد (ت 413) 460
- تجارب الأمم لمسكويه (ت 421) 466
- إعلام الوري للطبرسي (ت 548) 467
- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي (ت 568) 468
- روضه الواعظين للفتال النيسابوري (ت 508) 474
- لباب الأنساب لابن فندق (ت 565) 476
- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (ت 588) 476
- المنتظم لابن الجوزي (ت 597) 477
- الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت 630) 477
- الحدائق الوردية للمحلي (ت 652) 481
- مطالب السؤول لابن طلحة (ت 652)، كشف الغمة للأربلي (ت 693) 481
- تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي (ت 654) 482
- اللّهوف في قتلي الطفوف للسيد ابن طاووس (ت 664) 482
- تاريخ أبي الفداء (ت 732) 485
- نهاية الأرب للنويري (ت 733) 485

سير أعلام النبلاء للذهبي (ت 748) 488

البداية والنهاية لابن كثير (ت 774) 489

مثير الأحران لابن نما (ت 841) 492

تهذيب التهذيب لابن حجر (ت 852) 495

الفصول المهمة لابن الصبّاغ (ت 855)، نور الأبصار للشبلنجي.. 495

الجوهرة للبرّي (ق 7) 495

المنتخب للشيخ الطريحي (ت 1085) 496

بحار الأنوار للعلامة المجلسي (ت 1111) 499

جلاء العيون. 505

ينابيع المودة للقندوزي (ت 1294) 505

مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف المشهور. 506

إبصار العين للشيخ محمّد السماوي (ت 1370) 510

معالي السبطين للمازندراني (ت 1384) 515

مقتل الحسين (عليه السلام) للمقرّم (ت 1391) 516

الأمالي للشجري.. 516

ص: 531

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباه اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

